دير القديس أنبا مقار

النبوّة والأنبياء

في العهد القديم

الآب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

النبوَّة والأنبياء

في العهد القديم

الأب متى المسكين

كتاب: النبوّة والأنبياء في العهد القديم

المؤلف: الأب متى المسكين

الطبعة الأولى: ٢٠٠٣

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.

صندوق بريد ٢٧٨٠ القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٢/٤٤٥٥

رقم الإيداع الدولي: 977-240-117-7

المحتويات

Bibliography

Carroll, Robert P., *Jeremiah, A Commentary,* SCM Press, 1986.

Edersheim, Alfred, *Prophecy and History in Relation to the Messiah,* London, 1885.

Freeman, Hobart E., *An Introduction to the Old Testament Prophets,* Moody Press, Chicago, 1968, 1978[12].

Kirsch, Jonathan, *Moses, a Life*, Random House, 1998.

Meier, Rabbi Levi, *Moses. The Prince, the Prophet,* Woodstock, 1998.

Petersen, David L., *Haggai & Zechariah 1-8,* SCM Press, 1985.

Swindoll, Charles R., *Moses, A Man of Selfless Dedication,* Nashville, 1999.

VanGemeren, Willem A., *Interpreting the Prophetic Word*, Zondervan, 1990.

Von Rad, Gerhard, *Old Testament Theology,* vol. II, "The Theology of Israel's Prophetic Traditions", SCM Press, 1975, 1985[5].

Von Rad, Gerhard, *The Message of the Prophets,* Harper, 1962, Eng. Tr. 1967.

Williams, Walter G., *The Prophets, Pioneers to Christianity,* Abingdon Press, New York, 1956.

Young, Edward J., *My Servants the Prophets,* Eerdmans, 1952.

Young, Edward J., *The Book of Isaiah,* 3 vol. Eerdmans, 1965-1972.



مقدِّمة الكتاب

النبوَّات في الكتاب المقدَّس

تأخذ النبوَّات موضعاً هاماً في تاريخ معاملات الله على مدى العهد القديم كله. وتشمل إعلانات الله للشعب عن مقاصده وعن نتائج أعمالهم وتصرُّفات ملوكهم، وسبق التنبُّؤ بما سيحدث لهم ولكن بشبه رؤية للأشياء عن بُعد. فالأزمنة المتباعدة تبدو وكأنها حادث واحد أو قريب، فلا يمكن تفسيرها بالأعداد أو السنين أو الأيام، لأن ألف سنة عند الله كيوم أمس الذي يعبر، والله لا يلتزم بمفردات الزمان ولكن ما يتنبَّأ به الله فحتماً يتم رغماً عن الزمان وظروف الإنسان. وتاريخ الإنسان مهما تباعد فهو خاضع لتدبيرات الله. فأعمال الله هي تاريخ الإنسان بالنهاية، ويستحيل على الإنسان مهما تجبَّر أن يغيِّر ما أمر به الله فهو لابد أن يتم بحذافيره في الوقت المعيَّن من الله.

ما هي النبوَّة:

هي كلمة الله مُرسلة في حينها الحسن تماماً لكشف ضمير الإنسان أمام الله، أو استحضار وعيه ليُسلّط الله عليه نوراً فاحصاً للقلب ومعلناً فكر الله وعلمه بالأشخاص والحقائق الزمانية وما فوق الزمان للتهذيب والإنذار والتعريف والتوبيخ والإرشاد، ليصير الإنسان على مستوى مشيئة الله والالتزام بنصيبه المقرَّر.

والنبوَّة تأتي كدفقة من الله تسوق فكر النبي حتى تستوفي مقاصدها، لا يلوثها فكر الإنسان أو مزاجه، بل ولا يستطيع، لأنها تكون كالسيف على رقبة النبي لا يحيد عنها.

معلنات النبوَّة:

النبوَّة تُعلن الخفيات والمكتومات سواء الخاصة بالله من جهة الإنسان أو الأزل أو الأبد أو الزمان، وهي تحمل في ذاتها برهان مصدرها الإلهي وقوَّة تأثيرها على النفوس «أنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم.» (مت ١٣: ٣٥)

+ «هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها. قبل أن تنبت أُعلمكم بها.» (إش ٤٢: ٩)
+ «اسألوني عن الآتيات ... من أعلم بهذه منذ القديم، أَخبَرَ بها منذ زمان؟ أليس أنا الرب؟» (إش ٤٥: ١١ و٢١)
+ «أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلي. مُخبر منذ البدء بالأخير ومنذ القديم بما لم يُفعل.» (إش

٤٦: ٩ و١٠)

+ «بالأوليات منذ زمان أخبرتُ ومن فمي خرجتْ وأنبأتُ بها. بغتة صنعتها فأتت.» (إش ٤٨: ٣)

+ «القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس مَنْ يعرفه؟ أنا الرب فاحص القلب، مختبر الكُلى لأعطي كل واحد حسب طرقه.» (إر ١٧: ٩ و١٠)

ما هي النبوَّات في مفهوم شعب الله:

والنبوَّة أصلاً كانت توصيل رسالة من الله على يد موسى النبي الذي اختاره الله ليوطِّن أول رسالة للشعب الذي اختاره، وكانت الرسالة الأُولى والعُظمى هي تعريف الشعب بمَنْ هو الله وما هو اسمه وصفاته، وهو الشعب الذي اختاره الله ليعيش تحت وصاياه وتعاليمه ليُصبح شعباً لله ينير الشعوب التي حوله ويصير نموذجاً لها في المعرفة والسلوك، لذلك فإن النبوَّة أول ما توضَّحت، توضَّحت في **استعلان** الله للشعب ثم استعلان وصاياه وأوامره. وبنمو الشعب وتقدم معرفته لله وتنفيذ وصاياه دخلت النبوَّة التاريخ، وأصبحت النبوَّة جزءًا من التاريخ الذي يربط الشعب بالله، وصارت كلمات النبوَّات الصادقة استعلانات متدرجة عن معرفة الله والعمل بوصاياه. ومن هنا نشأت الفلسفة من التعرُّف على فكر الله المُستعلن في النبوَّات وفكر الإنسان المُستعلن في طاعته والعمل بوصاياه. ومن نجاح الإنسان وفشله في العمل بحسب وصايا وأوامر الله نشأت علوم التاريخ والاجتماع والاقتصاد على ضوء المعرفة الصحيحة والامتداد بهذه العلوم لمعرفة الحياة الأفضل للإنسان.

فالنبوَّة يتبعها التاريخ. النبوَّة تصنع التاريخ ولكن التاريخ لا يصنع أُمة ولا يصح أن يكون عمادها واعتمادها عليه. فإخراج الله لشعب إسرائيل من مصر صار تاريخاً لإسرائيل، ولكن لما أرادت إسرائيل أن تعتمد على حادثة خروجها من مصر وكأنها أصبحت أُمة ذات امتياز أو سيادة تاريخية رُفضت، لأن النبوَّة قبل أن تُنشئ تاريخاً تُنشئ أخلاقاً وسيرة وديناً وطاعة. فالتاريخ لا يؤخذ اغتصاباً بل هو منحة سماوية تزكيه النبوَّة وتشهد له، فالله ليس هو إله إسرائيل فقط بل إله كل الشعوب والأُمم. والشعب الذي يتَّقيه قبل أن ينسب نفسه لله كشعب الله ينسب الله نفسه إليه. فالله هو إله إسرائيل طالما إسرائيل خاضعة له ومطيعة، فلمَّا رَفَضَت الطاعة له طالبها بكتاب طلاق «أين كتاب طلاق أُمّكم» (إش ٥٠: ١). وبالتالي فإن رسالة النبي أيضاً هي النطق بالدينونة على كل شعب يرفض الخضوع لله. فالله لا يلتزم بتاريخ الشعوب بل هو وحده صانع التاريخ ويوجِّهه إلى الغاية التي من أجلها سمح الله به.

وكل ما كان يطلبه الله من إسرائيل هو أن تؤمن به وتسير حسب وصاياه وتعترف بفضله كفاد، وتنادي بالإيمان به لبقية الشعوب. فلمَّا أخفقت في الإيمان به وطاعته فقدت رسالتها، فلم يعدْ وجودها ذا ضرورة تاريخية وبقيت على هامش التاريخ تشهد ضد نفسها. وأصبح وجودها عبرة لغيرها إلى أن يحكم الله فيها، لا بما يتناسب مع وضعها بل بما يتناسب مع وعده وسخائه وطول أناته، أي بما هو أعلى من النبوَّة، حيث يملك الله في ملكوته الأبدي: «ويكون الرب ملكاً على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده.» (زك ١٤: ٩)

والنبوَّات لا تتكلَّم عن الشر القادم أو الخير القادم لتسلية القارئ، ولكن لتحذير الشرير وعزاء المحزون، لأن الله في الاثنين يطلب الخير لقلب الإنسان. وإذا تنبَّأ نبي عن المستقبل وتمَّ بالحرف في الساعة واليوم فذلك لكي يُدخل في قلوب الشعب هيبة للخضوع لصوت الرب.

وإن كان هناك إنسان أو شيء تضافرت كل جهود الأنبياء للإعلان عنه بشتى النبوات فهو إمَّا المسيح وإمَّا ملكوت الله!

وقد تضافرت جهود كل العلماء وكل الاختراعات في القرنين التاسع عشر والعشرين لكشف كل ما أحاط ويحيط بالأمم المجاورة لإسرائيل منذ البدء، وجاءت كل الأبحاث بنتائج مدهشة تؤكِّد صدق ودقة أنبياء العهد القديم في إسرائيل، وكانت أكبر معين للمؤرِّخين والباحثين والشارحين للكتاب المقدَّس بصورة مذهلة، وفازت اكتشافات ومخطوطات وادي القمران التي ترقى لسنة ٢٠٠ ق.م بأكبر قسط من مصداقية الأنبياء والنبوَّات وأجزاء التوراة الحرفية.

طبيعة النبوَّة في العهد القديم:

الدين والتاريخ في إسرائيل هما على أساس النبوَّة. فالله اختار هذا الشعب واختار آباءه وأنبياءه على مدى العصور كلها، لذلك فإن الله في إسرائيل هو الألف والياء وهو صانع التاريخ لها:

+ «الله بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمل العالمين.» (عب ١: ١و٢)

إن تاريخ إسرائيل على مدى أنبيائه كان عبارة عن استعلانات استُعلنت للأنبياء. والتاريخ والنبوَّة في العهد القديم هما على صلة وثيقة. لأنه حتى الأعمال الكبرى التي قامت عليها إسرائيل مثل اختيار أبرام وخروج شعب إسرائيل من مصر على يد موسى، وتأسيس مملكة داود، وخراب أورشليم، وسبي بابل، هي عبارة عن رسائل نبوية لإسرائيل واستعلانات بآن واحد. والنبوَّة بالاستعلان الإلهي بدأت

ونشأت على هيئة تاريخ إسرائيل واختباراته وكان تكميلها في داخل التاريخ. ولكن ديانة إسرائيل شيء آخر غير حوادث إسرائيل التاريخية وتاريخ ما حولها من الدول، فهي تأسست أثناء التاريخ، ولكن لم تكن حدثاً تاريخياً، وليس من خلال تأملات ميتافيزيقية أو خزعبلات خرافية أو جهود فلسفية أو عقلانية. وهذا يساعدنا أن نشرح لماذا عُرفت وتحدَّدت الكتب التاريخية لـ "يشوع" و"القضاة" و"صموئيل الأول والثاني" و"الملوك الأول والثاني" أنها لـ "**الأنبياء السابقين**" في القانون اليهودي. ومؤلّفو هذه الكتب مثل الأنبياء الآخرين رأوا أن تاريخ إسرائيل كان في ذاته استعلاناً لله، فعندما كان يُسجِّل الكاتب التاريخ في العهد القديم لم يكن مهتماً بالتاريخ كتاريخ ولكنه كان يُسجِّل استعلان الله في التاريخ وبواسطته. وهكذا نجد أن النبوّة وعناية الله يتمشيان معاً جنباً إلى جنب في الأسفار المقدَّسة.

ولهذا كانت كلمة الله تحمل هذا وذاك، فهي شهادة نبوية لما قاله الله وما عمله الله وما هو مزمع أن يعمله في التاريخ بآن واحد. فلك يحوي الفكر النبوي فلسفة التاريخ الذي يشرح مساره ويتنبَّأ عن كماله فيما سيأتي.

وليس فقط تاريخ إسرائيل ولكن تاريخ كل الأمم أيضاً هي تحت سلطان وتدبير الله، فكل التاريخ هو المجال الأعظم لعمل حكمة الله وقوّته ومجده. هذا يَسهُل إدراكه في عاموس مثلاً عندما يقول لإسرائيل الخاطئة: «ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل، يقول الرب. ألم أُصعد إسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور والأراميين من قير» (عا ٩: ٧). وأهمية قول الله هذا هو أنه أولاً وقبل كل شيء يذكِّر إسرائيل بأنها عندما تقيم تاريخها وهي واثقة في ذاتها على أساس غاشٍ من الأمان وتتصوَّر أنها بعيدة عن أن تُدان على أساس الخروج من مصر وخلاصها من مصر، فالله يُذكِّر إسرائيل هنا أن خروجها من مصر إن كان بغير الطاعة له والخضوع لنواميسه فهذا لا يعطيها أفضلية في شيء، لأن الفلسطينيين والأراميين، لهم هم أيضاً خروج بمعنى ما.

ولكن على أي حال فإن الغرض الإلهي من التاريخ في العهد القديم يوضِّح كيف أنه يميل إلى كشف الطبيعة النبوية وراءه. ففي الفكر العبري وفي الأنبياء المكتوبة أسفارهم نجد اختلافاً بين وحدة الفكر التاريخي وبين الفلسفة العلمانية للتاريخ. هذا الاختلاف الواضح هو في الوعي النبوي للعناية الإلهية المسيطرة التي توجه كافة حوادث التاريخ نحو غرض واحد وهو غرض الله الذي يظهر في سيادته على التاريخ تحت عنايته المدبرة لكل عمليات التاريخ.

لذلك فالعهد القديم ليس مجرد تاريخ ولكنه تاريخ ذو غرض وهدف وتوجيه تحت عناية إلهية واضحة، تراها العين المؤمنة بتدبيرات الله وهو الفداء الذي يجري نحوه التاريخ بكل حوادثه، ويتكلَّم عنه الأنبياء بأقصى جهدهم لتوعية المنتظرين عمل الله. فغرض الله من التاريخ هو الإيمان بالله الذي هو مفتاح كل التاريخ، الذي تتجه إليه حركة التاريخ ويتفق عليه جميع الأنبياء لسيادة الله النهائية على العالم. ويذكرها النبي زكريا هكذا:

+ «ويكون الرب ملكاً على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده.» (زك ١٤: ٩)

فالأنبياء أرسلهم الله ليكونوا عيوناً وفماً له في اليوم الذي يعيشونه على مستوى رؤيتهم للأخلاق في مستواها الإلهي المطلوب ويحركون حركتها بمواهبهم النبوية.

فالنبي في نظر الدارسين لأخلاق الشعوب هو معلِّم إلهي وفيلسوف أخلاقي يرتقي بنظرته النبوية لتكون أعلى دائماً من أفضل معايير الإنسان، ويمتد برؤية الإنسان إلى أبعد مستوى يراه الإنسان.

من هذا نفهم السبب الأول في قيام النبوَّة في إسرائيل على لسان موسى النبي. فالشعب الخارج من إسرائيل بدخوله أرض كنعان سيواجه شعوباً كثيرة فيها أنبياء كذبة وسحرة وعرَّافون ومن يستشيرون أرواح الموتى، وأنواع عديدة من أشخاص يدَّعون رؤية الله والكلام معه، ويقدِّمون الذبائح بطقوس وثنية، ومنهم مَنْ كانوا يُقطِّعون أجسادهم ويطعنون أنفسهم بالرماح لكي تسمع لهم آلهتهم - كما عرفنا من قصة إيليا النبي والأنبياء الكذبة (١مل ١٨: ١٩ - ٤٠) - ومنهم مَنْ كانوا يستشيرون الجان ويعملون بإرشادهم. فهنا بدأ الله بموسى يعرِّفهم بذاته ليسمعوا له ويتبعوه بكل قلوبهم. وأوصى الله بأنه بعد موسى وبعد أن يدخلوا أرض كنعان سيعيِّن لهم الله النبي بعد النبي الذي سيعرِّفهم وصايا الله. ثم تنتهي هذه النبوَّات بقيام نبي مثل موسى يتكلَّم الله بنفسه في فمه، أي المسيَّا. ويلاحظ القارئ هنا أن صفات النبي ودعوته التي حدَّدها الله بفم موسى كانت قبل دخول الشعب أرض كنعان. فهنا لا موضع له ولا أصل لقول النقاد إن أنبياء إسرائيل بل وطقوسهم هي مأخوذة من الكنعانيين الذين اختلطوا بهم. فأصل قيام النبوَّة في العهد القديم مأخوذ من فم الله مباشرة وعلى يد موسى. والرب قد أعطى أن يكون موسى نموذجاً أو مثالاً للنبي الذي سيختاره الله، أي يسمع من الله مباشرة ويُخبر الشعب بما سمعه من الله، هذا قاله الله بالحرف الواحد: «وأجعل كلامي في فمه فيكلِّمهم بكل ما أوصيه به» (تث ١٨: ١٨). أي أن النبي لا يكتشف

بنفسه وبطرقه الخاصة ما يريده الله، بل ينقل ما يسمعه من كلام الله كلمة كلمة. أي أن الله هو المتكلّم وليس النبي.

ما هو عمل النبي:

أو ما هي النبوّة في مفهوم العهد القديم:

إذا أخذنا بأصل الكلمة فإن المعنى يتغيّر عمّا هو معروف الآن، ولكن المعنى المعمول به هو المستخدم في اللغة السامية وهو الذي أخذ به العلماء الكبار في دراسة التوراة مثل: أ. ب. دافيدسن، كوهلر، بومجارتنر، براون، درايفر، برجز، أ. ج. يونج، هاينش[1]، وهم لا يأخذون بحرفية الكلمة أيًا كانت عبرية أو أكادية ... إلخ، ولكن أخذوا بالمعنى المتداول في العهد القديم فقط. والعهد القديم يقدّم لنا معنى النبي في الحوار الذي دار بين الله وموسى:

+ «فقال الرب لموسى: انظر، أنا جعلتك إلهاً لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيّك. أنت تتكلّم بكل ما آمرك، وهارون أخوك يكلّم فرعون ليطلق بني إسرائيل من أرضه.» (خر ٧: ١و٢)

هنا وظيفة النبي تحدّدت بنقل الرسالة الإلهية. كما جاء نفس المعنى في (خر ٤: ١٦): «وهو يكلّم الشعب عنك، وهو يكون لك فماً (أي نبيًّا) وأنت تكون له إلهاً».

ومن هذا نفهم أن عمل النبي هو أن يكون فماً أو كليماً ينقل كلام الله للشعب، وفي السبعينية تُرجمت كلمة "نبي" الواردة في التوراة إلى بروفيتس προφήτης وهي تتكوّن من: -προ وتعني: بالنيابة عن، والفعل φήμι = يتكلّم، أي (يتكلّم بالنيابة عن)، وكل ما جاء في العهد القديم عن هذه الكلمة يحمل هذا المعنى تقريباً. وفي سفر إرميا جاء معنى النبي هكذا: «فقال الرب لي: لا تقل إني ولد لأنك إلى كل مَنْ أُرسلك إليه تذهب وتتكلّم بكل ما آمرك به» (إر ١: ٧). وعرّف الله معنى النبي في إرميا أيضاً هكذا: «هكذا قال رب الجنود لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبّأون لكم. فإنهم يجعلونكم باطلاً. يتكلّمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب.» (إر ٢٣: ١٦)

وإشعياء النبي يوضّح المعنى هكذا: «إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض. وإن أبيتم وتمرّدتم تُؤكلون بالسيف لأن **فم الرب تكلّم**» (إش ١: ١٩ و٢٠). وزكريا النبي يوضّحها هكذا: «بل جعلوا قلبهم ماساً لئلا يسمعوا الشريعة **والكلام الذي أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء**

---

(1) A. B. Davidson, Koehler, Baumgartner, Brown, Driver, Briggs, E. J. Young and Heinisch, quoted by Hobart E. Freeman, *An Introduction to the Old Testament Prophets*, 1968, p. 39.

الأوّلين، فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود» (زك ٧: ١٢). وعاموس يوضّحها هكذا: «الأسد قد زمجر فمن لا يخاف. السيد الرب قد تكلّم فمَنْ لا يتنبّأ» (عا ٣: ٨). وأيضاً يقول النبي عاموس: «فالآن اسمع قول الرب - أنت تقول لا تتنبأ على إسرائيل ولا تتكلّم على بيت إسحق» (عا ٧: ١٦). هذه النصوص توضّح بجلاء أن أول عمل للنبي هو أن يتنبّأ أي يتكلّم بكلام الله الذي أعلنه له.

عمل النبي يعبّر عنه أحياناً بالرائي seer:

وعمل النبي والرائي واحد كما يقول صموئيل النبي: «سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله: هلم نذهب إلى الرائي. لأن النبي اليوم كان يُدعى سابقاً الرائي» (١صم ٩: ٩)؛ «فقال أمصيا لعاموس: أيها الرائي اذهب اهرب إلى أرض يهوذا وكُل هناك خبزاً وهناك تنبّأ» (عا ٧: ١٢). وأيضاً في (٢صم ٢٤: ١١): «ولمّا قام داود صباحاً كان كلام الرب إلى جاد النبي رائي داود قائلاً». كذلك جاءت في (٢أي ٢٩: ٢٥): «وأوقف اللاويين في بيت الرب بصنوج ورباب وعيدان حسب أمر داود وجاد رائي الملك». وقد جاء اصطلاح النبي والرائي معاً في (١أي ٢٩: ٢٩): «وأمور داود الملك الأُولى والأخيرة هي مكتوبة في أخبار صموئيل الرائي وأخبار ناثان النبي وأخبار جاد الرائي».

والفرق بين النبي والرائي هو أن "النبي" تعبير عن المُرسَل الحامل كلام الله ومعطيه فهو يعمل على توصيل الكلمة للآخرين active؛ أمّا كلمة "الرائي" فتعبّر عمّن استقبل كلام الله بالاستعلان فمعناها يعود على الشخص نفسه subjective.

«رجل الله» كاصطلاح يأتي بمعنى النبي:

وهو اصطلاح عادي يعبّر عن صاحب الدعوة المقدّسة والمؤتمن على دعوة الله من جهة أخلاقه وخدمته، وقد استُخدم مبكّراً عن موسى (تث ٣٣: ١)، وإيليا (١صم ٩: ٦)، وأليشع (٢مل ٤: ٩).

«خادم الله» أو «عبد الله» كاصطلاح يأتي بمعنى النبي:

وهو يعبّر عن علاقة وثيقة للنبي بمُرسله، وجاء في (٢مل ٩: ٧)، (إر ٢٥: ٤)، (حز ٣٨: ١٧)، (زك ١: ٦).

«مُرسَل» كاصطلاح يأتي بمعنى النبي:

وهي نفس كلمة «ملاك» malak وتُستخدم للمُرسَل وللملاك، لأن الملاك هو المرسل الروحي

لله، أمَّا النبي فهو المرسَل المعلن لكلمة الله لتسليم رسالة من الله مثل (حج ١: ١٣): «فقال حَجَّي رسول الرب برسالة الرب لجميع الشعب قائلاً أنا معكم يقول الرب»، وقد قيلت في يوحنا المعمدان: «هأنذا أُرسل ملاكي فيهيِّئ الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تُسرون به هوذا يأتي قال رب الجنود» (مل ٣: ١)، وتُقال عامة عن الأنبياء: (٢أي ٣٦: ١٥ و١٦)، (إش ٤٤: ٢٦).

الوعي النبوي أو وعي النبوَّة:
أو حال ذهن النبي وهو يتنبَّأ:

أنبياء إسرائيل يقولون إنهم يكونون في حالة تقبُّل استعلان إلهي وهم يتنبَّأون ويعظون، وهم تحت شعور اقتناع نفسي أن الرب يتكلَّم كلمته لهم، وأنه يأمرهم أن يتكلَّموا بكلمته بالتالي إلى إسرائيل. وعاموس يُعلن: «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلاَّ وهو يعلن سرَّه لعبيده الأنبياء. الأسد قد زمجر فمَنْ لا يخاف. السيد الرب قد تكلَّم فمَنْ لا يتنبَّأ.» (عا ٣: ٧ و٨)

وأيضاً نقرأ لعاموس: «فأخذني الرب من وراء الضأن وقال لي الرب اذهب تنبَّأ لشعبي إسرائيل. فالآن اسمع قول الرب. أنت تقول لا تتنبَّأ على إسرائيل ولا تتكلَّم على بيت إسحق.» (عا ٧: ١٥ و١٦)

فإذا أُخذ العهد القديم باهتمام فهناك حاجة ضرورية لمعرفة صحيحة لحالة الاقتناع التي يشعر بها الأنبياء أنفسهم في قولهم إنهم فعلاً يتقبَّلون في نبوَّتهم الاستعلان الإلهي! لأن الطبيعة الفريدة للنبوَّة في العهد القديم إنما تنبع مما يمكن أن يُقال إنه "وعي نبوي" وهو الاقتناع الذي يصعب وصفه من جهة النبي للدعوة الإلهية والأمر بتوصيل كلام الله. هذا الاقتناع الذي يتضح في إعلان عاموس النبي يوصف مرَّات كثيرة في العهد القديم بالقول النبوي: «هكذا قال الرب» الذي دائماً أبداً يتصدر رسالة النبوَّة الآتية من الله. فالأنبياء لا يحتاجون تحقيقاً تاريخياً أو برهاناً خارجياً أن الكلمة التي يتكلَّمون بها هي حقًّا «كلمة الرب»، وبالعكس فهم يتكلَّمون بسلطان واقتناع أن كلمة الله التي يحملونها هي نفسها ختم صدقها، وأن قوة سلطانها الأخلاقي وأصالتها الروحية إنما تزكي نفسها تجاه ضمير ووعي سامعيها.

هذه الحقيقة توضِّح نفسها في دعوة الله لحزقيال:

+ «وقال لي يا ابن آدم أنا مُرسلك إلى بني إسرائيل إلى أُمة متمرِّدة قد تمرَّدت عليَّ. هم وآباؤهم عصوا عليَّ إلى ذات هذا اليوم. والبنون القُساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مُرسلك إليهم.

فتقول لهم: هكذا قال السيد الرب. وهم إن سمعوا وإن امتنعوا. لأنهم بيت متمرِّد: فإنهم يعلمون أن نبيًّا كان بينهم. أمَّا أنت يا ابن آدم فلا تخف منهم، ومن كلامهم لا تخف، لأنهم قريس وسلاء لديك وأنت ساكن بين العقارب. من كلامهم لا تخف ومن وجوههم لا ترتعب. لأنهم بيت متمرِّد.» (حز ٢: ٣—٧)

وعندنا المكتوب في سفر التثنية (١٨: ٩—٢٢) هو مقارنة بين الطرق الوثنية لوصف الألوهة للشعوب الأخرى إزاء الاستعلان الفائق للطبيعة لأنبياء إسرائيل، الذي صار الأساس التاريخي للعهد القديم في تقييمه للوعي النبوي الصحيح:

+ «متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم. لا يوجد فيك مَنْ يجيز ابنه أو ابنته في النار ولا مَنْ يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر. ولا مَنْ يرقى رُقية ولا مَنْ يسأل جاناً أو تابعة ولا مَنْ يستشير الموتى. لأن كل مَنْ يعمل ذلك مكروه عند الرب. وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك.» (تث ١٨: ٩—١٢)

لذلك فإن الاقتناع النفسي الذي عند الأنبياء في العهد القديم أن الله قد تكلَّم بواسطتهم ولهم هو واضح على طول صفحات العهد القديم: «هكذا تكلَّم الرب»، «وجاءت إليَّ كلمة الرب»، «اسمع كلمة الرب»، «وعندما تكلَّم معي دخلني الروح»، «والرب تكلَّم لي»، «كلمة الرب التي جاءت إلى هوشع». فكل هذه الحقائق لا يمكن إغفالها وكأنها من عند الكاتب. هكذا يقول عاموس وهو منحصر في سماع كلمة الرب: «السيد الرب قد تكلَّم فمَنْ لا يتنبَّأ» (عا ٣: ٨) وإشعياء يُعلن: «هكذا قال لي الرب بشدَّة اليد وأنذرني» (إش ٨: ١١). وإرميا لم يقدر أن يسمع كلمة الرب ويصمت (إر ٢٠: ٩).

وختام القول: لم تُعرف نبوَّة بأصالة وصدق مثل نبوَّة أنبياء إسرائيل، التي لم يكن لها مثيل في كافة العالم القديم، وخاصة في مستوى وعي النبوَّة الذي بلغ في كل مراحله لياقة وعي الألوهة على مستوى الأخلاقيات التي يشتهيها أرقى رجال السيكلوجيات والأخلاق في العالم الحديث.

الغيبوبة أو اختطاف العقل أو الجذب الروحي عند الأنبياء Ecstasy:

هكذا وصف آباء الكنيسة الأولون حالة الذهن عند الأنبياء. وهي كلمة يونانية ἔκστασις حيث يكون الوعي بالنفس مغلقاً نوعاً ما، حيث يكون عقل النبي خارج الحدود الطبيعية ومرتفعاً لمنطقة الإلهام

والوعي الفائق للعقل. ولكن تكون النفس في كامل وعيها لقبول الاستعلان ويكون العقل خاضعاً لقوى الروح، والشخص يكون في حالة شبه غيبوبة ليستطيع أن يطَّلع على ما هو فوق المعقول:

+ «فجاع كثيراً واشتهى أن يأكل. وبينما هم يهيِّئون له وقعت عليه غيبة فرأى السماء مفتوحة ...» (أع ١٠: ١٠و١١)

+ «أنا كنت في مدينة يافا فرأيت في غيبة رؤيا ...» (أع ١١: ٥)

+ «وحدث لي بعدما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلي في الهيكل أني حصلت في غيبة. فرأيته (الرب) قائلاً لي أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عني» (أع ٢٢: ١٧ و١٨)

وقد عبَّر عنها بولس الرسول قائلاً:

+ «أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم. الله يعلم. اختُطف هذا إلى السماء الثالثة ... اختطف إلى الفردوس وسمع كلمات لا يُنطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم بها.» (٢كو ١٢: ٢ـ٤)

وهذه حالة أعلى من اختطاف العقل وهي حالة روحية مسكوبة على الإنسان وقد تكون واسطة أيضاً لقبول نبوَّة، ولكن هذه كلها حالات روحية تعبِّر عن علاقة خاصة وعالية بالله.

ولكن في حالات أنبياء الوثنية يصفون حالات شبيهة بحالات الغيبوبة والاختطاف ولكن يشوبها أعمال سحرية، حيث تكون الغيبوبة مفتعلة إمَّا بمخدِّر أو بأعمال اهتزازية كالرقص وتقطيع الجسد وغرز الحراب في الجسد، ويصاحبها ألفاظ غير مفهومة وسلوك غريب كحالات النبوَّة المذكورة في (١مل ١٨)، وكانوا يدَّعون بأنه قد حلَّ عليهم روح الرب ولكن أقوالهم وأعمالهم تنفي هذا الادعاء. ويصف حزقيال النبي الأنبياء الكذبة هكذا:

+ «هكذا قال السيد الرب: ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئاً.» (حز ١٣: ٣)

+ «رأوا باطلاً وعرافة كاذبة. القائلون وحي الرب والرب لم يُرسلهم وانتظروا إثبات الكلمة. ألم تروا رؤيا باطلة وتكلَّمتم بعرافة كاذبة قائلين وحي الرب وأنا لم أتكلَّم.» (حز ١٣: ٦و٧)

والقديس بطرس يصف أنبياء إسرائيل الحقيقيين هكذا:

+ «لأنه لم تأتِ نبوَّةٌ قط بمشيئة إنسانٍ، بل تكلَّم أُناسُ الله القديسون مسوقين من الروح القدس.» (٢بط ١: ٢١)

والفارق كبير وخطير بين الغيبوبة ecstasy التي تحدث للأنبياء المدَّعين النبوَّة وبين تلك التي تحدث لأنبياء إسرائيل الحقيقيين الذين يتكلَّمون بكلمة الله. فالنبي مدَّعي النبوَّة يدخل الغيبوبة أولاً لكي يقول هو كلمة يدَّعي أنها من الله، وهنا تصبح الغيبوبة هي الأصل أو الوسيلة أو البرهان لادعاء الكلمة كأنها من الله، أمَّا أنبياء الله المختارون المُرسلون من الله فحينما تحل عليهم كلمة الله التي يفسِّرونها بأن "يد الله كانت عليَّ"، أو "روح الله عليَّ" أو "فيَّ"، فكلمة الله هي التي تحتِّم على العقل أن يدخل الغيبوبة ليستقبلها، كما يتحتَّم أن ينفتح وعيه الروحي لكي يكون على مستوى الروح أو الكلمة ليدركها. هنا الغيبوبة أو ecstasy سببها اختلاف مستوى الروح الإلهي أو كلمة الله عن مستوى العقل المادي البشري، فحينما تحل كلمة الله ترفع العقل إلى مستوى الروح الإلهي فيدخل النبي تلقائياً في غيبوبة وينفتح وعيه لاستقبال طبيعة كلمة الله أو روح الله كعمل من أعمال الله: «فحينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو ٢٤: ٤٥). هنا النبوَّة الحقيقية هي صوت الله وعمله بالفعل وكأنما الله يتكلَّم فيه.

نخرج من هذا بأن الغيبوبة أو أي مظاهر أخرى لدى مُدَّعي النبوَّة لا يمكن أن تؤدِّي إلى كلام الله من ذاتها، أمَّا النبي الحقيقي فالنبوَّة هي التي تُدخله في الغيبوبة خارجاً عن إرادته. ومن هذا يتضح أن مُدَّعي النبوَّة هو الذي يدخل الغيبوبة بإرادته بوسائط مختلفة، أمَّا النبي الحقيقي فهو يدخل الغيبوبة رغماً عنه أي بدون إرادته: «وكانت يد الرب عليَّ».

فالنبوَّة في صحتها وقوَّتها تعتمد على مدى صحة النفس والعقل، وكلما كانت النفس قوية وواعية منفتحة للإلهيات كلَّما كانت نبوتها عميقة ومفهومة ومؤثِّرة. أمَّا النفس المريضة فتكون عرضة لتداخلات من قوَّات أخرى شريرة تستخدمها لأغراض شريرة. وعندنا عينات ممتازة من الأنبياء أصحاب الجسد الثابت والنفس الواعية والفكر المتَّسع مثل موسى وإشعياء، فجاءت نبوَّاتهم بامتداد زمن مديد وغطَّت مساحات واسعة من التدبير والسلوك العقلي والنفسي للإنسان السليم، ووضعت قوانين إلهية للإنسان غاية في العمق والدماثة. فروح النبوَّة قد وُصِفت بأنها روح الحكمة والأُلوهة، روح الفهم والمشورة والقوة، روح الحكمة والتدبير والتمييز، روح العدالة والسلطان والتقويم. فكلما انفتح الوعي البشري اتَّسعت النبوَّة وأُسِّست وأُثبتت.

أمّا النفس التابعة الذليلة فهي تقع فريسة للقوات الشريرة المنبثّة في السموات لعرقلة خلاص الإنسان ورُقيّه وتشويه المُدركات الإلهية وتمسيخ استعلانات الله بمدركات يمجها الفكر البشري العادي. فالنبي يقدِّم صورة لإله الذي يعبده وصورة لنفسه تتغيَّر بتغيير مواقعها.

الاستعلان والإلهام في النبوّة:

الحقائق الإلهية عالية وعميقة جدًّا على مستوى إدراكات الإنسان. وكلُّ ما استطعنا أن نعرفه عن الله في ذاته وفي صفاته وسلوكه وصل للبشرية في صورة إعلانات بدأت بالاسم ثم بالصفات العملية، حيث الاسم يعطي أول فكرة عن أن الله كائن بذاته وكل ما دونه مخلوق بسلطانه. فموسى أدّى أول درس وشهادة عن الله لشعب إسرائيل أنه "هو الذي هو" أي الكائن بذاته، وأنه القوي القادر على كل شيء، وكشف لهم هذه الصفات قليلاً على مستوى المعجزات التي تهز السماء والأرض والجبال.

ولكي يستزيد الإنسان من معرفة الله يلزم وجود شخص مرتفع الوجود الذاتي قادر أن يدرك الأمور العالية فيستعلن الله نفسه له وهو يُعلن ذلك للآخرين على قدر إمكانياتهم، لأن أمور الله مهيبة ومرعبة إذا رآها الإنسان دون أن يكون على مستوى معرفته لها يتأذى جدًّا. فالله طبيعته نار آكلة تأكل من يقترب منها ويكون على غير مستواها من طُهر وقداسة، فإذا استقبلها إنسان نقي تطهَّر وتقدَّس فإنه يراها نوراً ينير عن بُعد ويُعلن عن خفيات غير منظورة بالعين وتزيده طهارة وقداسة. فالله حقائق مستورة أعمق وأعلى من إدراكات الإنسان. فأول خطوة ليتعرَّف الإنسان على حقيقة الله هي أن يقترب منه، ولكن الله نار آكلة تأكل مَنْ كان على غير مستواها من الطهر والقداسة والحق، لذلك تحتَّم أن الله هو الذي يبدأ بأن يُعلن ذاته بقدر ما يتسنَّى للإنسان أن يدركه.

الإنسان مخلوق أصلاً ليكون مع الله لذلك خلقه الله وله صورة الله كشبهه. هذه حقيقة أولية إذا افتقدناها فقدنا كل وسيلة في التعرُّف على الله والحق. فلو أنه قد ظهر عجز الإنسان وقصوره كمخلوق من تراب، إلاَّ أن نزوعه نحو الله ومحاولة التعرُّف على الله والحق هي صفة امتياز، موجودة بغزارة في إنسان وبشحٍّ شديد في آخر، ولكنها كائنة في طبيعته إنما بصفة كامنة تظهر وتختفي.

وفي علاقة الإنسان بالله توجد طبيعتان أو مستويان: مستوى إنساني متدنٍّ ومستوى إلهي فائق، سواء في العقل أو في كل ما يتعلّق بالمعرفة والفهم والإدراك والوعي. والمستوى المتدنِّي للإنسان جعل معرفة المستوى الإلهي الأعلى خفية غير مدركة. لذلك أصبح التعرُّف على الله أو إدراك صفاته

يحتاج إلى أمرين بآن واحد، محاولة ارتفاع في مستوى الإنسان، ومحاولة انخفاض في مستوى الله بآن واحد حتى يبدأ الإنسان يتعرَّف على الله ويُدرك صفاته وأقواله.

فأي انخفاض في مستوى الله هو في حقيقته إعلان من جهة الله لأنه يكون عبارة عن كشف المستور عن الإنسان، وأي ارتفاع في مستوى الإنسان هو في حقيقته استعلان لأنه شيء جديد على الإنسان.

والله لا يُعلن عن ذاته وصفاته لكل إنسان، كذلك الإنسان فليس كل إنسان بقادر أن يستعلن الله أو صفاته. لذلك نسمع باستمرار على مدى الكتاب المقدَّس عن الاختيار من جهة الله نحو الإنسان، فهو يختار الإنسان الأكثر قدرة على استعلان الله.

ولكن الله محاط بالقداسة، فطبيعة الله قدوسة وصفات الله مقدَّسة وقداسة الله هي التفرُّد المطلق في النقاوة والصفاء والطهارة والبعد المطلق عن عيوب الفكر والسلوك والعمل، الذي نسميه إيجابياً بالبر المطلق. لذلك أصبح من الأمور الثابتة والمطلقة أن لا يستعلن إنسان الله ولا يتعرف على صفاته وفكره وعمله إلاَّ إذا صار أولاً قادراً على مواجهة **القداسة والبر**، ليس بالصورة الطبيعية الإلهية المطلقة ولكن بالصورة المحدودة المكتسبة. لذلك نسمع في الكتاب المقدس دائماً وباستمرار أن الذي يختاره الله يُقدِّسه ويُطهِّره ويُبرِّره حتى يستطيع أن يقترب من الله ويسمعه ويعرفه ويعرف صفاته وأعماله، ويوصل رسالته للآخرين. وهذا هو عمل النبي بالأساس، أن يوصل معرفة الله وصفاته وأعماله ولكن بالأساس يوصل تعليمه ووصاياه وأوامره، حتى يرتفع البشر إلى مستوى أقرب من الله. وهنا يتفاوت مستوى النبوّات وأنواعها بمستوى الأشخاص أنفسهم وظروفهم ومستوياتهم ومشيئة الله من إرسالهم.

لذلك نرى أن النبوّة أيًّا كانت ظروفها تقوم حتماً على مستوى إعلانات الله لنفسه، كما تقوم على مستوى استعلان الإنسان لله. بل وإن الناس عموماً أيًّا كانوا تتوقَّف معرفتهم عن الله وإدراكهم لصفاته ووصاياه وأوامره وبالتالي طاعتهم له على مدى تقبُّلهم لإعلانات الله التي تمَّت على يد أنبيائه، كما تتوقَّف على مدى استعلانهم الشخصي لهذه الإعلانات وتقبُّلها واحترامها وطاعتها. وهذا طبعاً هو نتيجة لعمل الأنبياء على طول المدى.

ولكن وبعد كل ما قدَّمه الأنبياء الصديقون في كل العصور وعلى كل المستويات يظل الإنسان ينزع نحو معرفة الله المباشرة وإدراكه لصفاته وأعماله ومعاملاته، وهذا هو السبب الأساسي من خلقة الله للإنسان ومنتهى القصد والغاية لهذه الخلقة، الأمر الذي خُلق من أجله آدم وإن كان قد

أخفق فلا يزال يتحرَّك نحوه.

الاستعلان وعلاقته بالإلهام وعمل الروح القدس:

لكي يكمِّل الله الإعلان عن ذاته للإنسان الذي استُؤمن على هذا الاستعلان، يشترك الله في هذه العملية بتدخُّل الروح، سواءً في تدوين الأسفار المقدَّسة أو في شرح ما تتضمَّنه هذه الأسفار بالنسبة للقارئ، لكي تكون الكلمات والمعاني في حدود معناها الصحيح – هذا في الأسفار المدوَّنة. كما يشترك الروح القدس في إلقاء العظات أو الرسائل الشفاهية الملقاة باسم الله سواء لدى المتكلِّم أو لدى السامع، لكي تصل كلمات الله وأعماله بصورتها الصحيحة لقلب الإنسان. وعمل الروح القدس في الذهن المفتوح هو نوع من الاستنارة الإلهية، بمعنى تسليط النور الإلهي على وعي الإنسان ليدرك بسهولة الأسرار الإلهية التي تتضمنها كلمات الله. فإن كان الاستعلان هو كشف المستور الإلهي الفائق على وعي الإنسان، فالإلهام هو تدخُّل الروح القدس ليبلِّغ كلمة الله إلى الذهن المفتوح بقوتها وفعلها الإلهي:

+ «كل الكتاب هو موحَى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر. لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهِّبًا لكل عمل صالح.» (٢تي ٣: ١٦و١٧)

وكلمة "موحَى" هنا وردت في الأصل اليوناني ومعناها: "نفخة Breath = نفخة الله θεόπνευστος". أي أن أسفار الكتاب هي نفخة الله. وهذا يفيد أن أصل الكتاب هو الله. وهي تقابل ما جاء في (عب ١: ١): «الله بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديمًا» أي نفخ أو نطق كلمته للأنبياء. وحسب لغة آباء الكنيسة الأوَّلين يقولون إن الأسفار المقدَّسة هي من "أنفاس الله". ونحن المسيحيين نؤمن بأن «كلمة الله تجسَّد ورأينا مجده مجد ابن وحيد لأبيه» كما يقول القديس يوحنا. وهذا أروع تصوير عملي لمعنى الإلهام، إلهام الله بالروح القدس للأنبياء ليتكلَّموا كلمته ويكشفوا شخصه وأسراره ووصاياه! كلٌ حسب لغته وفكره ونطقه. ولكن الروح يحتفظ بالحق والمعنى والفعل لله. فكل نبي أعطانا نبوّته، وكل إنجيلي أعطانا إنجيله ولكن الكلمة. في أصولها وحقّها ومعناها وقوّتها هي كلمة الله. هنا العامل المشترك الحافظ للحق الإلهي هو الروح القدس.

تطوُّر مؤسَّسة الأنبياء في إسرائيل

يلزم أن يعلم دارس النبوَّة والأنبياء في العهد القديم في إسرائيل أنه توجد حقبتان هامتان للأنبياء، وأن يفرِّق بينهما.

الحقبة الأُولى: أنبياء قبل قانون الأسفار المقدَّسة Precanonical.

الحقبة الثانية: الأنبياء القانونيون Literal or Canonical أي أن نبوَّاتهم قد تدوَّنت في الكتب.

أنبياء ما قبل القانون Precanonical هم الأنبياء الذين ظهروا فيما قبل القرن التاسع قبل الميلاد ولم يتركوا وراءهم أي شيء مكتوب من نبوَّاتهم ورسالتهم. وهذه الحقبة تنقسم إلى عدة أزمنة:

١ ــ أنبياء ما قبل موسى: Moses

والرب تكلَّم عنهم في إنجيل ق. لوقا قائلاً: «لذلك أيضاً قالت حكمة الله إني أرسل إليهم أنبياءَ ورسلاً فيقتلون منهم ويطردون. لكي يُطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المُهرق منذ إنشاء العالم من دم هابيل إلى دم زكريا الذي أُهلك بين المذبح والبيت» (لو ١١: ٤٩ــ٥١). أي أنه كان أنبياء منذ إنشاءِ العالم.

ولكن الكتاب المقدَّس يذكر بعد هابيل وقبل موسى:

أخنوخ: Enoch

الذي تنبَّأ وذلك في رسالة يهوذا: «وتنبَّأ عن هؤلاء أيضاً أخنوخ السابع من آدم قائلاً: هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فُجَّارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلَّم بها عليه خطاة فُجَّار.» (يه ١٤و١٥)

نوح: Noah

الذي تنبَّأ بالطوفان العتيد أن يرسله الله على العالم، وبعد النجاة تنبَّأ عن أهم نبوة لمستقبل نسله في جميع أنحاء العالم (تك ٩، ١٠) و(عب ١١: ٧)، وأيضاً: (١بط ٣: ٢٠): «حين كانت أناة الله تنتظر مرَّة في أيام نوح إذ كان الفلك يُبنى الذي فيه خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء».

إبراهيم Abraham، إسحاق Isaac، يعقوب Jacob، يوسف Joseph:

هؤلاء كلهم محسوبون في العهد القديم أنهم أنبياء.

٢ ــ أنبياء زمن موسى:

وموسى هو الذي جعل للنبوَّة تقديراً وتقييماً كبيراً وتجديداً جدة كاملة. وموسى محسوب أنه معطي الناموس وقد أكَّد وقيَّم ورسَّخ في أذهان إسرائيل والعالم أن الله واحد فهو أول مَنْ قال بوحدانية الله، وأسَّس التوراة بكل تعاليمها التي قدَّمت عمل الأنبياء بعد ذلك ووضعت لهم الحدود والأصول والمنابع والمناهج للتعليم. فكان موسى أكبر وأول نبي عبراني.

وهارون أخو موسى **ومريم** Miriam أخت موسى أيضاً وقد عُرفت بالنبية.

وهارون أسَّس الكهنوت.

ومن سفر القضاة بعد موسى ويشوع نجد **دبورة** النبيَّة Deborah (قض ٤: ٤) التي حكمت إسرائيل وقادت جيش إسرائيل وانتصرت.

٣ ــ أنبياء زمن صموئيل Samuel:

وهو زمن ما بين موسى وصموئيل. وكان صوت النبوَّة نادراً ما يُسمع، فالمؤسَّسة النبوية وحركتها لم تصل إلى درجة **مؤسَّسة ناجحة** حتى زمن صموئيل وقيام ما يسميه العهد القديم **مدرسة الأنبياء**، كما يسميها الكتاب أيضاً: **أبناء الأنبياء** أي تلاميذهم حتى ولو كانوا كباراً في السن أو متزوجين. فلو تتبَّعنا التأسيس الفعلي للنبوَّة نجده في موسى كوسيط العهد القديم وصاحبه. ولكن لم تبلغ نضوجها إلاَّ على يد صموئيل النبي. لذلك وقبل أن ندخل في أنبياء العهد القديم ينبغي أن نمتحن بالتفصيل الظاهرة الهامة والفريدة المسمَّاة **مدرسة الأنبياء** التي ظهرت في إسرائيل في زمن صموئيل.

صموئيل النبي ومدرسة الأنبياء:

إن نضوج وتدرُّج النبوَّة العبرية لتصل إلى مدرسة الأنبياء مقسَّم إلى قسمين:

القسم الأول لمدرسة الأنبياء: وفيه الأنبياء المشهورون مثل صموئيل وإيليا وعاموس وإشعياء وإرميا.

القسم الثاني ومنهم مَنْ يُسمَّى أبناء الأنبياء: وكان عملهم مجموعاتٍ أو فرقاً.

أصل مدرسة الأنبياء:

في زمن صموئيل النبي ــ القرن الحادي عشر قبل الميلاد ــ ابتدأت تتكوَّن هذه المدرسة ذات الصلة الروحية والدينية. وأول ذكر لها جاء في (١صم ١٠: ٥ ــ ١٣) عندما كان صموئيل يدبِّر

شاول الملك الذي مُسح جديداً على يديه ونصحه أنه في طريق عودته إلى بيته سيرى علامة تؤكِّد له صدق مسحه بالزيت من الله ليكون ملكاً على إسرائيل:

+ «فيسلِّمون عليك ويعطونك رغيفي خبز فتأخذ من يدهم. بعد ذلك تأتي إلى جبعة الله حيث أنصاب الفلسطينيين ويكون عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنك تُصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودُفٌّ ونايٌ وعودٌ وهم يتنبَّأون. فيحل عليك روح الرب فتتنبَّأ معهم وتتحوَّل إلى رجل آخر. وإذا أتت هذه الآيات عليك فافعل ما وَجَدَتْهُ يدُك لأن الله معك. وتنزل قدامي إلى الجلجال وهوذا أنا أنزل إليك لأُصعد محرقات وأذبح ذبائح سلامةٍ. سبعة أيام تلبَثُ حتى آتي إليك وأُعَلِّمَكَ ماذا تفعل.» (١صم ١٠: ٤ ــ ٨)

هذا كان أول ذكر لجماعة الأنبياء في العهد القديم أيام صموئيل.

ويبدو أنه كان هناك ما يفيد وجود أصل لوجودهم وصلتهم بالنذيرين Nazirite وأيضاً بجماعة الركابيين. هذا جعل البعض يعتبر أن النذيرين والركابيين هم أول حركة نبوية كانت والتي نمت منها جماعة الأنبياء، أي كانوا سابقين Forerunners، أي أول طائفة ونقابة ظهرت لتغذِّي أعمال النبوَّة. هؤلاء يرى العلماء أنهم بداية حركة الأنبياء مع أنهم لم يكونوا بأي حال من الأحوال محسوبين رسميًّا أنهم أنبياء إسرائيل. ولكن كانت مُثلهم الدينية العليا قد أعطتهم صلة محبوبة ووثيقة مع التقليد النبوي وكانوا ينادون باستمرار ضد حياة وديانة الكنعانيين.

أمَّا الركابيون كما نراهم في (١أي ٢: ٥٥): «وعشائر الكتبة سكان يعبيص ترعاتيم وشمعاتيم وسوكاتيم هم القينيون Kenite الخارجون من حَمَّة أبي بيت ركاب»، ومن (٢مل ١٠: ١ ــ ٢٨) كانوا قبيلة القينيين الذين ظهروا أولاً في العهد القديم كجماعة احتجاج في القرن التاسع قبل الميلاد عندما اتحد يوناداب بن ركاب مع ياهو في القضاء على أخآب وبيته ليقتلع عبادة الأصنام من إسرائيل. والركابيون لا يشربون الخمر ولا يعيشون في بيوت مبنية ولكن يعيشون في خيام كأصلهم، بدويون كما كان يعيش إسرائيل أو الإسرائيليون في بدء حياتهم. أمَّا في تلك الفترة فقد تشبَّه الإسرائيليون بالشعوب التي حولهم وبنوا بيوتاً، أمَّا الركابيون فبقوا على حال البداوة الأول كاحتجاج على حياة المدن الفاسدة والمُفسدة والتمدُّن الكاذب. والنبي إرميا مدح طريقة الركابيين في المعيشة (إر ٣٥: ٦ ــ ١٠).

أمَّا **النذيرون** Nazirites فهم جماعة استلموا من أبيهم أن يأخذوا على أنفسهم عهداً أن لا

يشربوا خمراً أيضاً ولا يتنجَّسوا بأي مما ينجِّس الإنسان بكل دقة، ووهبوا أنفسهم وكرَّسوها لخدمة يهوه.

ومن الأمور اللطيفة أن نعرف أن النبي صموئيل هو أحد النذيرين.

ويرى العلماء أن هناك تأثيراً لهاتين الجماعتين، الركابيين والنذيرين، على الحركة النبوية في المدرسة الخاصة بالأنبياء. ويُعتقد أنهم forerunners أو الطليعة أو السابقون للأنبياء في الجهاد المتواصل للاحتفاظ بالقيم الأساسية الروحية والدينية التي استلموها من موسى بالاستعلان وكانوا محاطين بالتأثيرات الكنعانية المؤدية إلى الصنمية.

ومن جهة هذه النظرة فإن عاموس النبي كان يربط النذيرين بالأنبياء القدامى:

+ «وأقمت من بينكم أنبياء ومن فتيانكم نذيرين. أليس هكذا يا بني إسرائيل يقول الرب. لكنكم سقيتم النذيرين خمراً وأوصيتم الأنبياء قائلين لا تتنبَّأوا.» (عا ٢: ١١ و١٢)

واضح أن إقامة النذيرين كانت بتدبير الله كتعليم الشمامسة اليوم ليكونوا كهنة غداً ولو أنهم عاشوا جنباً إلى جنب، لأن لكل فئة مجالها في العمل والخدمة. ولو أن المسيح في إنجيل ق. لوقا أرجع وجود الأنبياء إلى "منذ البدء" (لو ١١: ٤٩ — ٥١).

وبعد ذلك نرى أن لكل نبي من الأنبياء تلاميذ يرافقونه في الخدمة ويُرسَلون لأداء واجبات، وكان هذا واضحاً في تلاميذ إيليا وأليشع (٢مل ٢ — ٦). وأيضاً إشعياء وإرميا كان لهم تلاميذ (إش ٨: ١٦)، (إر ٤٥: ١). وعلى هذا النمط تماماً جاء يوحنا المعمدان وعمل له تلاميذ، والمسيح أيضاً اختار له اثني عشر تلميذاً ليتعلَّموا الخدمة الروحية.

أمَّا موسى فكان معه سبعون شيخاً وكان هذا أصل السنهدرين بعد ذلك. وقد تسجَّلت حركة الشيوخ لَمَّا أرسل الله عليهم روحه القدوس وأسَّسهم لهذه الخدمة، وهذا الذي نسمعه أنهم كانوا يتنبَّأون: «فنزل الرب في سحابة وتكلَّم معه (مع موسى) وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ» (عد ١١: ٢٥). لذلك فمن الذي سمعناه من عاموس وما جاء في سفر العدد عن طقس النذير يتضح أن في إسرائيل القديمة كان يوجد فيها ثلاث مؤسسات متشابهة تعمل معاً وهم: النذيرون والركابيون ونظام الأنبياء. والنذيرون بالذات كانوا يعملون مع الأنبياء كلٌّ في اختصاصه، ولكن كما قلنا إن الرب يسوع قد ذكر أن الأنبياء كانوا يُرسَلون كل يوم لإسرائيل منذ البدء حتى قبل صموئيل.

وواضح أيضاً أن تواجد الأنبياء قد انعدم في فترة ما بعد يشوع والقضاة، وبعدها قامت مدرسة الأنبياء على يدي صموئيل النبي. وفي (١صم ١٩: ٢٠ — ٢٣) يتَّضح موقف صموئيل النبي من جماعة الأنبياء آنئذ:

+ «فأرسل شاول رُسلاً لأخذ داود. ولَمَّا رأوا جماعة الأنبياء يتنبَّأون وصموئيل واقفاً رئيساً عليهم كان روح الله على رسل شاول فتنبَّأوا هم أيضاً. وأخبروا شاول فأرسل رُسلاً آخرين فتنبَّأوا هم أيضاً. ثم عاد شاول فأرسل رُسلاً ثالثة فتنبَّأوا هم أيضاً. فذهب هو أيضاً إلى الرامة وجاء إلى البئر العظيمة التي عند سيخو وسأل وقال: أين صموئيل وداود؟ فقيل ها هما في نايوت (مرتفعة للصلاة) في الرامة. فذهب إلى هناك إلى نايوت في الرامة فكان عليه أيضاً روح الله فكان يذهب ويتنبَّأ حتى جاء إلى نايوت في الرامة».

ثم يظهرون مرَّة أخرى في الكتاب فجأة في أيام إيليا وأليشع وكانوا يُدعون بني الأنبياء: «وإن رجلاً من بني الأنبياء قال لصاحبه ... ولَمَّا عبر الملك نادى الملك وقال (مشكلة للحل) ... فبادر ورفع العصابة عن عينيه فعرفه ملك إسرائيل أنه من الأنبياء» (١مل ٢٠: ٣٥—٤١). فقال له هذا النبي ردًّا على الموضوع الذي أبدى فيه رأيه: «فقال له هكذا قال الرب لأنك أفلتَّ من يدك رجلاً قد حرَّمتهُ تكون نفسك بدل نفسه وشعبك بدل شعبه. فمضى ملك إسرائيل إلى بيته مكتئباً مغموماً وجاء إلى السامرة.» (١مل ٢٠: ٤٢ و٤٣)

من هذه القصة يتَّضح أن أعضاء مدرسة الأنبياء التي يرأسها صموئيل النبي تُسمَّى هنا "بني الأنبياء". وإن واحداً منهم ظهر أنه نبي، ولَمَّا واجهه الملك أخآب وألقى عليه قول الرب وضح أنه فعلاً نبي ويتنبَّأ ويرد عليه الله.

وفي هذا الوقت كانوا يتكاثرون بأعداد كبيرة وكانوا يجتمعون في "**الجلجال**" و"**بيت إيل**" و"**أريحا**" و"**المصفاة**". وخمسون منهم كانوا يذهبون مع إيليا وأليشع إلى الأردن (٢مل ٢: ٧ و١٦ و١٧)، وكانوا يعيشون في منزل معاً كما هو مذكور في (٢مل ٦: ١و٢). وهذا يعني أن جماعات بأعداد كبيرة ظلَّت تحيا وتعمل وتتنبَّأ وتعلَّم من أيام صموئيل النبي في القرن الحادي عشر قبل الميلاد حتى القرن الخامس قبل الميلاد معاصرين لملاخي النبي، وكان لهم تكوين منتظم قوي محقق استمر بدون انقطاع مدَّة طويلة منذ أيام صموئيل النبي كما قلنا حتى النبي ملاخي. وكانوا يُدعون بني الأنبياء وكان رئيسهم يُدعى أباً لهم (٢مل ٢: ١٢) فكانت نوعاً من التلمذة للأنبياء الكبار.

وبعد صموئيل النبي حدث فراغ حوالي ١٥٠ سنة حتى ظهر بنو الأنبياء مرّة أخرى وقد استقروا في جماعات ثابتة ذات سكن وتمويل خاص، وكانوا تحت تدبير إيليا ثم أليشع (٢مل ٢: ٦) وكان أساس عملهم أبوياً وتعليمياً للشعب، والذي أدّى إلى ظهورهم ضغط وتعدّي الفلسطينيين على البلاد، وكانوا يتقبّلون التعاليم الروحية قبل أن يُرسلوا للتعليم (٢مل ٤: ٣٨؛ ٦: ١)، (١صم ١٩: ٢٠). وكانوا يجتمعون معاً للتنبُّؤ وكانوا يمارسون التسبيح ومديح الله مع أدوات الموسيقى المعروفة في زمانهم وكان هذا مسموحاً به من الأنبياء (١أي ٢٥: ١ و٣): «وأفرز داود رؤساء الجيش للخدمة بني آساف وهيمان ويدوثون المتنبّين بالعيدان والرباب والصنوج ... لأجل الحمد والتسبيح للرب».

وكانوا يُرسَلون لمهام تعليمية روحية في إسرائيل، وكانوا يتنبَّأون جماعة ويسبِّحون علناً وسط الشعب كعبادة، وكانوا يُرسَلون لمسح الملوك (٢مل ٩: ١)، وكان يرسلهم الله أحياناً كما حدث في (١مل ٢٠: ٣٥ ــ ٤٣).

وظهور هذه الجماعة كان رد فعل لحركات الكنعانيين والفلسطينيين، مما كان يثير روح الغيرة والتمسُّك بيهوه في المستوى العام إذ كان يتطلَّب حياة شعبية روحية يقظة ذات غيرة وتماسك. ولأن عبادة الأصنام من داخل الدول المحيطة كانت قد بدأت في تأثيرها على الشعب، لذلك كان يتحتَّم على إسرائيل أن تحيا علناً في روح العبادة كدولة ملكها يهوه، وذلك كان في البداية بقيادة صموئيل النبي ثم إيليا ثم أليشع. فكانوا يعملون جميعاً ومعاً من أجل إنعاش روح الشعب وتعليمهم الإلهيات وناموس الله والوصايا والفضائل حتى تعيش الأمة في كيانها الإلهي، والرب هو الذي كان يؤازرهم ويحل فيهم بالروح لتكميل رسالتهم أيام الضيق التي لمّا ازدادت بدأ الشعب يخور.

مدارس الأنبياء زمن الملوكية الأول:

بعد أيام صموئيل في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ظلّت هذه الجماعة أي مدرسة الأنبياء أو أبناء الأنبياء تعمل حتى زمن ملاخي النبي آخر الأنبياء في القرن الخامس قبل الميلاد. ونسمع في بداية عصر الملوكية في إسرائيل أي زمن داود النبي عن خدمة الأنبياء مثل:

ناثان النبي: وكان نبيًّا وكان مُشيراً ملكيًّا لداود وسليمان (٢صم ٧: ٢ــ١٧، ١٢: ١ــ ٢٢)، (١مل ١: ٨ ــ ٤٥).

وأيضاً **النبي جاد**: (١صم ٢٢: ٥)، (١أي ٢١: ٩ ــ ١٩).

أمّا بعد زمن ملوكية داود ففي هذا الزمن نسمع عن:

أخيّا النبي Ahijah: الذي كان قد تنبَّأ فيما يخص يربعام وانقسام مملكة سليمان (١مل ١١: ٢٩ إلخ).

والنبي شمعيا Shemaiah: الذي أُرسل برسالة من الله للملك رحبعام (١مل ١٢: ٢٢ إلخ).

كذلك قام نبيّان آخران مجهولا الاسم بعمل في (١مل ١٣) أحدهما كان صغيراً وهو الذي ألقى نبوّته على يربعام وبيته ونبي آخر كان على بيت إيل.

كذلك في (١مل ١٦) نسمع أن:

ياهو النبي Jehu: تنبَّأ بهلاك بعشا ملك إسرائيل من أجل خطاياه (١مل ١٦: ١ إلخ).

ونسمع في ذلك الوقت أيضاً عن:

حناني Hanani الرائي الذي جاء إلى آسا الملك ملك يهوذا ووبَّخ عدم إيمانه (٢أي ١٦: ٧).

ونسمع عن:

ميخا ابن يملة Micaiah ben Imlah وهو نبي الله الذي حرَّم استعدادات أخآب ضد أرام (١مل ٢٢: ٨ إلخ).

كما نسمع أخيراً عن:

إيليا وأليشع ويُعتبران آخر أنبياء ما قبل القانون precanonical اللذين حاربا عبادة الأصنام التي أدخلها أخآب رسميًّا هو وإيزابل امرأته غير العبرانية (١مل ١٧)، (٢مل ٨).

أهمية أنبياء القرن الثامن قبل الميلاد:

نجد في تاريخ الأنبياء أن خدمة أليشع النبي انتهت في بداية القرن الثامن قبل الميلاد. وشركاؤه في التاريخ في القرن التاسع قبل الميلاد هما اثنان من الأنبياء اللذين تسجَّلت نبوّاتهما أي أنهما من الأنبياء القانونيين أو المدعوين أنبياء الكتابة Literary وهما عوبديا ٨٤٥ ق.م ويوئيل ٨٣٥ ق.م.

أمّا أنبياء القرن الثامن فهم: يونان ٧٨٢ ق.م، هوشع ٧٦٠ ق.م، وعاموس ٧٦٠ ق.م، وإشعياء ٧٣٩ ق.م، وميخا ٧٣٥ ق.م.

بعدها دخلت إسرائيل تحت الحكم الأشوري الذي ابتدأ بقيام تغلث فلاسر الثالث. وكان لأشور

وحكمها الاستبدادي تأثير بليغ على الحياة في إسرائيل وفي أنبيائها، إذ بدأوا ينشغلون بحكم أشور في كل نبوّاتهم وذلك أثناء القرن الثامن قبل الميلاد.

أهمية القرن الثامن قبل الميلاد في إسرائيل:

حُكم إسرائيل في هذا القرن يمتاز بوجود ملوك كثيرين في يهوذا بينهم الملوك: يوآش، عزيّا، آحاز، حزقيا.

وأثناء القرن الثامن ق.م في مملكة إسرائيل الشمالية قبل سقوطها (سنة ٧٢٢ ق.م) حكم المملكة حكام أهمهم: الملك يربعام الثاني.

وإسرائيل ظلّت ناجحة على غير ما كان يُظن أثناء الجزء الأول من القرن الثامن ق.م من جهة حريتها وأرضها. فالمملكتان كانتا لا تزالان متماسكتين في النصف الأول للقرن الثامن ق.م تحت يربعام الثاني في إسرائيل، التي استعادت تحت سلطانها كل الأراضي التي أخضعها سليمان (٢مل ١٤: ٢٥ و٢٨). ويهوذا أيضاً كانت مزدهرة تحت حكم عزيا (٢أي ٢٦: ١ — ١٥) وبلغت شأواً كبيراً في غناها.

وقبل أفول القرن الثامن ق.م انتهت كل هذه الإنجازات، فالمملكة الشمالية سقطت تحت ضربات أشور، وابتدأت يهوذا تنهار. وأثناء هذه المدّة أُصيبت إسرائيل كدولة بثلاث ضربات:

أولها دخولها تحت عنفوان السيطرة الأشورية؛

والضربة الثانية اتفاق أرام وإسرائيل تحت قيادة فقح معاً لعمل تحالف ضد تغلث فلاسر ملك أشور وضد يهوذا تحت حكم آحاز، حيث ابتدأوا في غزو يهوذا. ويهوذا من خلفها أرادت أن تستغيث بأشور لتساعدها ضد إسرائيل؟ ولكن إشعياء حذّر وحذّر ودعاها أن تتّكل على الله ليخلّصها. وعند وقوف آحاز موقف الذهول أخذ النبوّة التي لعمانوئيل (إش ٧). وفي: (٢مل ١٦) نجد أن تغلث فلاسر استولى على دمشق وقتل رصين ملكها وأخذ شعبها في سبي إلى قير Kir (٢مل ١٦: ٩). ثم استدار على إسرائيل ومسح الجزء الشمالي والشرقي من إسرائيل من كل مواطنيه وثروته، وأخذ الأسرى من الجليليين وجعلهم تحت الجزية تابعين لأشور.

والعمل الثالث ضربة للسامرة وسقوطها سنة ٧٢٢ ق.م. إذ أن فقح بعد أن ملك عشرين سنة في إسرائيل اغتيل سنة ٧٣٢ ق.م بواسطة هوشع الذي نصّب نفسه ملكاً لإسرائيل. وبعد موت

تغلث فلاسر سنة ٧٢٧ ق.م استقل هوشع ملك إسرائيل الجزية لأشور فاتصل بمصر وطلب المعونة وأوقف الجزية. ولكن ملك أشور الجديد شملنأسّر الخامس غزا إسرائيل وحاصر السامرة. وأثناء الحصار لثلاث سنوات مات شملنأسّر وقام سرجون الثاني فاستمر في الحصار فسقطت سنة ٧٢٢ ق.م وبسقوط السامرة انهارت كاملاً المملكة الشمالية لإسرائيل وأصبحت أرضها ملكاً لأشور.

أمّا **مملكة يهوذا** فقد وقعت هي الأخرى فريسة لغزو سنحاريب سنة ٧٠١ ق.م إذ أن سنحاريب قد خلف سرجون أباه سنة ٧٠٥ ق.م. وثارت بابل عليه ولكن سقطوا تحت سلطانه. وبعدما أسكت ثورة الشرق التفت إلى الغرب وإلى اليهودية وحاصر اليهودية واستولى على كل مصادرها ولكن الله أرسل إشعياء ليؤكّد لملك اليهودية أنه لن يكون، وستقف المدينة كما هي. وبينما عساكر أشور ملتفّة حول أورشليم نزل ملاك الرب وضربهم ضربة أصيبوا بوبأ الطاعون الذي أفنى من الجيش ١٨٥ ألف واضطر سنحاريب صاغراً أن ينسحب ويعود من حيث ما أتى كما قال الرب (٢مل ١٩)، (إش ٣٦، ٣٧).

وأخيراً تعود أهمية هذا القرن (الثامن ق.م) أن فيه أُرسل يونان النبي إلى نينوى عاصمة أشور بنداء بوقوع حكم دينونة الله عليهم فتابوا ونجت المدينة. ولكنها عادت وأخطأت وتخرّبت سنة ٦١٢ ق.م. وقد استمرّت خدمة أليشع النبي ونبوّته إلى بداية القرن الثامن.

وقد أقام الرب ستة أنبياء أثناء القرن الثامن وحده ينادون بكلمة الله: يونان (٧٨٢ ق.م)، هوشع (٧٦٠ ق.م)، عاموس (٧٦٠ ق.م)، وإشعياء (٧٣٩ ق.م)، ميخا (٧٣٥ ق.م).

نبيّات إسرائيل:

لم تُحرم إسرائيل من خدمة المرأة في أعمال النبوّة، ففي عصر الأنبياء ما قبل القانونيين precanonical وبعده في عصر الأنبياء القانونيين Canonical في العهد القديم ظهر قليل من النساء يتكلّمن بالروح أو يغنين بالإلهام وعُرفن رسمياً باسم النبيات، وأوّلهن كانت:

مريم Miriam أخت موسى (خر ١٥: ٢٠).

كذلك **دبورة Deborah** التي حكمت إسرائيل في بداية كيانها الأول وترنيمتها الإلهامية المعروفة تُحسب من أجمل التأليف والإنشاد في الكتاب المقدّس (قض ٥: ٢ — ٣١).

كذلك **حَنَّة Hannah** أُم صموئيل النبي ولو أنها لم تُدْعَ نبيّة ولكنها نطقت بالروح نبوّة من

أظهر وأقوى نبوات العهد القديم (١صم ٢: ١ — ١٠).

كذلك **امرأة إشعياء النبي** وكانت تسمّى بالنبيَّة وقد وَلَدَتْ بأمر الله (إش ٨: ٢ و٣).

كذلك **خَلدة Haldah** زوجة شلّوم Shallum حارس صيوان[1] الملك. وكان يأخذ مشورتها الملك يوشيا (٢مل ٢٢: ١٤).

كذلك **نوعدية** وتُدعى النبيَّة التي عاشت أيام العودة من السبي وكانت واحدة من الذين قاوموا نحميا النبي (نح ٦: ١٤).

أمَّا في العهد الجديد فيوجد:

حنَّة Anna بنت فنوئيل من سبط أشير أرملة عاشت في الهيكل عابدة بأصوام وصلوات ليلاً ونهاراً ولمَّا دخلت القديسة العذراء مريم أُم يسوع حاملة المسيح على يديها أخذت تسبِّح الله وتتنبَّأ عن فداء إسرائيل (لو ٢: ٣٦ — ٣٨).

أليصابات ومريم وقد أُلهِمَت كلتاهما نبوَّاتٍ (لو ١: ٤١ — ٥٥).

(١) الصيوان أو الصِوان هي: خزانة من خشب أو معدن أو غيرهما تُصان فيها الملابس أو الكتب أو غيرها.

بدء الأنبياء

موسى النبي

باعث النبوَّة الإلهية

هو الأصل الإلهي لبعث النبوَّة، فهو أول إنسان كلَّمه الله «فماً إلى فم» كما يقول الله نفسه لأخيه هارون وأخته مريم لَمَّا ثارا ضدَّه، إذ قالا في غيبته هل كلَّم الله موسى وحده، ألم يكلِّمنا نحن أيضاً؟ فكان رد الله على هذا: «فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة، ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما. فقال اسمعا كلامي: إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا أستعلن له في الحلم أُكلِّمه. وأمَّا عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي. فماً إلى فم وعياناً أتكلَّم معه لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين. فلماذا لا تخشيان أن تتكلَّما على عبدي موسى؟ فحمي غضب الرب عليهما ومضى! فلمَّا ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا مريم برصاء كالثلج.» (عد ١٢: ٥ - ١٠)

إذن فليس موسى كأي نبي كان مهما كان، لأن الكتاب يقول أيضاً كشهادة لموسى في التوراة: «لم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه» (تث ٣٤: ١٠). وأيضاً: «وأمَّا الرجل موسى فكان حليماً جدًّا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض». وكان موسى يبقى في أعلى الجبل يكلِّم الله لا يراه الشعب مدَّة أربعين يوماً يعود بعدها وجهه يلمع، مما اضطرَّه أن يضع برقعاً لكي يراه الشعب، وظل يلمع الأربعين سنة التي بقيت من حياته: «وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل. ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل. وكان موسى في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة.» (خر ٢٤: ١٧ و١٨)

فعندما نتكلَّم عن النبوَّة يلزم أن نضع في الاعتبار الأول أن أصلها الإلهي ومنبعها كان موسى، لأن الله نفسه أراد أن يكون موسى على مستوى أعلى من كل نبي، إذ يقول الله: «فقال الرب لموسى ها أنا آتٍ إليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلَّم معك فيؤمنوا بك أيضاً إلى الأبد.» (خر ١٩: ٩)

وكانت قيادة موسى للشعب مُعانة بقوَّة حارسة حافظة: «ها أنا مُرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرَّد عليه. لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمي فيه.» (خر ٢٣: ٢٠ و٢١)

واستلم موسى من يد الرب اللوحين: «واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين» (خر ٣٢: ١٦)، وفيهما الوصايا العشر التي فرضها موسى على العالم فصارت أساس الثقافة والأدب والدين في كل العالم المتمدين.

واسمع بماذا يتكلَّم موسى مع الله وبماذا يرد الله على موسى: «فالآن إن كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينيك فعلِّمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك. وانظر أن هذه الأمة شعبك. فقال وجهي يسير فأريحك. فقال له إن لم يسر وجهك فلا تُصعدنا من ههنا. فإنه بماذا يُعلم أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك. أليس بمسيرك معنا. فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. فقال الرب لموسى هذا الأمر أيضاً الذي تكلَّمت عنه أفعله. لأنك وجدت نعمة في عينيَّ وعرفتك باسمك.» (خر ٣٣: ١٣ - ١٧)

ثم أراد الله أن يُعرِّف الشعب بنفسه ومَنْ هو فيقول الكتاب: «فنزل الرب في السحاب. فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدَّامه ونادى: الرب الرب إلهٌ رحيمٌ ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكن لن يُبرئ إبراءً. مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع» (خر ٣٤: ٥ - ٧)؛ «وكلَّم الرب موسى قائلاً: كلِّم كل جماعة بني إسرائيل وقُل لهم: تكونون قديسين لأني قدوس الرب إلهكم. تهابون كلُّ إنسان أُمَّه وأباه .. أنا الرب إلهكم» (لا ١٩: ١ - ٣). وهكذا صارت وصية احترام الأب والأم وصية كل العالم المتمدين.

كما أعطى الله وصية المحبة لتكون هي قانون الحياة: «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا ربٌّ واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك. وقُصَّها على أولادك وتكلَّم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم. واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك. واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك.» (تث ٦: ٤ - ٩)

هكذا كان الرب يُعلِّم ويُربِّي شعبه على يد موسى:

الذي أمطر له منًّا من السماء ليأكل قائلاً: «لكي يعلِّمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان» (تث ٨: ٣). المثل الذي صار في فم كل إنسان دون أن

يعرف مَنْ قاله.

وأخيراً أعطى الرب وصيته الثمينة: «أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض، قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك» (تث ٣٠: ١٩). وكان الرب دائماً في صف الغريب، وقد أعطى من أجله هذه الوصية: «أيتها الجماعة لكم وللغريب النازل عندكم فريضة واحدة دهرية في أجيالكم، مَثَلكم يكون مَثَل الغريب أمام الرب.» (عد ١٥: ١٥)

ومَنْ يستطيع أن يقيس حياة موسى النبي بقياس أي إنسان، فحياته امتدَّت بأعماله وما دوَّنه من التوراة في الأسفار المقدَّسة بكل ما احتوت حتى صارت أطول من الحياة! وأليس قولنا إن موسى كان يُعدُّ للمسيح أحسن إعداد، ومن ارتفاع قامة موسى قلنا إن المسيح هو موسى الجديد. فعجيب جدًّا أن نشبِّه المسيح بما صنع موسى، لأن خروج شعب إسرائيل من مصر كان هو الصورة المصغَّرة لخروجنا بواسطة المسيح من تحت عبودية الشيطان والخطية. فكما أخرج موسى الشعب من مصر وعبر به البحر الأحمر، أخرجنا المسيح وعبر بنا في الصليب هول الموت، وإن كانوا قد اعتمدوا في البحر الأحمر فكان ذلك كصورة لمستقبل المعمودية في المسيح.

لقد كان موسى أكبر مشرِّع بشري عرفه العالم، وأقوى محرِّر استطاع بعصاه أن يذيق فرعون الأهوال حتى أخرج الشعب المستعبد عنده، أُمَّة من مليوني إنسان عبر بها البحر وقطع بها البرية، صحراء جرداء بلا ماء أربعين سنة! ولَمَّا تمرَّد الشعب على الله في الطريق غضب الله ولم يغضب موسى، وطلب الله أن يبدِّد هذه الأمة فوقف موسى يتشفَّع من أجلها: «والآن إن غفرت خطيتهم. وإلاَّ فامحني من كتابك الذي كتبت. فقال الرب لموسى: مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي. والآن اذهب اهدِ الشعب إلى حيث كلَّمتك. هوذا ملاكي يسير أمامك. ولكن في يوم افتقادي أفتقد فيهم خطيتهم.» (خر ٣٢: ٣٢ - ٣٤)

والسؤال أمام الله: وماذا بعد موسى وهذا الشعب قد جُبل على أساس القيادة وهو داخل أرضاً جديدة تغص بعبادات كاذبة وأنبياء كذبة وكهنة محترفين، وهم عوائد وأخلاق كفيلة بأن تقضي على كل ما عمله موسى من وصايا وتحذيرات وتعليمات؟ من هنا يأتي أول تشريع إلهي لإقامة الأنبياء الذين يتكلَّمون باسم الله يعملون ويعلِّمون بحسب ما وضع موسى من تشريعات وناموس أخلاقي وتدابير عبادة. فتكلَّم الله بنفسه للشعب قائلاً:

+ «متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك لا تتعلَّم أن تفعل مثل رجس أولئك الأُمـم. لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار ولا مَنْ يعرف عرافة ولا عـائف ولا متفائـل ولا ساحر، ولا مَنْ يرقى رُقية ولا مَنْ يسأل جاناً أو تابعة ولا مَنْ يستشير الموتى. لأن كل مَـنْ يفعل ذلك مكروه عند الرب. وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك. تكون كاملاً لدى الرب إلهك. إن هؤلاء الأُمم الذين تَخْلُفهم يسمعون للعائفين والعرَّافين. وأمَّـا أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا.

يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك مثلي (موسى هو المتكلِّم) له تسمعون. حسب كل ما طلبتَ من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صـوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلاَّ أموت. قال لي الرب قد أحسـنوا في مـا تكلَّموا. أُقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك (مثل موسى) وأجعل كلامي في فمه فيكلِّمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلَّم به بـاسمي أنـا أطالبه. وأمَّا النبي الذي يطغي فيتكلَّم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلَّم به أو الذي يتكلَّم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي.» (تث ١٨: ٩ - ٢٠)

من هذا النص نتحقَّق أن الرب الإله هو الباعث للنبوَّة، وأساس النبوَّة هو «موسى». ليس مجرد اسم ولكن موسى بتشريعه وبكل ما استلمه من الله من تعليم وما دوَّنه في الأسفار الخمسة في التوراة. وأن يكون النبي من وسط بني إسرائيل وحدهم، فالنبوَّة محبوسة في شعب إسرائيل فقط. فالنبي الذي سيقيمه الله يقيمه على أساس ما علَّم به موسى شعب إسرائيل. وقد جاء بالفعل أنبياء كثيرون جدًّا في إسرائيل، على أن إرسالية أي نبي لشعب إسرائيل كانت مسئوليتها الأولى والعُظمى هي التعريف بالله على أساس ما استعلنه الله لموسى عن نفسه. وكلهم كانوا خاضعين لموسى وكل تعليمه على أساس التوراة، حتى توقَّفت النبوَّة بمجيء المسيح لتأسيس عهد جديد غير عهد موسى القديم كلية. فعهد موسى قد انقضى بكل أنبيائه، وجاء المسيح ليكمِّل كل ما نقص من موسى والأنبياء.

ومرَّة أخرى أثاروا سخط الله حتى قال الله لموسى: «حتى متى يهينني هذا الشعب ... إني أضربهم بالوبإ وأبيدهم وأُصيِّرك شعباً أكبر وأعظم منهم» (عد ١٤: ١١ و١٢). فانبرى موسى يُهدِّئ غضب الله قائلاً: «اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى ههنا. فقال الرب قد صفحتُ حسب قولك» (عد ١٤: ١٩ و٢٠)

عظيم هذا الرجل موسى، ولم يبلغ عظمته قط قائد أو ملك أو رئيس شعب يفدي أُمته بحياته، ويتوسَّل ويتذلَّل حتى يكسب قضية قومه ويعفيهم من الفناء!

موسى رقد في الرب بيد الرب، وأخفى الله جسد موسى عن أعين بني إسرائيل. وكان موت موسى ختام حياة صنعها الله، وظلَّ موسى حيًّا عند الله حتى يوم ظهوره يوم التجلِّي هو وإيليا مع المسيح في وداع المسيح لتسليم عهدة كلٍّ منهما: موسى سلَّم حقيبة الناموس وإيليا سلَّم حقيبة النبوَّة، ذلك على جبل التجلِّي على مرأى من بطرس ويعقوب ويوحنا. أمَّا تسبحة موسى على البحر الأحمر بعد العبور فظلَّت ترددها السماء، ويحكي لنا سفر الرؤيا أنها أيضاً ستكون من صميم تسبحتنا الجديدة في السماء (رؤ ١٥: ٣).

أعمال موسى:

موسى هو كاتب التوراة أسفار موسى الخمسة، كما يقول الكتاب: «فكتب موسى جميع أقوال الرب» (خر ٢٤: ٤): سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية. وما يهمنا هنا ونحن بصدد النبوَّة والأنبياء هو سفر التكوين، وهو السفر التعليمي الوحيد في العالم قديماً وحديثاً الذي يختص بتعليم الإنسان أول درس في الحياة، وهو خلقة العالم وأصل جنسنا، أي خلقة الإنسان. ومنه ندرك ماذا ورث الإنسان عن أبيه الأول آدم، ومنه ندرك أيضاً سر شقاء البشرية الذي تعانيه. فهو أول وأهم الدروس التي يمكن أن يتلقَّاها الإنسان من معلِّم البشرية الأول موسى، ولكن موسى لم يكتفِ بخلقة الإنسان بل امتد بفكر الإنسان ليدرك سر خلقة العالم كله الذي يعيش فيه، ذلك كله بتلقين الله بنظام رتيب. وسفر التكوين هو إحدى عجائب المؤلفات في العالم، فلا يدانيه أي أبحاث أو دراسات أو انسيكلوبيديات في العالم، وهو المصدر الوحيد لكشف من أين جاء العالم الذي نعيشه وما هو سر الأوجاع التي يعانيها العالم.

وسفر التكوين وحده دون باقي الأسفار يشهد لنبوَّة موسى الفائقة ولدرجة اتصاله بالله، ويجعل كلمة هذا النبي فوق كل كلمة لأنها كلمة الله التي استُؤمن عليها.

ولكن سفر الخروج الذي يختص بخروج شعب إسرائيل من مصر يبدأ أيضاً بداية تشبه بداية سفر التكوين في استعلان خلقة العالم وما فيه وخلقة الإنسان أيضاً، لأن سفر الخروج يبدأ باستعلان ذات الله. ولأول مرَّة في العالم يُملي موسى على العالم سر وحدانية الله monotheism ويفرض ذلك

فرضاً على كل شعوب العالم. ويستمر موسى في استعلان ذات الله بأن يعطينا – ومن فم الله أيضاً – التعرُّف على معنى اسم الله: فهو الكائن الذي يكون، بمعنى أنه الكائن بذاته. وإذ عرَّفنا في بداية سفر التكوين أن الله قد خلق العالم كله بكل ما فيه، وخلق أيضاً الإنسان آدم الأول، يصير اسم الله الكائن بذاته إذا أضفنا عليه صفة الخلق الكلّي للعالم والإنسان، يصبح الله وحده بكيانه الذاتي رب العالم ولا كينونة أخرى لكائن آخر سواه.

بهذه المعلومات التي فرضها موسى على عالم الإنسان لأول مرَّة، والتي لا تدانيها أية معارف أخرى في العالم لأنها معارف أولية فيها البداية والنهاية معاً، يكون موسى النبي هو النبي الأول والفريد الذي أقامه الله على العالم ليكون مصدر علمه ومعرفته والصلة الأُولى والعُظمى بين الله والناس. من هنا كان موسى المصدر الإلهي الدائم للنبوّة في عالم الإنسان، وأصبح كل نبي يدعوه الله ويعيِّنه كوعده لشعب إسرائيل تابعاً لموسى، ويتحتم عليه أن يكون مصدر علمه ومعرفته مؤسَّساً على ما سبق وقدَّمه موسى من المعارف المكتوبة، يلهمه الله منها بما يقول ويفعل في كل موقف وكل أمر، ولا يخرج عنها بأي حال من الأحوال. هذا ما شدَّد عليه الله وهو يَعد شعب إسرائيل أنه لن يتركه بعد موسى بل يقيم الله لشعب إسرائيل نبيًّا مثل موسى يسمعون له لأنَ اسم الله يكون فيه.

موسى كان حريصاً على أن يكتب أسفار التوراة بيده، ويقول سفر التثنية: «فعندما كمَّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم. لأني أنا عارف تمرُّدكم ورقابكم الصلبة. هوذا وأنا بعد حيٌّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي. اجمعوا إليَّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأُشهد عليهم السماء والأرض. لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتُكم به ويصيبكم الشرّ في آخر الأيام، لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم. فنطق موسى في مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه.» (تث ٣١: ٢٤ – ٣٠)

والحق يُقال إنه لولا موسى وكتابة موسى للتوراة بما فيها من كنوز المعرفة الأساسية لكل علم، كشخص تاريخي حقيقي بل وأكبر شخصية في الوجود التاريخي على الإطلاق، ما كان قد وُجِدَ في العالم أخلاقية الله الواحد التي هي جوهر الديانة اليهودية التي ورثتها المسيحية، وما لها من تأثير أخلاقي ديني اجتماعي على البشرية. هذا يضع موسى كأعظم شخصية تاريخية فوق العالم.

ولقد اتفق العلماء دائماً على اعتبار أن سفر التكوين هو أحد الأسفار الهامة في استعلان كلمة الله، ودافعوا دفاعاً قويًّا ضد أي نقد وُجِّه لسفر التكوين من جهة "**سلطانه الإلهي**" أو "**حقيقة تاريخه**" وذلك في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد حاول النقاد حديثاً نفس المحاولة في هدم حقيقة ومصداقية كلمة الله في الخمسة الأسفار التي لموسى، ولكن قام العلماء أصدقاء الحق وأخرسوهم بالبراهين والإثباتات العديدة.

وقد وُضعت الأُسس الثابتة لمصداقية الكتب المقدَّسة الخمسة التي لموسى وصارت في نور البرهان والمعرفة على أصول صخرية من المعرفة اليوم. ونحن هنا نتعجَّب من حكمة الله وصلاحه، كيف استُعلنت هذه الأسفار بالفحص والاجتهاد والتفتيش – بعد أن كان مغلقاً عليها – كمصادر للنور والحق في أيّامنا هذه، حيث يتلقَّفها الروحيون بفرح وتهليل. وقد لا يوجد جزء من الكتاب المقدَّس قد تعرَّض لهدم النقاد مثل كتب موسى الخمسة هذه، وبالتالي صارت هذه الكتب الخمسة أكثر ما سُلِّط عليه نور البحث والتصديق وتثبَّت بالأبحاث الحديثة.

وبقدر ما هاجم العلماء المحدثون قصة الخلق وقِدم خلقة الإنسان وتسلسل الإنسان من زوج واحد آدم وحواء، بقدر ما تضافرت العلوم الحديثة لإثبات صدق وعراقة هذه الحقائق بالذات من جهة علوم الجيولوجيا والطبيعة وعلوم الأجناس وعلوم اللغات القديمة، وجاءت كلها في صف صدق ومتانة ما جاء في قصة الخلق، وروايات موسى الممتعة وخاصة تاريخ الآباء. وتحقَّقت قصة يوسف في مصر وكل ما سبق خروج إسرائيل من مصر بوثائق غاية في الأهمية والتحقيق، وكلها موجودة في تاريخ قدماء المصريين وما خلفوه من آثار لا يزال قائماً تصديقاً لكل روايات الكتاب المقدَّس بكل دقائقها. كذلك ما أضافته اكتشافات "أشور" وحديثاً جدًّا منطقة "باشان"، مما أخزى جميع العلماء والنقاد والمحاولين هدم صدق الكتاب وكلمة الله المقدَّسة.

هكذا أعطت مصداقية هذه الأبحاث درساً عالمياً لجميع أُمم الأرض. وصارت اختبارات الماضي صادقة وثابتة علمياً وعملياً، فكانت أكبر عون لتشجيع وإلهام جميع الدارسين المتطلعين إلى الحق، والحق وحده دون اعتبار لتقليد ميت أو ميراث مُهلهل، وصار تثبيتاً لإيمان كل إنسان بالتاريخ الديني وتصديق العهد القديم وكل ما خرج من تحت يد هذا الرجل العظيم موسى.

وعلى القارئ أن يعرف أن ما قدَّمناه هنا هو على ضوء ما قدَّمته أحدث برامج دراسة الكتاب

المقدَّس ليطمئن دارس الكتاب أن إيمانه بحقائق تاريخ الكتاب المقدَّس تسندها أبحاث كل علماء الأرض[1].

شخصية النبي موسى بين الأنبياء:

يقول الكتاب عنه في أيامه: «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه» (تث ٣٤: ١٠). وتقرير الله عنه ردًّا على ادعاء مريم أخت موسى وهارون أخيه بأنهم مثله لأنهم تكلَّموا مع الله وبأنهم أنبياء على مستواه هو: «فقال (الله) اسمعا كلامي. إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا أستعلن له في الحلم أُكلِّمه. وأمَّا عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي. فماً إلى فم وعياناً أتكلَّم معه لا بالألغاز. وشبه الرب يعاين.» (عد ١٢: ٦-٨)

أمَّا المعجزات التي عملها الله على يد موسى فلم يأت بمثلها إنسان قط لا نبي ولا رسول. ولكن أقل من المسيح على كل حال.

ويتغنَّى سفر العبرانيين بأخلاق موسى فيقول: «وموسى كان أميناً في كل بيته كخادم شهادةً للعتيد أن يُتكلَّم به، وأمَّا المسيح فكابن على بيته. وبيته نحن إن تمسَّكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتةً إلى النهاية.» (عب ٣: ٥ و٦)

والأمر الذي فات على كثيرين من المحلِّلين لشخصية موسى هو أن موسى النبي كان حائزاً أو حاملاً للروح القدس. فلقد قال موسى ذات يوم للرب: «لا أقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل عليَّ ... فقال الرب لموسى اجمع إليَّ سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه، وأقبِل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك. فأنزل أنا وأتكلَّم معك هناك وآخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم، فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك.» (عد ١١: ١٤ - ١٧)

وكان موسى طائعاً منفِّذاً لجميع أوامر الله ووصاياه التي ائتمنه عليها، وفي جميع هذا لم يكن موسى يعتبر نفسه (selfless)، ولا اعتبر أهل بيته، بل كل همّه أن يجاهد ليعطي الله كرامته ومجده في أعين شعبه، كما وأن يعتني بقيادة هذا الشعب الذي قيل عنه ما قيل من جهة صلابة الرقبة وعدم

(1) Jamieson, Fausset and Brown, Commentary in *PC Study Bible* (Copyright 1993-1998); Preface to the Pentateuch.

الطاعة وكثرة التذمُّر الذي وصل إلى حد الثورة ضد الله وموسى، والخيانة التي أوصلت الشعب إلى الحنث بالإيمان بالله والعودة إلى عبادة العجل، ولكن موسى احتمل هذا الشعب بحلمه وصبره حتى قيل عنه إنه كان أكثر حلماً من جميع بني الإنسان قياساً بهذا الشعب وصعوبة قيادته. وبالرغم من ذلك كان موسى يعز الشعب أكثر من نفسه، فكان عظيماً بكل المقاييس، حتى أن الله لمَّا نوى أن يُهلك هذا الشعب من شدة غباوته وعدم طاعته وخيانته تشفَّع فيه موسى واضعاً حياته ثمناً للعفو عنهم:

+ «والآن إن غفرت خطيتهم وإلاَّ فامحني من كتابك الذي كتبتَ (الأبدية). فقال الرب لموسى مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي. والآن اذهب اهدِ الشعب إلى حيث كلَّمتك هوذا ملاكي يسير أمامك.» (خر ٣٢: ٣٢ - ٣٤)

وقد أعزَّه الله جدًّا وأعطاه نعمة أكثر من أي إنسان آخر مهما كان. اسمع حديثه مع الله: «فالآن إن كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينيك فعلِّمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك. وانظر أن هذه الأمة شعبك. فقال وجهي يسير فأريحك. فقال له إن لم يسر وجهك فلا تُصعدنا من ههنا ... فقال الرب لموسى هذا الأمر أيضاً الذي تكلَّمت عنه أفعله. لأنك وجدت نعمة في عينيَّ وعرفتك باسمك.» (خر ٣٣: ١٣ – ١٧)

ومرَّة أخرى هدَّد الله الشعب بالفناء وقال لموسى: «إني أضربهم بالوبإ وأُبيدهم وأُصيِّرك شعباً أكبر وأعظم منهم. فقال موسى للرب ... اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى ههنا. فقال الرب قد صفحتُ حسب قولك» (عد ١٤: ١٢ و١٣ و١٩ و٢٠). إلى هذا الحد وقف ذلك النبي العظيم يدافع عن خطية شعبه باستماتة حتى يُرضي قلب الله فيصفح عنه كطلبه. وهذا الموقف يكشف لنا إلى أي مدى استُعلنت له صفات الله فلم يرضَ بالتهديد وطَلَبَ الرحمة فجاءت في ميعادها. هكذا يكون النبي، عالماً بمدى حب الله ورحمته وطول أناته فيطالب الله بالذي له ولا يرتخي حتى ينتصر للضعفاء والخطاة.

وكانت استقامة نظرة موسى ووحدة تفكيره وعدم اهتزازه إزاء المصاعب والمخاطر تكشف عن أصالة النُبل النبوي ورفعة رؤيته للحياة. ولم يكن هو من جهته يشعر بذلك، بل على النقيض كان يستعفي أمام الله من الأعمال الكبرى أو الحديث مع فرعون مع أن شجاعته وجبروته وصبره شهدت لها قيادتهُ لشعبٍ عنيدٍ غليظ الرقبة في صحراء جرداء بلا ماء ولا طعام أربعين سنة، لم يُهزم

فيها قط أمام أي هجوم لأعتى الأجناس المسمِّين بالعتاة وبني عناق والنماردة، بل تعقَّبهم حتى أفناهم. كل ذلك كان بسبب اعتماده الكلِّي على يهوه العظيم الذي كان يبث فيه روحاً لا تُقهر.

ولَّما ترك مصر وهجر بيت فرعون لم يَخَفْ ولم يحسب ذلك أمراً يُعمل له حسابٌ، بل انطلق وهو ناظر إلى فوق حيث يأتي العون وحيث الحياة الأخرى التي كان قد سلَّط عليها قلبه، إذ منذ أن رأى إخوته وهم تحت المذلة والسخرة والإفناء رفض أن يمكث في قصر الملوكية ويُدعى ابناً لابنة فرعون، بل حَسِبَ أن يُذلَّ مع شعب الله أفضل من كل كنوز مصر. وتركُهُ لكل عظمة الملوكية هذه وكل غنى مصر ليعيش عرياناً مع العريانين كان بيِّنةً على أنه لم يكن أميناً حقًّا فيما له بل أميناً لله وحده.

والأمر الذي يدهش له قارئ التوراة أو كل عارف بتاريخ اليهود هو كيف أن موسى وهو من سبط لاوي، بقي هذا السبط وكل أعضائه ورؤسائه في حكم النكرة لا حس لهم ولا خبر؟ فعائلة موسى بقيت فقيرة لا حول لها ولا غنى ولا وجود في وظائف الرياسة ولا ممتلكات، ذلك بالرغم من الكرامة التي كانت تحيط بهذا العبراني لا في وسط شعب إسرائيل بل وفي وسط كل مصر. ويقول بعض المؤرِّخين إن موسى قاد حملة مصرية ضد الحبشة فكان بمثابة أكبر قوَّاد الدولة وأُمرائها. هذا بالإضافة إلى أنه قد صار أكبر في عين الله واستأمنه على معرفته وكل الاستعلانات التي انفتحت بصيرته عليها حتى صار مشرِّع إسرائيل، بل مشرِّع العالم الأعظم، الذي أخذت منه كل ديانات العالم وبقي هو الأصل والأصيل والثابت الذي لا يتغيَّر، إذ قال المسيح عن شريعة موسى وناموسه إن السماء كلها تزول والأرض أيضاً ولكن لا يزول حرف واحد من ناموس موسى. كل هذا وبقي موسى غير موجود عند نفسه أو كما يقولون selfless. وليس موسى وحسب بل وكل عائلته وسبط لاوي ظلّوا، وحتى بعد أن استتبَّ في أرض الميعاد، ووظيفته الوحيدة هي خدمة بيت الله، وعائلته لا يرثون في أرض إسرائيل شبراً واحداً! ويأكل من أعشار الشعب. وهكذا ورَّث سبطه أمانة خدمة بيت الله والتجرُّد الذاتي من زاد الدنيا.

لكن أمانة موسى لله لم تورِّثه أرض الميعاد التي قاد شعبه أربعين سنة بُغية الوصول بهم حتى إلى شاطئ الأردن، ولم يُسمح له أن يعبره ولا أن يرى أو تطأ قدماه أرض الموعد. لأن الله قد أخذ عليه خطية أخطأها إذ لم يقدِّسه على ماء مريبة أمام الشعب.

وكان الله قد استدعاه على جبل: «وكلَّم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً: اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً. ومُتْ في الجبل الذي تصعد إليه وانضم إلى قومك، كما مات هارون أخوك في جبل هور وضُمَّ إلى قومه. لأنكما خُنتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادش في برية صين، إذ لم تقدِّساني في وسط بني إسرائيل. فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيها لبني إسرائيل» (تث ٣٢: ٤٨ - ٥٢). وفحوى الأمر أن موسى شك في أن الصخرة تُخرج ماءً، وعبَّر عن شكّه أمام الشعب فكان ما كان، ولو كان إنسانٌ عاديٌّ صنع ذلك لعبر الأمر بسهولة، ولكن أن يكون هذا الإنسان الذي يشك في أمر الله هو موسى فالأمر جلل. وكان هذا درساً عنيفاً ليس لموسى ولكن لشعب إسرائيل حتى يقيس نفسه على أوامر الله فيما بعد، وكيف أن جزاء الشك في أوامر الله هو أن يموت رجل مثل موسى واضع الناموس ولا يدخل الأرض التي سار نحوها قائداً لشعبٍ عنيدٍ أربعين سنة.

هكذا تقبّل موسى أمين بيت الله، النبي الذي تكلَّم مع الله وجهاً لوجه عياناً، عقوبة الموت دون تردُّد أو تذمُّر أو مراجعة، وكأنها تكملة أو شرح أو تفسير لكل ناموسه أراد أن يضعها الله بنفسه كخاتمة لكل الناموس: «ومُت في الجبل الذي تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وضُمَّ إلى قومه. لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادش في برية صين إذ لم تقدِّساني في وسط بني إسرائيل.» (تث ٣٢: ٥٠ و٥١)

هكذا تقبَّل موسى وكتب بيديه هذه الخاتمة لكل ناموسه راضياً تماماً لسبب واحد وهو أنها تمجد الله. وموسى ليس له أمل ولا رجاء ولا غاية من كل ما كتب وسطَّر وعمل إلاَّ هذه الغاية: أن يتمجَّد الله. فإن كان قد أخفق في أن يقدِّس الله في وسط الجماعة فليقدِّسه ويمجده بقبوله الموت من يديه برضى وشكر واعتراف بالذنب.

وكان إزاء تصرُّف موسى هكذا بهذه الطاعة الصامتة أن قام الله بدفن موسى كما يقول الكتاب: «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب. ودفنه في الجواء[٢] في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم.» (تث ٣٤: ٥ و٦)

(٢) الجواء هو بطن الأرض.

وهكذا مجَّد موسى الرب بموته وقَبِل منه الرب هذا التمجيد! انظروا إن كان قد قام نبي مثل موسى!!

صحيح لم يدخل موسى أرض كنعان عبر الأردن، ولكنه دخل كنعان السماوية عبر السموات مدينة الله الحي التي نصبو إليها جميعاً. أليست هي جزاء الأمناء، وكان موسى أميناً في كل بيته!؟

كانت أرض كنعان مشتهى العهد القديم لأنها كانت الصورة والشَّبَه لكنعان السماوية الحق والحقيقة، وموسى انتقل إلى الحقيقة والحق دون أن يعبر على الشبه.

بقيت لفتة كريمة من الله من جهة موسى إذ دفنه بيده وأخفاه ولم يعرف إنسان قبره حتى اليوم حتى لا يلتفَّ الشعب حول قبره ويجعلوه معبداً. عندنا الشاهد القوي على ذلك أورده يهوذا الرسول هكذا: «وأمَّا ميخائيل رئيس الملائكة، فلمَّا خاصم إبليس محاجًّا عن جسد موسى، لم يجسر أن يورد حكم افتراءٍ، بل قال: لينتهرك الربّ» (يه ٩). لأن إبليس أراد أن يكشف موضع جسد موسى ليعبده الشعب فحاربه رئيس الملائكة ميخائيل ومنعه. وهكذا حتى في موته أعطى موسى المجد لله وحده!

موسى والمسيح:

ينبِّه ذهننا سفر العبرانيين إذ يبتدئ في الأصحاح الثالث بعمل مقارنة بين موسى والمسيح حتى يزكِّي المسيح لدى العبرانيين اليهود المتنصرين. ولكن في المقارنة تعرَّض لموسى باعتباره خادم "شهادة" أميناً في كل بيت الله. وكلمة شهادة هنا ذات أصول لاهوتية. فإخراج شعب إسرائيل من مصر كان شهادة ورثها كل فرد في شعب إسرائيل لعمل الله القوي كيف أخرجهم وفداهم من العبودية، وصار موسى بالتالي خادم شهادة في كل بيت الله، وكانت شهادته تتضمَّن كيف فدى الله شعبه ليخرجهم من عبودية فرعون. ثم بدأت الشهادة للمسيح الفادي تظهر وتتضح بموت أبكار فرعون وكل المصريين لنجاة إسرائيل، ثم توضَّحت لاهوتياً بذبح الفصح ذبيحة الخروج من مصر باعتبارها ذبيحة الفداء عوضاً عن موت أبكار بني إسرائيل. وقد نوَّه عنها سفر الرؤيا أن ذبيحة فصح مصر كانت هي بعينها ذبيحة المسيح: «ومصر حيث صُلب ربنا أيضاً» (رؤ ١١: ٨). وهكذا وجميع ذبائح الناموس كانت إشارة إلى ذبح المسيح. وباختصار كان موسى محسوباً أنه نبي الشهادة للمسيح إن كان بشخصه أو بعمله أو بنبوَّته أو أمانته كما يقول سفر العبرانيين: «وموسى كان أميناً في كل بيته كخادمٍ شهادةً للعتيد أن يُتكلَّم به» (عب ٣: ٥). ومن مضمون هذه الآية يُحسب موسى "شاهداً أخروياً أو مستقبليًّا" للمسيح.

هذا جعل للنبي موسى موضعاً مميزاً جدًّا في العهد القديم، إذ احتُسب أنه شاهد للمسيح.

كما يعود سفر العبرانيين ويتغنَّى بتفضيل موسى تَرْك بيت فرعون المعروف أنه مُعدّ فيه ليكون فرعون مصر، لأنه كان منتسباً كابن لابنة فرعون، فيراها سفر العبرانيين هكذا:

+ «بالإيمان موسى لمَّا كبر أبَى أنْ يُدعى ابن ابنة فرعون، مفضِّلاً بالأحرى أن يُذلّ مع شعب الله على أن يكون له تمتُّع وقتي بالخطية، حاسباً عار المسيح (أن يُرفض كرفض المسيح) غنى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة.» (عب ١١: ٢٤ - ٢٦)

وسفر العبرانيين يكتشف في موسى وأعماله مواقف إيمانية عالية القيمة على المستوى المسيحي: إذ رآه يتشدَّد في الإيمان كمن يرى ما لا يُرى - كما يرى في ذبيحة الفصح ورش الدم للنجاة من الهلاك مضمون سر الخلاص، فهو إيمان بالخلاص في مضمونه السرِّي. ولولا وثوق هذا الإيمان ما استطاع أن يقنع شعباً بأكمله أن يحتمي في الدم قبالة الملاك المُهلك.

كذلك يرى سفر العبرانيين أن عبور موسى البحر مع شعبه هو بحد ذاته مجازفة إيمانية مخيفة ومُرعبة لأنها ضد كل عقل أو معقول. فهو آمن بالمستحيل وسار فيه وأكمله وسبَّح له وأنشد، والشعب كله استمد روح الإيمان والنصرة منه. فهو قائد إيمان ليس له مثيل. وإيمان موسى هو سر نجاح عبور شعب إسرائيل واجتيازه سيناء في أربعين سنة. ويستحيل أن نتكلَّم عن إيمان موسى دون أن نؤكِّد على الرجاء الذي كان يملأ قلبه بحضور الرب وسيره مع الشعب يوماً بيوم.

وموسى صاحب أعظم ليتورجيا يتحدَّث فيها عن الله ومع الله، ويعترف ويشهد ويشكر ويؤمن ويرجو ويُسبِّح ويهتف بكل إيمان وقوة وروح. إنها ليتورجية كل إنسان وكل جيل. لم تكن خاتمة حياته بل كانت حياته، لأن الله ملأ كيان موسى بملء جديد، فقد رأى الله وتكلَّم معه كما يتكلَّم الرجل مع صاحبه، ولم يجزع أبداً بل استنار وجهه بحضرة الله نوراً لا يفارقه.

وموسى إن اعتبرناه نبيًّا فهو ينبوع التقليد النبوي واستعلان مقروء لماهيَّة النبي: كيف هو وكيف يكون وما ينبغي أن يقول ويعمل. فهو نموذج ومثال حيٌّ لا تنضب مؤهِّلاته.

ومات موسى بعد أن كتب أسفار موسى الخمسة.

+ «وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات، ولم تكلّ عينه ولا ذهبت نضارته.» (تث ٣٤: ٧)

التوراة لموسى النبي

مقدّمة مختصرة

الله تكلّم بموسى فكانت التوراة:

+ «اذهب قُل لهم: ارجعوا إلى خيامكم - وأمّا أنت فقف هنا معي فأكلمك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام التي تعلّمهم فيعملوها في الأرض التي أنا أُعطيهم ليمتلكوها. فاحترزوا لتعملوا كما أمركم الرب إلهكم.» (تث ٥: ٣٠ و٣١)

+ «**فعندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم.**» (تث ٣١: ٢٤ - ٢٦)

+ «وجّهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها اليوم لكي توصوا بها أولادكم **ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة، لأنها ليست أمراً باطلاً عليكم بل هي حياتكم.**» (تث ٣٢: ٤٦ و٤٧)

وموسى يذكر لماماً سفر التكوين: «**فاسأل عن الأيام الأُولى التي كانت قبلك من اليوم الذي خلق الله فيه الإنسان على الأرض**، ومن أقصاء السماء إلى أقصائها، هل جرى مثل هذا الأمر العظيم أو هل سُمع نظيره. هل سمع شعب صوت الله يتكلّم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش.» (تث ٤: ٣٢ و٣٣)

العهد القديم ينقسم إلى أربعة أقسام:

١ - **الناموس (الشريعة Law)**: ويتكوّن من خمسة أسفار: التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية.

٢ - **الكتب التاريخية**: يشوع، القضاة، راعوث، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، سفر الملوك الأول، سفر الملوك الثاني، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني، عزرا، نحميا، أستير.

٣ - **الكتب الشعرية**: أيوب، نشيد الأنشاد، المزامير، الأمثال، الجامعة.

٤ - **الكتب النبوية**: إشعياء، إرميا، مراثي إرميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس،

عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.

والناموس يتكوّن من خمسة أسفار كما قلنا ويسميها علماء اليهود الخمسة أخماس، والعلماء اليونان يسمونها البنتاتيوخ أي الخمسة أسفار أو الكتب. وقد جرت تسمية الخمسة أسفار بالناموس أو ناموس موسى.

والمعروف قطعاً عند اليهود والمسيحيين أن الذي كتب التوراة هو موسى "رجل الله".

والخمسة أسفار تغطي مسافة زمانية هي التاريخ المقدّس، من التكوين أي الخلقة حتى موت موسى. وهي تنقسم إلى قسمين:

الأول: وهو يشمل كل ما قبل موسى حتى موت يوسف ابن يعقوب في مصر (**سفر التكوين**).

الثاني: وهو الأربعة أسفار الأُخر وهي تحمل التاريخ المقدّس والناموس ومؤسسات كل حياة موسى.

فسفْر الخروج يشمل كل ضيقات شعب إسرائيل، وعجائب الخروج وخلاص الشعب وعبور البحر الأحمر ورحلة سيناء، وفيها أُعطي الناموس أثناء عبور موسى سيناء وسُلّم للاويين؛ **وسفر اللاويين** للكهنة خدام الخيمة، ثم **سفر العدد** ويشمل الزمن من أول تدشين الخيمة في سيناء في السنة الثانية حتى الوصول إلى الأردن في السنة الأربعين، وأخيراً **سفر التثنية** ويشمل أحاديث الوداع قبل موت موسى.

١ ـ سفر التكوين

سفر التكوين هو أطول الأسفار الخمسة، ويشمل خمسين أصحاحاً مقسّمة إلى أربعة أقسام متساوية تقريباً:

الأول: تاريخ ما قبل الآباء (١: ١ - ١١: ٣٢).

الثاني: إبراهيم (١٢: ١ - ٢٥: ١١).

الثالث: إسحق وابنيه (٢٥: ١٢ - ٣٦: ٤٣).

الرابع: يوسف (٣٧: ١ - ٥٠: ٢٦).

أمّا نهاية سرد أحوال إبراهيم بالتدقيق (٢٥: ٨) فهي تقسم سفر التكوين إلى قسمين متساوين. والتاريخ الذي يرويه موسى هو تقريباً تاريخ حياة الأفراد، فثلاثة أرباع سفر التكوين يختص بحياة ثلاثة أشخاص هم إبراهيم ويعقوب ويوسف. ولكن سفر التكوين يمدنا باختبارات دقيقة وحوادث في غاية الأهمية. وهي تتبع أحد عشر عنواناً جانبياً أو رأساً، كل منها يبدأ بكلمة **"مواليد"**. وبهذا يُقسّم السفر إلى اثني عشر قسماً بأطوال مختلفة. والمواليد هي كالآتي:

١ - السموات والأرض (٢: ٤)[1]

٢ - آدم (٥: ١)

٣ - نوح (٦: ٩)

٤ - أبناء نوح "سام وحام ويافث" (١٠: ١)

٥ - سام (١١: ١٠)

٦ - تارح (١١: ٢٧)

٧ - إسماعيل ابن إبراهيم (٢٥: ١٢)

٨ - إسحق ابن إبراهيم (٢٥: ١٩)

٩ - عيسو وهو أدوم (٣٦: ١)

١٠ - وأيضاً عيسو أبو الأدوميين في جبل سعير (٣٦: ٩)

١١ - يعقوب (٣٧: ٢)

---

(١) جاءت هذه الآية في الترجمة العربية: «هذه **مبادئ** السموات والأرض»، ولكن الكلمة المترجمة «مبادئ» هي في الأصل العبري "تولِدوت" أو مواليد.

وفي معظم المواضع المذكور لها كلمة "مواليد" كعنوان تقدّم جزءاً يختص بالأبناء المنحدرين لصاحب الاسم. فمثلاً تحت كلمة "مواليد تارح" فإنه يحكي عن حياة إبراهيم وهو أشهر أبناء تارح، كذلك "مواليد يعقوب" يبدأ بذكر اسم يوسف وكان ابن سبع عشرة سنة. ولكن عند "مواليد نوح" يتعامل هذا القسم مع الطوفان وفيه يكوِّن نوح الشخصية الرئيسية وهنا تكون كلمة "مواليد" لا تعطي تمام مدلولها.

الأصحاح الأول

يحكي عن خلقة "السموات والأرض" وهذا هو أساس هذا السفر، ويأتي تحت هذا العنوان ظهور مواليد كثيرة تتبعها، فهذه المعلومة تصبح ذات أهمية أساسية فهي تتكوَّن من مختصر مجموعات وشرح دقائق الحقائق.

الحقائق المختصرة التي تتبعها الآية الأُولى:

+ «أيها الرّبّ سيِّدنا، ما أمجد اسمك في كلّ الأرض! حيث جعلت جلالك فوق السّموات. من أفواه الأطفال والرُّضّع أسّست حمداً بسبب أضدادك، لتسكيت عدوٍّ ومنتقم. إذا أرى سماواتك عمل أصابعك، القمر والنّجوم التي كوّنتها، فمن هو الإنسان حتى تذكره؟ وابن آدم حتى تفتقده؟ وتُنقصه قليلا عن الملائكة، وبمجد وبهاء تكلّله. تسلّطه على أعمال يديك. جعلت كلّ شيء تحت قدميه. الغنم والبقر جميعاً، وبهائم البرّ أيضاً. وطيور السماء، وسمك البحر السالك في سُبل المياه. أيها الربّ سيّدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض.» (مزمور ٨)

+ «الله بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة. كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمل العالمين.» (عب ١: ١و٢)

«في البدء خلق الله السموات والأرض»:

فكل كلمة ذات أهمية، حيث هنا نقطة البدء «**في البدء**»، والحقيقة العُظمى هنا هو **الله الخالق**، **والسماء والأرض** الظاهرة العالمية قد خُلقت بواسطته، هنا ذكر النهايات وقمة النهايات هو الله.

وكلمة الله كما جاءت في التوراة هي "إلوهيم" جاءت في خمس وثلاثين مرَّة في الأربع والثلاثين آية لهذا القسم (١: ١ - ٢: ٣). من هنا يتضح أن الكائن الأعلى الذي كان قبل كل شيء والذي صنع كل شيء ذُكِرَ بتوكيد، وهنا يقع مفتاح الكتاب المقدّس كله.

فالكتاب المقدس هو كلمة الله، ليس فقط لأن الله هو الخالق، ولكن لأن الله وأعماله هما الغاية الشاملة. و"**إلوهيم**" تأتي بالجمع في تكوينها، ولكن على مدى الكتاب تأتي بالمعنى المفرد لتدلّ على الله الحقيقي الفعَّال، ليظهر الجمع أنه جمع المجد والجلال والعظمة ولا دخل له بتعدد الآلهة على وجه الإطلاق.

وكلمة "خَلَقَ" تأتي بالعبرية "برا" وهي قليلة وهي تدل على عمل الله، فـ"السماء والأرض" تغطي مضمون العالم كله ولكنها قبل كل هذا وفي البداية تدل على مبتدأ أعمال خلقة الله فاختُصرت بهاتين الكلمتين.

الحقائق المشروحة في الآية الثانية:

+ «وكانت الأرض **خربة وخالية** وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه».

والعلاقة بين الآية الأُولى والثانية قد دخلت في مناقشات كثيرة. فالوضع الطبيعي أن الآية الثانية تصف وضع الأرض سابقاً أنها مكوَّنة من مادة غير مجسَّمة (توهو وبوهو) أي "هوَ"، وذلك قبل خلقة الستة أيام التي جعلتها عالماً جميلاً مرتَّباً.

«**روح الله**»:

وهنا لا يوجد ما يؤكِّد ولا ما ينفي(٢) أنه الأقنوم الثالث الروح القدس كما استُعلن في العهد الجديد، ولكن ذُكر أنه روح الله مرَّات عديدة في الأسفار الخمسة.

الحقائق المسجَّلة في الآيات (١: ٣ - ٢: ٣):

جاء الخَلْق بالفعل الأمر «ليكن»، وتحقيق الأمر «فكان»، وجاءت بالعربية «وقال الله **ليكن** نور **فكان** نور». وقد استخدمها المزمور (٣٣): «لأنه قال فكان. هو أمر فصار» (مز ٣٣: ٩). ووصف خلقة السماء هكذا: «بكلمة الرب صُنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها» (مز ٣٣: ٦). وقد تكرَّرت في هذا القسم كلمة «فكان» ستة مرَّات، ذلك بتأكيد لتكميل الأمر «فليكن». ولكن لم يُذكر كيف تمَّ أو ما هي عملية التكوين. هذا أمر مهم قد تُرك للعلم فهو المختص بالأمور المادية والظواهر المادية كذلك، ولكن في تسجيل ذلك لا نقطع خط الرجعة على عمليات لابد أن تكون قد تمَّت. ولكن سفر التكوين يختص بعمل الله: الفعل الإلهي. الذي لابد أن يحوي كيف

(٢) ذلك لأن كلمة "روح" وكلمة "ريح" واحدة في العبرية.

تركبت الأمور وكيف تفصَّلت، ولكن تُركت هذه التفاصيل للعلم. فهنا الفاعل الأول هو الله القدير ولكن هذا لا يقطع خط الرجعة على الباحث في الأسباب والمسببات.

وأعمال الخليقة وُصفت أنها قد تمَّت في ستة أيام، كل يوم كان له صباح ومساء! ولكن طول هذه الأيام قد دخل في المناقشات. وقد أدلى القديس أغسطينوس أنها لم تكن كأيامنا، وجاء العلماء الذين يتكلَّمون عن السنة الضوئية وأضافوا أصفاراً وأصفاراً في تقدير زمن البدايات التي اختزلتها رواية التكوين إلى أن اليوم أربع وعشرون ساعة. ولكنهم لمَّا ضربوا الألوف والملايين في الملايين والبليون في البليون والتريليون في التريليون وصلوا عملياً إلى لا شيء، وفلت المعنى من بين أصابعهم، وأظهروا في النهاية جهلهم من جهة الإيمان بالله القادر على كل شيء الذي يدرك الزمن والمسافات أنها محدودة ومخلوقة، وظهر أن ضرب الأصفار يخرجهم عن المعقول. ووضح أن عجائب الكتاب المقدَّس لا يحدُّها زمن أو مسافة. والذي حوَّل الماء إلى خمر، العمل الذي لا يستطيع أن يأتيه علماء العالم في ملايين السنين ولا ألف مليون، أتمَّه المسيح في يوم بل في لحظة! فالعمليات الطبيعية لا يمكن أن تدخل في هذا المضمار، هذا عمله المسيح أمام شهود من تلاميذه وأهل العرس (يو ٢: ٧).

والملاحظ أن الزمن غير المحدود هو أيضاً أفقر جداً من أن يقف أمام الله الكلِّي القدرة الذي يتعامل مع الزمن كما نتعامل نحن مع الساعة.

فالمذكور هنا من جهة الخليقة هو بدرجة البساطة والإقناع كعمل خلقة الله، ولا نظر إطلاقاً لما هو غير محدود ولا حتى لِمَا لا نهاية له في الأرضيات.

وعلينا أن ننظر إلى حقيقة خلقة الأشجار والخضروات أنها ذُكرت في اليوم الثالث قبل ذكر خلقة الشمس في اليوم الرابع. فإن كاتب سفر التكوين ومدوِّنه لم يكن جاهلاً بقوانين الطبيعة لكي لا يعرف أن ضوء الشمس وحرارتها مهمان لنمو الأشجار. فالواضح أن حقيقة تأثر الأشجار بالضوء والحرارة نحيلها إلى خلقة النور في اليوم الأول (الآية الثالثة) فيتبعها حتماً الأشعة الكونية والحرارة المنبعثة من النشاط الذي أعطى النور، والذي بدأنا نعرف عنه حديثاً الشيء الكثير. على أنه لا يوجد في تدبير الله الخالق ما يُسمَّى بالصدفة، فالله يدير ويضبط الكون بإحكام. وهذه الأرض التي هي في نظر الجيولوجيين أنها جُرم تافه من شظايا انشطار الأنشطة الشمسية، لكنها تثبت أنها ذات قيمة عظمى لدى خالقها والمخلوقين عليها وتفتخر بأنها الجرم السمائي الوحيد الذي اختاره الله لسكنى الإنسان وتكميل فدائه على سطحها المبارك. وهكذا وقفت الأرض مركزاً جيولوجياً لجميع الأجرام

السماوية، لأن الإنسان فيها يرصد نجوم وكواكب العالم وهو على سطحها وكأنه ربَّان يسوق النجوم والكواكب في مجرَّاتها.

ولمَّا رست قدَما ابن الله على سطح الأرض وأنشد جند السماء نشيدهم بالمجد لله في السماء والسلام على الأرض، صارت الأرض الوجه الثاني للسماء.

وخلقة العالم التي ذكرها موسى من إملاء الله صارت عقيدة وإيماناً يُتغنَّى به. وقد تقابل فيها الله بجلاله مع الإنسان في حقارته مع الطبيعة ليكون العالم الذي أحبَّه الله وفداه. وعظيم هو الإنسان لما خلقه الله على صورته كشبهه وأعطاه السلطان والسيادة على الخليقة، فادم كان قمة في العالم وعلى العالم.

فواضح أن كلمة «خلق» ذُكرت في الآية الأُولى لعمل الخليقة ككل، وفي الآية (٢١) للحيوانات وفي الآية (٢٧) للإنسان، وبهذا ذُكرت ثلاث مرات في سبع وعشرين آية ليظهر من بينها الإنسان بوضعه المنفرد، فهو آخر من خُلق، وخُلق على صورة الله. وكل الخليقة كانت حسنة في نظر الله، أمَّا الإنسان فكان حسناً جدًّا لأنه كان «على صورة الله خلقه» في المجد.

والإنسان هو الوحيد في خلقته الذي قال الله عنه بالجمع «**نعمل** الإنسان على صورتنا كشبهنا»، فهذا تلميح للثالوث الذي لم يُعرف في العهد الجديد إلاَّ بعد تجسُّد الابن الوحيد. وأعاد الله صيغة الجمع في الآيات (٣: ٢٢، ١١: ٧). على أن الألوهيم بالجمع لم يظهر تصريفه بالجمع إلاَّ في خلقة الإنسان وتعامل الله معه. و"الصورة والشبه" تعطيان العلاقة الأبوية لله بالنسبة للإنسان وتجعل الإنسان أقرب الخلائق إلى الله وسيداً على العالم كله يوم خُلق، وخُلق آخر الكل لأنه سيد الكل.

ومُنع الإنسان من أكل اللحوم واقتُصر غذاؤه على البقل والخضروات.

راحة اليوم السابع:

وبعد خلقة الأيام الستة استراح الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، أي توقَّف عن العمل. وقدَّس الله هذا اليوم كيوم راحة، ولم يتكلَّم الله عن خلقة ملائكة أو تدخل الشيطان.

ولكن نخرج من قصة الخلق بأن الله هو خالق كل شيء. هنا توكيد على وحدانية الله التي ملأت كل الأسفار، وكان هذا هو إيمان موسى الذي اقتبله بالاستعلان كما قبله بالميراث من الآباء الأولين لأنه كان هو إيمان إبراهيم:

+ «فأستحلفك **بالرب إله السماء وإله الأرض** أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين

الذين أنا ساكن بينهم.» (٢٤: ٣)

هذا التقرير ظل سارياً ولا نظير له للآلهة الكاذبة في كل الأسفار، تسجَّل وتوارث بمنتهى البساطة دون بحث أو فحص. فهذا جعل الألوهة في الله القادر على كل شيء، خالق الكل بكلمة قدرته «ليكن ... فيكون» كأصل لكل الكتابات المقدَّسة.

وإن كانت قصة الخلق تبدو بسيطة ولكن لا يعتقد القارئ أنه ملك زمام قصة الخلق. فكلما أمعنَّا فيها ظهرت أعماقها وتلوُّنها بأسئلتها ومشاكلها. وفي الآيات (٦ و٨ و٢٠)، ظهر الجَلَد Firmament ويظهر أنه الجو Atmosphere الذي يحيط بالكرة الأرضية، وسُمِّي أيضاً سماء، ولكن كل من السماء والجلد استُخدما معاً في الآيتين (١٤، ١٧) على أساس أنهما فلك السماء والشمس، وهي التي دخلت ضمن السموات في الآية الأُولى.

والأرض في الآية (٢) هي التي ندعوها الكرة الأرضية، وفي الآية (١٠) ذكر أنها أرض جافة لتمييزها عن البحار. وذكر أن النهار هو النور في الآية (٥) لتمييزه عن الظلمة التي هي الليل، وقد استخدم في ستة أيام الخلقة أن كلاًّ منها له صباح ومساء.

وفي الآية (٢: ٤) يجمع خلقة الستة أيام بكلمة «يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات». والمياه في الآية (٢) استُخدمت في وصف المادة غير المجسَّمة التي منها خُلق العالم، وفي الآيات (٦ و٩) المياه تأتي بالجمع وتنقسم إلى ما هو في الجو ما فوق السماء (السحب) وما تحت السماء (البحار) والتي تقسِّمها هي السماء (الجو).

الأصحاح الثاني

الله في ذاته، والله في خليقته

من أهم الأمور التي تسترعي اهتمام القارئ الواعي تغير اسم الخالق من "إلوهيم" الله في الأصحاح الأول إلى "الرب الإله" **يهوه** Lord = يهوه إلوهيم ابتداءً من ٢: ٤. هنا توضيح بدء العلاقة بين الله والإنسان، ليس فقط الله كخالق (إلوهيم) فقط، ولكن الله الخالق بالنسبة للذي خلقه، أي علاقة خاصة أو حالة خاصة في خلقة الإنسان. حيث إلوهيم هو الله في ذاته، أمَّا يهوه الله أو يهوه الإله أو **الرب**، هو ذات الله، كلمة الله، الفعَّالة الحاكمة في **الزمن** الذي ابتدأ بخلقة السماء والأرض وما فيها، والذي يعمل أبداً وهو كما هو في ذاته، ولكن يعمل مع الخليقة التي أصبحت كائنة بكيانه

وهو الدائم: كان، ويكون، وسيكون (سيأتي). **عبَّر عنه سفر العبرانيين** بغاية العلانية والوضوح:

+ «الله بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة **في ابنه**، الذي جعله وارثاً لكل شيء، **الذي به أيضاً عمل العالمين**. الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.» (عب ١: ١ - ٣)

كما سجَّله أيضاً القديس بولس الرسول في رسالته إلى كولوسي:

+ «الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة. **فإنه فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل.**» (كو ١: ١٥ - ١٧)

كما عبَّر عنه القديس يوحنا في إنجيله:

+ «**في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس.**» (يو ١: ١ - ٤)

١ - مبادئ[٣] السموات والأرض: (٢: ٤ - ٤: ٢٦)

«هذه مبادئ السموات والأرض».

جاءت في العبري "هذه هي **المواليد**" وتوضح القسم الأول من الأحد عشر قسماً التي عنوانها "المواليد" التي يتكون منها سفر التكوين كله. وكلمة السموات والأرض (١: ١، ٢: ١) توضِّح أن القصة التي تلي ذلك هي متصلة بالذي قد قدَّمه الأصحاح الأول. وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام طبيعية:

(أ) خلقة آدم وحواء (٢: ٧ - ٢٥).

(ب) التجربة والسقوط (٣: ١ - ٢٤).

(ج) ما ترتَّب على ذلك (نسل الخطية) (٤: ١ - ٢٦).

(٣) كلمة "مبادئ" جاءت هنا في الأصل العبري "تولدوت" أي مواليد. فهذا هو أول فصل في سلسلة "المواليد" في سفر التكوين (راجع: صفحة ٤٨).

خلقة آدم في سفر التكوين

وصورة الإنسان في فكر الله في الأزلية قبل إنشاء العالم:

يعطينا بولس الرسول لمحة سريعة لصورة الإنسان في ذهن الله في خطة خلقته منذ الأزلية قبل إنشاء العالم، وذلك في رسالته إلى أهل أفسس إذ قال:

+ «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكلِّ بركةٍ روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه **قبل تأسيس العالم**، لنكون قديسين وبلا لومٍ قدَّامه في المحبة، إذ سبقَ فعيَّننا للتبنِّي بيسوعَ المسيحِ لنفسهِ، حسب مسرَّة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف ١: ٣ - ٦)

هذه صورة الإنسان في ذهن الله قبل أن يُخلق من تراب الأرض، ذلك باعتبار ما سيكون لآدم في نهاية المطاف بعد الخلقة والسقوط والفداء والمصالحة والدعوة من بنوَّة الله للشركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح في الحياة الأبدية في المسيح يسوع.

وأقوى الملامح في ذهن الله هناك في الأزلية عما سيكونه البشر حينما تكمُل خلقتهم أنهم سيكونون قديسين وبلا لوم في المحبة قدام الله، يسبِّحونه لمدح مجد نعمته التي أنعم بها عليهم في المسيح يسوع، وهم في خورس سماوي كأولاد الله واقفين أمامه في حالة قداسة وبر، هذا حسب مسرَّة مشيئته التي قصدها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة القادمة ليجمع كل شيء في المسيح يسوع، ما في السموات وما على الأرض.

هذه الصورة الأزلية في ذهن الله يلزم أن يعرف القارئ أنها تسبق خلقة الإنسان من التراب وحال السقوط والطرد من جنة عدن حتى يكون على دراية بمستقبل الإنسان بعد الصورة المعتمة التي سيأخذها بعد السقوط والطرد من أمام الله، وحتى يتكوَّن في ذهن القارئ ما قصده الله من خلقة الإنسان، بل ومن خلقة العالم الذي وضعه فيه ليكمل زمان نضجه، لأن حلقات خلقة الإنسان ستنتهي بمركز مرموق في السماء كخليقة سماوية تشترك في خوارس التسبيح وإعطاء المجد لله.

وحينما يُعتق الإنسان من حالة الفساد الذي ألَّم به بسبب نقص مستواه الروحي، فستُعتق معه الخليقة - التي خُلقت له وبسببه - هي أيضاً من عبودية الفساد أي اللعنة التي أصابت الأرض كلها لمَّا سقط الإنسان من مستواه. فلأن الله قد سبق وبارك الإنسان هناك في الأزلية قبل خلقة العالم لم يلحق الإنسان لعنة بسبب سقوطه، إنما لُعنت الأرض بسببه فأذاقته الهوان والعذاب بعد أن كان

سيداً عليها. هذه كلها سوف تأخذ تجديد خلقتها مع السماء والأرض إذ ستُخلق سماءً جديدة وأرضاً جديدة لا يكون فيها خطية أو شقاء بعد، بل سيسكن فيها البر.

أمَّا خلق العالم والإنسان ففي جملته هو خروج الله من صمته الأبدي واستعلان ذاته بفعل كلمته في خليقة تعلن وجوده وتعمل لتمجيده.

(أ) خلقة آدم وحواء: (٢: ٧ – ٢٥):

سفر التكوين عموماً يعبِّر عن بدء وجود الإنسان واستعلان الله والعلاقة التي قامت بين الإنسان والله في مراحلها. وقد وصف خلقة الإنسان في موضعين: الأول في الأصحاح الأول وهو وصف مجمل، ثم أعاد الوصف في الأصحاح الثاني بشيء من التفصيل وذلك بعد أن خلق للإنسان كل الطاقات اللازمة لحياته في السماء وعلى الأرض(٤).

الوصف الأول (١: ٢٦ – ٢٩):

وذلك في اليوم السادس كآخر المخلوقات جميعاً مما يدل على أنها قد خُلقت من أجله ولتكون تابعة له، وفعلاً صار الإنسان مركز الخليقة والكون ورأساً لها.

+ «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلَّطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأُنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأُوا الأرض وأخضعوها وتسلَّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض – وقال الله إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزراً على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزراً ليكون لكم طعاماً ... وكان مساء وكان صباحٌ يوماً سادساً».

الوصف الثاني (٢: ٧ – ٢٥):

+ «وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حيَّة

(٤) لقد أمدَّ الله الإنسان بكل طاقات الحياة وكل المواهب وكل الإمكانيات التي يستطيع أن يتعامل بها الإنسان في حياته مع كل الخليقة، وذلك بعد أن أمدَّ الخليقة بكل القوى والطاقات الميكانيكية والحيَّة لقيام الوجود الحي الفعَّال لحفظ حياة الإنسان ولقيام وبقاء العالم.

(متصلاً بالله ومتكلِّماً معه)، وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً (وكلمة عدن في أصلها العبري تعني مسرَّة كاملة) ووضع هناك آدم الذي جبله. وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيِّدة للأكل. وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر، وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيد. هناك المقل وحجر الجزع. واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش. واسم النهر الثالث حداقل وهو الجاري شرقي أشور والنهر الرابع الفرات. وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها. وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأمَّا شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت».

وأمر الله الإنسان في جنة عدن (المسرات) بأول مبدأ إقامة علاقة الإنسان مع الله (ومع زوجته التي تمثِّل معه المسيح والكنيسة) ومع الخليقة. وكان المبدآن الأساسيان اللذان منهما يخرج ويمتد كل شيء بالنسبة للإنسان، هما مسئوليته عن "الطاعة" و"مصدر حياته" = شجرة معرفة الخير والشر، وشجرة الحياة. وبمصالحة نفسه بهذين المبدأين يكون نصيبه ونصيب كل إنسان، أي "الطاعة" و"الحياة". فلمَّا سقط آدم عن الطاعة عوقب بالموت الجسدي وطُرد من جنة عدن التي فيها شجرة الحياة (الأبدية)، ولكن قانون الله والحياة الأبدية لم يعامل الإنسان كمفقود نهائياً، ولكن الذي فقده هو الطاعة فعاد الله وهيَّأ له مَنْ يُعيد له إمكانية الحياة الأبدية على أساس الطاعة، فجاء المسيح وحمل لواء الطاعة حتى الموت فكسب قضية الإنسان وأعاده للحياة الأبدية.

والمُلاحَظ في خلقة العالم وآدم أن الله لم ينفخ نفخة منه في أي حيٍّ إلاَّ في آدم، فصار آدم ممثِّلاً لله وكصورة منه سيداً على الخليقة والمتكلم عنها:

+ «وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده فأصنع له معيناً نظيره. وجبَل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكل ما دعا به آدم ذات نفس حيَّة فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية. وأمَّا لنفسه فلم يجد معيناً نظيره. فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تُدعى امرأة لأنها من امرءٍ أُخذت. لذلك يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً.

وكان كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان».

(ب) التجربة والسقوط (٣: ١-٢٤):

+ «وكانت الحيَّة أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة: أحقًّا قال الله لا تأكلان من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأمَّا ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسَّاه لئلاَّ تموتا. فقالت الحيَّة للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَيْن الخير والشر».

لقد فكَّر آدم أن يختلس الألوهة من الله فعصى أمر الله وأطاع الشيطان. كان هذا عكس ما فعله المسيح لكي يُنقذ الإنسان من ورطته:

+ «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحسِبْ خُلسَةً أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موتَ الصليب. لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كُل اسم.» (في ٢: ٥ - ٩)

+ «فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر».

المواجهة مع الله بعد السقوط:

+ «وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال سمعتُ صوتك في الجنة فخشيتُ **لأني عُريان فاختبأت**».

آدم وحواء عملا لأنفسهما مآزر من ورق التين ليغطيا عريهما ولكن الله صنع لهما أقمصة من جلد: «وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما» (٣: ٢١). واضح أن الجلد هنا هو تعبير عن الموت الذي عاناه الحيوان، لأنه لن يتغطَّى الإنسان من عُري خطيته إلاَّ بالموت الذي سيجوزه مع المسيح على الصليب.

+ «فقال مَنْ أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟ فقال

آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلتِ؟ فقالت المرأة: الحيَّة غرَّتني فأكلت. فقال الرب الإله للحيَّة: لأنك فعلت هذا ملعونة أنتِ من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وتُراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها. هو يسحق رأسكِ وأنتِ تسحقين عقبه. وقال للمرأة تكثيراً أكثِّر أتعاب حبلكِ، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلكِ يكون اشتياقكِ وهو يسود عليكِ. وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تُنبت لك وتأكل عُشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود».

طرد آدم، حراسة شجرة الحياة:

+ «وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أُخذ منها. فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلِّب لحراسة طريق شجرة الحياة»

والكروبيم ذو السيف الناري الملتهب للحراسة هو يمثِّل حكومة الله والعدل والنقمة.

تعليقات على خلقة آدم وسقوطه:

إن الإنسان ليذهل على هذه الدقة والرتابة والتفاصيل الدقيقة والأسئلة والأجوبة واللغة الحانية الأبوية التي يتكلَّم بها الله مع موسى، وقدرة موسى على الاستيعاب والكتابة بأمانة مطلقة كسجلات سمائية لم يؤتمن عليها ملاك ولا رؤساء ملائكة، ولكن ائتمن الله موسى ليشرح له أصل الإنسان وأصل الخطية لينقلها جنباً إلى جنب مع الناموس في كتاب التوراة.

وأول ما يشد انتباهنا أن قصة خلق آدم مطوَّلة جدًّا ولم تكن مثل باقي المخلوقات «ليكن فكان»، حتى المجرَّات العُظمى التي تملأ فلك السموات والشمس والقمر وغيرها. فالإنسان مخلوق ذو أهمية كبرى لدى الله وفي العالم. وقد رأينا في كلام بولس الرسول عن صورة الإنسان في ذهن الله في الأزلية وخطة خلقه ليكون بالنهاية خليقة سماوية تقف أمام الله لتسبِّحه في قداسة وبر وتمجِّد عمله الذي عمله في المسيح الابن المحبوب. هذه الخليقة ذات الجلال بالنسبة للإنسان نرى انعكاسها

واضحاً في بدء خلقته الأُولى، صحيح أنه خُلق من تراب الأرض كباقي المخلوقات، ولكن قد خصَّه الرب الإله بأن يكون على صورة الله كشبهه، هذا امتياز هائل يضعه في قمة خلق العالم، بل ويجعله صاحب السيادة على كل المخلوقات.

ويقول أوريجانوس إن آدم قبل السقوط كان هو الإنسان الجديد، ولكن هذا الكلام مردود عليه لأن الإنسان الجديد بحسب القديس يوحنا في رسالته الأُولى لا يُخطئ ولا يستطيع أن يُخطئ أيضاً. فهو أخذ الصورة والشبه ولكن آدم لم يأخذ الطبيعة الجديدة التي للإنسان الجديد. فهذه قد حُفظت لتكون عطية المسيح بالقيامة من الأموات.

وكون الله يخصَّه بجنة عدن، يغرسها لحسابه ليعيش بقرب الله، هذا امتياز فائق.

ولكن إذا جئنا لقصة السقوط، فصحيح أنها تُظهر العيوب التي ظهرت في خلقة آدم وحواء، ولكن ذلك السبب نقص الطبيعة وانحطاطها التي خُلقا منها وهي تراب الأرض. واضح أن هذه عملية تنقية وتصحيح لارتفاع آدم وحواء من درجة التراب إلى درجة أعلى قد سبق وأعطاهم الله عربونها بأن نفخ في أنف آدم نسمة حياة من فمه، وهذا كان بنوع ما اختصاص آدم بامتلاك شيء من طبيعة الله لأنه صار في الحال نفساً حيَّة، وليس كالحيوانات جسماً حيًّا.

فروح الإنسان هي نفسه، فأصبح الإنسان يستمد حياته من الله، وإن مات الجسد وصار إلى التراب الذي أُخذ منه فالنفس لأنها من الله فهي لا تموت. لذلك بعد موت الإنسان تبقى نفسه محفوظة عند الله، أي تظل ذكراه واسمه قائمين دائماً أمام الله، خاصة إذا كانت نفوساً كريمة وعظيمة مثل إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وداود وألوف من رجال وسيدات تقيَّات، قديسين وقديسات «ليس هو إله أموات بل إله أحياء» (مر ١٢: ٢٧). لذلك فهذه النفوس ظلَّت تعيش أمام الله برجاء الخلاص من عار آدم ومجيء مَنْ يرفع عنها ثقل الخطية ورعبة عقوبة الموت.

فالبشرية ظلَّت تحيا بإحساس مَنْ يحمل صورة الله ويحوز على قُربى منه ودلال التبني. هذا جعل ق. لوقا عندما كتب سلسلة أنسال المسيح جاء في آخر الأنساب فكتب الله كأب حقيقي للبشرية:

+ «بن سام بن نوح بن لامك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيت **بن آدم ابن الله**.» (لو ٣: ٣٦ - ٣٨)

فالبشرية التقيَّة ظلَّت تترجَّى العودة لا إلى جنة عدن بل إلى بيت الآب!

+ «فلستم إذاً بعد غرباء ونُزلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله.» (أف ٢: ١٩)

وصحَّ رجاء كل البشرية وأقطابها العظماء القديسين، فجاء الله متجسِّداً ونقلنا من الشمال إلى اليمين ومن ذلة الأرض بشوكها وحسكها إلى أمجاد الله في العُلا. وعاد الإنسان - بحسب رؤية الله الأزلية لنصيب الإنسان - عاد إلى بركة الله بكل بركات الروح في السموات في المسيح، وصرنا أبناءً وورثة مع المسيح في الآب، فتحوَّل حزن آدم وبنيه من ظلمة اليأس ومرارة الطرد من أمام وجه الله إلى فرح لا يُنطق به ومجيد.

فالإنسان خُلِقَ ليكون من سكان السماء وليتمتع بكل خصائص أولاد الله في شركة حياة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح تبقى وتدوم. وأصبح السقوط والطرد والأكل بعرق الجبين والشوك والحسك وإرهاب الوحوش، كلها أضغاث أحلام زالت وتزول.

وحتى الخليقة التي أُخضعت للباطل بسبب خطية آدم وعانت من عبودية الفساد والشقاء، تنتظر هي الأخرى يوم فداء أجسادنا لتنال العتق وتنتقل إلى حرية مجد أولاد الله هي الأخرى ليعيش الإنسان مع الحمل، والنمر مع الخروف، لا يسوءون ولا يُساء إليهم كخليقة حرَّة كما حرَّرها الله يوم خلقها.

فالله لا يظلم ما خلق ويوم الحرية آتٍ آتٍ!

(ج) ما ترتَّب على ذلك - نسل الخطية (٤: ١ - ٢٦):

الخطية لها ثلاثة عناصر: عنصران بدافع من العدو "العصيان" و"العنف"، وعنصر يُسأل عنه الإنسان "الإفساد".

لقد حمل أول نسل لآدم وحواء لواء الخطية ومفعولها، وحمل لواء النعمة وقوتها في هابيل وذبيحته (٤: ١ - ٢٦)، فكان ميلاد قايين وهابيل أول تذكار لحكم الله «تكثيراً أكثِّر أتعاب حبلك. وبالوجع تلدين أولاداً» (٣: ١٦). وحمل الابن الأكبر خطية أبيه بالميراث، وقد ظهرت لمَّا قُبلت ذبيحة أخيه هابيل الذي كان راعياً للأغنام، وأمَّا قايين فكان عاملاً في الأرض فقدَّم من ثمار الأرض، «فنظر الرب إلى هابيل وقربانه» (٤: ٤) هنا إعلاء قرن النعمة فوق الخطية والإثم، «ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر.» (٤: ٤).

+ «فاغتاظ قايين جدًّا وسقط وجهه. فقال الرب لقايين: لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك. إن

أحسنتَ أفلا رفع. وإن لم تُحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها.» (٤: ٥ - ٧)

الرب هنا يصوِّر أول صورة للخطية حينما تربض في القلب «إليك اشتياقها» أول حركة نحو الشر. فكَّر قايين في قتل أخيه ولكن الشيطان جاء وحسَّن له الفكرة وجعلها بهجة للعقل كما جعل ثمرة العصيان في عين وفكر حواء أمه، فاستحسنها ولم يدرِ أنها غريبة عنه «أنت تسود عليها» - (قوة عمل النعمة) - وأنها مدسوسة عليه. ولكن إذا وَجَدَ الشيطان له مكاناً في القلب أعمى عيني من اشتهى الخطية، فلا يرى السواد الذي يحيطها ولا الهوة التي سيسقط فيها ولا المستقبل الذي سيحمل له صورة الخطية كذلّة وإذلال فلا يستطيع أن يرفع وجهه أمام الله، تطارده الخطية أينما ذهب وكلما نام وكلما استيقظ وتصبح الخطية حياته. يدفعه الشيطان للمزيد ولا يقوى على الرجوع لأن الخطية تلد خطية ولا تقف أبداً دون فعل لأنها قوة سالبة تدفع بصاحبها في طريق الموت، لم يستطع إنسان في الوجود أن يقف أمامها ويصدّها ويحتويها ويقتلها كما يقتل الإنسان حيَّة إلاّ المسيح! وكل مَنْ وُلِدَ من المسيح لله.

+ «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً مَنْ يبتلعه هو، فقاوموه راسخين في الإيمان عالمين أن نفس هذه الآلام تُجرى على إخوتكم الذين في العالم.» (١بط ٥: ٨و٩)

+ «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تُفسَد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢كو ١١: ٣)

ولكن الشيء الوحيد الذي يُسعد الإنسان ويطمئنه، أن الله واقف بالمرصاد للخطية، ينبِّه القلب والذهن قبل أن يندفع الإنسان في تيارها المميت، ولكن اشتياق الجاهل للخطية قادر أن يلغي عنده تحذير الله.

٢ - مواليد آدم حتى الطوفان (٥: ١ - ٦: ٨):

على رأس هذا المسلسل يلزم أن نتذكر أن آدم وحواء قد خُلقا ليكون لهما نسل: «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض.» (١: ٢٧و٢٨)

هذا كتاب مواليد آدم:

+ «هذا كتاب **مواليد** آدم. يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله. ذكراً وأنثى خلقه وباركه

ودعا اسمه آدم يوم خُلق. وعاش آدم مئة وثلاثين سنة وولد ولداً على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثاً. وكانت أيام آدم بعدما ولد شيثاً ثماني مئة سنة وولد بنين وبنات. فكانت كل أيام آدم التي عاشها تسع مائة وثلاثين سنة ومات.» (تك ٥: ١ - ٥)

وعلى هذا القياس في التدوين تماماً، قيل عن أنوش ثم قينان ومهللئيل ويارد وأخنوخ، ولكننا نتوقف هنا عند **أخنوخ**:

+ «وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالح. وسار أخنوخ مع الله بعدما ولد متوشالح ثلاث مئة سنة وولد بنين وبنات. فكانت كل أيام أخنوخ ثلاث مئة وخمساً وستين سنة. وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه.» (تك ٥: ٢١ - ٢٤)

فكان أخنوخ هو الاستثناء الوحيد من أولاد آدم الذي لم يَرَ الموت وسار سيرة مقدَّسة مع الله، والله رفعه.

ومتوشالح ولامك **ونوح**: وهنا نتوقَّف لمجيء الطوفان وهلاك كل هذا السلسال. والملاحظ أن كل نسل آدم حتى الطوفان قد تميَّز بطول العمر جدًّا ولكن لم يتميَّز بأعمال إلاّ أخنوخ.

وقفة قصيرة:

والآن ونحن بصدد سفر التكوين الذي كتبه موسى بشيء عظيم من الإلهام سوف يتضح للقارئ هذا الإلهام حينما يبدأ موسى يقصّ علينا قصة إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف. على أنه لا يجب أن ننسى أن شعب إسرائيل في مصر كان في عُهدة يوسف التي استلمها موسى. فأن يشتغل موسى بتاريخ الإنسان حتى يوسف كان أمراً حتَّمه الواقع. مع أن مدة الزمن التي بين موسى وبين يعقوب أربعمائة سنة، فما بالك ما بين موسى وإبراهيم حتى يذكر موسى هذه المواليد وقصص الحياة أي قصة حياة إبراهيم بالحرف الواحد. ثم ما بالك ما بين موسى وأبناء آدم في السابق، وأبناء آدم حتى الطوفان ونوح حيث يستلم نوح بصفته نبيًّا ويُسجِّل لنا مواليده وأنساله وجميع البلاد التي استوطنوها. والآن إلى موسى وسفر التكوين.

وسفر التكوين كما قسَّمه موسى قسَّمه ليس هو كما بوضعه الحالي، فأرجو القارئ أن يفتح سفر التكوين ليقرأ أن موسى قسَّم سفر التكوين إلى أقسام كل قسم يحكمه التاريخ الأسري، فمثلاً:

الأصحاح الثاني:

نجد أن بدايته كانت تبدأ من الآية (٧): «**وجبل** الرب الإله آدم ...».

الأصحاح الخامس:

يبدأ من الآية (١): «هذا كتاب **مواليد** آدم ...».

الأصحاح السادس:

يبدأ من الآية (٩): «هذه **مواليد** نوح ...».

الأصحاح الحادي عشر:

يبدأ من الآية (١٠): «هذه **مواليد** سام ...». ثم الآية (٢٧) منه: «وهذه **مواليد** تارح ...».

الأصحاح الخامس والعشرون:

يبدأ من الآية (١٢): «وهذه **مواليد** إسماعيل بن إبراهيم الذي ولدته هاجر المصرية». والآية (١٩) منه: «وهذه **مواليد** إسحق بن إبراهيم».

الأصحاح السادس والثلاثون:

من الأول: «وهذه **مواليد** عيسو الذي هو أدوم».

الأصحاح السابع والثلاثون:

يبدأ من الآية الثانية: «هذه **مواليد** يعقوب». ومنه يوسف الذي تغرَّب في مصر ونزل إليه بنو إسرائيل.

نفهم من هذا أن تقسيم موسى الأصلي لسفر التكوين كان يقوم على **مواليد الأُسر** معتمداً على تاريخ تسلسل الأسرة، والسبب في هذا أن تحتفظ كل أسرة فيما بعد بأصلها، الأمر الذي تمسَّكت به جدًّا الأُسر التي خرجت من يعقوب أي الأسباط الاثنا عشر.

هنا يلزم أن ننبِّه ذهن القارئ أن سفر التكوين هو سفر تاريخ الأُسر. ورأس كل أسرة يشرح موسى كل ظروف حياته بمنتهى الدقة على الأيام والشهور والسنين وتحركاته وأعماله وأقواله، مثلما صنع في حياة إبراهيم أبي الآباء الذي أتحفنا بتاريخ حياته بصورة نبوية وكأنه عنده تسجيل على اليوم والساعة.

ونحن نعقِّب على قدرة وموهبة هذا النبي موسى فلولاه لاندثرت تواريخ وحياة الآباء الأُول من آدم، فهو لم يعطنا تاريخ خلقة العالم فقط بل وتاريخ تسلسل الإنسان من آدم حتى نوح، لأن الخليقة واجهت فناءً كاملاً ما عدا ثمانية أنفس خلصوا بفلك نوح. أمَّا نوح فقام بوظيفة رئيس الجنس تماماً إذ أعطانا موسى تاريخ نسله وأماكن تشتتهم في العالم القديم بكل دقة وإلهام فائق.

٣ - مواليد نوح (تك ٦: ٩):

موسى يكتب عن نوح، ونبوَّة نوح تخص سكان العالم أجمع:

+ «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن كل تصوُّر أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسَّف في قلبه، فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء. لأني حزنت أني عملتهم، وأمَّا نوح فوجد نعمة في عيني الرب. هذه مواليد نوح ... وولد نوح ثلاثة بنين ساماً وحاماً ويافث. وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلماً، ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض.» (تك ٦: ٥ - ١٢)

نكتفي بهذه المقدِّمة، أمَّا باقي قصة الطوفان من بناء الفلك وفيضان الماء من الأرض والسماء، وفناء كل حي من إنسان وحيوان وطيور السماء، ثم رسو الفُلك بعد توقُّف الطوفان وخروج نوح ومعه عائلته وكل أنواع الحيوانات والطيور التي نجَّاها، فنقرأها كما في الكتاب.

والذي يهمنا هنا في موضوع النبوَّة والأنبياء، هو نوح المدعو في الكنيسة بالبار، فالله كما يقول الكتاب: «بارك الله نوحاً وبنيه» (تك ٩: ١) وصنع الله **ميثاقاً مع نوح** والإنسان علامته تكون قوساً مضيئاً في السماء بعد كل مطر شديد كعلامة سلام أنه لن يكون طوفان فيما بعد.

ومعروف قصة نوح مع بنيه التي جعلته يبارك كلاً من أولاد سام ويافث، أما حام وهو أبو كنعان فلعن ابنه كنعان عوضاً عنه لأنه كان مباركاً من فم الله: «وقال مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبداً لهم. ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام. وليكن كنعان عبداً لهم.» (تك ٩: ٢٦ و٢٧)

وكانت بركة نوح لأولاده بمثابة بدء زمن جديد لأرض جديدة يسكنها أولاد نوح حيث المبارك منهم صار مباركاً حقًّا، والذي لُعن تقبَّل اللعنة في نسله حقًّا، وتقسَّمت بلاد العالم لأولاد نوح كما حوت نبوَّة نوح.

والذي درس التاريخ يعرف كيف أن الممالك التي عمَّرها بنو كنعان غزاها بالفعل الأسيويون والفُرس وإسرائيل والعرب والأتراك، ثم غزاها الأوربيون: رومان ويونان وفرنسيون وإنجليز إلى أن خلت بلاد كنعان من الكنعانيين «لا يكون بعد كنعاني في بيت رب الجنود.» (زك ١٤: ٢١)

وهنا نحن في صُلب سفر التكوين، فنحن لازلنا تحت قوة تدبير وإدراك المستقبل لنبوَّة موسى.

فهنا فعل نبوي فائق التصوُّر لأنه تقسيم لأبناء ونسل أبناء نوح على كافة أنحاء العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً. ولكن كانت عين الله مسلَّطة على سام الذي سيأتي منه النسل. «وقال مبارك الرب إله سام» (تك ٩: ٢٦). وهنا يعلن الله بالنبوَّة أنه إله سام وضمناً أن نسل سام سيكون شعباً له، شعباً مختاراً من بين الشعوب.

النبوَّة الأُولى لنوح وتخص حام:

وهو الذي كدَّر أباه، ولكن لأنه أصلاً مبارك مع إخوته من فم الله فلم يستطع نوح أن يلعنه، فلعن ابنه كنعان. ورأينا مثلاً لذلك في آدم نفسه لأنه لما خلقه الله باركه، فلمَّا سقط لم يلعنه ولكن لعن الأرض وما عليها بسببه وهي لا تزال تئن بكل مخلوقاتها إلى اليوم. فقال نوح بالروح، وهكذا نُفِّذ الكلام بالحرف: «ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته» (تك ٩: ٢٥) فلصقت فيه اللعنة هو ونسله من بعده، لأن نسل كنعان قد بنى مدناً وممالك ولكن عاشوا حياتهم تحت الغزو المستمر، فاستعبد واستعمر بلادهم الغرباء. والذي درس تاريخ كنعان يعلم أن الأسيويين غزوا بلاده والفرس أيضاً وإسرائيل أكثر الأُمم إبادة لنسل الكنعانيين، والعرب والأتراك، ثم الأوربيون يونان ورومان وفرنسيون وإنجليز إلى أن خلت البلاد من الكنعانيين. أين هم اليوم؟

النبوَّة الثانية لنوح وتخص سام:

+ «وقال مبارك الرب إله سام ... ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم.» (تك ٩: ٢٦ و٢٧)

وهنا إعلان روحي نبوي أن الله سيكون إله سام وضمناً سيكون نسل سام شعباً لله.

وهذا ما تم، فمن نسل سام خرج إبراهيم ونسله الذين اختيروا ليكونوا شعباً مميَّزاً في وسط الشعوب، ومنهم خرج جميع الأنبياء، وكانوا شعب الله، ومن نسل إبراهيم جاء المسيَّا وتلاميذه الذين أكملوا التوراة، فصارت التوراة مع الإنجيل تُدعى الكتاب المقدَّس، وكل مَنْ كتب في الكتاب المقدَّس من العهد القديم والجديد قال عنهم القديس بطرس إنهم كتبوا «مسوقين من الروح القدس».

ومعروف أن نسل سام سكن آسيا، وكنعان بن حام سكن جزر اليونان المتاخمة لشاطئ فلسطين وبعدها شواطئ فلسطين الشمالية، وباقي نسل حام سكن أفريقيا. ويافث سكن أوروبا وانطلق نسله إلى أمريكا. ويقضي الله أن يافث ونسله على مدى التاريخ سيحتل البلاد الأسيوية كاحتلال اليونان والرومان لبلاد فارس والكلدان والأشوريين، وكان أول مَنْ استُعبدهم الكنعانيين، وكاحتلال

الإنجليز للهند واستراليا، وكاحتلال الأمريكان لليابان بعد الحرب العالمية الثانية واشتداد يدهم مع إسرائيل في كنعان، أي تمَّت نبوَّة نوح فسكن يافث في مساكن سام (تك ٩: ٢٧).

وكون يافث أي نسله يسكن في مساكن سام فهذا معناه انتشار رؤوس قبائله في أقطار كثيرة جداً. وإليك مختصر انتشار أبناء يافث الذين يُحسبون الآن سكان أوروبا وأمريكا الأكثر ثقافة:

٤ - مواليد أبناء نوح: سام وحام ويافث:

(أ) نسل يافث كما جاء في سفر التكوين بيد موسى (تك ١٠: ١ - ٥):

الأول: جومر: الجد الذي تسلسلت منه فروع سكان أوروبا الأوَّلين في بولندا وألمانيا وفرنسا وإسبانيا وبريطانيا وأيرلندة. ومن إسبانيا أبحر المستعمرون الأوروبيون إلى أمريكا. ومن جومر تفرَّع:

١ - أشكناز: استعمر الأناضول ويُقال ألمانيا أيضاً.

٢ - ريفات: استعمر بولندا.

٣ - توجرمة: استعمر أرمينيا.

الثاني: ماجوج: الجد الذي تسلسل منه معظم شعب روسيا وبولندا وبلاد منغوليا والإسكندينافيون.

الثالث: ماداي: الجد الذي استعمر بلاد مادي وفارس وأفغانستان وتركستان والتبت.

الرابع: ياوان: الجد الذي استعمر بلاد اليونان ومقدونية والجزائر المحيطة بها. وبنو ياوان استوطنوا الجهات الآتية:

١ - أليشة: استعمر جهات بلغاريا.

٢ - ترشيش: استعمر منطقة إسبانيا وما حولها.

٣ - كتيم: استعمر جزيرة قبرص وإيطاليا.

٤ - دودانيم: استعمر منطقة الدردنيل وتركيا وأوروبا.

الخامس: توبال: الجد الذي استعمر ما حول البحر الأسود.

السادس: ماشك: الجد الذي استعمر القوقاز وروسيا الجنوبية (موسكو) ثم امتد إلى بروسيا وهنجاريا والنمسا وسويسرا وإسبانيا والبرتغال وإنجلترا وأيرلندة.

السابع: تيراس: الجد الذي استعمر تراقية ورومانيا ويوغوسلافيا وما حولها.

ويقول الكتاب: «ومن هؤلاء تفرَّقت جزائر الأُمم بأراضيهم كل إنسان كلسانه حسب قبائلهم بأممهم.» (تك ١٠: ٥)

(ب) نسل حام الابن الثاني لنوح (تك ١٠: ٦ – ٢٠):

كانت المدنية التي وُجدت بعد الطوفان من عبقرية حام ونسله الابن الثاني لنوح، وقد ازدهرت في وادي الفرات بفعل نمرود وفي وادي النيل بفعل مصرايم ولكنها لم تنبغ إلاّ في تشييد العمائر الشامخة التي غالبت الدهر، وكانت قائمة على السخرة والعبودية لأجل المباهاة بالعظمة وتأييد سلطان الحكم.

ورؤوس بني حام هم:

١ – كوش: صار فريقين أحدهما استعمر المنطقة التي حول الخليج المعروف بخليج العجم وبحر قزوين، والفريق الآخر استعمر منابع النيل الشرقية حيث بلاد الحبشة وأريتريا. وتفصيل سلطاتهم كالآتي:

١. **سَبَا:** استوطن بلاد الحبشة.
٢. **حَوِيلَة:** استوطن بلاد اليمن.
٣. **سَبْتَة:** استوطن بلاد العرب.
٤. **رَعْمَة:** استوطن بلاد عمان.
٥. **شَبَا:** استوطن بلاد البحرين غرب بحر العجم.
٦. **دَدَان:** استوطن جنوبي شبا غرب بحر العجم أيضاً.
٧. **سَبْتَكَا:** استوطن بلاد حضرموت.
٨. **نمْرُود:** ابتدأ مملكة بابل وأرك وأكد وكلنة في أرض شنعار (١٠:١٠).
٩. **أَشُور:** بني نينوى ورحوبوت عير وكالح ورَسَن (١٠: ١١ و١٢).

٢ – مِصْرَايم: استعمر شمال أفريقيا وكل وادي النيل وعلى اسمه دُعيت مصر. واستوطن نسله المناطق الآتية:

١. **لُودِيم:** استوطن بلاد طرابلس الغرب.
٢. **عَنَامِيم:** استوطن الواحات بين سيوة والجنوب.
٣. **لَهَابِيم:** استوطن بلاد برقة.

٤. **نَفْتُوحِيم:** استوطن جهات الفيوم والواحات المحيطة.
٥. **فَتْرُوسِيم:** استوطن بلاد النوبة، وهي ما بعد أسوان إلى حلفا.
٦. **كَسْلُوحِيم:** استوطن بلاد الوجه القبلي.
٧. **فلشْتيم:** استوطن شبه جزيرة سيناء.
٨. **كَفْتُورِيم:** استوطن الوجه البحري والدلتا من مصر.

٣ – فُوط: الجد الذي استعمر شمال أفريقيا أيضاً، طرابلس وتونس والجزائر ومراكش.

٤ – كَنْعَان: الجد الذي استعمر جميع الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط من جهة فلسطين، ومنه خرج صيدون وعلى اسمه صيدون المدينة الساحلية. ومن نسل كنعان أيضاً:

١. حثّا ٢. اليبوسي ٣. الأموري ٤. الجرجاشي ٥. الحوي ٦. العرقي ٧. السيني ٨. الأروادي ٩. الصماري ١٠. الحماتي (١٠: ١٥ – ١٨).

وبعد ذلك تفرَّقت قبائل الكنعاني: «وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم إلى لاشع.» (تك ١٠: ١٩)

(ج) نسل سَام ابن نُوح الأكبر (تك ١٠: ٢١ – ٣١):

وسام أبو كل بني عابر، وهو أخو يافث الكبير. ووُلد له أيضاً بنون كالآتي:

١. **عيلاَم:** استوطن جنوب بلاد العجم.
٢. **أَشُّور:** ومنه الأشوريون وكانوا مستعبدين لنمرود وكوش وموطنهم في أعالي النهرين.
٣. **أرْفَكْشَاد:** استوطن ما بين النهرين وجزيرة العرب على ساحل البحر الأحمر.
٤. **لُود:** استعمر آسيا الصغرى حيث تركيا الآن.
٥. **أرَام:** سكن بين النهرين لذلك يُسمَّى هذا المكان سهل أرام وبنوه هم:

(أ) **عُوص:** استوطن عند خليج العجم.
(ب) **حُول:** استوطن عند منبع نهر الأردن حيث يُدعى باسمه ومنه سوريا الآن.
(ج) **جَاثَر:** استوطن آسيا الصغرى.
(د) **مَاش:** استوطن آسيا الصغرى.

وأرفكشاد ولد شالح وشالح ولد عابر الذي خرج منه إبراهيم **العبراني** (تك ١٠: ٢٤)، ومن إبراهيم خرج العبرانيون وهم بنو إسرائيل. وبسبب ذلك يُسمَّى سام بن نوح أبو كل بني عابر (تك

١٠: ٢١) أي جد العبرانيين. وبنو عابر اثنان:

١. **فَالَج**: «لأن في أيامه قُسّمت الأرض.» (تك ١٠: ٢٥)

٢. **يَقْطَان**: وبنوه ألموداد وشالف وحضرموت ويارح وهدورام وأوزال ودقلة وعوبال وأبيمايل وشبا وأوفير وحويلة ويوباب (١٠: ٢٦ – ٢٩). وقد سكنوا جنوب شبه جزيرة العرب حيث عدن واليمن الآن.

+ «هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم كألسنتهم بأراضيهم حسب أممهم.» (تك ١٠: ٣١)
+ «هؤلاء قبائل بنو نوح حسب مواليدهم بأممهم. ومن هؤلاء تفرّقت الأُمم في الأرض بعد الطوفان.» (تك ١٠: ٣٢)

٥ – مواليد سام: «هذه مواليد سام» (تك ١١: ١٠):

والقارئ اللبيب يُدرك أن القصد الأساسي لموسى الذي من أجله قد صار نبيًّا على إسرائيل أن يضع إصبع النبوّة المتفتحة على مبادئ هذا النسل الذي اختاره الله، وهذا التوزيع البشري كله ليضع عينه على إبراهيم ومنه إسحق ويعقوب ويوسف الذي سلّمه مصر لكي يعتق شعب إسرائيل الذي أنزله يوسف بإرادته ليتغرّب في أرض مصر.

وهذا واضح جدًّا لأن سفر التكوين، الذي هو من تدوين موسى بالإلهام الفائق، اقترب من بلوغ اسم إبراهيم توقف عن وصف حركة الإنسان كما اهتم بها موسى، ركّز اهتمامه في أجداد إبراهيم، كما هو ظاهر هنا في الأصحاح الحادي عشر فقد بدأ من جديد وسلّط الضوء على مواليد سام: «**وهذه مواليد سام**. لمّا كان ابن مئة سنة ولد أرفكشاد بعد الطوفان بسنتين ...» (تك ١١: ١٠). وعاش أرفكشاد خمساً وثلاثين سنة وولد شالح (تك ١١: ١٢) ... وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام وناحور وهاران (تك ١١: ٢٦). ثم عاد وركّز الضوء على مواليد تارح أبي إبراهيم:

٦ – مواليد تارح: «وهذه **مواليد** تارح. ولد تارح أبرام وناحور وهاران.» (تك ١١: ٢٧)

ويبتدئ الأصحاح الثاني عشر من سفر التكوين بقصة إبراهيم: «وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك.» (تك ١٢: ١).

دعوة إبراهيم:

وحياة إبراهيم قصة متكاملة شديدة الحبك والتدقيق، مذهلة في عمقها وجمالها وتُظهر إبراهيم كأحد عمالقة رجال الأجيال الأُولى، وتغطي حوالي مائة سنة (تك ١٢: ٤ – ٢٥: ٨) والأزمنة

متتابعة فيها بدقة ونسق بديع.

وكان إبراهيم ابن خمس وسبعين سنة حينما دخل كنعان (تك ١٢: ٤)، وكان عمره ستاً وثمانين سنة عندما وُلد له إسماعيل (تك ١٦: ١٥) وكان عمره تسعاً وتسعين سنة لمّا أخذ العهد (تك ١٧: ١ و٢٤)، ومائة سنة عندما وُلد له إسحق (تك ٢١: ٥).

ويقول المؤرِّخ اليهودي يوسيفوس إن عمره كان مائة وخمساً وعشرين سنة عندما أمره الله أن يقدِّم ابنه إسحق ذبيحة، وكان عمره مائة وسبعاً وثلاثين سنة لمّا ماتت سارة امرأته (تك ٢٣: ١). وكان عمره مائة وأربعين سنة لمّا تزوج إسحق (تك ٢٤: ١و٢)، مائة وخمساً وسبعين سنة لمّا مات (تك ٢٥: ٧).

دُعِيَ إبراهيم أن يترك أهله وعشيرته وبيت أبيه، وذهب إبراهيم حسب دعوة الله وهو لا يعلم إلى أين يذهب، وحسب قوله مرّة: «وحدث لمّا أتاهني الله من بيت أبي» (تك ٢٠: ١٣) وكان تارح (والد إبراهيم) قد رحل إلى مدينة حاران قبل ذلك:

+ «وأخذ تارح أبرام ابنه ولوطاً ابن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة أبرام ابنه. فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك. وكانت أيام تارح (والد إبراهيم) مئتين وخمسَ سنين. ومات تارح في حارن.» (تك ١١: ٣١ و٣٢)

انظر (يش ٢٤: ٢و٣)، (نح ٩: ٧):

+ «وقال يشوع لجميع الشعب. هكذا قال الرب إله إسرائيل. آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى. فأخذتُ إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرتُ به في كل أرض كنعان وأكثرت نسله وأعطيته إسحق.» (يش ٢٤: ٢ و٣)

ملاحظة هامة: هنا يتذكر يشوع الكلام الذي كتبه معلّمه موسى في سفر التكوين.

+ «أنت هو الرب الإله الذي اخترت أبرام وأخرجته من أور الكلدانيين وجعلت اسمه إبراهيم.» (نح ٩: ٧)
+ «وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أُريك.» (تك ١٢: ١)

ونرى ذلك في خطاب استفانوس الشهيد الأول:

+ «ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو في ما بين النهرين قبلما سكن في حاران. وقال له اخرج من أرضك ومن عشيرتك وهلمَّ إلى الأرض التي أُريك.» (أع ٧: ٢ و٣)

من هذا الكلام نفهم أن رحلة تارح من أور إلى حاران كانت بسبب دعوة إبراهيم، ولكن الله فصل بينهما بموت تارح. ولكي نفصل بين اسم المدينة حاران واسم أخي إبراهيم حاران نكتب اسم المدينة حاران Charran.

وكانت أور ومدينة حاران Charran مركزاً لعبادة الإله سين (إله القمر)، فالدعوة كانت لإبراهيم وليست لحاران أخيه. وطاعة إبراهيم لصوت الله تكرر ذكرها كقرار موسيقي في جميع الأسفار. وأعطى الله لإبراهيم عهداً بواسطة الختان (١٧: ١٠) وذبيحة (١٥: ٩) وكان العهد على ثلاثة محاور:

أولاً: النسل: (١٢: ٢)، (١٣: ١٦)، (١٥: ٥)، (١٦: ١٠)، (١٧: ٢ و٤ – ٦)، (١٨: ١٠)، (٢٢: ١٧)، (٢٦: ٤)، (٢٨: ٤ و١٤)، (٣٢: ١٢).

ثانيا: الأرض: (١٢: ٧)، (١٣: ١٥ و١٧)، (١٥: ٧ و١٨)، (١٧: ٨)، (٢٤: ٧)، (٢٨: ٤).

ثالثاً: الأُمم: (١٢: ٣)، (١٨: ١٨)، (٢٢: ١٨)، (٢٦: ٤)، (٢٨: ١٤).

وكانت حياة إبراهيم قصة استعراض إيمان رجل لم يقم مثله في أكثر العصور استعلاناً لله، ومعرفة إيمان تخزي جميع المؤمنين لأنها اعتمدت على مجرد نداء بالغربة أو حسب قوله بالتوهان من بيت أبيه، فلبَّى النداء وأطاع طاعة كاملة لا يشوبها شك حتى إلى دعوته لذبح ابنه وحيده الذي يحبه. لهذا **أخذ المواعيد الآتية:**

أولاً: نسل إبراهيم:

كانت ساراي عاقر وليس لها نسل (١١: ٣٠) وتكرَّر هذا التسجيل في (١٥: ٢ و٣)، (١٦: ١) وبسبب ذلك قامت محاولات بشرية لتلافي هذا العقم، عبارة عن حيل بشرية:

أولاً: أخذ إبراهيم لوطاً ابن أخيه معه ليكون وريثاً إذا استمرت ساراي في عقمها، ولكن إبراهيم أخيراً أحبَّ أن ينفصل عنه، وكان لوط غير مناسب لهذا الأمر فأظهر ضلاله وتسبَّب في تعب عمه وأحزانه (١٤: ١٢)، (١٨: ٢٣)، (١٩: ٢٨) وكانت نتيجة عشرته تعباً وضياع نعمة (١٩: ١ – ٣٨).

ثانياً: إبراهيم يتزوَّج عُرفيًّا هاجر المصرية كحيلة بشرية للإنجاب باقتراح من ساراي الحزينة، وكان هذا جائزاً حسب التقليد، ولكن لم يكن زواجاً رسمياً لإنجاب نسل رسمي (٢: ٢٣ و٢٤) أي لم تكن مشورة الله. وأنتجت هاجر نكداً لساراي وحزناً لإبراهيم، وأخيراً أُجبر إبراهيم للانفصال من نسلها إسماعيل.

ثالثاً: ظهر الحل الإلهي (١٧: ١٩): «سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق»، «لأنه بإسحق يُدعى لك نسلٌ» (٢١: ١٢). وقد اختُبر إبراهيم لتصديق هذا الوعد على الرغم من قلة احتمال تحقيقه بشريًّا:

١ – إذ تأخر الوعد حتى صار تحقيقه بحسب القدرة البشرية أمراً مستحيلاً لأن إبراهيم قد شاخ وسارة شاخت (١٨: ١٣)، (رو ٤: ١٩)، (عب ١١: ١١).

+ «فسقط إبراهيم على وجهه وضحك. وقال في قلبه هل يولد لابن مئة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة؟» (تك ١٧: ١٧)

+ «فقال الرب لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت.» (١٨: ١٣)

ولذلك كانت الفرحة والوليمة عظيمتان حينما وُلد إسحق (٢١: ٨).

٢ – جاء الأمر لإبراهيم أن يذبح ابنه وحيده على جبل المُريّا (٢٢: ٢) وكان أثقل اختبار جازه إنسان على الأرض. ولكن إبراهيم جازه بجدارة وقدَّم ابنه إسحق كذبيحة ورفع السكين لولا أن الله نفسه هو الذي رجع في كلامه. وكان أمر الرب لإبراهيم بذبح ابنه كأنه خنجر ذبحه هو:

+ «فقال له: يا إبراهيم. فقال: هأنذا. فقال: خُذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك. فبكَّر إبراهيم صباحاً وشدَّ على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحق ابنه وشقَّق حطباً لمحرقة وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله.» (تك ٢٢: ١ – ٣)

إنها روعة في الطاعة، وطاعة مذهلة لا يصدقها بشر. ولكن أليس بهذا المشهد عينه يكشف الله عمَّا فعل بابنه وحيده الذي يحبّه؟ إن قلب هذا من قلب ذاك، والعملان عمل واحد أب يذبح ابنه. هذا ليُختبَر إيمانه، وذاك ليخبر عن مدى حبه. فنجح الإيمان ونجح الحب نجاحاً أذهل الدنيا ورفع الإنسان ليتساوى في عمل الطاعة والمحبة مع الله!

ولم يكن في فم إبراهيم إلاَّ كلمة واحدة «هأنذا» (٢٢: ١)، «هأنذا يا ابني» (٢٢: ٧)،

«هأنذا» (٢٢: ١١) تعبيراً عن الطاعة والخضوع في لحمه ودمه. وكان هذا أضخم اختبار واجـه إبراهيم في حياته ولكنه قَبِله حبًّا في الله الذي أحبه وأطاعه حتى بذل ابنه للموت. لم يذرف دمعـة، ولا تأوّه كآب ولكن قال: هأنذا!

إبراهيم لم يعط سارة أي خبر بالموضوع ليحتمل هو وحده ثقله! لقد تحيَّر الآبـاء والقديسـون وكُتّاب الأسفار المقدّسة حتى قال سفر العبرانيين وهو يشرح معضلة قول إبراهيم لغلاميه إننا سنذهب نسجد في هذا الجبل ونعود إليكما بقوله: «إذ حسب أن الله قادرٌ على الإقامة من الأموات» (عب ١١: ١٩). تفسير إلهي منطبق على ما فعله الله مع ابنه. وهو اجتهاد موفّق.

لقد قدّم الله لنا إبراهيم مثلاً يشرح به النموذج الذي ينبغي أن يكون عليه إنسان الله. ومثلاً عن ماذا يستطيع أن يعمله الله لمن يطيعه طاعة إبراهيم في تقديم ابنه محرقة، بعد أن ننال عطيته بعد فروغ العمر!

معجزة إبراهيم أنه كشف لنا معجزة الله. وقوّة هذا الرجل استعلنت لنا قوة الله.

ولقد اختار لنا الله الإنسان الذي ينبغي أن يكون أباً للآباء جميعاً، ومن نسله سيأتي مَنْ تتبارك به كل الشعوب!

عن جدارة أظهر إبراهيم أن الله حقًّا وفعلاً ينبغي أن يُطاع، وأنه لا يوجد مستحيل عند الله.

اختيار زوجة لإسحق:

ومن أهم العوامل الكبرى لحفظ النسل الذي سيتبارك بإبراهيم، أن إبراهيم كان أميناً فيما لغيره ليكون أميناً لله أولاً وأخيراً، وقد حافظ على أمر الله الأول له بأن «اخرج من وسط عشيرتك». وهكذا اختار الزوجة التي تستطيع أن تجعل ابنه إسحق خاضعاً لأمر الله ولا يتعامل مع أهل الأرض. وكان أليعازر الدمشقي خادماً لسيده الكبير وسيده الصغير، مع أنه كان قد أخذ الوعد بأن يـرث بيت إبراهيم! فنزل إلى مستوى العبد راضياً فصار كسيِّده أميناً فيما لله.

ثانياً: الأرض: «لنسلك أُعطي هذه الأرض» (تك ١٢: ٧):

كان هذا اختباراً لقلب إبراهيم في مدى ثقته بوعد الله كل أيام حياته حتى الممات، بالرغم أنـه عاش فيها غريباً العمر كله.

(أ) فكان متغرِّباً فيها: (١٧: ٨، ٢٠: ١، ٢١: ٢٣، ٢٣: ٤، ٣٥: ٢٧). وقد وصفها سفر

العبرانيين جيداً: «بالإيمان تغرَّب في أرض الموعد كأنها غريبة ساكناً في خيام مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه.» (عب ١١: ٩)

(ب) وكانت الأرض مملوكة لآخرين، وهي كنعان (١١: ٣١). وكانت أرض كنعان بيد شعوب أخرى عددها عشرة، كانوا يمتلكونها (١٣: ٧، ١٥: ١٨ - ٢١).

(ج) وقد طُرد منها بالجوع مرَّتين (١٢: ١٠ - ٢٠، ٢٠: ١ - ١٨). وتعرض لأتعاب ومخاطر جعلته حاذقاً في أمور الغربة على أرض الغربة وهي ملك له (١٣:٢٠).

(د) وقد هُوجمت الأرض من الأعداء (١٤: ١ - ٢٤).

(هـ) اضطر إبراهيم أن يشتري أرضاً مقدار قبر ليَدفن فيه سارة امرأته (٢٣: ٨) وكان منظراً مؤثِّراً حزيناً وهو يشرح للحثيين أصحاب الأرض ضرورة أن يكون له موضع يدفن فيه امرأته. وكانت أكبر مأساة في حياة إبراهيم، خرج منها بمغارة المكفيلة التي دُفن فيها أحفاده.

ثالثاً: الأُمم: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك ١٢: ٣):

ولكن على الرغم من هذا الوعد دخل إبراهيم في عدة اختبارات:

(أ) تغرَّب في مصر (١٢) وفي جرار (٢٠) وتسبَّب في إضرار تلك الأُمم وفي الخطورة على حياته مع امرأته.

(ب) حارب أعداءً مهاجمين لنصرة لوط الذي أُسر (١٤).

(ج) شفاعته غير المستجابة في سدوم وعمورة (١٨، ١٩).

(د) جيرانه دخلوا عليه وأخذوا آباره (٢١: ٢٥)

وهكذا كمَّل إبراهيم انفصاله عن الجميع كل أيام حياته: ناحور - لـوط - إسماعيـل - أولاد قطورة. وبعد ذلك ففيه وفي نسله صارت تتبارك كل أُمم الأرض!

وهكذا وقف الواقع مضاداً للوعد كل يوم حتى آخر يوم.

٧ - مواليد إسماعيل ابن إبراهيم: (٢٥: ١٢ - ١٨)

عند موت إبراهيم العظيم اجتمع بالضرورة إسحق وإسماعيل (٢٥: ٩). واستمرا يجتمعان حـتى الجيل السابع. وفي الآية (٢٥: ١٦): «اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم»، يذكر الله كيف أنه أمين في تتميم مواعيده:

+ «وأمَّا إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أُباركه وأُثمره وأُكثره كثيراً جدًّا. اثنى عشر رئيسـاً

يلد وأجعله أُمة كبيرة، ولكن عهدي أُقيمه مع إسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية.» (تك ١٧: ٢٠ و٢١)

وبعد ذلك لم يعد سفر التكوين يذكر إسماعيل إلاَّ مصادفة (٢٨: ٩)، (٣٦: ٣)، (٣٧: ٢٥)، (٣٩: ١). وكان موته وهو في عمر مائةٍ وسبعٍ وثلاثين سنة (٢٥: ١٧).

٨ – مواليد إسحق ابن إبراهيم: (٢٥: ١٩ – ٣٥: ٢٩):

وهي ثامن قائمة ”للمواليد“ في سفر التكوين، وتبدأ هنا بإسحق وأيضاً أولاد إسحق: عيسو ويعقوب وهي في الحقيقة مواليد إبراهيم. وقصد البدء بإسحق لأنه الوصلة بين إبراهيم ويعقوب. لذلك هي تأتي حسب الإنسان تحت ”مواليد تارح“ التي تخص إبراهيم، ولكنه نقلها من نسل إبراهيم لنسل إسحق والنسل واحد، والسبب في ذلك أن إسحق بعد زواجه (أصحاح ٢٤) صار أباً لتوأم، فأيهما يرث البركة؟ هذه كانت المشكلة طول أيام إسحق.

وكانت هناك مسافة زمنية بين زواج إسحق وهو في سن الأربعين (٢٥: ٢٠) وبين ولادته لتوأم، بعد صلاة وهو في سن الستين (٢٥: ٢٦). وكان ذلك اختباراً لإيمان إسحق لأن ميلاد التوأمين كان استجابة لصلاة إسحق (٢٥: ٢١)، ولكن كان مع ذلك تجربة لرفقة جعلتها تسأل الله، هذا ربما يعني أنها قد ذهبت إلى مكان تقديم الذبائح حيث ظهر الله لإبراهيم وإسحق، وتكلَّم الله معها. ولكن ما قاله الله كان في صيغة شعرية. واللغة مبهمة نوعاً ما.

+ «فقال لها الرب في بطنك أُمَّتان. ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعب. وكبير يستعبد لصغير.» (تك ٢٥: ٢٣)

وفي الأعداد (٢٥: ٢٧ – ٣٤) تظهر الحياة المبكِّرة للوليد. والعقدة جاءت في العدد (٢٨) لأن إسحق أحبَّ عيسو ورفقة أحبَّت يعقوب. ذلك لأن إسحق كان يأكل من صيد عيسو، ولكن لا يوجد سبب لمحبة رفقة. وكانت المعركة غير منظورة: فالبكر معروف أنه كبير العائلة والقبيلة وله حق نصيبين في الميراث، وذلك مذكور في (تث ٢١: ١٧)، ولكن عيسو كان شاباً طائشاً امتهن الصيد والحرية، ويعقوب اشتهر بأنه أناني. وباع عيسو بكوريته ليعقوب مقابل أكلة عدس.

وقد كان إسحق كأبيه، حيث كان الله في حياته أولاً، وعلاقته بالله أهم من أي شيء آخر (٢٦)، كما هو أيضاً في الأصحاحات (١٤ و٢٠). واختُبر إيمان إسحق بمجاعة (٢٦: ١–٦) ولم يُسمح له

أن ينزل إلى مصر فذهب إلى جرار كما صنع أبوه، ولكنه اشتهر هناك بأخلاق ماكرة، وأُجبر بسبب ذلك أن يفصل نفسه عن الفلسطينيين إذ قال له أبيمالك: «اذهب من عندنا لأنك صرت أقوى منا جدًّا» (٢٦: ١٦) ربما لأن عدد الفلسطينيين في تلك الأيام كان قليلاً.

وهكذا فشل إسحق أن يكون كأبيه (إبراهيم) محباً للشعوب ومحبوباً كما قيل لهذا الأخير «أنت رئيس من الله بيننا ...» (٢٣: ٦). وكما كان سنه أربعين سنة لمَّا تزوَّج (٢٥: ٢٠) هكذا كان سن ابنه عيسو أربعين سنة لمَّا تزوَّج (٢٦: ٣٤)، وقد تزوَّج عيسو اثنتين من بني حث مرَّرتا عيشة أُمه، وكان هذا الزواج ممنوعاً (٢٤: ٣) ولكن عيسو كان يتحدَّى. وفعلاً صار أبوه وأمه في نكد وحزن.

أمَّا يعقوب فقد صار سنه حوالي ٨٠ سنة ولم يتزوَّج بعد، بينما أخوه كان قد كوَّن عائلة كبيرة إذ أولاده كانوا كثيرين جدًّا. وكان إسحق لا يزال يفكِّر أن عيسو هو البكر، وكان أبوه يحبه لأنه كان يصيد الغزلان، وكان إسحق يشتهي أن يأكل من صيد عيسو، لأنه قد أحسَّ بقرب موته حتى يباركه أبوه بعد الأكلة. وكانت رفقة تشعر بذلك وتخطط لإفساد توريث البركة لعيسو. فأعدَّت الحيلة بإلباس يعقوب جلد ماعز. وتمَّت الحيلة، وبارك إسحق ابنه يعقوب على أنه عيسو وأكَّد البركة كأنه البكر. ولكنه لمَّا عرف بحقيقة الأمر سلَّم الأمر لله وبارك يعقوب:

+ «فدعا إسحق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. قم اذهب إلى فدان أرام إلى بيت بتوئيل أبي أمك وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمك. والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ويكثِّرك فتكون جمهوراً من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك. لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم.» (تك ٢٨: ١ – ٤)

فودَّعت رفقة ابنها يعقوب على أنه عائد ولكنها لم تعد تراه لأنها ماتت، ويوم رأى أباه إسحق كان ذلك يوم مماته (٣٥: ٢٧ – ٢٩).

وتراءى الله ليعقوب على أبواب لوز في العراء (٢٨: ١٢ – ٢٢)، وقدَّس له المكان وحلم يعقوب ببركة الله لآبائه عليه كعهد، وأخبره الله عن رحلته العتيدة التي سافر فيها لأخذ زوجة. وقام وأخذ زيتاً وصبَّه على الصخرة وتعهَّد للرب إن رجع فسوف يبني في هذا المكان مذبحاً.

ومرَّة وهو على أهبة ترك مدينة حاران بعد أن اختار الزوجتين ليئة وراحيل ظهر له الرب وأمره أن يذهب إلى بيت إيل ويبني المذبح (٣٥: ١).

واغتاظ يعقوب من لابان لأنه قد مكر به وأعطاه ليئة عوض راحيل (بينما لم يغتظ عند غشه أبيه الأعمى وادعائه أنه عيسو). واحتال يعقوب لتكثير غنماته بوضع قشر بوص أبيض في الماء لتتوحَّم الغنمات وقت الحمل، وهكذا عزا تكثير غنماته لحكمته ولم يذكر بركة الله (٣٠: ٣٧ - ٤٢). ولكنه عاد واعترف ببركة الله الواضحة له (٣١: ٥ و٩). وابتدأ يعقوب رحلته بنسائه وأولاده وغنماته وبقره من مدينة حاران إلى جلعاد ٣٠٠ ميلاً، علماً بأن لابان والعائلة كلهم أراميون أي سوريون. وفي سفر التثنية تعلَّم بنو إسرائيل أن لا ينسوا أصلهم وذلك بأمر الرب: «ثم تُصرِّح وتقول أمام الرب إلهك: أرامياً تائهاً كان أبي فانحدر إلى مصر وتغرَّب هناك في نفر قليل فصار هناك أُمة كبيرة وعظيمة وكثيرة.» (تث ٢٦: ٥)

+ «ثم بكَّر لابان صباحاً وقبَّل بنيه وبناته وباركهم ومضى. ورجع لابان إلى مكانه. وأمَّا يعقوب فمضى في طريقه ولاقاه ملائكة الله. وقال يعقوب إذ رآهم (كمعسكر قدَّامه) هذا جيش الله. فدعا اسم ذلك المكان محنايم (وتعني معسكرين: معسكر يعقوب ومعسكر الملائكة).» (تك ٣١: ٥٥ - ٣٢: ٢)

مقابلة يعقوب وعيسو:

وأخيراً جاء يوم المواجهة. لم تقلِّل كل هذه السنين من خوف يعقوب من عيسو بعد أن سرق منه البكورية، وشعر يعقوب بحقارة نفسه وبالعملة الشنيعة التي عملها في أخيه، وبدا عليه الضعف والتذلُّل للدرجة التي خاطب فيها عيسو: "سيدي" My Lord، فاقداً الإحساس بالبركة ومعونة الله وروح الأخوَّة.

وإزاء ذلك قابله عيسو بمودَّة وترحاب واتساع قلب، ولكن كل ذلك لم يجعل يعقوب يسترد شجاعته، ولم يحدث طول أيام يعقوب أنه زار أخاه في جبل سعير أبداً.

تغيُّر اسم يعقوب إلى إسرائيل (٣٢: ٢٢ - ٣٢):

+ «ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر (بنيامين لم يكن قد وُلد بعد) وعبر مخاضة يبوق. أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له. فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان (ملاك بهيئة إنسان) حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فخذه فانخلع حُقّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال: لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له ما اسمُك؟ فقال: يعقوب. فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل (معناه: مَنْ يجاهد مع الله) لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك. فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك.» (تك ٣٢: ٢٢ - ٢٩)

وقد ورد ذكر هذه الحادثة في نبوّة هوشع:

+ «في البطن قبض بعقب أخيه وبقوَّته جاهد مع الله. جاهد مع الملاك وغلب. بكى واسترحمه، وجده في بيت إيل وهناك تكلَّم معنا.» (هو ١٢: ٣ و٤)

ولكن وعلى مدى أسفار العهد القديم بعد ذلك استُخدم الاسمان: يعقوب وإسرائيل.

ولادة بنيامين وسيرة الاثني عشر سبطاً:

+ «وظهر الله ليعقوب أيضا حين جاء من فدان أرام وباركه. وقال له الله: اسمُك يعقوب، لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل، فدعا اسمه إسرائيل. وقال له الله: أنا الله القدير، أثمر واكثُر، أُمَّةٌ وجماعةُ أُممٍ تكون منك، وملوك سيخرجون من صلبك. والأرض التي أعطيتُ إبراهيم وإسحق لك أُعطيها ولنسلك من بعدك أُعطي الأرض. ثم صعد الله عنه في المكان الذي فيه تكلم معه. فنصب يعقوب عموداً في المكان الذي فيه تكلم معه، عموداً من حجر. وسكب عليه سكيباً وصب عليه زيتاً. ودعا يعقوب اسم المكان الذي فيه تكلم الله معه بيت إيل» (تك ٣٥: ٩ - ١٥)

+ «ثم رحلوا من بيت إيل. ولما كان مسافة من الأرض بعد حتى يأتوا إلى أفراتة، ولدت راحيل وتعسَّرت ولادتها. وحدث حين تعسَّرت ولادتها أن القابلة قالت لها: لا تخافي لأن هذا أيضاً ابن لكِ. وكان عند خروج نفسها لأنها ماتت أنها دعت اسمه بن أوني (أي ابن حزني). وأما أبوه فدعاه بنيامين (أي ابن اليمين). فماتت راحيل ودُفنت في طريق أفراتة التي هي بيت لحم، فنصب يعقوب عموداً على قبرها وهو عمود قبر راحيل إلى اليوم.» (تك ٣٥: ١٦ - ٢٠)

+ «ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء "مجدل عدر" (أي برج الرعاة أو برج القطيع الذي ظهرت فوقه الملائكة وجنود الملائكة يسبِّحون تسبحة الميلاد يوم ميلاد المسيح)» (تك ٣٥: ٢١).

+ «وكان بنو يعقوب اثني عشر: بنو ليئة رأوبين بكر يعقوب وشمعون ولاوي ويهوذا ويسَّاكَر

وزبولون. وابنا راحيل يوسف وبنيامين. وابنا بِلْهَة جارية راحيل دان ونَفتالي. وابنا زِلْفَة جارية لَيْئة جَاد وأشير. هؤلاء بنو يعقوب الذين وُلدوا له في فدان أرام» (تك ٣٥: ٢٢ - ٢٦)

+ «وجاء يعقوب إلى إسحق أبيه إلى ممرا قرية أربع التي هي حبرون، حيث تغرب إبراهيم وإسحق. وكانت أيام إسحق مئة وثمانين سنة. فأسلم إسحق رُوحَهُ ومات وانضم إلى قومه شيخاً وشبعان أياماً، ودفنه عيسو ويعقوب ابناه» (تك ٣٥: ٢٧ - ٢٩)

٩ و١٠ - مواليد عيسو = أدوم (٣٦: ١ - ٤٣):

«هذه مواليد عيسو الذي هو أدوم» (٣٦: ١)، «وهذه مواليد عيسو أبي أدوم في جبل سعير» (٣٦: ٩).

+ «وهذه أسماء أمراء عيسو حسب قبائلهم وأماكنهم بأسمائهم: أمير تِمْنَاع وأمير عَلْوَة وأمير يَتِيتَ وأمير أَهُولِيبَامَةَ وأمير إيلة وأمير فِينُون وأميرُ قَنَاز وأمير تِيْمَانَ وأمير مِبْصَارَ وأمير مَجْدِيئيلَ وأمير عِيرَام. هؤلاء أمراء أدوم حسب مساكنهم في أرض ملكهم. هذا هو عيسو أبو أدوم.» (تك ٣٦: ٤٠ - ٤٣)

١١ - مواليد يعقوب (٣٧: ٢ - ٥٠: ٢٦):

«هذه مواليد يعقوب» (٣٧: ٢)

وهي آخر مواليد سفر التكوين، وتتركز في يوسف أهم أولاد يعقوب. وقد دخل التاريخ مباشرة في بكور حياته منذ أن كان عمره سبع عشرة سنة حتى مماته (٩٣ سنة). وبقية أولاد يعقوب ويعقوب نفسه يظهرون في الدرجة الثانية. وتبدأ قصة يوسف بأن الله قد خصّه بأحلام مميَّزة لم يستطع أن يخفيها وانتهره أبوه عنها لأنها تثير حسد وضغينة إخوته. ولكن الذي زاد الأمر سوءاً أن أباه لم يلتفت إلى هذه الضغينة فأرسله لابساً قميصه الملون ليفتقد إخوته في شكيم على بعد ٥٠ ميلاً. فلمّا رآه إخوته تآمروا عليه ليقتلوه فهو ابن راحيل المحبوبة وهم أولاد ليئة المكروهة وأولاد الجواري، سار وحده حتى رأوه من بعيد وتشاوروا عليه ثلاث مرّات:

المشورة الأُولى: أن يذبحوه ويخفوا جثته ويذهبوا إلى أبيهم بقميصه الملوَّن ليتعرف على ابنه المقتول (٣٧: ٢٠) [الجميع].

المشورة الثانية: أن يلقوه في حفرة ويتركوه هو وقَدَره، يموت جوعاً وعطشاً (٣٧: ٢٢)

[رأوبين].

المشورة الثالثة: أن يبيعوه عبداً إلى قافلة للإسماعيليين المديانيين (٣٧: ٢٦ و٢٧) [يهوذا].

وهذه هي أخلاق الأسباط الاثني عشر.

وفي الأصحاح (٣٨) ذهب يهوذا ليخفي جريمته وتزوَّج من بنات الأرض، وصارت أخلاقه كأخلاق الكنعانيين (٤٦: ١٢) وتزوّج ثامار كنته التي حسبت نفسها مظلومة فتزيَّت بزي زانية (تث ٢٥: ٥) وصار يهوذا كواحد منهم وقد ذُكر اسمُها في إنجيل متى. والأخبار المذكورة عنه تغطّي عشر سنوات (٣٨: ١ - ٣٠).

ولكن يد الله لم تفارق الفتى يوسف (٣٩: ٢ - ٥ و٢١) وكان فوطيفار المنوط به، ضابطاً حسب الاسم. وأظهر يوسف عمق تديُّنه وعبادته لله ولكنه تألّم بالظلم صابراً (١بط ٢: ١٩ إلخ). وقد فسَّر أحلام اثنين من المساجين معه، فذاعت شهرته كدانيال، ولكن كان يعطي المجد لله. وعُرف يوسف لدى فرعون أنه مسروق من بيته (٤٠: ١٥) وأنه عبراني، ابن إبراهيم العبراني بافتخار.

ويُحتمل أن فرعون تلك الأيام كان من عائلة الهكسوس الذين كانوا ساميين غازين غَزَوْا مصر. وإذا كان الخروج قد تم سنة ١٤٥٠ ق.م. وابتدأت غربة اليهود سنة ١٦٦٥ ق.م. يصبح الرأي بأنه فرعون من الهكسوس حقيقة. وموسى لم يهتم أن يذكر اسمه لأن اسم الفرعون كان دائماً سرّاً من أسرار الكهنة.

وبعد سنتين من الاختبار المر، حلم فرعون حلماً أزعجه فجاء دور يوسف في التاريخ المقدَّس كدانيال. وبالرغم من أن الحلم غير مؤكَّد إلاَّ أن فرعون أحسَّ بدقة التفسير وصحته في الحال (لأن التفسير كان من الله).

وهكذا تحوَّل يوسف من عبد عبراني مُباع إلى وزير أول يتصرَّف في أكبر مملكة على الأرض، وجمع يوسف من الحنطة ما يفوق العدد والعقل في أيام الشبع، ودعا فرعون اسم يوسف «صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ» (٤١: ٤٥) أي «مخلِّص العالم». وأعطاه أَسْنَاتَ بنت فوطي فارع كاهن أون زوجة. وجاءت سني الجوع على وجه كل الأرض، وفتح يوسف مخازنه وباع للمصريين.

فلمّا رأى يعقوب أنه يوجد قمح في مصر قال يعقوب لبنيه لماذا تنظرون بعضكم لبعض. إني قد

سمعت أنه يوجد قمح في مصر. انزلوا إلى هناك واشتروا. وبدأت قصة التعرُّف على يوسف الذي باعوه. وكان موقف يوسف ممجِّداً لله «أنتم قصدتم لي شرًّا أمَّا الله فقصد به خيراً.» (تك ٥٠: ٢٠)

مجيء يعقوب إلى مصر:

بعد مناورات من يوسف مع إخوته الذين جاءوا ليشتروا القمح، حجز أخيراً بنيامين وقال لهم اذهبوا أحضروا أباكم. وتعرَّفوا على يوسف وتعرَّف هو عليهم. ونزل يعقوب إلى مصر ومعه سبعون نفساً عدد كل بني إسرائيل الذين نزلوا ليتغرَّبوا في مصر أربعمائة سنة تقريباً.

وكانت فرحة عارمة ليوسف أن يرى أباه وأخاه بنيامين ويتصالح مع إخوته ويعزمهم في مائدة ملوكية.

يعقوب يُبارك فرعون:

ولعلَّ أقوى المشاهد التي تمَّت على يدي يوسف هو طلب فرعون أن يرى يعقوب، ولكن كانت أريحية فرعون قد بلغت القمة لمَّا قال:

+ «فقال فرعون ليوسف قُل لإخوتك افعلوا هذا. حمِّلوا دوابكم وانطلقوا اذهبوا إلى أرض كنعان. وخذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إليَّ. فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلوا دسم الأرض. فأنت قد أُمرت. افعلوا هذا. خذوا لكم من أرض مصر عَجَلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا. ولا تحزن عيونكم على أثاثكم. لأن خيرات جميع أرض مصر لكم.» (تك ٤٥: ١٧ - ٢٠)

+ «فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال: يعقوب يعقوب. فقال هأنذا. فقال أنا الله إله أبيك، لا تخف من النزول إلى مصر. لأني أجعلك أُمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أُصعدك أيضاً. ويضع يوسف يده على عينيك.» (تك ٤٦: ٢ - ٤)

+ «ثم أدخل يوسف يعقوب أباه وأوقفه أمام فرعون، وبارك يعقوب فرعون، فقال فرعون ليعقوب: كم هي أيام سني حياتك؟ فقال يعقوب لفرعون: أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة، قليلة وردية كانت أيام سني حياتي ولم تبلغ إلى أيام سني حياة آبائي في أيام غربتهم. وبارك يعقوب فرعون وخرج من لدن فرعون.» (تك ٤٧: ٧ - ١٠)

إسرائيل يُبارك أولاده ويُسلم الروح:

+ «وقال إسرائيل ليوسف ها أنا أموت ولكن الله سيكون معكم ويردكم إلى أرض آبائكم، وأنا قد وهبت لك سهماً واحداً فوق إخوتك أخذته من يد الأموريين بسيفي وقوسي.» (تك ٤٨: ٢١ و٢٢)

+ «وأوصاهم وقال لهم: أنا أنضم إلى قومي. ادفنوني عند آبائي في المغارة التي في حقل عفرون الحثي، في المغارة التي في حقل المكفيلة التي أمام ممرا في أرض كنعان التي اشتراها إبراهيم مع الحقل من عفرون الحثي مِلْك قبر. هناك دفنوا إبراهيم وسارة امرأته. هناك دفنوا إسحق ورفقة امرأته. وهناك دُفنت ليئة. شراء الحقل والمغارة التي فيه كان من بني حث. ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه ضم رجليه إلى السرير وأسلم الروح وانضم إلى قومه.» (تك ٤٩: ٢٩ - ٣٣)

وبقيت عظام يوسف في مصر إلى أن رُفعت يوم عودة شعب إسرائيل إلى أرض الميعاد بواسطة موسى.

والآن أيها القارئ العزيز انظر وتأمَّل معي على دقة ورتابة هذه القصة المطوَّلة التي لا نجد فيها أي نشاز. فهي قصة حياة عائلة كبيرة أقام لها الله عميداً وهبه البصيرة المفتوحة لكي يُسلِّم لهذه العائلة الكبيرة جدًّا والعتيقة جدًّا كل ما يمكن أن يعرفوه عن الله خالق الكون والعالم الحاضر بسمائه وأرضه والإنسان الذي يعيش فيه. قصة كان على رأسها آدم، شكلاً، وحقيقة كان رأسها هو الله لولا عصيان الابن الأول وزوجته، فغيَّر الله وجه مسيرة الإنسان بدلاً من أن كانت من الأرض إلى السماء صارت من الأرض إلى الأرض.

ثم أمدَّ عميد العائلة الكبيرة موسى الذي اختاره من وسط هذه العائلة ليحمل اسمه ويحمل شعبه في رحلة مطولة من مصر إلى كنعان، أربعين سنة كان يقف فيها موسى أمام الله يتعلَّم ويكتب كل ما كتب من السجلات التي أودعها لتابوت عهد الله لتكون للشعب مصدر تعليم ومعرفة واستنارة، وقد صار. وهي إلى الآن كما يوم أن استلمها من الله يقول عنها المسيح إن حرفاً منها أو نقطة لا يزول، بل تزول السماء والأرض وهي لا تزول، لأنها كلمة الله الحية القادرة الفعَّالة.

* * *

هذا أول سفر وهو سفر التكوين، ومن اسمه يتضح أنه سفر البناء للبنَّاء الأعظم، وضع فيـه الله أُسس الخليقة كلها والحياة لكل إنسان وكل ذي جسد. تصلح لتعليم الشعب، ولكن الشعـب لم يتعلَّم فدخل تحت التأديب. ونقل الله التُخم لميراث كل ما عمل الله لكل شعوب الأرض: مَنْ يؤمن ويعمل يرث، ومَنْ لا يؤمن بكلمة الله يمكث عليه غضب الله.

ولكن الذي أود أن أُشير إليه هو أن اختيار موسى كان بحجم الرسالة التي أُعطيت له. ولم يعطِ الله رسالة تدانيها لآخر سواه. والسفر الذي بين أيدينا ينطق بالإعجاز، فموسى هو الذي اكتشف حروف الكتابة وهو الذي ألَّف ولم يسبقه مؤلِّف. وصارت مؤلفات موسى أساساً لكل علم وعالم بل لكل علوم الأرض، مما يجعلني أرفع منها كلمة المعرفة والعلم وأضع بدلاً من العلم كلمة الاستعلان، فهي ليست علوماً ولن تكون، ولكن استعلانات عن أصول الخلق الأُولى في لغة يمكن أن يقرأها طفل ويفهمها. وكانت مقررة على كل بني إسرائيل، يدرسونها ويمتحنون فيها وهم في سن الثانية عشرة ليُسمَّى مَنْ ينجح "ابن التوراة". لأنها استعلانات عن أعمال الله، والإنسان عمل من أعمال الله. وكلمة الله كانت هي الخالقة في الأول وفي الآخر.

فكلمة الله الحيَّة الفعَّالة بعد أن خلقت ما خلقت في الأول لتكميل وجه الأرض، عادت وتجسَّدت في جسد إنسان لتعمل بالروح ما يُكمل عمل الجسد. والجسد الذي من تراب الأرض يذهب إلى التراب بالنهاية. وبالنهاية تذهب خلقة الروح إلى مَنْ خلقها لأنه على صورته خلقها في البر وقداسة الحق.

٢ ـ سفر الخروج

لماذا سفر الخروج:

سفر الخروج تحدَّد من داخل سفر التكوين. فنزول يعقوب إلى مصر كان حدثاً ضخماً يوازن سفر التكوين كله، ولكنه كان قد تحدَّد في مشورة الله العليا التي لم يخفها عن عبده إبراهيم الذي أحبَّه إذ في يوم:

+ «قال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها. فقال: أيها السيد الرب بماذا أعلم أني أرثها؟ فقال له: خذ لي عِجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشاً ثلاثياً ويمامة وحمامة. فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه وأما الطير فلم يشقه. فنزلت الجوارح على الجثث وكان أبرام يزجرها. ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على أبرام سبات وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه. فقال لأبرام: اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ويُستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة ثم الأمة التي يُستعبدون لها أنا أدينها، وبعد ذلك **يخرجون بأملاك جزيلة**... وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا.» (تك ١٥: ٧ - ١٦)

هنا تحدَّد النزول إلى مصر وهنا تحدَّد الخروج من مصر. ولكي يؤكِّد الرب كلامه:

+ «فكلَّم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال: يعقوب يعقوب. فقال: هأنذا. فقال أنا الله إله أبيك. لا تخف من النزول إلى مصر لأني أجعلك أُمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أُصعدك أيضا.» (تك ٤٦: ٢ - ٤)

فبحسب قصة التكوين فقد نزل يوسف أسيراً عبداً مُباعاً للمصريين، وبنو إسرائيل نزلوا تحت اضطرار المجاعة وكانت مجازفة غير محسوبة. ولكن لولا الله الذي جعل من يوسف صديقاً لفرعون يحكم ويُدبِّر، ولولا الله الذي دبَّر رحلة أولاد يعقوب لما نجحوا في خطتهم. لذلك فالتدبير يظهر أنه تدبير بشري في أوله، ولكن لولا الله الذي يمسك الخيط ويسوق الحوادث أمامه لتُعلن عن عظمة تدبيره ورحمته ومحبته للآباء، ما كان تكوين ولا كان خروج.

وسفر الخروج يتكوَّن من ثلاثة أقسام رئيسية:

أولاً: إسرائيل في مصر (١: ١ - ١٢: ٣٦).

ثانياً: الرحلة إلى جبل سيناء (١٢: ٣٧ - ١٩: ٢).

ثالثاً: إسرائيل عند جبل سيناء (١٩: ٣ - ٤٠: ٣٨).

وتشمل دعوة موسى: العراك مع فرعون، عبور البحر الأحمر، إعطاء الناموس، وصنع وإقامة خيمة الاجتماع. حوادث من أهم وأخطر ما يمكن في تاريخ شعب الله.

ولكن الذي لا يزال نبراساً أمام أعيننا أن الله قال لإبراهيم: «ويخرجون بأملاك جزيلة» فتصوَّر تعداد اثنين مليون شخص خارجين من مصر الغنية في غنمها وبقرها وماعزها وخشبها وخيامها ومواعين الحياة اليومية وذهبها وفضتها. وفي الحقيقة كانت محبة المصريين لشعب إسرائيل محبة قوية فلمَّا طلبوا كل طلباتهم كما أمرهم الله وموسى أخذوا أملاكاً جزيلة وخمراً وزيتاً مع حمير وبهائم وأغنام. خرجت أُمة وصفها الله ليعقوب بأنها "أُمة عظيمة"، ولا تقتصر العظمة على الأملاك بل على الكثرة والمال والمعرفة بكل أنواع الصناعات والمعارف.

ووَصْفُ موسى كاتب سفر الخروج في أوله يوضِّح هذا: «وأمَّا بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتلأت الأرض منهم» (خر ١: ٧) وموسى أكثر مَنْ كان عارفاً ببواطن الأمور.

أولاً: إسرائيل في مصر (١: ١ - ١٢: ٣٦):

في بداية السفر يذكر موسى أعداد وأسماء بني إسرائيل الموجودين في مصر الذين هم أسباط يعقوب الاثني عشر بكل أولادهم. نزلوا سبعين نفساً وتوالدوا فصاروا ست مئة ألف ماشٍ من الرجال ما عدا النساء والأولاد. ويقصد موسى بذكر الأنسال ليعقوب أن يؤكِّد أن كل شعب بني إسرائيل قد مارس الحياة اليومية في مصر وتثقف بثقافة البلاد، الثقافة الاجتماعية المكتسبة، كما أنهم عاصروا جميع أعمال الله في سيناء وشاهدوا واختبروا جميع المعجزات التي تمَّت أثناء خروج الشعب من مصر.

وقيام فرعون كمضطهد (١: ٨ - ٢٢) كان بسبب قيام فرعون من الأسرة الثامنة عشر عوض أسرة الهكسوس التي طُردت وغادرت البلاد، وهو الفرعون أهموزيس أو أحمس أول ملوك الأسرة الثامنة عشر حوالي سنة ١٥٨٠ ق.م.

واضطهاد اليهود بالنسبة لدولة حربية كان عملاً وقائياً لأنهم كانوا ساكنين على الحدود الشرقية من البلاد وهي التي كان يدخل منها الغزاة، والأمر الثاني أنهم توالدوا وتكاثروا جداً وهم معتبرون

عبيداً، فكثرة تعدادهم أوغلت صدور المسئولين عن أمن البلاد ونقاوة الجنس المصري. هذا مما جعلهم يتَّخذون أقسى المستويات في قتل الذكور بواسطة المولِّدات العبرانيات.

قيام المنقذ: (الأصحاح الثاني):

وتبدأ القصة بالشعر العبري:

+ «وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي. فحبلت المرأة وولدت ابنا، ولما رأته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد أخذت له سَفَطاً من البردي وطلَته بالحُمَر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحَلْفَاء على حافة النهر ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يُفعل به.» (خر ٢: ١ - ٤)

فنزلت ابنة فرعون لتغتسل (وكانت هي حتشبسوت امرأة ملكية صارت ملكة مع تحتمس نوغيس الثالث) ورأت السَفط بين الحَلْفَاء فأرسلت أَمَتها وأخذته.

تدبير إلهي فائق الوصف يوضِّح ماذا كان يخبِّئ الله للطفل موسى الذي دعت الأميرة اسمه موسى ذلك لأنه انتُشل من الماء ⲙⲱⲟⲩⲥⲓⲥ أي ابن الماء، مثل رع مسيس = ابن الشمس، وهكذا فإن بطل روايتنا الإلهية لم تُنقَذ حياته فقط بل وصار ابناً لابنة فرعون. وتعود بنا الذكرى لأيام يوسف الذي ارتفع من العبودية إلى الملكية. وتم فيه ما قيل في يوسف «أن الرب كان معه» (تك ٣٩: ٢١)، للدرجة التي استعانت الملكة بأم موسى لترضعه وهي لا تعلم أنها أمه.

وتنقسم حياة موسى إلى ثلاث أربعينات:

الأربعون الأُولى من حياة موسى: (٢: ١ - ١٥):

يختزلها سفر الأعمال في مقولة واحدة: «وتهذَّب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً في الأقوال والأعمال» (أع ٧: ٢٢). وتصميمه على تحرير شعبه ظهر مبكِّراً جداً حينما قتل المصري الذي تعارك مع اليهودي، فظهر عدم اكتماله للمهمة بعد، الأمر الذي أخذه بعيداً بعيداً عن مركز الملوكية السعيد. صحيح أنه كان يحب شعبه ولكن كان لا يزال أربعون سنة باقية على أن انتخاب الله له ليحرِّر الشعب.

+ «بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون. مفضلاً بالأحرى أن يُذلَّ مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية. حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر إلى المجازاة.» (عب ١١: ٢٤ - ٢٦)

فخرج موسى كما خرج إبراهيم وهو لا يعلم إلى أين يذهب وذلك لمَّا علم أن الفرعون يريد أن يقتله كما قتل المصري، وساقته قدماه حتى سيناء وانضم إلى كاهن مديان ”يثرون“ وصاهره وخدم غنمه. وكان يثرون من عائلة القينيين(١) المشهورة بالتقوى.

الأربعون الثانية:

+ «وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان، فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب. وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى، فقال هأنذا، فقال لا تقترب إلى ههنا اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة.» (خر ٣: ١ - ٥)

«إلهنا نار آكلة»:

وبعد حديث وملاججة رفض موسى أولاً مهمة تخليص شعبه ثم استجاب:

+ «وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل. **يهوه**(٢) اله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم، هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور. اذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم: الرب إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ظهر لي قائلاً: إني قد افتقدتكم وما صُنع بكم في مصر. فقلت أُصعدكم من مذلة مصر إلى أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً.» (خر ٣: ١٥ - ١٧)

+ «وقال الرب لموسى في مديان اذهب ارجع إلى مصر. لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك. فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر، وأخذ موسى عصا الله في يده.» (خر ٤: ١٩ و٢٠)

+ «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر. فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبَيْتَ

---

(١) يثرون له سبع بنات أخذ موسى صفورة، وأبو يثرون هو رعوئيل كاهن مديان.

(٢) «يهوه» Yahwah معناها "هو يكون" أو "الكائن بذاته"، الأبدي = «أكون الذي أكون» أي أستعلن ذاتي. ويهوه استُبدلت بالرب Lord في العهد الجديد. والاسم ”يهوه“ كان معروفاً سابقاً (تك ٦: ٢٢)، ولكن صفة يهوه كمخلص ستُعرف في سفر الخروج بقوَّة.

أن تطلقه، ها أنا أقتل ابنك البكر.» (خر ٤: ٢٢ و٢٣)

+ «وقال الرب لهرون اذهب إلى البرية لاستقبال موسى. فذهب والتقاه في جبل الله وقبَّله. فأخبر موسى هارون بجميع كلام الرب الذي أرسله وبكل الآيات التي أوصاه بها، ثم مضى موسى وهرون وجمعا جميع شيوخ بني إسرائيل. فتكلم هارون بجميع الكلام الذي كلم الرب موسى به، وصنع الآيات أمام عيون الشعب فآمن الشعب، ولما سمعوا أن الرب افتقد بني إسرائيل وانه نظر مذلتهم خرُّوا وسجدوا.» (خر ٤: ٢٧ - ٣١)

وهكذا أُعدَّت المعركة مع فرعون.

المعركة مع فرعون:

بدأت بصورة مفاجئة (٥: ١ - ١٠: ٢٩):

+ «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر. فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبَيْتَ أن تطلقه، ها أنا أقتل ابنك البكر.» (خر ٤: ٢٢ و٢٣)

وهذا هو أسلوب الخطاب الرسمي الذي يتكلَّم به الأنبياء وكل مَنْ ينطق باسم الرب.

+ «وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون: هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي ليعيِّدوا لي في البرية. فقال فرعون: مَنْ هو الرب حتى أسمع لقوله فأُطلق إسرائيل؟ لا أعرف الرب وإسرائيل لا أُطلقه.» (خر ٥: ١ و٢)

كلمات غريبة جداً على مسامع فرعون الرجل القوي! فردَّ باندهاش وغضب ورفض متشفٍّ وتهكُّم. وهنا تجيء العشر ضربات برعبتها وتحطيم جيش فرعون لتعطي الجواب لفرعون، لتعرف ليس مصر فحسب بل وكل البلاد بل وإسرائيل نفسها ما هي قوة الرب إله إسرائيل.

وكان رد فرعون أن ضاعف الأثقال على شعب إسرائيل وأمر أن لا يُعطَوا التبن لعمل الطوب النيئ ولكن يجمعوه بمعرفتهم! ولم يُعرف اسم يهوه حقًّا إلاَّ بعد عجائب الخروج، لا في مصر وآلهة مصر وفرعون مصر ولا حتى عند بني إسرائيل أنفسهم!

موسى يتكلَّم عن عجائب مصر: (تث ٤: ٣٣ - ٤٠)

+ «هل سمع شعبٌ صوت الله يتكلم من وسط النار، كما سمعتَ أنت، وعاش. أو هل شرع الله أن يأتي ويأخذ لنفسه شعباً من وسط شعب بتجارب وآيات وعجائب وحرب ويد شديدة

وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة مثل كل ما فعل لكم الرب إلهكم في مصر أمام أعينكم. إنك قد أُريت لتعلم أن الرب هو الإله ليس آخر سواه، من السماء أَسْمَعك صوته لينذرك وعلى الأرض أراك ناره العظيمة وسمعت كلامه من وسط النار. ولأجل أنه أحب آباءك واختار نسلهم من بعدهم أخرجك بحضرته بقوته العظيمة من مصر لكي يطرد من أمامك شعوباً أكبر وأعظم منك، ويأتي بك ويعطيك أرضهم نصيباً كما في هذا اليوم. فاعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل، ليس سواه، واحفظْ فرائضه ووصاياه التي أنا أُوصيك بها اليوم لكي يُحسن إليك وإلى أولادك من بعدك، ولكي تطيل أيامك على الأرض التي الرب إلهك يعطيك إلى الأبد.» (تث ٤: ٣٣ - ٤٠)

وقسَّى الرب قلب فرعون:

لها معنى خطير، لأن القلب القاسي يأخذ جزاءه، ولكن أن يُقسِّي الله قلب إنسان معناه أنه يتركه للرفض لتكمل الضربة، لأنه قلب لا علاج له.

الضربات العشر:

كانت طبيعية وفوق الطبيعية تأتي وتذهب بأمر موسى، وكانت على المصريين فقط ولم يأت منها شيء على بني إسرائيل، وكانت كلها تشهد بقوة إله إسرائيل (١١: ٧) وبغرامة العقوبة وإنذار بالمزيد.

وهذه الحقيقة بالنسبة للمسيحيين ما زالت قائمة للذين يرفضون ويعاندون.

موت الابن البكر:

وهي آخر آية (١١: ١ - ١٢: ٣٦)، وأقصى رعبة على كل مصر: من الفرعون للفلاح.

الفصح:

كان موت الابن هو هو الفصح بعينه «حيث صُلب ربنا» (رؤ ١١: ٨) بغير صليب.

وأصبح وصية أزلية حتى لجميع المسيحيين أيضاً: (١٢: ١٤ - ٢٠ مع ٣٤ - ٣٩).

وأكل الفطير كناية عن سرعة عملية العبور من مصر. أكلوا الخبز بلا خميرة لأنه لم يكن وقت للتخمير. لقد طلبوا عطايا وليس اقتراضاً يُعاد (١٢: ٣٥) واعتُبرت ثمن التسخير.

ثانياً: الرحلة إلى جبل سيناء: (١٢: ٣٧ - ١٩: ٢):

فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ٦٠٠,٠٠٠ ماشٍ من الرجال عدا الأولاد

والنساء، مع لفيف من المصريين انضموا لبني إسرائيل مع غنم وبقر ومواش وافرة جداً. وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز ملّة (فطير) إذ كان لم يختمر لأنهم طُردوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا فلم يصنعوا لأنفسهم زاداً (خر ١٢: ٣٧ - ٣٩)

وكانت الإقامة التي أقامها بنو إسرائيل في مصر أربع مئة وثلاثين سنة. وفي هذا اليوم خرج من مصر جميع أجناد الرب (أجناد السماء للمعونة في الضيقات) (خر ١٢: ٤١).

وكانت نصيحة موسى عن الفصح أن «عظماً لا تكسروا منه» نبوَّة عن المسيح لمَّا صُلب. وأن لا يأكل منه إلاَّ كل مختون، ومَنْ كان غريباً وأراد أن يأكل منه يُختن أولاً ثم يأكل منه، فيكون كمولود الأرض (أي كمولود في رعوية إسرائيل).

أصل لتكريس كل بكر للرب:

في ليلة الفصح جُعلت علامة على بيوت بني إسرائيل بعلامة الدم لكي لا يدخل المهلك ويُهلك أولاد بني إسرائيل. وإزاء هذا العفو تقرَّر أن يكون كل فاتح رحم (أي كل مولود بكر) ملكاً للرب (خر ١٢: ١٣).

الطريق الأطول:

+ «وكان لمَّا أطلق فرعون الشعب أن الله لم يَهْدِهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة، لأن الله قال لئلاَّ يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر. فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف.» (خر ١٣: ١٧ و١٨)

جيش الإسرائيليين:

+ «وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر (للحرب) وأخذ موسى عظام يوسف معه... وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرف البرية. وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً.» (خر ١٣: ١٨ - ٢١)

تدبير الرب لاصطياد فرعون وجيشه:

+ «وكلَّم الرب موسى قائلاً: كلِّم بني إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صَفُون. مقابله تنزلون عند البحر، فيقول فرعون عن بني إسرائيل هم

مرتبكون في الأرض قد استغلق عليهم القفر. وأُشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم فأتمجد بفرعون وبجميع جيشه ويعرف المصريون أني أنا الرب. ففعلوا هكذا. فلمَّا أُخبر ملك مصر إن الشعب قد هرب... فشد مركبته وأخذ قومه معه. وأخذ ستمائة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنوداً مركبية على جميعها. وشدَّد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بني إسرائيل ... فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم، ففزعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية ... فقال موسى للشعب: لا تخافوا. قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم، فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون تروهم أيضاً إلى الأبد، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون.» (خر ١٤: ١ - ١٤)

«الفخ»:

+ «قُل لبني إسرائيل أن يرحلوا. وارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقَّه فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم. فأتمجَّد بفرعون وكل جيشه بمركباته وفرسانه، فيعرف المصريون أني أنا الرب حين أتمجَّد بفرعون ومركباته وفرسانه. فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم، وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل، وصار السحاب والظلام وأضاء الليل، فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل. ومد موسى يده على البحر. فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة، وانشق الماء. فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم، وتبعهم المصريون، ودخلوا وراءهم، جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر. وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين. وخلع بَكَر (أي عجلات) مركباتهم حتى ساقوها بثقلة. فقال المصريون: نهرب من إسرائيل لأن الرب يُقاتل المصريين عنهم. فقال الرب لموسى: مدَّ يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم. فمدَّ موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة والمصريون هاربون إلى لقائه. فدفع الرب المصريين في وسط البحر. فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر لم يبقَ منهم ولا واحد.» (خر ١٤: ١٥ - ٢٨)

ترنيمة موسى:

كان الخلاص الذي حدث كرواية أمام أعينهم أمام أقوى جيش في العالم آنئذ شيئاً يذهل العقل. فأصبحت ترنيمة موسى تُردَّد في السموات بانتظار الاستعلان لتصبح هي ترنيمة الخلاص العُظمى:

+ «ورأيت ... الغالبين على الوحش وصورته وعلى سمته وعدد اسمه واقفين على البحر الزجاجي معهم قيثارات الله، وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف قائلين: عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء، عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين.» (رؤ ١٥: ٢ و٣)

وهكذا تشرَّف موسى بأن تُضم تسبحته إلى تسبحة الخروف والصليب. فالغلبة واحدة والنُصرة واحدة.

المن من السماء (خر ١٦):

«أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا» أربعين سنة (يو ٦: ٣١)

الماء من الصخرة (خر ١٧: ١ - ٧):

الخبز من السماء والماء من الصخرة حُسبا أنهما موردان دائمان.

+ «وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر. وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحيًّا. لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم. والصخرة كانت المسيح.» (١كو ١٠: ٢ - ٤)

وفعلاً نقرأ أن الخبز من السماء كان هو المسيح والماء الحيّ المتفجر هو المسيح.

زيارة يثرون حَمِي موسى وتسليمه امرأته صفورة وولديه (خر ١٨: ١ - ١٢):

+ «الآن علمتُ أن الرب أعظم من جميع الآلهة لأنه في الشيء الذي بَغَوا به كان عليهم. فأخذ يثرون حمو موسى محرقة وذبائح لله. وجاء هارون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاماً مع حمي موسى أمام الله.» (خر ١٨: ١١ و١٢)

ثم صرف موسى حماه فمضى إلى أرضه.

حرب عماليق:

إن رفع يديِّ موسى أعطى الغلبة لإسرائيل على عماليق ولم يكن لذلك سبب.

ثالثاً: إسرائيل عند جبل سيناء (١٩: ٣ - ٤٠: ٣٨):

وهو المعروف بـ "جبل الله" وهو قريب من الطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء المعروف أيضاً بجبل موسى. ووصلوا هناك بعد ثلاثة أشهر من الترحال حوالي ٢٠٠ ميل، ومكثوا هناك سنة كاملة (عد ١٠: ١١).

+ «وأما موسى فصعد إلى الله. فناداه الرب من الجبل قائلاً: هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل: أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. **وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ.** فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدَّسة.» (خر ١٩: ٣ - ٦)

+ «فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب وقدَّس الشعب وغسلوا ثيابهم، وقال للشعب: كونوا مستعدين لليوم الثالث، لا تقربوا امرأة. وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً. فارتعد كل الشعب الذي في المحلة. وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله، فوقفوا في أسفل الجبل وكان جبل سيناء كله يدخِّن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً. فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلَّم والله يُجيبه بصوتٍ.» (خر ١٩: ١٤ - ١٩)

+ «فقال له الرب: اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهارون معك.» (خر ١٩: ٢٤)

الوصايا العشر:

+ «ثم تكلَّم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية...» (خر ٢٠: ١ و٢)

الوصية الأُولى:

«لا يكن لك آلهة أخرى أمامي»:

هذا يعني أن إسرائيل يعبد يهوه، ويهوه وحده: «اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا ربٌّ واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوَّتك» (تث ٦: ٤ و٥). فهي تلغي أي وجود آخر لآلهة أخرى لأن إله إسرائيل هو خالق السماء والأرض. وعبادة الآلهة الأخرى في حقيقتها عبادة شياطين: «بل إن ما يذبحه الأُمم فإنما يذبحونه للشياطين» (١كو ١٠: ٢٠). كذلك الأصنام هي أعمال شياطين:

«اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً مَنْ يبتلعه» (١بط ٥: ٨)، «ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور» (٢كو ١١: ١٤). والعجب أن يُقال عن شعب إسرائيل لَمَّا عبد الأصنام أنهم «كانوا يتَّقون الرب ويعبدون آلهتهم.» (٢مل ١٧: ٣٣)

الوصية الثانية:

تخص عمل تماثيل وصور للأوثان لعبادتها، وهي محاولة خاطئة من العدو لعبادة ما لا يُرى في أشياء تُرى. هذه الوصية تكرَّرت في كل مناسبة لأنها كانت تخص خطية لاصقة في لحم ودم شعب إسرائيل، فعمل صورة للعبادة تهدم عبادة الله غير المنظور. والأصنام من عمل يد الإنسان وهي اختراع شيطاني لتضليل أولاد الله البسطاء. وقد وصف الله نفسه أنه إله غيور لا يحتمل أن تُعطى كرامته لآخر. وشدَّة تمسُّك اليهودي والمسيحي بهذه الوصية بكل دقة وكل حرفية تسبَّبت في اضطهاد القديسين. وأساس هذه الوصية هنا هي الطاعة الحرفية.

الوصية الثالثة:

الحِلْفان والقَسَم باسم الله باطلاً أي في كل الأمور التافهة، ولكن أمام المحاكم إن كانت لشهادة حق تُحسب حقًّا: (مت ٥: ٣٤)، (رو ١: ٩)، (٢كو ١١: ٣١)، (غل ١: ٢٠).

الوصية الرابعة:

يوم الراحة: السبت قديماً والأحد جديداً.

وتنص الوصية على أن نذكر يوم السبت لنقدِّسه باعتباره عمل الله، وأكثر مما نتذكره بالفكر نذكره كحق واجب. ويأخذنا ذلك إلى بدء الخليقة (تك ٢: ١ - ٣). فالسبت هو راحة الله من كل عمل كنوع من المسرَّة والرضى، لا الراحة بل الفرحة. وقد نُسي في مصر ولا نجده كثيراً عند الآباء القدامى. والذي يحدونا إلى الراحة هو العمل المتواصل ستة أيام نعمل فيها أمام الرب وفي السابع نستريح له وأمامه. ولكنه ليس يوم كسل وتوقُّف، ولكن يوم تقديس لله لأنه يوم الرب لدراسة أعماله وخليقته ووصاياه. فعند إسرائيل الحقيقي كان يوم السبت يوم سرور (إش ٥٨: ١٣)، وحفظ يوم السبت للتقديس كان يحفظ الإنسان كل أيامه في روح القداسة لحياة القديسين. صُنِع السبت للإنسان، فهو عزيز عند الإنسان وعند الرب.

الوصية الخامسة:

أكرم أباك وأُمك ثاني وصية في اللوح الثاني الذي فيه واجبات الإنسان. فهي تقف على رأس

الواجبات الإنسانية. فكرامة الأب والأم من كرامة الله. الله خالق والأب والأم اشتركا في وجود الإنسان، وبواسطة الأب والأم يصل الإنسان إلى كل ميراثه الإلهي الذي سُلِّم لهما ليسلِّماه، وهي أول وصية بوعد: «أيها الأولادُ، أطيعوا والديكم في الرب لأن هذا حقٌّ. أكرم أباك وأُمَّكَ، التي هي أول وصية بوعد، لكي يكون لكم خيرٌ، وتكونوا طوال الأعمارِ على الأرض» (أف ٦: ١ - ٣).

والبيت الأصيل الوارث مع الوارثين هو الذي فيه الأبوة والأمومة التي من الله وفيه محبة الأب والأم بالروح والحق. والله قد ألقى على الأب والأم مسئولية تعليم أبنائهم في مخافة الله. والحكومة تلقي على الآباء والأمهات مسئولية الأخلاق، والمدرسة تعتمد على مباشرة الآباء والأمهات في ملاحظة ومساعدة الأولاد لأداء واجباتهم الأخلاقية والعلمية.

الوصية السادسة:

لا تقتل: هذه أشنع الخطايا وأول أعمال إبليس مع بني آدم: قايين ذبح أخاه، يا الله! هي أصل لكل خطايا العائلات والبلاد والأفكار. الحرب الكبرى الأُولى التي مات فيها عدَّة ملايين من كل أنحاء العالم قامت لأن واحداً من سراييفو قتل دوق النمسا على سلم مسكنه، فهي خطية تقيم الحرب رسمياً أينما كانت. انظر ماذا ربح الشيطان من هذه الخطية الواحدة؟ وهي الخطية التي تُحسب أنها تعدِّي على الأسرة والقبيلة والمملكة والبشرية والله!

والمسيح الرب لم يقدِّم لها علاجاً إلاَّ بمنع الغضب والبغضة، والقديس يوحنا في رسالته الأُولى يقول أجمل الأقوال جميعها: «كل مَنْ يُبغض أخاه فهو قاتل نفس» (١يو ٣: ١٥) لأن في الحب الحياة وفي البغضة الموت. وكل مَنْ يحب فقد وُلد من الله ومَنْ لا يحب الله فلم يعرفه بعد، وكل مَنْ يحب أخاه يحب الله، ومَنْ لا يحب أخاه لا يستطيع أن يُحب الله (١يو ٤: ٢٠).

الوصية السابعة:

لا تزنِ: هذه الخطية تخرب الأسرة والقبيلة والجنس، وهي استباحة الشرف والعرف والقسم على العفة في الزواج. ولا يفصل الزواج رسميًّا إلاَّ الزنا الرسمي. وكالرجل أيضاً المرأة - وبالنسبة للشباب الطاهر كل فكر الدنس والمحرِّك للشهوة والنجاسة يُحسب انحرافاً نحو الزنا لأنه يعطي للشيطان الإذن بالدخول. وانهزام العاطفة هو انهزام للقلب، وانهزام القلب انهزام للإرادة، وانهزام الإرادة سقوط، والسقوط ليس كالقيام، فالسقوط يحدث بلمسة فكر والقيام يستلزم الصليب!

وطهارة الزوجية كحديقة زهور يانعة، والنجاسة كخرابة يسكنها الثعبان.

والأمانة في العلاقة الزوجية صارت مثالاً للعلاقة بين الله وشعبه سواء في العهد القديم أو الجديد.

+ « لا تخافي لأنك لا تخزين، ولا تخجلي لأنك لا تستحين، فإنك تنسين خزي صباك، وعار ترمُّلك لا تذكرينه بعد. لأن بَعْلك هو صانعك، رب الجنود اسمه، ووليُّك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الرب وكزوجة الصبا إذا رُذلت، قال إلهك. لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة وبإحسان أبدي أرحمك قال وليُّك الرب.» (إش ٥٤: ٤ - ٨)

+ «وأخطبك لنفسي إلى الأبد، وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم، أخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب. ويكون في ذلك اليوم أني أستجيب يقول الرب، أستجيب السماوات وهي تستجيب الأرض.» (هو ٢: ١٩ - ٢١)

+ «أيها النساءُ اخضعنَ لرجالكُنَّ كما للرب، لأن الرجل هو رأسُ المرأة كما أن المسيح أيضاً رأسُ الكنيسة، وهو مخلِّصُ الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح، كذلك النساءُ لرجالهنَّ في كل شيء. أيها الرجال، أحبُّوا نساءكُم كما أحبَّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يقدِّسها، مطهِّراً إيَّاها بغسل الماء بالكلمة، لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدةً، لا دَنَس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدَّسةً وبلا عيب. كذلك يجب على الرجال أن يُحبُّوا نساءَهُم كأجسادهم. مَنْ يُحبُّ امرأتَهُ يُحبُّ نفسه. فإنه لم يبغض أحدٌ جسده قط، بل يقوته ويربِّيه، كما الرب أيضاً للكنيسة. لأننا أعضاءُ جسمه، من لحمه ومنْ عظامه. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السرُّ عظيمٌ، ولكني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة. وأمَّا أنتم الأفرادُ، فليُحبَّ كل واحدٍ امرأته هكذا كنفسه، وأمَّا المرأة فلتهَبْ رَجُلَهَا.» (أف ٥: ٢٢ - ٣٣)

+ «وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها.» (رؤ ٢١: ٢)

وتسهيل الطلاق هو أكبر خطية تمارسها الكنيسة حالياً بتسلُّط الشيطان الحالّ لتخريب الأسرة.

الوصية الثامنة:

«لا تسرق»: أول ما يتعلَّمه الطفل من أعمال الحرام، وأي تستُّر على هذه الخطية تورث الطفل

روح التعدّي وروح الاستهتار ومخالفة نواميس الأخلاق الأخرى. والولد الذي تعلّم كيف يسرق من نقود أبيه دون أن يدري سيسرق بعد ذلك محل الذهب وفي يده مسدس. ونزيل السجون الصغيرة سيصبح ملك المساجين المؤبد وسيدعو على أبيه وأمه ومدرّسه ومدرّسته التي تواطأت معه ولم تسلّمه ليد مؤدب.

«المياه المسروقة حلوة وخبز الخفية لذيذ» (أم ٩: ١٧). وفضيحة السجن وعار الأسرة هو الثمن. والذي يسرق قطاً يسرق جملاً، ومن يتعلم مهنة السرقة يتبنّاه الشيطان ويدربه ليكون لص الخزائن والبنوك.

الوصية التاسعة:

«**لا تشهد بالزور**»: كانت هذه الخطية ذات عقاب صعب عند اليهود. فكان الولد يرتعب من ذكر شهادة الزور لأنها أم كل الخطايا. فالذي يشهد بالزور شريك لما يشهد به إن سرقة أو قتل، ويستحق نفس العقوبة، فهو يُدخل نفسه الاتهام بكذبه وينال أشر العقوبة وهو بريء. فالمحكمة الأمريكية تفتح للشاهد أن يسرد ما رأى، ولكن بعد يمين القسم بدون قسم "أقول الحق ولا شيء غير الحق" فتعتبره المحكمة شاهد صدق، فإن ظهر كذبه نال عقوبة كسارق (تث ١٩: ١٦ و١٩). والذي يشهد بالزور إنسان فَقَدَ أخلاقه وباع ضميره وسرعان ما يُكتشف أمره فيصبح إنساناً فاقد الشرف لا يُعتمد عليه، عار على بيته وعلى نفسه.

الوصية العاشرة:

«**لا تشتهِ**» (الطمع) وهي الوصية التي تفتح الباب لكل الخمسة وصايا الأخيرة. ولا شيء يحطم سعادة الإنسان من بدء حياته إلا الطمع، ويُدخله في مشاكل وتعديات حتى يتلف حاله:

+ «لتكن سيرتكم خالية من محبة المال. كونوا مكتفين بما عندكم. لأنه قال لا أهملك ولا أتركك.» (عب ١٣: ٥)

+ «وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس في العطب والهلاك، لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة. وأما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا واتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة.» (١تي ٦: ٩-١١)

والطامع حاسد دائماً، يشتهي مال غيره وكل ما يقتنيه غيره، أما نصيبه فهو في عينه رديء سيئ

لا يشكر عليه، دائم التذمر عن حاله حتى يفقده: [لأنه ليست عطية بلا زيادة إلا التي بلا شكر] (مار إسحق).

والوصايا العشر أساس أي دستور للأخلاق، وهي مجموعة قوانين منتخبة لتعليم شعب إسرائيل ليكونوا كلهم أنبياء وكهنة لله لو كانوا تمسكوا بشريعة موسى. وقد استهان المسيحيون كثيراً بالوصايا العشر مع أنها كانت تُعلّم منذ سبعين سنة في المدارس المسيحية ويحفظها الأولاد عن ظهر قلب، فهي كفيلة أن تجعل الأولاد يشبُّون على معرفة الحق وطريق الله ويهابون الله والتعدي. والمسيح لم يُلغِ الوصايا العشر بل أضاف إليها مفهومها الإلهي وكشف أصولها الأولى. فالقتل أوقفه بالقول لا تغضب على أخيك باطلاً، فالمطلوب في المسيحية هو إلغاء القتل بإلغاء الغضب، هنا المسيح أكمل الوصية.

ولا يمكن التحجج على عدم حفظ وتقييم الوصايا العشر بالمحبة، فالمحبة هي تكميل للناموس القانوني وليست إلغاءً له.

ويلاحظ بعد أن يتحدث السفر عن الناموس والوصايا، أنه يذكر إقامة المذبح بمعنى حتمية التكفير عن مخالفة الناموس. والناموس يُحترم احترام واضعه لأنه يتكلم عن حكم الله في تعليم شعبه على مستوى عهد بين الله وشعبه تكرَّس بذبائح ودم (٢٤: ٣ - ٨). بعده صعد رؤساء الشعب إلى الجبل ليشتركوا في وليمة كذبيحة سلامة جُهزت بالناموس.

+ «ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل. ورأوا (مجد) إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا.» (خر ٢٤: ٩ - ١١)

ولكن قوله هنا أنهم رأوا الله تشرح النور غير المقترب منه، والمنظر منظر مجد فقط، فالله ليس له شكل (تث ٤: ١٢).

+ «وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن. ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى: تكلم أنت معنا فنسمع. ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت.» (خر ٢٠: ١٨ و١٩)

+ «وهذه هي الأحكام التي تضعها أمامهم.» (خر ٢٠: ٢٢ - ٢٦) (٢١)، (٢٢)، (٢٣).

+ «**فكتب موسى جميع أقوال الرب** ... وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران، فأخذ موسى نصف الدم ووضعه في الطسوس ونصف الدم رشه على المذبح، **وأخذ كتاب العهد** وقرأ في مسامع الشعب ... وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال: **هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال.**» (خر ٢٤: ٤ - ٨)

+ «لأن موسى بعدما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ورشَّ الكتاب نفسه وجميع الشعب، قائلاً: هذا هو دم العهد الذي أوصاكم الله به، والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم، وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة. فكان يلزم أن أمثلة الأشياء التي في السماوات تُطهَّر بهذه، وأما السماويات عينها فبذبائح أفضل من هذه.» (عب ٩: ١٩ - ٢٣)

+ «وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل، ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل، وكان موسى في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة.» (خر ٢٤: ١٧ و١٨)

وبقية الوصايا في الأصحاحات من ٢٥ إلى ٣١.

العجل الذهب المسبوك: (٣٢)

+ «فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها ... فأخذ ذلك من أيديهم وصوَّره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. **فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر** !... فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة (للعجل)، وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب (والزنا) [3].» (خر ٣٢: ٢ - ٦)

+ «وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة. فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم. فأصيرك شعباً عظيماً. فتضرع موسى ...» (خر ٣٢: ٩ - ١١)

(٣) لا تصلح عبادة الوثن إلا بالزنا، لذلك يقال أن عبادة الأوثان هي الزنا، والابتعاد عن الله يعني عبادة أوثان، لذلك يقال عن ترك الله أنه زنا.

+ «فندم الرب على الشر الذي قال إن يفعله بشعبه.» (خر ٣٢: ١٤)

+ «والآن إن غفرتَ خطيتهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت. فقال الرب لموسى من أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي. والآن اذهب اهدِ الشعب إلى حيث كلمتك. هوذا ملاكي يسير أمامك، ولكن في يوم افتقادي أفتقد فيهم خطيتهم.» (خر ٣٢: ٣٢ - ٣٤)

+ «وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدتَه من أرض مصر ... وأنا أرسل أمامك ملاكاً ... فإني لا أصعد في وسطك لأنك شعب صلب الرقبة، لئلا أفنيك في الطريق.» (خر ٣٣: ١ - ٣)

خيمة الاجتماع:

فالآن يهوه العظيم الذي أصعد شعبه من مصر بمعجزات ضخمة وحملهم كما على أجنحة النسور وأتى بهم إلى جبله المقدس، طلب أن تُصنع له خيمة يحل فيها في وسط شعبه الذي صنع معهم العهد مع نفسه. أمرهم أن يصنعوا له خيمة "هيكلاً" (٢٥: ٨) ليسكن معهم وبينهم. وتُصنع الخيمة على مثال يراه موسى في السماء، والشعب يقدّم الأدوات والصناعة، على أن تقدَّم بمحض إرادتهم (٢٥: ٢ - ٧، ٣٥: ٥ - ٩ و٢٠ - ٢٩).

+ «الذين يخدمون شبه السمويات وظلها كما أوحي إلى موسى وهو مزمع أن يصنع المسكن. لأنه قال انظر أن تصنع كل شيء حسب المثال الذي أُظهِرَ لك في الجبل.» (عب ٨: ٥)

وهنا يدقق الله مع موسى في أطوال وأعراض وأشكال ومواد في الأصحاحات (٣٥ - ٣٩) فكلها كُرِّست من أجل إقامة خيمة الاجتماع.

وابتدأ موسى يصنع خيمة الاجتماع "الهيكل" و"المسكن" كما أمره الرب وأراه. كما جاءت في سبعة أصحاحات من الأصحاح (٢٥ - ٣١) بالإضافة إلى الأصحاحات (٣٥ - ٣٩)، ثم هناك في النهاية مختصر (٣٩: ٣٣ - ٤٣)، ثم في الأصحاح (٤٠) تعليمات مفصَّلة من جهة إقامة الخيمة كما أمر الرب موسى. وروعيت جميعاً بكل حذر ودقة غير عادية. وكانت علامات رضى الله ووجوده دليلاً قاطعاً على أن الرب رضي أن يسكن في وسط شعبه أخيراً.

+ «ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن، فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع، لأن السحابة حلت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن. وعند ارتفاع السحابة

عن المسكن كان بنو إسرائيل يرتحلون في جميع رحلاتهم، وإن لم ترتفع السحابة لا يرتحلون إلى يوم ارتفاعها، لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً. وكانت فيها نار ليلاً أمام عيون كل بيت إسرائيل في جميع رحلاتهم.» (خر ٤٠: ٣٤ - ٣٨)

موسى يُجري حديثاً مطولاً مع الله: (٣٣: ٧ - ٢٣)

+ «وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة بعيداً عن المحلة، ودعاها خيمة الاجتماع، فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التي خارج المحلة. وكان جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة يقومون ويقفون كل واحد في باب خيمته وينظرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة. وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة، ويتكلم الرب مع موسى فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة، ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد في باب خيمته. **ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه.** وإذا رجع موسى إلى المحلة كان خادمه يشوع بن نون الغلام لا يبرح من داخل الخيمة. وقال موسى للرب: انظر، أنت قائل لي أصعد هذا الشعب، وأنت لم تعرِّفني مَنْ ترسل معي، وأنت قد قلت عرفتُك باسمك ووجدتَ أيضاً نعمة في عيني. فالآن إن كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينيك فعلمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك، وانظر أن هذه الأمة شعبك. **فقال وجهي يسير فأريحك.** فقال له: إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من ههنا، فإنه بماذا يُعلم أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك، أليس بمسيرك معنا فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. فقال الرب لموسى: هذا الأمر أيضاً الذي تكلمتَ عنه أفعله. لأنك وجدت نعمة في عيني وعرفتك باسمك. فقال: أرني مجدك. فقال أجيز كل جودتي قدامك. وأنادي باسم الرب قدامك وأتراءف على من أتراءف وأرحم من أرحم، وقال لا تقدر أن ترى وجهي. لأن الإنسان لا يراني ويعيش. وقال الرب: هوذا عندي مكان فتقف على الصخرة، ويكون متى اجتاز مجدي إني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز، ثم أرفع يدي فتنظر ورائي. وأما وجهي فلا يُرى.» (خر ٣٣: ٧ - ٢٣)

انتهى الحديث

+ «ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين. فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما، وكن مستعداً للصباح واصعد في

الصباح إلى جبل سيناء وقِفْ عندي هناك على رأس الجبل ... فنزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدامه ونادى: الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء (جاءت في السبعينية ἀληθινός)، حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطية، ولكنه لن يبرئ إبراء، مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع. فأسرع موسى وخرَّ إلى الأرض وسجد.» (خر ٣٤: ١ - ٨)

+ «وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء... وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه... ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعاً. وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع.» (خر ٣٤: ٢٨ - ٣٤)

تفصيلات مفيدة عن خيمة الاجتماع والعبادة:

لقد قصد الله من خيمة الاجتماع سواء في وقتها أو صنعها أو شكلها أو موضعها أن تعبِّر عن سكنى الرب إله إسرائيل مع شعبه وفي وسطهم ليكون حاضراً معهم، ولكن غير مُقتَرَب إليه في قدسه. وحيث تقام عبادته في وجوده بأعمال وأقوال مرتبة يتممها كهنة مختصون في العبادة. وكان تركيب الخيمة يوضح ويشرح مجد الله وإحساس الناس الرفيع بديعاً وجميلاً، والإسرائيليون عرفوا عن قُرب عظمة هياكل مصر الدينية وعبادتهم المنسَّقة. ويلزم هنا أن يكون مسكن الله أكثر تعبيراً لمشاعر الإنسان خاصة أنه على حقيقة ووجود حق. ومسكن الله وسط شعبه ينبغي أن يُضفَى عليه كرامة ومجدٌ أكثر، ويكون سبباً فعالاً لتسبيح وهتاف من القلب، علماً بأن الخيمة من قماش وخشب وتُحمل على الأكتاف والدواب فهي محدودة القدر في الإتقان.

والخيمة تعبير دقيق على أن الله وعبادة الله مركز ومحور الحياة، وأولى علاماتها هي استقلال الله، أي الانفصال المقدس بين القدوس والمقدسين. ويزيد هذا البعد الحتمي إحاطة خيمة الاجتماع من ثلاث جهات بخيام اللاويين خدام الهيكل (عد ١: ٥٣، ٣: ٢١ - ٣٧) في حين أن موسى والكهنة يعسكرون بمساكنهم أمام خيمة الاجتماع (عد ٣: ٣٨). وهكذا أصبح جو المسكن مقدساً ومكرساً. ووجه الخيمة إلى شرق (خر ٢٧: ١٣) وهي محاطة بحوش مسدول الستائر (خر ٢٧: ٩ - ١٩) والداخل سعة ١٠٠ × ٥٠ ذرعاً (الذراع = ١٨ بوصة). والخيمة من تيل رفيع النسيج

ومِحْوَزْ أبيض اللون، لأنه تيل خارج من القصار. والستائر معلّقة في أعمدة من نحاس لها رمّانات (رزز) من نفس المعدن والاتصالات بحلقات. والزينة من الفضة و"**المدخل**" في منتصف الشرق للحوش، مفتوح ومعلّق عليه عشرون ذراعاً من التيل الرفيع الأزرق والأرجواني والأحمر الفاقع مشغول بالإبرة برودري، مرفوع على أربعة أعمدة من نحاس مستور ليحفظ سريّة المكان. وخلف المدخل ستارة المدخل بعدها يجد العابد نفسه في الحوش الداخلي وأمامه مباشرة مذبح النحاس الذي للذبائح (خر ٢٧: ١ - ٨) معلناً أن الطريق إلى الله يلزمه الذبيحة لأنه بدون سفك دم لا تحدث مغفرة (لا ١٧: ١١)، (عب ٩: ٢٢). هذا المذبح تحت رعاية الكهنة مقدّمي الذبائح. والفرد من الشعب يتقدم بذبيحته ويمكنه أن يذبحها هو. ولكن الكاهن هو الذي يأخذ الذبيحة ويقدمها على المذبح حسب أصول التقديم (لا ١ - ٨). وفي حيّز هذا المكان المقدس يمكن للإنسان مقدّم الذبيحة أن يجلس في هذا المكان الذبائحي ويأكل هو وأسرته (ذبيحة السلامة) (تث ١٢: ١٧ و١٨). وبالقرب من المذبح وخلفه تقف المرحضة وهو الحوض المستخدم بواسطة الكهنة ليغسلوا الذبيحة ويترحضوا (خر ٣٠: ١٧ - ٢١) ولكنها ليست لاستخدام الشعب. وخلف مذبح المحرقة تقف خيمة الكهنة غير المسموح بدخولها إلاّ الكهنة فقط ومساحتها ١٠ × ٣٠ ذراعاً ومدخلها هو في منتصف الحوش تماماً، وبذلك يكون حولها ٢٠ ذراعاً من كل جانب في تماثل جميل الشكل.

وخيمة الكهنة في عمومها تتكون من جزئين: جزء خشبي "المشكان" المسكن، والخشب مصفّح بالذهب (خر ٢٦: ١٥ - ٢٩) ألواحها ٤٨ لوحاً يكوّنان الجانبين وخلفية الحجرة وهي ثلاثون ذراعاً طولاً وعشرة أذرع عرضاً وعشرة أذرع ارتفاعاً. كل لوح متصل بالآخر بواسطة لسان ذَكَرْ بمشقبية من الفضة. وفي الأمام عوض الألواح المذهبة ستارة من الستائر الخارجية مرفوعة بخمسة أعمدة من خشب السنط مذهبة ومسنودة على خمسة قواعد من نحاس ولكن اللسان الرزة من ذهب. وخلف هذه الستارة ستارة أخرى تقسم داخل المكان إلى نصفين: القدس وقدس الأقداس (خر ٢٦: ٣١ - ٣٣). والستارة أو الحجاب هنا مميّز بوجود الشاروبيم مطرز بالبرودري بالإبرة ليعبّر عن وجود الله. وقدس الأقداس هو ١٠ × ١٠ × ١٠ أذرع نصف المكان المقدس. و"المشكان" المسكن ليس له سقف وعوضاً عنه أربعة أغطية مشدودة عليه لتغطي القمة والجوانب والخلفية - والستارة الداخلية تشبه تماماً الستارة التي تفصل القدس عن قدس الأقداس والتي من خلالها يمكن رؤية الشاروبيم، وفوق هذا الغطاء غطاء آخر من شعر الماعز الذي يسمّى الخيمة فوق "المشكان" (خر ٢٦: ٧، ٣٦: ١٤) وهو أطول بذراعين. وفوق غطاء شعر الماعز غطاء من جلد

التخس مصبوغ بالأحمر، وفوقه غطاء آخر. الكل أربعة أغطية ثلاثة تتبع الخيمة. وكل "المشكان" مخفى ومستور. والأعمدة المغطاة بالذهب هي التي للهيكل والمسموح فيها بالمرور للكهنة فقط عندما يقومون بخدمتهم في الخيمة. وعندما يمر كهنة الخدمة خلف الستارة يجدون أنفسهم في القدس. وتضاء الخيمة بمنارات من ذهب لها سبع شعب (خر ٢٥: ٣١ - ٤٠) وتقف على شمال الداخل. تنار بزيت زيتون نقي ويعتني بها الكهنة (لا ٢٤: ١ - ٤). يبدأ ضوؤها من المساء حتى الصباح (خر ٢٧: ٢٠ و٣٠: ٧)، (١صم ٣: ٣) ولا تُشعل بالنهار. وهي تعبير عن علاقة إسرائيل بالله كصاحب النور المقدس الذي هو، (زك ٤).

+ «فالتفتُّ لأنظر الصوت الذي تكلّم معي ولما التفت رأيت سبع مناير من ذهب. وفي وسط السبع المناير شبه ابن إنسان ... إلخ.» (رؤ ١: ١٢ و١٣)

مائدة خبز الوجوه: (خر ٢٥: ٢٣ - ٣٠)

على الناحية اليمين، وعليها يضع كاهن الخدمة اثني عشر رغيفاً أو على الأصح فطيرة غير مختمرة العجين وعليها إما خمر أو زيت. وتظهر كأنها تقدمة لتذكار خبز اليوم لشعب إسرائيل في البرية، وهي مقدمة لله كشكر لما يقدمه الله من الخبز اليومي. والخبز يُغيَّر من سبت إلى سبت ليأكله الكاهن في المكان المقدس (لا ٢٤: ٥ - ٩) ويوضع عليه بخور (لبان ذكر) لربط مائدة خبز الوجوه بمذبح البخور وليوضح معنى التقدمة.

مذبح البخور:

هو من أهم أجزاء خيمة الاجتماع وأكثرها استخداماً. ويوضع أمام الحجاب الذي يفصل القدس عن قدس الأقداس. يوضع عليه البخور كل صباح وكل مساء، عندما يدخل الكاهن ليشذب فتايل المنارة. وقد ذكرت في سفر الخروج وهارون يضع البخور (خر ٣٠: ٧) ويضع مقدار وعاء من البخور المسحوق على جمر نار حي أي ملتهب يؤخذ من مذبح المحرقة. **الذي يشعل ناره الله بنفسه ولا يُسمح بأن ينطفئ أبداً** (لا ٦: ١٣). هذا البخور الذي يحرق دائماً ويومياً أمام الله (خر ٣٠: ٧) يرمز إلى الصلوات المرفوعة من الشعب ليل نهار (مز ١٤١: ٢)، «وكان كل جمهور الشعب يصلّون خارجاً وقت البخور.» (لو ١: ١٠)

قدس الأقداس:

تفصله عن القدس ستارة، والشاروبيم المشغول بالبرودري يرمز إلى حضور الله. وخلف هذا

الحجاب لا يدخل ولا يمر إلا واحد وهو رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة في يوم الكفارة (لا ١٦، عب ٩: ٧) حاملاً دم ذبيحة الكفارة تكفيراً عن الشعب كله. ولا يوجد في قدس الأقداس إلا تابوت عهد الرب أو تابوت الشهادة بسبب لوحي العهد الذي أمر الرب أن يوضعا في التابوت وعليهما الوصايا العشر المكتوبة بإصبع الله (٢٥: ١٦) وأيضاً التوراة التي كتبها موسى وأعطاها للاويين لوضعها في تابوت عهد الله للشهادة. وعلى تابوت العهد غطاء التابوت من الذهب الخالص ويُسمى كرسي الرحمة أو الشاكيناه حيث يتكلم الله مع موسى. وفوق التابوت كاروبان من الذهب الخالص على كل من الجانبين فاردَيْن أجنحتهما الستة يغطيان التابوت. وهذا هو عرش الله إله إسرائيل على الأرض الجالس فوق الشاروبيم (١صم ٤: ٤)، (٢صم ٦: ٢) وكان الله يتكلم مع موسى هناك داخل الحجاب (خر ٢٥: ٢٢)، (عد ٧: ٨٩)، كرامة فريدة لم يشاركه فيها هارون أو أي خليفة لهارون في الكهنوت.

وقدس الأقداس لا توجد فيه إضاءة بشرية قط ولكنه مضيء بنور الله الذي هو نور الشاكيناه (١مل ٨: ١٢) وهو نور حضرة الله. كما كان يُرى في عمود السحاب والنار فوق خيمة الاجتماع عندما يكون بنو إسرائيل في خيامهم. وعندما كانوا يرحلون يرحل أمامهم عمود النور. هذه الغمامة المضيئة تشير إلى حضرة الله (خر ٣٣: ١٤) أثناء الليل (خر ٤٠: ٣٨). ومن هذا النور كانت توقد النار فوق المذبح (لا ٩: ٢٤) ونورها لا يُطفأ قط (لا ٦: ١٣) وهو المسمّى في التسابيح النور غير المنطفئ. وهذه النار عينها كانت تقتص من الأشرار وعديمي الطاعة (لا ١٠: ٢)، (عد ١١: ١ - ٣). ومن هذه النار ظهر الله وتكلم من العليقة المشتعلة وهي لا تحترق (خر ٣: ٢) وهي النار التي ظهرت على جبل سيناء (خر ١٩: ١٨)، والاستعلان في النار هو مجد الرب (خر ١٦: ٧)، (خر ٢٤: ١٦)، (عد ١٤: ١٠)، (عد ٢٠: ٦). وكان منظرهما مجيداً ومهيباً الذي رآه السبعون شيخاً على الجبل (خر ٢٤: ١٠). وجيد أن نقارن ذلك بإشعياء (٣١: ٩، ٣٣: ١٤) وبالنار في سفر التثنية (٤: ٢٤).

+ «وصخره من الخوف يزول ومن الراية يرتعب رؤساؤه يقول الرب الذي له نار في صهيون وله تنور في أورشليم.» (إش ٣١: ٩)

+ «ارتعب في صهيون الخطاة. أخذَت الرعدة المنافقين. من منا يسكن في نار آكلة. من منا يسكن في وقائد أبدية.» (إش ٣٣: ١٤)

+ «لأن الرب إلهك هو نار آكلة إله غيور.» (تث ٤: ٢٤)

وأورشليم تُدعى أريئيل Ariel:

+ «ويل لأريئيل لأريئيل قرية نزل عليها داود. زيدوا سنة على سنة. لتدُر الأعياد. وأنا أضايق أريئيل فيكون نَوْح وحزن وتكون لي كأريئيل.» (إش ٢٩: ١ و٢)

وأرئيل تعني موقد الله.

ملابس الكهنة ورئيس الكهنة: (٢٨)، (٢٩):

مع دقائق وصف خيمة الاجتماع وكل ما فيها، هناك وصف دقيق لبدلة الكهنة وخاصة رئيس الكهنة. لأن وظيفة الكاهن أن يكون وسيطاً. وتوصف بوضوح حتى أن اسم الأسباط الذي يحمل همومهم محفور على صدره في لوحة من الأفود وعلى أحجار الصدرة المرصعة التي للقضاء. أما رئيس الكهنة فيلبس أسماء بني إسرائيل في الصُدرة التي للقضاء فوق قلبه عندما يذهب إلى القدس للتذكار أمام الله على الدوام (٢٨: ٢٩). وحسب الظاهر فإن هارون وأبناءه قد اختيروا لهذه الوظيفة علامة للكرامة لأن هارون هو أخو موسى (٢٨: ١) وكان هو المتكلم باسم موسى (خر ٤: ١٦)، واختيار اللاويين كان على طريقة أخرى إذ كان جزاء الأمانة (خر ٣٢: ٢٦ إلخ)، (تث ٣٣: ٨). والأوريم والتميم لم يوصفا، ويعتقد الكثيرون أنهم كانا سراً وهما قرعة السر. لذلك فكل ما كان بالقرعة في الكتاب المقدس كان يُعمل بالأوريم والتميم (هكذا وُزعت الأرض بالقرعة بين الأسباط).

وتكريس الكهنة موصوف في أصحاح (٢٩) ويستمر لسبعة أيام (لا ٨ - ١٠). وهنا يصف باختصار ذبيحة المحرقة الدائمة (٢٩: ٣٨ - ٤٦)، تقديم خروف حمل كل صباح وكل مساء (عد ٢٨: ١ - ١٠) لكل إسرائيل. وهذا قليل جداً من جهة العدد لأن الله غير محتاج إلى محرقات (١صم ١٥: ٢٢) انظر أيضاً كلمات ميخا (٦: ٧).

وهنا في وصف خيمة الاجتماع لنا أربع ملاحظات:

١ - الناحية العملية: إذ يلزم أن تكون خيمة الاجتماع قابلة للحمل والفك والربط وهي بمثابة هيكل عبادة، وصنعت في سيناء بتموين مجاني من الشعب (خر ٢٥: ٥ - ٢٩). والذهب والفضة والنحاس أُحضرت معهم من مصر. كذلك التيل الرفيع المتقن النسيج والملون. وشعر الماعز وجلد الخرفان من القطعان الخاصة بالشعب، وخشب السنط محلي من سيناء

والذهب المستخدم في الأعمدة وكرسي الرحمة وزنه الإجمالي "وزنة" والفضة من النقود نصف الشاقل من الشعب، والنحاس كان أدوات يستخدمها الشعب.

٢ - الفن المعماري والزخرفي من أشخاص موهوبين خصّهم الله بموهبة فائقة، هؤلاء الموهوبون قاموا بالتفصيل والرسم والنجارة. فخرجت خيمة الاجتماع آية في الإتقان والفن والمتانة. فكانت النموذج الأول لما صنع سليمان بعد ذلك.

٣ - الرمزية: كان كل شيء يرمز للعبادة وليهوه وللقداسة والجمال والأمانة. وكان التوازن في الأطوال والأعراض والارتفاعات والألوان بانسجام منقطع النظير، فكان كل ما في الخيمة يحكي عن العبادة والتقوى وجلال الخالق. وكان قدس الأقداس مكعباً كامل الزوايا ١٠×١٠×١٠ ذراعاً ويحكي عن ماذا تكون أورشليم الجديدة النازلة من السماء في جمالها وبهائها ومجدها:

+ «والمدينة كانت موضوعة مربعة طولها بقدر العرض ... الطول والعرض والارتفاع متساوية.» (رؤ ٢١: ١٦)

وكان حوش الشعب مغلّفاً بالنحاس ولكن قدس الأقداس بالذهب.

وكان من المناسب أن يكون كرسي الرحمة موضع "الشاكيناه" من الذهب الخالص الذي يشير إلى الرب الإله الذي يتكلم من فوقه. ولكن الذهب لا يمثل اللاهوت ولكن قياس قيمة الأشياء هي التي تعطي المناسبة. وكرسي الرحمة كان يسمّى الكابوراه (Cover) الغطاء، والنطق الحرفي هنا يشير إلى العمل المتأني. حيث غطاء التابوت يشير باسميه "كرسي الرحمة" و"الغطاء" إلى عمل المسيح للرحمة وتغطية الخطية.

ولاهوت المسيح وبنوّته لله الآب هما اللذان أعطيا للمسيح عملياً القيمة التي نالتها المغفرة بسفك الدم. فكان أقرب الأشياء للتعبير عن هذا هو الذهب النقي المصفّى.

أما استخدام الفضة فهي لا تمثل إلا الضريبة التي تؤخذ على كل فرد في إسرائيل. وكان مجموع الذهب المستخدم ٢٩ وزنة و٧٣٠ شاقل (الوزنة = ٣٤ كجم = ٣٠٠٠ شاقل) من الذهب. وأما مجموع الفضة فكان ١٠٠ وزنة و١٧٧٥ وزنة شاقل (٣٨: ٢٤ و٢٥). هذا وُضع كأساس لقيمة الهيكل، ولكن نحن لم نُفتدَى بذهب أو فضة (١بط ١: ١٨).

كذلك الألوان المستخدمة منها الأسمانجوني (الأزرق) وكان يستخدم في بدلة رئيس الكهنة (خر ٢٨: ٣١). وكل إسرائيلي يلزم أن يكون في ملبسه خيط أسمانجوني في نهاية الثوب حتى يتذكر وصايا الرب (عد ١٥: ٣٨). فالأزرق رمز السماء والسماويات في النقاوة والصفاء والطهارة، والأحمر الغامق لبس الملوك، والأحمر الفاتح يمثل الذبائح.

٤ - **التدين**: خيمة الاجتماع بكاملها مصنوعة لتمثل العبادة وأن الله ساكن فيها مع شعبه ولكن منفصل عنهم. غير مرئي، غير منظور، غير مُقترَب إليه «نور لا يدنى منه» نور مجد وقدوسية. فبركات الله يحملها إلى الشعب الوسطاء أي الكهنة. والكاهن هو الوحيد الذي يرفع الذبيحة على المذبح الكبير النحاسي لرفع الخطية، ويدخل الكاهن إلى القدس ليحرق البخور. ولكن رئيس الكهنة وحده يدخل قدس الأقداس ليكفّر عن خطيته وخطايا الشعب كله بذبيحة المحرقة السنوية. وهكذا تتم حلقة العبادة: الشعب والوسيط والذبيحة والكفارة.

وتفاصيل تقديم الذبيحة موضّحة بدقة كبيرة: فدم ذبيحة المحرقة يُرش حول المذبح: مذبح المحرقة (لا ١: ٥). ولكن في تقديم ذبيحة الخطية فحينما يقدمها الخاطئ (لا ٤: ٢٧ - ٣٥) ينضح الكاهن بإصبعه الدم على قرون المذبح ويسكب بقية الدم في قاعدة المذبح. وعامة الشعب لا يتعدون الحوش لذلك فدم التكفير عن خطاياهم لا يتعدى الحوش ولا يُدخل به إلى القدس، ولكن إذا أخطأ رئيس الكهنة يدخل بدم الذبيحة إلى القدس وينضح بإصبعه سبع مرات أمام الحجاب ويمسح به قرون مذبح البخور، ويسكب الباقي في قاعدة المذبح الذي للذبائح في الحوش (لا ٤: ٧).

الارتداد:

من الصعب أن نترك موضوع خيمة الاجتماع التي هي جماع العبادة وممارستها أمام الله وفي حضوره دون أن نشير إلى روح الارتداد التي كشفت عن معدن الشعب وتفاهة بنائه الروحي وتلوث عبادته بصورة منحطة.

فسفر الخروج يكشف عن حادثة خطيرة لها تأثيرها وثقلها الكبير على شعب الله يهوداً ومسيحيين، لأنها تكشف عن قابلية للارتداد عن الله الحي بعد كل ما حدث من استعلان لمجد الله وأعماله الخلاصية المعجزية، وظهر روح الارتداد في مارة (١٥: ٢٤) كذلك عند البحر الأحمر (١٤: ١٠ إلخ) وفي برية سين (١٦: ٢) وفي رفيديم (١٧: ٢ إلخ) التي حدثت كتجارب قد مرّوا بها. ولكن في سيناء دخل بنو إسرائيل في عهد مقدس رسمي مع يهوه ليكونوا شعبه، وسمعوا صوته

يُعلن الوصايا العشر من فوق جبل سيناء (١٩ و٢٠). وبحسب الظاهر لم يكن هناك أمر يستحق الشكوى إلا غياب موسى في الجبل مع الله. ولكن في أثناء هذه المدة القصيرة نسبياً عملوا خطية خطيرة ضد الله الذي وعدوه بالطاعة، ولكنهم كسروا القانون الذي أعطاه لهم.

قالوا لهارون: «اصنع لنا آلهة» (خر ٣٢: ١) والمدهش أنه وإن كان هناك عجل واحد، إلاَّ أنهم استخدموه في التعبير عن "إلوهيم" الجمع بحسب التعبير الوثني (٣٢: ٤ و٨ و٢٣)، ذلك لأن العجل كان يرمز لعدة آلهة مصرية. لذلك فخطيتهم حُسبت أنها عبادة أصنام وتعدد آلهة. فقد كانت كسراً فاحشاً للوصية الأولى والثانية حتى والثالثة، لأنه سبق وحُذروا أن يعتبروا هذا العجل له صلة بالإله الذي أخرجهم من مصر، والآية التي عملها يهوه وحده كقضاء وحكم دينونة ضد آلهة مصر.

وهارون حاول أن يغسل يديه من هذه الخطية المخزية وكسر الوصية بقوله أنها كانت «وليمة ليهوه» كمحاولة للتقرب المفضوح بين الديانات كما يفعل المراؤون الآن.

وهكذا «زاغوا سريعاً» (٣٢: ٨)، فالخلاص من مصر وإعطاء الناموس بإلهام مدهش في سيناء وقبولهم الرسمي للعهد، كل هذا تُرك وأُهمل ونُسي وجُحد بسرعة. صحيح أن الإسرائيليين قد عاشوا مدة طويلة في مصر وعاشروا أُمة تعبد الآلهة كأصنام، فلم يكن من السهل أن يتركوا تأثيرها ويعيشوا للإله الواحد الذي لإبراهيم في مصر.

«وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة بعيداً عن المحلة» (٣٣: ٧ - ١١). هذا يوضح كيف كانت عبادة الله مستمرة بين تأسيس الخيمة (١٩: ١) أو حتى من زمن الخروج حتى تكميل الخيمة (٤٠: ١ إلخ) حوالي سنة. وقد حرّك موسى الخيمة من المحلة بسبب خطية الشعب وعبادة العجل الذهب، كتعبير عن عدم رضى الله على شعب إسرائيل. ولكن وجود النار على الخيمة وكلام موسى مع الله كان يعني أن يهوه لا يزال على صلة بالشعب ولكن مبتعدٌ عنهم. وموسى كان هو الوسيط لأن الكهنة واللاويين لم يكونوا قد تعيّنوا بعد. وكان يشوع خادم موسى هو المسئول عن الخيمة، بينما موسى كان يحفظ ألواح العهد لما أُعطي له.

وبسبب طاعة اللاويين أعطوا خدمة الله (تث ٣٣: ٨ - ١٠). وفي (خر ٣٤: ٢٩) رُئي وجه موسى وحده ابتدأ يلمع، ووَضْعُ البرقع لم يكن بسبب خوف الشعب «ليس كما كان موسى يضع برقعاً على وجهه لكي لا ينظر بنو إسرائيل إلى نهاية الزائل» (٢كو ٣: ١٣). بل كان هذا هو البرهان الحي أنه كان يتكلم مع الله في حضرة مجده (خر ٢٤: ١٦ - ١٨).

٣ ـ سفر اللاويين

اسم السفر:

بحسب التقليد العبري يسمى كل كتاب بأول كلمة كُتبت فيه. وسفر اللاويين يبدأ هكذا: «ودعا الرب موسى» لذلك صار اسم السفر بالعبرية "ويقرا" بمعنى "ودعا". والكتاب أغلبه أوامر ووصايا، أعطيت لموسى لتقديمها لشعب إسرائيل. وتبدأ سبعة عشر أصحاحاً منه بهذه العبارة: «وكلم الرب موسى».

والمخاطَب في معظم السفر هو موسى ولكن في ثلاث مرات دُعي هارون مع موسى (١١: ١، ١٤: ٣٣، ١٥: ١) ومرة واحدة دُعي هارون فقط (١٠: ٨). والكتاب يُعتبر دليلاً مختصراً للكهنة، ويذكر اسمهم ٢٠٠ مرة، ونصف هذه التعليمات مقدمة للشعب «كلّم بني إسرائيل قائلاً» (٤: ٢، ٧: ٢٩ إلخ) مما يتضح معه أن كل هذه الوصايا تخص الشعب. غير أنه في توضيحها وإلزامها يقوم الكاهن بدور هام وربما لا مثيل له.

ولكن التعليمات التي ليوم الكفارة موجَّهة لتكون بواسطة هارون ككاهن أعلى (١٦: ٢). والأصحاح السابع عشر موجَّهة للكهنة وللشعب، بينما الأصحاحان (٢١، ٢٢) للكهنة خاصة. والأسماء التي ذُكرت في هذا السفر هي: موسى وهارون، وأبناء هارون الأربعة، واثنان من أقربائه (١٠: ٤). ومكان كتابة السفر هو جبل سيناء وهذا ذُكر رسمياً أربع مرات (٧: ٣٨، ٢٥: ١، ٢٦: ٤٦، ٢٧: ٣٤). وعبارة «وكلَّمه من خيمة الاجتماع» (١: ١) هي صلة لوصل الكلام بعد إقامة خيمة الاجتماع المذكورة في سفر الخروج أصحاح (٤٠).

والقول بأن هذه الاستعلانات تمت في سيناء يحدد تاريخ كتابة هذا السفر عامة. فالتغرب في مصر والانعتاق من العبودية يُذكر باستمرار مما يدل على أن الكتابة كانت بمجرد استتبابهم في سيناء كما جاء في (١١: ٤٥، ١٨: ٣، ١٩: ٣٤ و٣٦). أما الدخول لامتلاك أرض كنعان فيتكلم عنها السفر على أنها ستتم في المستقبل (١٤: ٣٤، ١٨: ٣، ١٩: ٢٣، ٢٠: ٢٢، ٢٣: ١٠، ٢٥: ٢).

وكمثل سفر التثنية، فالترتيب وتنسيق السفر تم بيد موسى. والتاريخ الأول المختصر هو ذكر

«اليوم الثامن» (٩: ١) الذي يكون بعد السبعة أيام، وهي أيام تكريس الكهنة (٨: ٣٣ و٣٥)، (خر ٢٩: ٣٥).

هذه الأيام تُحسب من يوم إقامة الخيمة (خر ٤٠: ٢) الذي كان في اليوم الأول للشهر الأول للسنة الثانية، وأكمل موسى العمل وحده بدون مساعدة هارون (خر ٤٠: ٣٥). وتكريس الكهنة كان على يد موسى (خر ٤٠: ١٢)، (لا ٨: ٦) فتكريس الكهنة مذكور بالتفصيل في الأصحاح الثامن، وأحياناً يتكرر ما كان قد سُجل بالتدقيق في سفر الخروج، كما تتكرر أيضاً في (خر ٣٥ - ٤٠) بالتدقيق والتفصيل الأوامر والوصايا التي أعطيت في الأصحاح (٣٥ - ٤٠) من سفر الخروج أيضاً. وفي حال الكهنة كما في حال خيمة الاجتماع إذعان مطلق لِمَا أُمر به موسى (٨: ٢٩ و٣٦)، كذلك في اليوم الثامن (أصحاح ٩) دخل هارون وأولاده إلى خدماتهم المقدسة. هارون يقدّم الذبائح عن نفسه وعن الشعب (٩: ٧ و٨ و١٦) بخلاف ما عمله المسيح في العهد الجديد «الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه.» (عب ٧: ٢٧).

ثم إن الرب أشار إلى موافقته على الظهور في مجده غالباً في عمود السحاب وفي النار التي تلتهم الذبائح، هذه هي النار المقدسة التي تحترق دائماً ولا تنطفئ أبداً (٦: ١٢).

ثم تظهر فجأة حادثة من فرائد الأحداث الغريبة التي ظهرت في الأسفار الخمسة، والحقائق تتكلم بنفسها (لا ١٠): ناداب وأبيهو اثنان من أبناء هارون الأربعة الذين اشتركوا مع السبعين في الطقس الرسمي المذكور في (خر ٢٤: ١)، قدما بخورهما في مجامر بنار غريبة أي نار لم تؤخذ من نار الله المتقدة على مذبح المحرقة التي كان قد أشعلها الرب (لا ١٦: ١٢) ولا يُعرف سبب ذلك. ولكن العقوبة أتت بسرعة، فإنهما ماتا أمام الرب، وكان أكبر تحذير رسمي مُرعب أُعطي في بداية الخدمة المقدسة التي رسمها الله. وربما كان قصدهما حسناً مثل عُزة (٢صم ٦: ٦)، ولكن النية الحسنة لا تكفي في اتباع أوامر الصلاة والخدمة إذ يلزم التمسك بالفريضة والأمر والتقليد. وقد مُنع هارون وأولاده من أن يُبدوا أي علامات للحزن (١٠: ٦) ووُبخوا بشدة لفشلهم في القيام بالطقس ولوازمه بالتدقيق (١٠: ١٦ - ٢٠) بالرغم مما أصابهم.

هنا تظهر أفكار الله وطرقه أنها ليست كطرق الإنسان (إش ٥٥: ٨). وقد كان مجتمع بني إسرائيل كبيراً للغاية ستمائة ألف رجل، وكانت خدمة خيمة الاجتماع تسير بدقة، وخدمة الكهنة

متطابقة، ومع ذلك ما كان يوجد سوى خمسة كهنة فقط: هارون وأولاده الأربعة!! وبعدم الطاعة مات اثنان منهم (عد ٣: ٤)، ولكن ليس عند الله أعداد، ولكن عند الإنسان فقط، «لأنه ليس للرب مانع عن أن يخلّص بالكثير أو بالقليل.» (١صم ١٤: ٦)

وربما كان لهارون (هو ابن ٨٤ سنة) أولاد آخرون، وأولاده لهم أولاد في سن يسمح لهم بخدمة المذبح، ولكن لم يُذكر عنهم شيء. ومن (عد ٣: ١ - ٤) يتضح أن عدد الكهنة بقي ثلاثة فقط.

وكان اللاويون في زمن الخروج اثنين وعشرين ألفاً (عد ٣: ٣٩) ومنهم ٨٥٨٠ كانوا بين ثلاثين وخمسين سنة عمراً (عد ٤: ٤٨). أما الكهنة المسجلون فكانوا ثلاثة. وبحسب (١أي ٢٣: ٣) في ختام أيام داود كان عدد اللاويين أعمار ثلاثين سنة فما فوق ثمانية وثلاثين ألفاً. حيث كان الكهنة كثيرين وينقسمون إلى أربع وعشرين فرقة (١أي ٢٤) والنسبة غير مذكور عنها شيء. ولكن في أيام زربابل كانت هناك أربع فرق فقط وكان عدد كهنة كل فرقة أكثر من ألف كاهن والجميع ٤٢٨٩ كاهناً (عز ٢: ٣٦ - ٣٩)، وكان مجموع اللاويين أربعة وسبعين مضافاً إليهم ٣٦٧ مغني وبواب. وهم عدد الراجعين من السبي.

والمعروف أنه في أيام موسى كان عدد اللاويين كثيراً جداً في مقابل قلة شديدة في عدد الكهنة، ولكن في أيام عزرا ونحميا أي أيام السبي وما بعد السبي كان العكس هو الحادث، فالكهنة كان عددهم كبيراً جداً واللاويون كان عددهم قليلاً جداً.

والحادث الآخر الذي حدث في سفر اللاويين هو التجديف الذي اتُّهم به أحد أنصاف الإسرائيليين من أب غير إسرائيلي (المسمَّى اللفيف)، وكان عقابه سريعاً (٢٤: ١٠ إلخ).

والآن وقد انتهينا من الجزء التاريخي في سفر اللاويين نأتي إلى القانون الذي يمثل الجزء الأكبر من السفر الذي كان يحكم إسرائيل وحياتهم وسلوكهم كشعب أو كأمة مقدسة للإله الواحد القدوس في كل أجيالهم.

أولاً: الذبائح (١ - ٧)

يبدأ سفر اللاويين بعد ذكر إقامة خيمة الاجتماع في نهاية سفر الخروج. والآن ندخل إلى وصف دقائق الذبائح التي بواسطتها يحظى الخاطئ بمغفرة خطاياه وقبوله لدى الله والشركة معه. فالذبائح تمثل أمام العابد الذي يدخل الفناء في خيمة الاجتماع ويقف أمام المذبح النحاسي الهائل الذي

للذبائح حتى وقبل أن يتكرّس الكهنة ليخدموا المذبح. وطبيعة هذه الذبائح موصوفة، ويتضح من وصفها هنا أنه بدون سفك دم لا تحدث مغفرة كقول سفر العبرانيين (عب ٩: ٢٢)، (لا ١٧: ١١).

وكانت الذبائح صنفين: تلك التي يُقصد منها سفك الدم، والذبائح التي لا يُطلب منها سفك دم.

الذبائح الحيوانية بسفك الدم:

وتنقسم إلى: ١ - المحرقة، ٢ - ذبيحة التعدي، تقدمات الخطية، ٣ - تقدمة ذبيحة السلامة.
وفي هذه الذبائح كلها يكون سفك الدم والإجراءات الطقسية للدم تشير إلى فعلها الكفاري.

١ - غير أن ذبائح المحرقة يُحرق لحمها كله على المذبح وهي تشير إلى التدشين الكامل للشخص المقدِّم أو للأمة لله. لذلك كانت تُدعى محرقة كاملة (كاليل)، كذلك المحرقة الدائمة (تاميده) وهي تقدمة حمل صباحاً وحمل مساءً من أجل خطايا كل الشعب (خر ٢٩: ٣٨).

٢ - ذبائح الخطايا والتعدي بتقدمة اللحم غير الجزء الذي يُحرق على المذبح (٤: ٨ - ١٠)، وفي بعض الأحيان يؤكل بواسطة الكاهن مثل (٦: ٢٦، ١٠: ١٢ - ١٥)، وأحياناً تحرق خارج المحلة (٤: ١١ و١٢).

٣ - وفي حالة ذبيحة السلامة وهي بحسب اسمها تدل على أن صاحبها في حالة سلام مع الله ومتصالح معه بالطاعة والذبيحة بحسب الناموس، فإن مقدِّم الذبيحة وعائلته يُسمح لهم بالتعييد على الجزء الأكبر من اللحم بالنسبة للذبيحة (٣: ١ - ١٧)، (٧: ١١ - ٣٦)، (تث ١٢: ٥ - ٧ و١١ و١٧ - ١٩، ١٦: ١٠ و١١). وهذه تسمى وليمة الشكر، وليمة للشركة وكان للفقير نصيب فيها.

وبالنسبة لذبائح الحيوانات فالأمر هو مبدأ الإحلال والإبدال. فإن مقدم الذبيحة يضع يده على رأس الذبيحة (١: ٤، ٣: ٢ و٨ و١٣ إلخ). ومبدأ التمثيل يظهر في خطية الجماعة كلها فإن الشيوخ منهم يقدمون الذبيحة عنهم وحدهم (٤: ١٥).

وهكذا تكون الذبائح لها ثلاثة أوجه أو صفات في عبادة الفرد أو الأمة:
إما للتكفير، أو للتدشين، أو للشركة.

تقدمات أخرى:

الأشياء الأخرى التي تصنع كل يوم طعاماً للشعب تقدم بواسطتهم في العبادة لله. ولكنها

تقدمات غير دموية مثل تقدمة الدقيق من الدقيق الناعم مع زيت وبخور، وتقدمة السكيب بالخمر فإنها تقدم عادة مع ذبائح الحيوانات. ويستخدم الملح مع كل الذبائح والتقدمات (٢: ١٣)، ولا يقدم خمير على المذبح (٢: ١١) وبالمثل العسل الأبيض. ولكن الكعك من العجين الخمير «أقراص خبز خمير» (٧: ١٣، ٢٣: ١٧) مهم لأنه يُعمل ليذكرنا بحقيقة هامة لا يمكن إهمالها لأن الخبز الخمير هو غذاء اليوم العادي لبني إسرائيل من أيام الآباء حتى العهد الجديد، لأن الخميرة تجعله متجانساً وطعمه جيداً، لذلك تُعتبر غلطة أن يؤكِّد أن الخمير دائماً يشير إلى «الشر»، لذلك فيما عدا عيد الفطير فإن الشعب حرٌ في أن يتعامل مع الخمير (خر ١٢: ٣٤ إلخ)، حيث كان الفطير ضرورة لسرعة الهروب من مصر، وهذا لا يدخل في التقديس. ولكن غير مسموح للخمير أن يقدَّم مع الذبيحة على المذبح.

وهذا كله لم يشكّل أي عبء على الشعب، فالحيوانات المطلوبة هي المستخدمة في البيوت: الحَمَل والماعز والخراف والعجول. ولكن الفقير يقدم حيوانات غير مكلِّفة: الحمام، اليمام، وربما تكون ذبائح غير دموية فإنها تُقبل (٢: ٢ و٨، ٥: ١١ - ١٣). وللتذكر الطيبة المقدسة فإن القديسة العذراء مريم بسبب فقرها قدمت للتطهير زوج يمام أو فرخي حمام (لو ٢: ٢٤).

ثانيا: الكهنة (٨ - ١٠)

هذه الأصحاحات تجمع تاريخ تكريس هارون وأولاده مع قوانين التكريس والواجبات بالنسبة للكهنة ورؤساء الكهنة التي على إسرائيل أن يعمل بها على مدى أجياله.

أما واجبات الكهنة فكانت ثلاثة:
١ - مغفرة خطايا الشعب بتقديم الذبائح (٩: ١ - ٧).
٢ - مباركة الشعب في اسم الرب (٩: ٢٢)، (عد ٦: ٢٣ - ٢٧).
٣ - تعليم الشعب مشيئة الله والتشديد على الناموس الذي وضع لهم باعتبارهم أُمة مقدسة مفروزة لخدمة الرب (١٠: ١١)، (تث ٣١: ٩ - ١٣).

وكان موسى كممثل مباشر لله قد كرّس هارون وأولاده بطقس مطوّل (٨: ١ - ٣٥) وخاصة قوانين التطهير للكهنة.

ثالثاً: عدم الطهارة التي تمنع من دخول الهيكل (١١ – ١٥)

شعب الله القدوس عليه أن يكون شعباً مقدساً، هذه العبارة تكررت مراراً (١١: ٤٤)، (تث ٧: ٦، ١٤: ٢ و٢١) فعليهم أن يتجنبوا كل ما ينجسهم:

(أ) الحيوانات النجسة (١١):

والفرق بين النجس وغير النجس من الحيوانات ذُكر في سفر التكوين (٧: ٢) والحيوانات التي يُسمح بتقديمها كذبائح هي حيوانات طاهرة ومذكورة في (تك ١٥: ٩) وهي مبادئ عامة. فالعجول والخراف والحملان والماعز يربيها الشعب.

ولكن الطيور الضارية نجسة وكل لحمها نجس، ولكن في سفر التثنية يسمح بأكل بعض الحيوانات التي تعيش على العشب.

(ب) النساء غير الطاهرات (١٢):

بينما ناموس موسى يصرّح بالزواج وبأنه قانوني للجميع، لرئيس الكهنة والكهنة واللاويين وكل الشعب ولا يستثنى إلا النذير، إلاَّ أنه يعود ويتعامل مع كل ما يخص الجنس أو الولادة أو الحمل أو الوضع على أنها تُنجِّس، ذلك لأن الخطية لم تسيء إلى الفرد بل أساءت إلى الجنس البشري كله، فالولد الصغير يولد بالخطية «وبالخطية حبلت بي أمي» (مز ٥١: ٥) بالرغم من أن الزواج محلل من الله. لهذا أصبح تطهير المرأة بعد الولادة طقساً دينياً رسمياً في العهد القديم. وامتنع من الهيكل كل ما يمت للعلاقات الجنسية أو سوء استخدامها.

(ج) البرص (١٣ و١٤):

لا يُعرف طبيعة هذا المرض ولكنه يُعزى للخطية وانتهاك المقادس ويسمى أحياناً بالضربة (انظر حادث مريم أخت هارون وجيحزي خادم أليشع النبي وعزيا) ولكنه يُحسب أيضاً كمرض. وكان على الكاهن أن يميّز هذا المرض: كونه مُعدياً أو غير معدٍ. ويُعرف أنه لا شفاء له إلا بمعجزة، ولكن يَذكر أيضاً طقساً لمن يُشفي من البرص؟ وهو مرض خطِير بالنسبة لسهولة العدوى بالهواء الملامس. ويلزم عزل المريض من المجتمع.

(د) عدم طهارة الرجال والسيدات (١٥):

هنا الأمور الطبيعية وغير الطبيعية قد فُسرت في موضعها. وفي النهاية يلزم التطهير.

رابعاً: يوم الكفارة (١٦)

هذا هو اليوم المخصَّص لمغفرة الخطايا لكل إسرائيل، لا يُستثنى منه أحد، حتى رئيس الكهنة نفسه الذي يقيم الصلوات والعبادة المفروضة. وكان يُسمح في هذا اليوم فقط لرئيس الكهنة بدخول قدس الأقداس الذي يُشار إليه بكلمة «داخل الحجاب» (١٦: ٢ و١٢ و١٥) انظر: (عب ٩: ٣). وكان على هارون أن يقدّم ذبيحة عن نفسه (١٦: ٦) ثم عن الشعب (١٦: ١٥) ولخيمة الاجتماع ذاتها (١٦: ٣٣) وحتى عن المذبح الذي للبخور (١٦: ١٨ إلخ)، (خر ٣٠: ١٠) وذلك في المكان المقدس. والطقس ينبغي أن يُحفظ باهتمام. فالثور هو ذبيحة هارون وبنيه، والتيسان عن الشعب، والكباش عن الكهنة والشعب.

وطقس التيسين يشمل التفريق الهام: فالتيس الأول يُقدم عن خطايا الشعب والآخر تيس عزازيل يُطلق حراً في البرية لعزازيل. وكلمة عزازيل هي من أصل جذر كلمة "يذهب" أو "يذهب بعيداً"، وهذا يعني "يطرد" (١٦: ١٠ و٢١ إلخ). وهو يُسمى التيس المفرج عنه أو المطلوق. والمقصود هو رفع جميع الخطايا التي غُفرت بالذبائح. وخطايا الشعب ينبغي أن يُعترف بها فوق رأس هذا التيس ثم يُترك ليهرب ويُنسى (مي ٧: ١٩)، (مز ١٠٣: ١٢).

+ «يعود يرحمنا يدوس آثامنا وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم.» (مي ٧: ١٩)

فالأول يكفّر عن الخطايا، والثاني يكمل تكفيرها.

ويوم الكفارة هو اليوم الوحيد المفروض فيه الصوم ليحزنوا على نفوسهم (١٦: ٣١) **«ففعل هارون كما أمر الرب موسى»** (١٦: ٣٤). هذه الكلمات ينبغي أن تراعى جيداً لأن هذا يشير إلى أن يوم الكفارة كان معمولاً به في وقته المحدد. وهذا يعني أن خطية يوم قادش لم تكن قد حدثت بعد حتى هذا اليوم ولكنها تمت بعد يوم الكفارة بحوالي خمسة شهور بعد أن ترك إسرائيل سيناء (عد ١٤). وقد تم عليها العقاب بإفناء جيل الغضب ودينونته بأن يهلك في البرية (عد ١٤: ٢٢ و٢٣). فهنا طقس كفارة لجميع خطايا الشعب (١٦: ٣٠ و٣٤). ونرى من الآية (١٦: ٣٤) أن الطقس المستمر للخيمة كان في أوج عمله لعدة شهور قبل أن يتوقف بواسطة هؤلاء المرتدين.

وعلى العموم فإن العالِم "واربي" يوجه الأنظار بقوله إنه لا يوجد برهان أنه قد قُدمت ولا ذبيحة واحدة من الذبائح المفروضة، بل إن القديس إستفانوس يقتبس من عاموس قائلاً العكس (أع ٧:

٤٢ و٤٣). ولكن لأن المولودين في البرية لم يختتنوا وبالتالي لم يقيموا الفصح، فما يقوله "واربي" يصح فقط لما بعد الارتداد لأن شريعة يوم الكفارة مرتبطة بخطية ناداب وأبيهو (١٦: ١). لأنه يظهر من موت أولاد هارون نتيجة عدم الطاعة أنها قد استُخدمت لإنذار هارون ضد أي تساهل أو عدم طاعة في تتميم واجبات الكهنة، وبعد ستة شهور، في يوم الكفارة دخل هارون قدس الأقداس لأول مرة.

خامساً: قوانين متعددة أخرى (١٧ - ٢٧)

هذه الأصحاحات تحوي أصنافاً عديدة من القوانين، على إسرائيل أن تنفذها باعتبارها أُمة مقدسة لإلهها القدوس، وتحتاج إلى دراسة بعناية، لأن الله يؤكدها بقوله: «أنا الرب إلهكم» وتكررت هذه العبارة خمسين مرة في هذه الأصحاحات وتبتدئ من الآية (١٨: ٢). فإسرائيل ينبغي أن يكون أُمة مقدَّسة لأن الله هو قدوس (١٩: ٢، ٢٠: ٢٦، ٢١: ٨) وهو الذي يقدسهم (٢٠: ٨، ٢١: ٨ و١٥ و٢٣، ٢٢: ١٦). والقداسة ينبغي أن تكون دائمة وبصورة دائمة لحياتهم اليومية، وتعني أن يدخلوا في نمط حياة يسمح بالاقتراب من الله لعائلاتهم ولحياتهم الاجتماعية، وفي عبادتهم سواء الفردية أو الجماعية الجماهيرية.

الأصحاح السابع عشر:

يخص الشعب ككل، كل بني إسرائيل (١٧: ٢) كيف ينبغي أن تُذبح ذبائحهم للطعام اليومي وترتيبها (١٧: ١ - ٩). فالحيوانات الثلاث البقر والغنم والماعز ينبغي أن تُعامَل معاملة ذبيحة السلامة وتُذبح على باب خيمة الاجتماع. وواضح من هذا القانون أنه كان أول ما طُبق في البرية في بداية ترحالهم وتغربهم في البرية. ولكنه تعدَّل في سفر التثنية (١٢: ١٥ - ٢٤) ليوافق وجودهم في أرض الموعد. وهذا يوضح بشدة أن سفر التثنية يأتي بعد اللاويين. والآيات (١٧: ١٠ - ١٦) بخصوص التقديس للدم واستخدامه في التكفير عن الخطية (عب ٩: ٢٢) على أن أكل اللحم ودمه هو خطية ممنوعة قطعياً (تك ٩: ٤).

الأصحاح الثامن عشر:

يختص بالعلاقات الجنسية والحالات الممنوعة فيها والخطايا غير الطبيعية. ويتحتم على إسرائيل نفسه أن لا يأخذ لا مصر ولا كنعان مثلاً لنفسها يُحتذى به في هذه الأمور (١٨: ٣). وبعض الممنوعات تفضح التوحش والفساد في إسرائيل التي كانت ينبغي أن تتسربل بالنعمة.

الأصحاح التاسع عشر:

يختص بتنوعات كثيرة لعدة مواضيع، خاصة الأمر «تحب قريبك كنفسك» (١٩: ١٨ و٣٤) والتي أسماها الرب يسوع الوصية الثانية وأعطاها نفس صفة الأولى أنها العظمى وهذه الوصية تجمع فيها كل الوصايا المكتوبة في اللوح الثاني للوصايا العشر. والمثل العملي ذكر في الآية (١٠)، وتحتاج هذه الوصية إلى أمانة شديدة (٣٥).

الأصحاح العشرون:

يمنع بعض الأعمال المخيفة والمرعبة التي اعتادها الكنعانيون، والعقوبة الواجبة على ذلك.

الأصحاح الحادي والعشرون والثاني والعشرون:

وهما للكهنة كممثلي الرب الإله، فإنهم قد حُذروا خصيصاً أن يتحاشوا كل ما هو خاطئ ويكونوا خالين من كل عيب جسدي أو أي نقص، كما أن الكمال الطبيعي مطلوب في الحيوانات التي تؤتى بها للكاهن لتكون ذبيحة (٢٢: ١٧ - ٣٣).

الأصحاح الثالث والعشرون:

موجَّه إلى بني إسرائيل. ويصف المحافل التي ينبغي أن تكون في مناسبات مقدسة في السبت والفصح وعيد الفطير وعيد الباكورات والعيد الخمسين (البنتيكوستي) وعيد الأبواق ويوم الكفارة وعيد المظال (خر ٢٣: ١٠ - ١٧)، (تث ١٦: ١ - ١٧).

الأصحاح الرابع والعشرون:

ويحوي وصايا وأوامر متعدِّدة: زيت المصابيح بحضرة الشعب، وخبز الوجوه، وعقاب المجدِّف وخطايا أخرى، ومبدأ القضاء العادل لمقاومة الانتقام الشخصي (١٩ و٢٠).

الأصحاح الخامس والعشرون:

السنة السبتية، وسنة اليوبيل.

السنة السبتية موجودة في (نح ١٠: ٣١)، كما يعتبر إرميا أن سبي بابل كان راحة السبت بالنسبة للأرض (٢أي ٣٦: ٢١) التي فيها إلغاء الديون وعتق العبيد اليهود واستعادة أصحاب الأرض لأرضهم التي يمتلكونها بالميراث. ولكن الإسرائيليين قد أهملوا هذا القانون.

الأصحاح السادس والعشرون:

يصف البركات التي تفيض بسبب حفظ الناموس (آيات ١ - ١٣) واللعنات التي تلحق عدم الطاعة للناموس (آيات ١٤ - ٣٩). والأربع الضربات: الجوع، والوحوش، والسيف، والوبأ. وهذه ظهرت بكثرة في آخر الأيام (حز ١٤: ٢١). وإرميا وحزقيال تكلّما عن ضربة السيف، خاصة حزقيال (٢١) ثم طريق العفو والعودة والراحة بحسب عهد إبراهيم (آيات ٤٠ - ٤٥). وآية (٤٦) هي بمثابة شهادة إثبات لكل الأصحاحات السابقة.

الأصحاح السابع والعشرون:

يتعامل مع العهود والأقسام والعشور والأشياء المكرسة - وكل هذا من أجل قداسة أخلاقية وليست طقسية، فالقصد هو الابتعاد عن الشرور الأخلاقية وذلك من واقع هذه القوانين الأخلاقية.

ونحن نجد في (لا ١٩: ١٨) الوصية الثانية والعظمى «تحب قريبك كنفسك» وصية يُلحق بها «أنا الرب». ثم في (١٩: ٣٤) تمتد وصية محبة القريب لتشمل الغريب الذي يسكن في وسطكم لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر «أنا الرب إلهكم».

وبالنسبة لهذه القوانين في سفر اللاويين فإنها قد أُعطيت لتحكم الحياة وتحث على الطاعة لله ومخافته، ولضبط الأفكار والقلب. وقد وضع الله هذه القوانين ليرفع الشعب في مستوى عالٍ، ولكن كل هذه قد عُرفت ولم تُطاع. وصُنعت أكبر خطية لإسرائيل عوقب عليها الشعب و لم يرتدع.

٤ ـ سفر العدد

العنوان:

يُسمَّى في اليونانية (الترجمة السبعينية) "**الأعداد**" بالجمع وليس بالمفرد، وأما في العبرية فقد أضاف إليه اليهود مؤخراً عبارة "في البرية"، لأن العنوان يبدأ هكذا كما هو في اللاويين «وكلّم الرب موسى» فأضافوا هنا "في البرية bemidhbar" تمييزاً له عن سفر اللاويين.

وسفر العدد ينقسم إلى **أربعة أقسام** كبرى:

الأول: إسرائيل في سيناء:(١: ١ - ١٠: ١٠)

الثاني: من سيناء إلى قادش برنيع: (١٠: ١١ - ١٤: ٤٥)

الثالث: سنوات التيه أو الدوران: (١٥: ١ - ١٩: ٢٢)

الرابع: السنة الأربعون: (٢٠: ١ - ٣٦: ١٣)

القسم الأول: إسرائيل في سيناء: (١: ١ - ١٠: ١٠)

تعداد الاثني عشر سبطاً ومحلتهم عالجه الأصحاحان الأول والثاني، والتاريخ المدون هو اليوم الأول في الشهر الثاني من السنة الثانية. والعدد الأول (١:١) يوضح أن الترتيب لا يتبع التاريخ وذلك بالمقارنة مع (٧: ١) وخاصة مع (٩: ١ إلخ).

فالإحصاء يُذكر في الأول بسبب أهميته. فإسرائيل ليس جماعة غير عضوية أو تضم جنسيات أخرى لكن إسرائيل شعب محدد وكل أسمائه وأعماره وأسباطه وصلاته معروفة. وقد رأينا أن العدد الإجمالي لضريبة النصف شاقل (في خروج ٣٨: ٢٥ إلخ) وهي (٦٠٣٥٥٠) مطابق تماماً للعدد المعطى هنا للأفراد في سفر العدد (١: ٤٦)، وقد عَزَوْنا هذا إلى أن كلاً من هذه الضريبة والإحصاء قد أُخذ في نفس اليوم، ربما يوم إقامة الخيمة (خر ٤٠: ٢). ويلزم ملاحظة أن الأرقام المعطاة في سفر العدد الأصحاحات (١و٢) هي أرقام تقريبية، أي أنها بالآلاف والمئات فقط (١: ٢٥ مستثنى) لكي تسمح بالفروقات الطفيفة التي ربما تحدث في خلال أسابيع أو عدة شهور.

والأرقام ذات دلالة: فسبط يهوذا عدده أكبر جدًا من كل الأسباط الأخرى، فهو أكبر بصورة ملحوظة عن نظيرية سِبْطا دان وشمعون، وأكبر من ضعف عدد أصغر سبطين بنيامين ومنسى.

والعدد الإجمالي لكل سبط أُعطي وبعده المجموع الكلي للأسباط (١: ٤٦). ثم يُشار إلى أن اللاويين غير محسوبين في هذا الإحصاء (١: ٤٧).

الأصحاح الثاني:

يجمع الاثني عشر سبطاً في أربعة محلات (مُخيَّمات) ويذكر مواقع المحلات بالنسبة لخيمة الاجتماع، والنظام النسبي لكل محلة عند بدء الترحال، وليس فقط تكرَّرت الأرقام التي أُعطيت في الأصحاح الأول، بل وأيضاً يُعطى من جديد العدد الإجمالي لكل الأسباط معاً (٢: ٣٢ = ١: ٤٦).

وإنه من الجدير بالملاحظة أنه بينما يتبع الأصحاح الأول الترتيب الطبيعي للأسباط، نجد في نظام السير أن محلة يهوذا تُعطى الأولوية فوق رأوبين. هذا هو الترتيب الأول للقيادة الموعود بها ليهوذا (تك ٤٩: ٨ - ١٠):

+ «يهوذا إياك يحمد إخوتك. يدك على قفا أعدائك. يسجد لك بنو أبيك. يهوذا جرو أسد. من فريسة صعدتَ يا ابني. جثا وربض كأسد وكلبوة. مَنْ يُنهضه».

الأصحاحان الثالث والرابع:

الكهنة واللاويون أُعطيت أعدادهم هنا وتحددت وظائفهم، والذكر المختصر لعدد عائلة هارون (٣: ١-٤) بالنسبة لموضعه في الإحصاء يوضح بصورة جلية أن الكهنة، وبعد إظهار عدم طاعة ناداب وأبيهو - اللذين عوقبا بالموت، كان عددهم ثلاثة كهنة فقط! وعدد ٢٢٠٠٠ من اللاويين من عمر شهر فما فوق (٣: ٣٩) فإنهم أُخذوا بدلاً من أبكار الذكور (خر ١٣: ٢ و١٥) لكل الاثني عشر سبطاً، الذين كان عددهم ٢٢,٢٧٣. والفارق بين الرقمين هو الذين تعدّل دفعوا الخمس شواقل (وعددهم ٢٧٣).

وحقيقةً إن عدد الأبكار صغير إذا قورن بالمجموع الكلي للشعب ٦٠٣,٥٥٠. ويلزم أن نتذكر أننا لا نعلم بالضبط ماذا كان معنى البكر: فمثلاً هارون كان البكر لعمرام ولكنه لم يكن البكر بمعنى فاتح رحم كالمقصود في سفر الخروج: «**لي كل فاتح رحم**. وكل ما يولد ذكراً من مواشيك بكراً من ثور وشاة» (خر ٣٤: ١٩). فمريم كانت كذلك. ويعقوب كان له أربع زوجات. ففي معنى البكر كما في سفر الخروج السابق يكون أربعة من أولاده أبكاراً. ولكن بالقطع كان بكْره هو رأوبين (تك ٤٩: ٣). فعلينا أن نفترض أن هذا الرقم المختصر إنما يرجع إلى حقائق حتى ولو لم نتمكن من أن نشرحها.

ويلزم أن نلاحظ على وجه الخصوص أن واجبات اللاويين كما ذُكرت في الأصحاح الرابع، هي التي كانت تمارَس فقط حتى زمن ما قبل اقتحام وامتلاك أرض كنعان. فواجباتهم قد تحددت بدقة بالنسبة لحمل ووضع خيمة الاجتماع (٤). أما ما قيل من جهة واجباتهم العامة فهو قليل جداً (٣: ٦ - ٩)، (أصحاح ١٨).

أما الواجبات الطقسية فكانت طبعاً هامة جداً وحيوية وتسترعي الانتباه (٤ و١٨) وذلك عندما استعد إسرائيل للدخول إلى كنعان. ولكن بعد الغزو صارت ذات أهمية أقل، وبعد إقامة الهيكل توقف أن يكون لهم أي عمل إلا مجرد تذكار القديم.

وهذا يوضح بالقطع أن هذا التسجيل الذي يقول عنه العلماء أنه يعود لأيام الخروج أو بعده إنما يعود إلى عصر موسى، فهو الذي وضع هذه القوانين التي تخص أوضاع المحلة بالنسبة للأسباط وترتيب السير. هذا النظام كله وضعه موسى.

وكما هو الحال دائماً فإن القوانين التي وُضعت لنظام سير الأسباط في الأصحاحات (٢-٤)، هكذا يلحقها في مكان آخر خبر بدء تنفيذها (١٠: ١١ - ٣٦). وكان الذي يحكم نظام السير السحابة التي كانت تشير إلى حضرة الله (٩: ١٥ - ٢٣). لهذا ذُكر أن تابوت عهد الله كان يحمل وسط الجماعة (٢: ١٧، ٣: ٣١، ٤: ١٥، ١٠: ٢١). ومن ناحية أخرى فإن الكلمات «راحل أمامهم» في (١٠: ٣٣) يبدو أنه يقصد بها أن التابوت كان قد حُمل (انظر: يش ٣: ٣ إلخ). ويلزم أن نتذكر دائماً أننا إنما نذكر جماعة تعدادها عدة ملايين الذين كانت محلاتهم على ميل مربع على الأقل أو حتى عدة أميال مربعة، وربما كان طول مسيرتهم عدة أميال، مما أحدث التباسات لا حصر لها.

وهناك سؤال هام في الأصحاح الرابع بخصوص تغطية التابوت وكل الأدوات والأوعية المقدسة التي لخيمة الاجتماع التي كانت تحمل بسلام بواسطة اللاويين. فهل هو يعني أن التابوت كان دائماً مُغطًّى؟ أو فقط عندما يسكن في قدس الأقداس؟ أو هم في مواقف الخطورة كعبور الأردن (يش ٣: ٣) كان مسموحاً للشعب أن يرى التابوت (سؤال من الكاتب)، وهذا مذكور في (١صم ٦: ١٩). لهذا لزم أن نفرق بين وضع التابوت حين ذُكر وقت العبادة وبين وضعه حين ذكر أوقات أخرى.

الأصحاحات من الخامس إلى العاشر:

تنظيف المحلة (٥: ١ - ٣١):

محلة الرب يلزم أن تُحفظ بلا دنس أو تدنيس، فالذين كانوا يُعتبرون أنهم مدنسون بسبب البرص

أو ما يشابهه يلزم إبعادهم عن المحلة التي كان يسكن الله فيها بينهم (٥: ٣). وهنا يُذكر كثير من التعديات، نذكر منها خاصة ما يخص النساء اللاتي يشك فيهن أزواجهن، فلهُن قانون يُسمى قانون الغيرة (٥: ٢٩) أو شريعة الغيرة وقد ذكرت بتطويل، فهذا يُحسب تنجيساً للمحلة، وهو تعدٍّ خطير يسيء إلى حياة الجماعة كلها لإمكانية تلويث الأنسال والأنساب.

النذيرون (٦: ١ – ٢١):

وهم المذكورون في (٦: ١ – ٢١). والنذير هو الذي يعزل نفسه لقيامه بواجبات خاصة والامتناع عن أمور لا يتممها كنذر لله. هذا الانعزال إما لزمن محدد أو للحياة كلها. فالشخص الوحيد الذي يُدعى نذيراً من قبل ولادته في العهد القديم هو شمشون (قض ١٣: ٥، ١٦: ١٧) كذلك صموئيل النبي محسوب كذلك نذيراً منذ طفولته (١صم ١: ١١ و٢٨)، وكذلك ما يقوله عاموس (عا ٢: ١١ و١٢) وأيضاً ما ورد في (مراثي ٤: ٧)، فمن هذه النصوص يتضح أن ممارسة عهد النذير كانت منتشرة في إسرائيل. ولكن أعظم النذيرين جميعاً كان هو يوحنا المعمدان (لو ١: ١٥).

أمَّا البركة الكهنوتية (٦: ٢٢ – ٢٧) فلم يُذكر متى يُنطق بها كما في (لا ٩: ٢٢). والبركة الكهنوتية منطوق شعري، وهي مكونة من ثلاثة أزواج مقاطع أو آيات مزدوجة، في كل منها يُدعى باسم الرب، وفي آخرها تنتهي بكلمة سلام. وبالنطق بهذه البركة يتم وضع اسم الرب على شعبه (خر ٣٤: ٥ – ٨).

تدشين المذبح (٧: ١ – ٨٨):

وذلك بتقديم العطايا من رؤساء الأسباط. وهذه الخدمة الروحية تبدأ فوراً بعد تدشين الخيمة وتدوم اثني عشر يوماً ولا تكمل حتى تنتهي سبعة أيام التكريس بالنسبة للكهنة، حيث يقدم الشعب ستّ عَجَلاتٍ (عربات) مغطاة مع اثني عشر ثوراً يسوقهم أولاد جرشون ومراري الذين كان واجبهم أن يحملوا ويعبروا بالخيمة بكل أجزائها – وهنا كان يلزم أن كل الأسباط تشترك في خدمة الخيمة بينما كان لكلّ سبط الحق بعد ذلك أن يعبد فيها (يش ٢٢)، ويظهر موقع موسى الفريد (٧: ٨٩) أولاً لتكريس المذبح، فالرب يُظهر إرادته ومشيئته لعبده موسى. ولهذا فإن موقع موسى فريد ووحيد من نوعه (١٢: ٦ – ٨)، (تث ١٨: ١٥ – ١٩، ٣٤: ١٠). والحقيقة أن الصوت كان يأتي إلى موسى وكأنه آتٍ من "واحد" جالس أو واقف على التابوت وهو المسمى "الغطاء" أو "كرسي الرحمة" أو "الكابوراه" (الغطاء الذهب) أو "كرسي الشفاعة" كمكان للتشفع.

إنارة المصابيح (٨: ١ – ٤):

وهي تشير أصلاً إلى إنارة المنارة الذهب بواسطة هارون بعد تكريسه لعمل هذه الخدمة.

تطهير اللاويين (٨: ٥ – ٢٦):

وذلك بعد تكريس الكهنة ليكونوا خدام الكهنة، ومدة خدمتهم تبدأ من سن الخمس والعشرين وتنتهي في الخمسين.

الفصح (٩: ١ – ١٤):

هو أول أعياد السنة لأنه عُمل بعد سنة واحدة من مغادرة مصر عندما أقامت إسرائيل أول فصح في البرية. والآن يراعَى هذا الفصح في سيناء بعد أربعة عشر يوماً من إقامة خيمة الاجتماع. ويلاحظ أن الاحتياط قد عُمل إذا ما تأخر الفصح عن موعده على أن يُعمل بعد ميعاده بشهر تماماً وذلك بسبب موانع لا يمكن تحاشيها وتمنع من أن يُعمل في وقته الرسمي، هذا الاستثناء عُمل ليقابل حالة طارئة (٩: ٦)، والأسباب تظهر دائماً. هذا مما يؤكد صحة وإنسانية التشريع الموسوي.

وهنا أُوجِّه نظر القارئ إلى كيف استطاع موسى معرفة الأوقات والمواعيد بالضبط: إنه الإلهام الفائق!!

القيادة في الرحلة إلى كنعان (٩: ١٥ – ٢٣):

في الحقيقة يلزم أن نعترف أن شعب بني إسرائيل كان يُقاد بقوة فائقة للطبيعة والمعرفة البشرية، إذ كان معهم عمود السحاب وعمود النار دائماً:

+ «وإذا كانت السحابة من المساء إلى الصباح ثم ارتفعت السحابة في الصباح كانوا يرتحلون. أو يوماً وليلة ثم ارتفعت السحابة كانوا يرتحلون، أو يومين أو شهراً أو سنة متى تمادت السحابة على المسكن حالّة عليه كان بنو إسرائيل يترلون ولا يرتحلون. ومتى ارتفعت كانوا يرتحلون. حسب قول الرب كانوا يترلون، وحسب قول الرب كانوا يرتحلون. وكانوا يحرسون حراسة الرب حسب قول الرب بيد موسى.» (عد ٩: ٢١ – ٢٣)

أليس يا عزيزي القارئ هذا هو وعد الرب الأول لموسى «وجهي يسير فأريحك» (خر ٣٣: ١٤) وكان رد موسى وهو متهلل «إن لم يَسِرْ وجهك فلا تُصعدنا من ههنا.» (خر ٣٣: ١٥)

الأبواق الفضية (١٠: ١ – ١٠):

تذكر التوراة (البنتاتيوخ) ثلاثة أنواع من الأبواق التي كانت تستخدم بواسطة الكهنة لجمع الشعب أو الإعلان للاجتماع أو للتقدم أو للاستعداد للحرب. ولا يُذكر استخدام لآلات موسيقية أو للغناء بالنسبة لخدمة خيمة الاجتماع كما رتّب موسى.

وأقدم استعمال للموسيقى والآلات الموسيقية تشهد له أسفار التوراة لمدة ما قبل الطوفان (تك ٤: ٢١) ومثلها أيام البطاركة (تك ٣١: ٢٧). وموسى نفسه غنّى أنشودة النصر بعد أن أغرق الله جيش فرعون وتحطم جيشه (خر ١٥)، (عد ٢١: ١٧). ومريم أخت هارون قادت النسوة بترديد الأنتيفونا في خورس بترنيم (خر ١٥: ٢٠ و٢١) بدف وطبل ورقص على أن يُعمل ذلك مدى كل الأجيال. ولكن لم تظهر التراتيل في العبادة المنتظمة في السنين الأولى، ولكن الذي وضع قواعدها داود النبي ووضع خوارسها وخصص لها مائة وخمسين من عائلات اللاويين رجالاً ونساءً بجميع آلات الغناء، واخترع داود آلات جديدة للغناء، وكان الهيكل في المناسبات والأعياد يضج بالموسيقى والترتيل والمزامير وأحياناً في خورس النساء تقوم السيدات بالرقص التوقيعي على نغمات الموسيقى (انظر كتاب شرح المزامير – تحت الطبع).

ويقول العالِم مونكل الألماني المختص بشرح المزامير إنه في حالات كثيرة من تقديم الذبائح كان ينفخ الكاهن المنوط بالذبيحة في البوق فيبدأ اللاويون بالمزمور ومعهم النساء في خورس النساء بآلات الموسيقى.

أما لماذا لم تُذكر آلات الموسيقى في الخيمة في البرية فواضح أنه كان زمان ترحال وجهد ونصب، ولا مكان فيه لموسيقى أو أناشيد.

القسم الثاني: من سيناء إلى قادش برنيع (١٠: ١١ – ١٤: ٤٥)

ارتحل إسرائيل من سيناء (١٠: ١١ – ٣٦) وكانت الخيمة قد نُصبت وابتدأت العبادة فيها وأُقيمت احتفالات الفصح وأقيمت عملية الإحصاء بعد غربة لمدة سنة تقريباً (١: ١). واتجهت إسرائيل نحو كنعان وقد أعطى السفر مختصراً لذلك (١٠: ١١ – ١٣)، والآيات بعدها (١٠: ١٤ – ٢٨) تسرد ما تم من عمليات ترحال بتدقيق، وكان السفر قد سبق ووصف ذلك سابقاً في الأصحاحات (٢ – ٤). واختتم الأصحاح بخاتمة مختصرة (١٠: ٣٣ – ٣٦)

ويخبرنا السفر أن موسى طلب بركة سماوية إلهية في بداية ونهاية كل جزء من عملية الترحال. وقد عزموا على حوباب ابن رعوئيل حمي موسى أن يرافقهم إلى كنعان ليكون لهم معيناً، وهذا لم يكن دليلاً على عدم كفاءة شعروا بها من الله، ولكنها مجرد عزومة. ولكن صحبة شيخ صحراء بل ومن أربابها هي ثروة في هذا التيه. وعلى كل حال فهذا ابن حميه، فهو أقرب المقربين إلى موسى من غير بني إسرائيل.

الأصحاح الحادي عشر:

تذمر الشعب:

علامة الجحود وعدم الشكر. وإن نسيان فضل الله بهذه السرعة جلب عليهم عدم رضى الله وغضبه، كما زاد من ضيق موسى إلى غاية عدم الصبر، هذا الرجل الذي كان حليماً أكثر من بني الإنسان. لقد عافت أنفسهم من أكل المن أو كما سموه: هذا الطعام السخيف، مع أن طعمه كان كطعم رقاق بعسل (خر ١٦: ١٤ – ٣١)، وطلبوا لحماً ليأكلوا. فأكلوا حتى خرج النتن من مناخيرهم. ففرغ صبر موسى (١١: ١١ – ١٥) باعتباره بشراً حمل ما لا تحمله الجبال. واستدعاء السبعين شيخاً من إسرائيل واقتسام الروح الذي على موسى الذي للنبوة، أظهر ما كان موسى في أشد الحاجة إليه ولم يتململ – وقد منح الله الشعب لحماً ليأكلوا في البرية ولكنهم عوقبوا بسبب طمعهم وشراهتهم. وكان حجم السمان الذي انطرح على محلتهم حجماً مخيفاً في تصوره: كومة من السمان سمكها على بعضها ذراعان بطول سفر يوم في عرض سفر يوم، محيط خمسة أو عشرة أميال (١١: ٣١). فأكلوا لمدة شهر طيراً حياً يُذبح ويُؤكل (١١: ١٩ إلخ) وعوقبوا (١١: ٣٣).

الأصحاح الثاني عشر:

تحدّي موسى:

اتفق هارون ومريم على الكلام ضد موسى بسبب المرأة الكوشية التي تزوجها، ولكن نحن لا نعلم شيئاً عن ذلك، والله نفسه لم يعترض، ويبدو أن مريم كانت هي البادئة في الكلام. وقد ضُربت بالبرص وأخرجوها خارج المحلة. ونزل الرب بنفسه في عمود السحاب وأحضروا أمامه مريم وهارون ووبخهما وقال لهما: أيُّ نبي منكم أنا أتكلم معه في حلم وفي رؤيا ولغز، أما عبدي موسى الأمين في كل بيتي فأتكلم معه وجهاً لوجه. وصعد الرب في السحابة وإذا مريم واقفة برصاء.

الأصحاح الثالث عشر:

بينما كان إسرائيل في برية فاران (١٢: ١٦، ١٣: ٣ و٢٦) أرسل موسى جواسيس بأمر الله (١٣: ٢) ولكن أيضاً مع رجاء من الشعب (تث ١: ٢٢ إلخ) ليتعرفوا على حقيقة البلاد الذاهبين إليها. وكان المتوقع والمقدر هو الاستحسان. وغابوا أربعين يوماً كانت كافية للفحص الدقيق. فكان الجواب أن الأرض طيبة ولكنهم أظهروا صعوبة غزو هذه البلاد، ولكن كالب ويشوع استحسنا كل شيء قائلين لبني إسرائيل لا تخافوهم «زال عنهم ظلهم» تعبيراً عن انحنائهم بأمر الله.

ولكن الشعب أظهر عدم طاعة الله في الذهاب إلى أرض كنعان وقالوا نرجم موسى ومن معه ونختار دليلاً يرجع بنا إلى مصر! وكان عويل طول الليل، وكان هذا السلوك كسلوك عبادة العجل الذهب عندما هدد الرب بفناء كل الشعب (خر ٣٢: ٧ - ١٠) ولكن موسى تشفع وقتها (خر ٣٢: ١١ - ١٤)، وأما الآن فقد دفع الشعب ثمن تمرمرهم إذ لم يُسمح لجميع العدد الذي أُحصي حديثاً بالدخول إلى أرض كنعان ما عدا كالب بن يَفُنَّة ويشوع بن نون خادم موسى (١٤: ٣٠). وأما الباقون فقد فنوا موتاً في البرية على بطء. ولكن يبدو أن اللاويين والكهنة لم يدخلوا في هذا اللعن. فألعازار بن هارون كان مساعداً ليشوع في تقسيم الأرض (يش ١٤: ١).

أربعين سنة، بمعنى سنة عن كل يوم غاب فيه الجواسيس، ظلت إسرائيل خارج بلاد كنعان يدورون في البرية حتى فني جيل الغضب!

وجاء الاعتذار المتأخر من الشعب (١٤: ٤٠ إلخ) فلم يكن له فعل. وكان إلحاحهم بعد ذلك على الذهاب لمقاتلة الشعب دون أمر الرب على مستوى رفضهم الذهاب إلى الأرض بأمر الرب. فعانوا من الكسرة أمام شعب عماليق (١٤: ٤٥).

القسم الثالث: سنوات التيه أو الدوران (١٥ - ١٩)

مسافة زمنية تقدّر بحوالي سبع وثلاثين سنة خُصصت لتملأ هذا العدد من الأصحاحات حوادث وقوانين ومنها حادث واحد قد تسجل بتفصيل وهو طغيان قورح وداثان وأبيرام (الأصحاح ١٦). ويلاحظ أن الرب قد أعطى موسى قوانين لضبط الشعب وسلوكه كشعب الله بعد الخروج من أزمة الجواسيس وعدم طاعة الشعب. وكانت القوانين كلها لا تخص جيل الغضب بل الجيل الصغير الناشئ.

الأصحاح الخامس عشر:

قوانين للذبائح:

«حينما تدخلون الأرض ..» وهي بخصوص خدمة الكهنة، ويبدو أن خدمة الكهنة كانت مؤجلة كل أيام الأربعين سنة وهذا مذكور في (عا ٥: ٢٥ إلخ)، (أع ٧: ٤٢ إلخ).

+ «هل قربتم لي ذبائح وقرابين أربعين سنة في البرية يا بيت إسرائيل. بل حملتم خيمة مولوك ونجم إلهكم رمفان التماثيل التي صنعتموها لتسجدوا لها، فأنقلكم إلى ما وراء بابل.» (أع ٧: ٤٢ و٤٣)

والقوانين التي أُعطيت هنا توضح أنهم سيستقرون في الأرض الجديدة.

ويلاحظ أن خطية الجهل بالشيء السهو يُكفَّر عنها (١٥: ٢٤ - ٢٩) ولكن خطايا العَمْد «بيد رفيعة» التي هي عدم طاعة الرب لا يكفَّر عنها. كخروج يوم السبت لجمع الحطب (١٥: ٣٠ - ٣٦).

الأصحاح السادس عشر:

قورح من اللاويين وداثان وأبيرام من بني رأوبين ومائتان وخمسون من الرؤساء اجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما: كفاكما، إن كل الجماعة مقدسة وفي وسطها الرب، فما بالكم ترتفعان على جماعة الرب. فلمّا سمع موسى سقط على وجهه، ثم كلم قورح وجميع قومه قائلاً غداً يُعلن الرب من هو له ... إلخ:

+ «فقام موسى وذهب إلى داثان وأبيرام وذهب وراءه شيوخ إسرائيل. فكلّم الجماعة قائلاً اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة ولا تمسوا شيئاً مما لهم لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم. فطلعوا من حوالي مسكن قورح وداثان وأبيرام وخرج داثان وأبيرام ووقفا في باب خيمتيهما مع نسائهما وبنيهما وأطفالهما. فقال موسى بهذا تعلمون أن الرب قد أرسلني لأعمل كل هذه الأعمال وأنها ليست من نفسي، إن مات هؤلاء كموت كل إنسان وأصابتهم مصيبة كل إنسان فليس الرب قد أرسلني. ولكن إن ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم فهبطوا أحياء إلى الهاوية تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب. فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض التي تحتهم وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال، فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية، وانطبقت عليهم الأرض، فبادوا من بين الجماعة، وكل إسرائيل الذين حولهم

هربوا من صوتهم لأنهم قالوا لعل الأرض تبتلعنا، وخرجت نار من عند الرب وأكلت المائتين والخمسين رجلاً الذين قربوا البخور.» (عد ١٦: ٢٥ - ٣٥)

تذمر كل جماعة بني إسرائيل والطاعون (١٦: ٤١ - ٤٩):

+ «فتذمر كل جماعة بني إسرائيل في الغد على موسى وهارون قائلين أنتما قد قتلتما شعب الرب. ولما اجتمعت الجماعة على موسى وهارون انصرفا إلى خيمة الاجتماع وإذا هي قد غطتها السحابة وتراءى مجد الرب. فجاء موسى وهارون إلى قدام خيمة الاجتماع فكلم الرب موسى قائلاً: اطلعا من وسط هذه الجماعة فإني أفنيهم بلحظة، فخرّا على وجهيهما. ثم قال موسى لهارون خذ المجمرة واجعل فيها ناراً من على المذبح وضع بخوراً واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة وكفّر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل الرب، قد ابتدأ الوبأ. فأخذ هارون كما قال موسى: وركض إلى وسط الجماعة وإذا الوبأ قد ابتدأ في الشعب. فوضع البخور وكفّر عن الشعب ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوبأ. فكان الذين ماتوا بالوبأ أربعة عشر ألفاً وسبع مئة عدا الذين ماتوا بسبب قورح.» (عد ١٦: ٤١ - ٤٩)

الأصحاح السابع عشر:

عصا هارون التي أفرخت وأزهرت وأخرجت لوزاً:

كل سبط له أب أخذ عصاه، اثني عشر عصا، وباتت في خيمة الاجتماع فإذا عصا هارون أزهرت وأثمرت. فقال الرب لموسى رد عصا هارون إلى أمام الشهادة لأجل الحفظ علامة على بني التمرّد فتكف تذمراهم عني لئلا يموتوا.

الأصحاح الثامن عشر:

خدمة هارون وبنيه:

حراسة القدس والمذبح ويحفظون كهنوتهم فريضة دهرية، وأنصبتهم في الذبائح والعُشر للاويين من كل بني إسرائيل.

الأصحاح التاسع عشر:

البقرة الحمراء:

تذبح خارج المحلة: «فإن الحيوانات التي يُدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة تُحرق أجسامها خارج المحلة. لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب.»

(عب ١٣: ١١ و١٢)

+ «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجَّسين يقدس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب ٩: ١٣ و١٤)

وواضح من الأصحاحات (١٥ - ١٩) إذا رفعنا منها حادثتي الغضب والتأديب لا يُذكر شيء آخر عن تاريخ الشعب في هذه الأصحاحات في طول مدة انتظار الشعب وهو في التيه.

القسم الرابع: السنة الأربعون (٢٠ - ٢٦)

وهي السنة الأربعون من خروج الشعب من مصر. وآخر سنة في التيه.

والتاريخ الذي ذُكر في بداية الأصحاح (٢٠: ١) "في الشهر الأول" هذا هو أول شهر في السنة الأربعين منذ أن ترك شعب إسرائيل مصر وآخر سنة للمحرومين من دخول كنعان بسبب عدم الإيمان (١٤: ٣٣ إلخ).

والاستعداد لغزو أرض كنعان معناه أن الأمر وشيك الوقوع (٢٠: ١٤)، (يش ٤: ١٩). ومما يشير إلى أنها السنة الأربعين موت هارون (٢٠: ٢٣ - ٢٩) ويوجد دليل في أصحاح (٣٣) أنها حدثت في هذه السنة: «فصعد هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في الشهر الخامس في الأول من الشهر، وكان هارون ابن مئة وثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل هور.» (٣٣: ٣٨)

وكاتب سفر العدد اختزل هذا الحدث الهام بسبب تعجيله في اختتام السفر.

وهكذا رأينا في الأصحاحات (١٥ - ١٩) حادثين تاريخيين فقط حادث قورح ومَنْ معه، وقانون من خرج يوم السبت ليجمع حطباً، ولم يُذكر التاريخ الخاص بهما. ولكن هذه الأصحاحات هامة جداً لأن فيها القوانين التي تحكم الشعب وتضبط سلوكه عند وصولهم أرض كنعان. والملاحظ أن **فريضة الختان لم تُراعى** طول هذه المدة لا عن إهمال أو امتناع بسبب الضلالات، ولكن عاموس يصف هذه المدة بأنها **مدة ارتداد** (عا ٥: ٢٥)، (أع ٧: ٤٢):

+ «فرجع الله وأسلمهم ليعبدوا جند السماء كما هو مكتوب في كتاب الأنبياء» (أع ٧: ٤٢)

وإنها لمأساة عظمى أن هذه السنة وهي آخر سنة في الترحال والشعب يستعد للغزو ودخول أرض كنعان، أن يتذمر الشعب على موسى في بدء هذه السنة (٢٠: ٣) ليشبهوا الجيل القديم (خر ١٦: ٢ إلخ)، (عد ١١).

رفض أدوم (بني عيسو) مرور إسرائيل (٢٠: ١٤ – ٢٢):

إن كانت قادش هي عين قديس Ain kadies تكون آخر حدود أدوم ثلاثين أو أربعين ميلاً غرب العربة. وموسى قدّم الطلب بالعبور بمنتهى الطيبة والتواضع لأنه طلَب فقط الإذن بالمرور عبر أدوم في الطريق العمومي الرسمي الذي للقوافل (طريق الملك)، وتعهدوا أن لا يطلبوا ماءً فإن شربوا يكون بالثمن، ولكن الرفض كان أساسه الحقيقي هو الخوف (٢٢: ٣ – ٦) ولكن بالأكثر عن عداوة وبغضة. مع العلم بأن موسى قد احتاط لهذا وشفع طلبه قوله أن أخاك إسرائيل يودّ العبور. هذه العداوة بقيت مئات السنين. وقام داود بغزو أدوم بقسوة (١مل ١١: ١٤ إلخ)، وكل النبوّات عن أدوم تهديدية (حزقيال وإرميا وعاموس وعوبديا). ولكن العهد الجديد فتح الباب واسعاً لأدوم ولجميع الأُمم (أع ١٥: ١٧)، (عا ٩: ١٢).

+ «لكي يطلب الباقون من الناس (في عاموس: بقية أدوم) الرب وجميع الأُمم الذين دُعي اسمي عليهم يقول الرب الصانع هذا كله.» (أع ١٥: ١٧)

وموت هارون (٢٠: ٢٣ – ٢٩) كان بعد هذا الإعلان بالرفض مباشرة.

حرب الكنعانيين (٢١: ١ – ٣):

كان جبل هور هو جبل مادارا Madara وهو على بعد ١٥ ميلاً شرق قادش فإن إسرائيل هنا كانت لا تزال في قادش، وإن ملك عراد الكنعاني توقع أن إسرائيل ستهاجم وتغزو من الجنوب كما فعلت ذلك من قبل (١٤: ٤٥) في وقت بداية غربتهم في قادش، وكانت "حرمة" (خرابة) أي ذكرى رديئة لإسرائيل بسبب انهزامهم السابق أمام الكنعانيين. والغزو من شرق الأردن (٢١: ٢١ – ٣٥) كانت حملة هامة جداً وُصفت باختصار ولكنها كانت فخمة جداً لأنها جمعت الأموريين وباشان وتخربت مملكة الأموريين وملكها سيحون ومملكة باشان وملكها عوج. علماً بأن موآب وبني عمون لم يهاجمهم أحد لأنهم كانوا أولاد لوط (تث ٢: ٩ – ١٥)

الحية النحاسية (٢١: ٥ – ٩):

تمرمر الشعب أيضاً وعوقبوا بالوبأ بواسطة الحيات المحرقة. والحية النحاسية هامة. انظر: (يو ٣:

١٤ إلخ) لأن الحية هنا في الكتاب المقدس تمثل حية حواء الشيطان المتخفي وتمثل الشر والموت، ووضعها على خازوق يمثل قتلها (مرفوعة على شجرة). هنا الإيمان بمن سيقتلها أي مَنْ له قوة الموت الذي يشفي مَن ينظر إليها من على بُعد. وفي (٢مل ١٨: ٤) يخبرنا أن الحية النحاسية كانت محفوظة مئات السنين في إسرائيل كأثر قديم مقدس.

وقبل أن يعبر موسى وادي أرنون وهو طريق سيحون رفض سيحون الطلب والسماح لإسرائيل بالعبور ليدخلوا منها أرض كنعان مما جعل موسى يتقدم ليأخذ أرضه لأنها شرق الأردن، وأرض عوج ملك باشان شمالها، وموسى لم يعتبر هذه الأراضي من التي سيملكها إسرائيل، ولكن رفض سيحون وعوج هو الذي نبّه موسى بضرورة العبور وامتلاك هذه الأراضي.

ومنطقة شرق الأردن مرتفعة عن سطح البحر ٢٠٠٠ قدم، وتلال الجليل وأفرايم واليهودية هي أيضاً أرض جبلية، وبين الاثنين أخدود كبير وهو وادي الأردن، وعند مياه ميروم يكون عمق الأردن عدة أقدام فقط. وعند بحر الجليل يصل منسوبه إلى ٧٠٠ قدم تقريباً تحت سطح البحر لأنها بحيرة، وعند البحر الميت يبلغ ١٣٠٠ قدم تحت سطح البحر. وهكذا تكون أرنون ويبوق والأنهر الصغيرة شرقاً وغرباً من الأردن هي شقوق عميقة في الجبال والمسطحات أسفلها، فلكي تصعد إلى أورشليم من أريحا تتسلّق ٣٠٠٠ قدم، وللأسف لا توجد خريطة تعطي القارئ هذه المعلومات الهامة جداً.

بالاق وبلعام بن بعور (٢٢ – ٢٤):

كانت هذه الحادثة في سهول موآب في ناحية الأردن عند أريحا (٢٢: ١)، وهذا يخبرنا أن إسرائيل الآن على أبواب أرض الموعد. وموآب يلزم أن تؤخذ في نفس المعنى (في مدخل أرض الموعد)، وأرض سيحون هي أرض موآبية أصلاً انظر (٢١: ٢٦). فإسرائيل خاف من مهاجمة موآب وعمون ولكنه غزا سيحون وعوج، والآن هو على استعداد لأن يعبر الأردن. ولكن بالاق كان يجهل غرض إسرائيل السلمي (تث ٢: ٩) وإذ كان في رعبة لأنه قد رأى نصيب الأموريين اقتنع بأنه سيكون الفريسة الثانية (تث ٢: ٢٥)، وهو في يأسه ولأنه رأى حجم جنود إسرائيل الذي «غشى وجه الأرض» (٢٢: ٥ و١١)، (٢٣: ١٠ – ١٣)، التجأ إلى مساعدة نبي ليلعن له إسرائيل وباستشارة شيوخ مديان (٢٢: ٤ – ٧) فأرسل يطلب بلعام على الفرات على بعد ٣٠٠ ميل.

ومن هو بلعام؟ لابد أنه أشهر رائي أو نبي وقد أرسلوا إليه شيوخ المملكتين (٢٢: ٧). فهل

بالاق كان يحسب أن بلعام عابد للرب إله إسرائيل (٢٢: ١٨)؟ فأجاب بلعام بأن الرب لم يُعط الإذن بالذهاب معك (٢٢: ١٣) وكان إله بالاق الصنم شمساً وهذا لا يستطيع أن يساعده. وفي هذه المعمعة جعل الرب أتان بلعام تمنعه (٢بط ٢: ١٦). وقد فشل بالاق وقام وذهب في طريقه (عد ٢٤: ٢٥). أما بلعام بن بعور فقد قتلوه بالسيف.

خطية بعل فغور (٢٥):

منظر مرعب للعالم الوثني إذ لما أخفق موآب في لعن إسرائيل بواسطة بلعام بن بعور، استطاع شعب موآب أن يغوي إسرائيل ليذهب إليهم ويعبد أصنامهم ويزني مع نسائهم في سوق بعل فغور.

موآب ومديان ذُكر كلاهما (٢٥: ١ و١٦ و١٧) ولكن الخطية كانت مع نساء مديان أكثر (٣١: ١٦) بالمقارنة مع (٢٥: ١) وإسرائيل اشترك في عبادة بعل فغور (٢٥: ٣). وكأن كل دروس هذا التيه قد نُسيت، فأرسل الله الطاعون فقتل ٢٤٠٠٠ ولكن فينحاس ابن هارون البكر ردّ لعنة الرب عن إسرائيل. وهوشع النبي قد أشار إلى بعل فغور Baal-peor كآية ارتداد كبرى لإسرائيل (هو ٩: ١٠).

الأصحاح السادس والعشرون:

الإحصاء الثاني:

هذا إحصاء الجيل الجديد (٢٦: ٦٤ إلخ) وإليك هو السبب الذي من أجله عُمل الإحصاء الجديد، وهو يختلف عن الإحصاء الذي ذُكر في الأصحاح ١ و٢ من وجوه عدة:

فهو يختص بالأسباط بالأساس كعائلات، والتي كانت قد تجاهلها الإحصاء الأول، فالعدد الإجمالي يختلف قليلاً جداً (١%) أما في أرقام الأسباط فالعدد يختلف جداً وأكثرهم أهمية الانحصار العددي في شمعون من ٥٩,٣٠٠ نسمة ليصل إلى ٢٢,٢٠٠ نسمة، هل هذا معناه أن شمعون كان أكثر من تدخّل في حادث بعل فغور (٢٥: ١٤)؟ وبالمقارنة مع ازدياد عدد شعب إسرائيل الكبير المدهش في الغربة في مصر، من المهم جداً أن نعرف أنه في مدة الأربعين سنة الأخيرة كان هناك تناقصاً في تعداد الأسباط معاً: سبعة منهم تكاثرت وخمسة قلَّ عددها، وأكبر زيادة كانت في سبط مَنسَّى، وأكبر نقص كان في سبط شمعون. وكمثل ما كان في التعداد الأول كان عدد اللاويين منفصلاً ولكنهم زادوا قليلاً.

ولكن من الواضح جداً أن جميع من ذُكروا في التعداد الأول سقطت أسماؤهم ما عدا يشوع بن نون وكالب بن يَفُنَّة (٢٦: ٦٥). والأمر الذي يهم الكهنوت أن ألعازار أخذ وظيفة والده هارون

لما مات وساعد موسى في عمل التعداد، وألعازار كان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة عندما كُرس كاهناً بعد إقامة خيمة الاجتماع بقليل (عد ٤: ٣)، (لا ٨ - ١٠).

الغضب على المديانيين (٣١):

ثم كلم الرب موسى قائلاً ضايقوا المديانيين وأضربوهم لأنهم ضايقوكم بمكايدهم في أمر بعل فغور (٢٥: ١٧)، وكان هذا آخر أمر أعطاه الله لموسى (٣١: ٢) مما يوضح أنه لم يكن عمل انتقام بل حكم دينونة من الله لشرورهم الفاضحة. وبعد أن أنهوا هذا العمل أُمر المحاربون أن يبقوا خارج المحلة ويتطهروا. وبالنسبة للغنيمة أخذ الكهنة من اللاويين عشر الغنيمة. وكان هذا عدداً ضخماً من الأسلاب. وكان عدد جنود إسرائيل اثني عشر ألفاً ولم يمت أحد! ومن الأسلاب اثنتين وثلاثين ألف عذراء، وهذا معناه أن الرب قد حارب عنهم! وكان الانتقام شديداً جداً بسبب بعل فغور وذبحوا الخمسة ملوك الذين على مديان فوق المذبوحين من الشعب، وذبحوا بلعام بن بعور بالسيف لأنه كان محرِّضاً على الخطية في بعل فغور (٣١: ١٦).

الأصحاح الثاني والثلاثون:

رأوبين وجاد ونصف سبط منسى:

قد صار رأوبين وجاد من أكبر المربين للماشية وقد زادا عليها الكثير من أسلاب المديانيين وصارا أكثر الأسباط غنًى في المواشي. وقد ترجّوا مع نصف سبط منسى أن يأخذوا نصيبهم من الأرض في شرق الأردن فأعطي لهم بشرط أن يحاربوا صفاً واحداً في غزو كنعان (يش ٤: ١٢) إذ قدّموا أربعين ألف محارب، وهذا العدد أكثر من ثلث عدد محاربي إسرائيل كلها. هذا كان طاعة لموسى، ولكن يقول سفر يشوع (٢٢) إنهم ضاعوا في وسط الشعوب الأخرى.

الأصحاح الثالث والثلاثون:

كتاب أسفار إسرائيل:

وثيقة تاريخية على أعظم ما يمكن من الأهمية، والذي يزيد مصداقيتها وأهميتها عشرة أضعاف أنه معلَن أن موسى هو كاتبها. وهذا يجعلنا نقدر سلطان هذا الرجل خادم الرب والأمين في كل بيته، كاتب التوراة.

والرحلات في مجملها ٤٢ سنة.

من مصر إلى سيناء (٣٣: ٣ - ١٥)، من سيناء لقادش مع سني التيه (٣٣: ١٦ - ٣٦)، من

قادش لشطيم (٣٣: ٣٧ - ٤٩). والإسرائيليون دخلوا وعاشوا في قادش مرتين:

الأولى: عندما قام الجواسيس بمهمتهم (١٣: ٢٦)، **والثانية:** في بداية السنة الأربعين (٢٠: ١) ومعظم المحطات التي ذُكرت في (٣٣: ١٦ - ٣٦) لم تُعطَ في مكان آخر.

وصايا الغزو (٣٣: ٥١ - ٥٦):

طرد القاطنين الوثنيين وأصحاب الأصنام والأخلاق الوثنية لحفظ تراث الأمة كشعب الله. وتهديد من الله إن لم يطيعوا أوامره فسوف يستخدم نفس الوسيلة في معاملتهم هم.

تقسيم الأرض بالقرعة (٣٤).

مدن اللاويين (٣٥).

النساء يرثن لحساب سبطهن (٣٦).

٥ ـ سفر التثنية

+ «هذا هو الكلام الذي كلّم به موسى جميع إسرائيل في عبر الأردن، في البرية في العربة قبالة بحر سوف بين فاران وتوفل.» (تث ١: ١)

ولذلك يُسمى هذا السفر بحسب البادئة في العبرية بنفس هذه العبارة "الكلام" debharim. وأما كلمة "تثنية" فهي ترجمة للاسم اليوناني. والسفر كله عبارة عن خطاب موسى، الذي يُعتبر خطاب الوداع للشعب خاطب به كل إسرائيل وهم على حافة الأردن، خاطب الشعب بعد أن عبر به البرية في أربعين سنة ولاقى فيها ما لاقى من المصاعب، كلها من الشعب الذي أتعب قلب الله، حتى في ضيقه حيث قال لموسى: دعني أفنيهم وأعمل منك أُمة أعظم، فتشفَّع فيهم موسى، وقَبِلَ الله شفاعته.

كل الكلام عبارة عن ذكريات واسترجاع للتعاليم والتحذيرات والتشجيع، فكان خطاباً شخصياً من القلب يكشف عن محبة موسى العظيمة للشعب الذي ارتبط به، واهتمامه الزائد بمستقبل حياتهم وتقديم طاعتهم لله.

وكل إسرائيل هنا هم الشعب الجديد، الجيل الذي وُلد بعد ارتداد آبائهم وإعلان عدم طاعتهم رسمياً، وقد دفعوا ثمناً له حرمانهم من دخول أرض الموعد في مواقف مخزية: (١: ٢٦)، (٢: ١٤)، (٥: ٣).

ويكاد لا يوجد قائد في العالم خاطب مريديه وأحباءه بعد عِشْرة العمر وتحت ظروف مؤثرة كما عمل موسى. ولكن إزاء هذا العطف والمحبة والتضحية قابله الشعب أخيراً بالطاعة واستمعوا لكلام الوداع بدموع. وكان كلامه كله أبوياً تعليمياً وحكمة مهداة من الله. استمعوا لها من كل قلوبهم وباشتياق كثير.

وكشهادة عالمية، يقال إنه لا يوجد سفر في جميع الكتاب المقدس يحمل طابع مؤلفه وقائله ويشهد له ويهتف وينحني له مثل سفر التثنية الذي يشهد لموسى في كل كلمة مكتوبة فيه. أما المناسبة فهي أثمن المناسبات وأغلاها عند قوم، وهي موت موسى القائد ودخول شعب إسرائيل بعد كفاح في البرية أربعين سنة إلى أرض غربتهم ووطنهم الأرضي وعلى القارئ أن يرعاه ويبصره في شهادة قلبه أن الكلام كله كلام موسى.

والكتاب، أي سفر التثنية ينقسم إلى الأقسام الآتية:

١ - المقدمة (١: ١ - ٤)

٢ - حديث موسى الأول (١: ٥ - ٤: ٤٠)

٣ - تحديد أماكن مدن الملجأ (٤: ٤١ - ٤٩)

٤ - حديث موسى الثاني (٥: ١ - ٢٦: ١٩)

٥ - البركات واللعنات (٢٧: ١ - ٢٨: ٦٨)

٦ - عهد سيناء يؤكّد ثانية (٢٩: ١ - ٣٠: ٢٠)

٧ - تعليمات أخيرة للكهنة واللاويين ويشوع (٣١: ١ - ٢٩)

٨ - نشيد موسى (٣١: ٣٠ - ٣٢: ٥٢)

٩ - بركات موسى (٣٣: ١ - ٢٩)

١٠ - موسى يموت (٣٤: ١ - ١٢)

المدخل للشرح:

في سفر التثنية نحن نواجه التاريخ، ولكنه تاريخ له هدف وغاية وغرض. فموسى يستأنف الماضي ولكن بغرض النصيحة والتحذير، لأن هذا الماضي مملوء بأهم الدروس القيمة التي قلّ أن تعود. فموسى يرجع إليها ثانية مرة تلو المرة وباستمرار. ومثل سفري أخبار الأيام اللذين يستعيدان أسفار صموئيل والملوك، هكذا هنا في سفر التثنية. من هنا جاء الاسم، فهو سفر التثنية أو الاستئناف كملحق إضافي تكميلي للتاريخ الذي رسمه سفر الخروج وسفر العدد. لهذا من المفيد جداً أن نقارن هذه الحقائق التي جرت ونرى كيف أنها تلحق وتشرح الواحدة الأخرى. وكأمثلة نوضح الآتي:

١ - فبحسب سفر العدد (١٣: ١ - ١٦ إلخ) أرسل موسى الجواسيس بأمر الرب، وبحسب سفر التثنية (١: ٢٢ إلخ) هذا حدث باقتراح من الشعب الذي تقبّله موسى من كل قلبه ونفذه قائلاً: "هذه الاقتراحات سرتني جداً" "فحسن الكلام لديه" هذه الحقائق لا مضادة فيها ولكنها متوافقة معاً، لأنه أحياناً يسمع الله لموسى وأحياناً يسمع موسى للشعب وأحياناً يسمع الله صوت الكل.

٢ - في (٩: ٢٠) يظهر لماذا أبقى الله على حياة هارون بعد خطية العجل الذي كان هو محركها الأول (خر ٣٢: ١٥ - ٣٥).

٣ - الإحجام عن ذكر قورح مع داثان وأبيرام (١١: ٦) ربما يكون بسبب ما جاء في سفر العدد (٢٦: ١١) أن أبناء قورح قد أبقى الله عليهم بالرغم من خطية أبيهم التي كانت قد تسجلت

ولكن لم يُذكر ثانية أنه «فتحت الأرض وابتلعت داثان وطبقت على جماعة أبيرام. واشتعلت نار في جماعتهم. اللهيب أحرق الأشرار» (مز ١٠٦: ١٧ و١٨)، ويقول سفر العدد: «داثان وأبيرام المدعوان من الجماعة اللذان خاصما موسى وهارون في جماعة قورح حين خاصموا الرب. ففتحت الأرض فاها وابتلعتهما مع قورح حين مات القوم بإحراق النار مئتين وخمسين رجلاً فصاروا عبرة، وأما بنو قورح فلم يموتوا.» (عد ٢٦: ٩ و١١). **وأخيراً قد تميّز بنو قورح المغنون يُنسب إليهم أحد عشر مزموراً ينتسب إليهم [في عناوين المزامير]** والمبدأ في ذلك ذُكر في (تث ٢٤: ١٦) و(حزقيال ١٨):

+ «لا يُقتل الآباء عن الأولاد ولا يُقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطته يُقتل.» (تث ٢٤: ١٦)

٤ - نعلم من سفر العدد أن شعب أدوم رفض عبور إسرائيل في أرضه بسلام (عد ٢٠: ١٤ - ٢١)، وتضيف الأسفار الأخرى أنه قد احتذى به شعباً موآب وعمون (قض ١١: ١٧)، (تث ٢٣: ٣ و٤). وسفر التثنية يُظهر أن رفض أدوم لم يتساوى بخطية موآب الذي استأجر بلعام. وهذا هو السبب في اختلاف التعامل مع أدوم عن التعامل مع موآب (٢٣: ٧).

٥ - الأراضي التي يعبرون عليها بسلام والتي لا يعبرون عليها أُعطي لذلك أسباب وهي هامة جداً.

+ «وأوصِ الشعب قائلاً: أنتم مارُّون بتُخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم فاحترزوا جداً، لا تهجموا عليهم، لأني لا أُعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً ... فعبرنا عن إخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير على طريق العربة على أيلة (إيلات) وعلى عصيون جابر... لا تُعادِ موآب ولا تُثِر عليهم حرباً لأني لا أُعطيك من أرضهم ميراثاً، لأني لبني لوط قد أعطيت عَارَ ميراثاً.» (تث ٢: ٤ - ٩)

المستقبل:

وبناءً على موقفهم الجديد والشروط التي يتبعونها بعد الغزو، أعطاهم تعليمات جديدة:

١ - المستقبل بحسب سفر التثنية رهين بالموضع الذي سيختاره الرب ليضع اسمه فيه، ويبدو من سفر اللاويين أن ذبائح الشعب العادية للأكل تُذبح عند الخيمة (لا ١٧: ٣)، فعدّلها موسى في التثنية وسمح بالذبح في أي مكان على أن يحافَظَ على ناموس الدم (تث ١٢: ١٥ إلخ).

٢ - الآيات (١٢: ١٢ و١٨ إلخ)، (١٤: ٢٧ - ٢٩)، (١٦: ١١ و١٤) توضح أن أهمية

اللاويين ستقل جداً بعد الاستقرار في الأرض، فعليهم أن يوزَّعوا على ٤٨ مدينة (عد ٣٥: ٦) ولا يكون لهم نصيب ميراث. لذلك فإنهم سيقلّون عدداً بالتدريج ليكون موقفهم موقف الأرملة أو اليتيم أو الغريب، لأن اعتمادهم الأكبر سيكون على العشور التي يدفعها الشعب بقدر ما يذكر ذلك الشعب.

٣ - بخصوص تشبُّه النبي بما يصنع الوثنيون في معرفة المستقبل (١٨: ٢٠ - ٢٢) اقترح موسى أن يكون تحقيق النبوّة هو الأساس لمعرفة صدق "الاستعلان"، وأن النبوَّة ستحل محل الأسئلة بواسطة الأوريم والتميم (عز ٢: ٦٣)، (نح ٧: ٦٥).

٤ - الملوكية هي قطعاً حاضرة في البال (١٧: ١٤ - ٢٠) ولكن بالنسبة للمستقبل فإسرائيل بقيت بدون ملك إلى مدى أكثر من قرن بعد وفاة موسى.

٥ - قانون عدم نقل تخم الأرض (١٩: ١٤) لا حاجة إليه حتى يتم تقسيم الأرض ويصبح حقيقة معمولاً بها.

أولاً: المقدمة (١: ١ - ٤)

بالنسبة لمدارس الكتاب المقدس تواجهه صعوبة أمام هذه الآيات التي تشرح الظروف التي أدلى بها موسى أحاديثه المتتابعة. فالكلام الذي جاء بعد القول بأنهم قد ذبحوا سيحون في شرق الأردن يشير بوضوح أن الأربعين سنة قد انتهت (عد ٢١: ١٢ إلخ). ولكن من ناحية أخرى نجد بعض المواضع التي ذكرت في (١: ١)، والشرح بالنسبة لمدة الرحلة من حوريب إلى قادش برنيع (١: ٢) تجعلنا نظن أن هذه المناسبة هي في أول الوصول إلى قادش، أي قبل سني التيه عندما كان الغزو يبدو قريباً جداً على الأبواب. وعليه فقد اقتُرح أن الخطاب الذي تبع ذلك قد قيل مرتين: المرة الأولى قبل الرفض الكبير أي قبل سني التيه، وبعد ذلك قيل مع بعض التغيير - كما كان يليق للمناسبة - وذلك في نهاية الأربعين سنة.

ثانياً: حديث موسى الأول (١: ٥ - ٤: ٤٠)

يبدأ من الرحيل من حوريب. ويشمل أولاً تعيين الرؤساء والقضاة (١: ٩ - ١٨) ربما كتذكرة لتكميل الوعد بالاتساع الكبير لنسل إبراهيم الذي سيملك الأرض.

ثم ينتقل مباشرة إلى العصيان الكبير الذي قام به آباء الجيل المذكور (١: ٢٠ - ٤٦)، ويذكّرهم

وبالتحديد بالمصيبة التي تسببوا فيها (١: ٣٥ إلخ). وكم كان هذا العصيان خطية لأن هذه هي الأرض التي تكلم عنها الرب «التي أَقسَمَ الرب لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم» (١: ٨). هذا العهد (٤: ٣١)، (٨: ١٨) ذكره ثلاثين مرة بنفس الطريقة كَقَسَم إلهي، إنه قَسَم الرب (٧: ٨) الذي قسمه للآباء الذين يُذكرون دائماً به. وهكذا قد تحقق امتلاك الأرض وتوثق بالقَسَم، قَسَم يهوه الذي يبقى إلى الأبد، ويكون لكل الأجيال بالنسبة لنسل إبراهيم تحت شرط الطاعة لله. فإذا لم يتحقق هذا الشرط فيكون القَسَم للهلاك لعدم الطاعة (٢: ١٤)، (عد ١٤: ٨ - ٣٥).

«كفاكم دورانٌ بهذا الجبل» (٢: ٣) أي جبل سعير في زمن التيه، ويجب التفريق بين الاصطلاحات الخاصة بجبل حوريب «كفاكم قعود في هذا الجبل» (١: ٦) وتلك الخاصة بزمن التيه ثم بغزو الأرض (٢و٣) خاصة في شرق الأردن، وأخذها وإعطائها كنصيب للسبطين ونصف (٣: ١٢ و١٣)، والشرط الذي وُضع عليهم أن يساعدوا إخوتهم في الغزو. أما رفض الله لعبور موسى إلى أرض الموعد فقد ذكره في سفر التثنية (٣: ٢٥ - ٢٧).

والاستفاضة التي أكمل بها خطابه (٤: ١ - ٤٠) ذكر فيها أنهم الشعب الوحيد لله الحقيقي، وأنه قد استعلن ذاته لهم في سيناء بطريقة فريدة، وأن الذي رأوه ليس له شبه، ولكنهم سمعوا صوت الله الحق يُعلن لهم ناموسه، فقد وعدهم الله بالاعتناء بهم وبحياتهم إذا هم حفظوا أوامره (٤: ١)، وعليهم أن لا يزيدوا عليها ولا يُنقصوا منها (٤: ٢)، وأن امتلاك هذه الشريعة سيميزهم جداً (٤: ٨ - ١٤)، وعليهم أن يصونوا إيمانهم من الأصنام (٤: ١٥ - ٣٠)، ويتذكروا أن اختبارهم كانت فريدة ولا تتكرر وهي غير مسبوقة (٤: ٣٢ - ٣٦). وهذا فقط، وأيضاً فقط، لأن الله أحب آباءهم فاختار نسلهم (٤: ٣٧). فواجبهم الأول وغبطتهم هي في طاعة هذا الإله العظيم الذي تعامل معهم بهذه النعمة.

وينبغي أن نلاحظ هنا وفي أماكن أخرى أن موسى يتكلم أحياناً مخاطباً بصيغة الجمع وأحياناً بالمفرد، لأنه ينتقل من حال الأمة إلى حال الفرد، من الواحد إلى الآخر، وأحياناً يتكلم بـ «نحن» (٢: ٨) جاعلاً نفسه مع شعبه.

وهذا الخطاب المدهش كان لابد أن يُقال من أجل شدّ أزر الشعب وتقوية نفوس الجماعة والأفراد، وليشجع كل من كان في تجربة في تلك الأيام. وهو يُحسب حتى الآن أنه أقوى خطاب

يمكن أن يقاس به الحديث عن الأديان المقارنة: فهو يوضح تعامل الله مع أُمة لم يتعامل قط مع غيرها على مستوى هذا الحب والعطف والاستعلان!

+ «فكلُّ الذين يسلكون بحسب هذا القانون: [لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة (غل ٦: ١٥)] ... عليهم سلامٌ ورحمةٌ، وعلى إسرائيل الله.» (غل ٦: ١٦)

وهذا يسري على العهد القديم كما على العهد الجديد، لأن علاقة الله لم تتغير من عهد لعهد، فهو هو إله الحب والرحمة والسلام والخلاص. «هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية.» (١يو ٥: ٢٠)

ثالثاً: تحديد أماكن مدن الملجأ (٤: ٤١ - ٤٩)

ولكي يرفع التوتر الحادث إثر هذا الخطاب وكلماته وإعداداً للخطاب الثاني، عَرَجَ موسى على أمر هام وهو مدن الملجأ. وقد حدّد موسى أسماء ثلاث مدن شرق الأردن وذلك يرجع إلى وقت مبكر.

رابعاً: حديث موسى الثاني (٥: ١ - ٢٦: ١٩)

لا يوجد في هذا الحديث المطوّل أي توقف، بل إن السبعة أصحاحات الأُولى (٥ - ١١) تكوّن الجزء الأعظم فيه. وهدفه الكبير في هذا الخطاب هو الوصايا العشر وأهميتها بالنسبة لإسرائيل.

«ودعا موسى جميع إسرائيل» (٥: ١)، (قارن مع ١: ١). «الرب إلهنا قطع معنا عهداً في حوريب» (٥: ٢). وعلينا أن نتذكر أن قسماً كبيراً من الشعب الذين كانوا يسمعون موسى في هذا الحديث الثاني كانوا حاضرين في سيناء أثناء إعطاء الناموس الأول، فهم الذين صنع معهم الله العهد. أما آباؤهم فقد خانوا العهد بسبب عدم طاعتهم وكأن الله لم يعمل معهم إطلاقاً.

هذا الوعد: «فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة» (خر ١٩: ٥) كان شرطاً أساسياً للعهد. ولكن مع أنهم كانوا قد قدّموا الموافقة بقولهم: «كل ما تكلم به الرب نفعل» (خر ١٩: ٨) إلا أنهم ولكنهم لم يحفظوا العهد (عد ١٤: ٢٢)، ولذلك هلكوا. ولكن أولادهم هم الأحياء اليوم (٥: ٣) وإليهم يتكلم موسى.

«وجهاً لوجه تكلم الرب معنا» (٥: ٤)، وسمعوا صوت الله ولكن لم يروا شيئاً (٤: ١٥ - ١٩).

وكرّر موسى الوصايا العشر التي أول من أذاعها صوت الرب بصوت الرعد في سيناء! وابتدأ بالمقدّمة كما سمّوها: «أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية» (٥: ٦) ويستحيل أن ننسى - ولا العالم كله - الأعمال الجبارة التي أخرج بها الله شعبه من العبودية وأسماهم شعبه "ابني البكر" (خر ٤: ٢٢)! نعم هم أبناؤه بطريقتين: مرّة كأبناء الآباء الأحباء الأعزاء إبراهيم وإسحق ويعقوب، ومرّة ثانية لأنهم هم أولاده الذين أخرجهم من تحت عبودية فرعون.

والفرق المهم بين الوصايا العشر التي أعطاها موسى هنا وتلك التي تسجلت في سفر الخروج (٢٠) إنما يتركّز في التغيير في السبب الذي أُلحق بالوصية الرابعة (حفظ السبت). فبدلاً من ذكر الخليقة جاء ذكر العبودية في أرض مصر، وذلك لأنه لا يوجد شيء يساوي المهمة العظمى التي رافقت هذا الفداء من العبودية، فهو المثل الأعظم لمفهوم الفداء في العهد القديم، الفداء من خطية الاستعباد الذي ركّز عليه موسى وأحلّه محل الخلقة. ولم يحدث أي تغيير آخر في الوصايا العشر ذاتها، فهذه الوصايا الأساسية في ناموس إسرائيل كانت قد تسجلت «بإصبع الله» على لوحي الحجر، اللذين وُضعا في تابوت العهد كشهادة من الله.

ولكن موسى إذ يعيد إلى الفكر هذه الوصايا العشر ليستخدمها كأساس لسلوك الشعب في أرضه الجديدة، صنع هذا الإحلال ليُدخله الذاكرة إلى الأبد، كما أجرى تغييرات طفيفة تثبت أنه لم يكن يعيد من الذاكرة كلمة كلمة. ثم بتأكيد قائلاً:

+ «هذه الكلمات كلّم بها الرب كل جماعتكم في الجبل من وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم ولم يَزِد. وكتبها على لوحين من حجر وأعطاني إياها.» (٥: ٢٢)

ولقب «الله الحي» (٥: ٢٦) لقبٌ ليس مكرراً في سفر التثنية ولكنه لقب هام وخطير وذو مغزى ويُستخدم بحذر كما في (يش ٣: ١٠)، (١صم ١٧: ٢٦ و٣٦)، (٢مل ١٩: ٤ و١٦)، (إر ١٠: ١٠). وأُعطي كقسم «الله الحي» (قض ٨: ١٩)، (عد ١٤: ٢١ و٢٨)، وكل الذين يطلبونه يحيون به! «وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. ليس الله إله أموات بل إله أحياء» (مت ٢٢: ٣١ و٣٢)

+ **«وهذه هي الوصايا والفرائض والأحكام التي أمر الرب إلهكم أن أعلمكم لتعملوها.»** (٦: ١)، (٥: ٣١).

وتجميع هذه الأسماء والاصطلاحات هو للتأكيد البلاغي وهو من خصائص سفر التثنية.

أما الوصية الكبرى فهي: «**اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد**» (٦: ٤)، هـذه الوصـية الكبرى للعهد القديم هي لتقرير وتسجيل وتأكيد وحدة الألوهة monotheism. ويليها الأوامر: «فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك» (٦: ٥)، (١١: ١). وهـذه هي خلاصة اللوح الأول الذي للوصايا العشر. ولهذا اعتبرها الرب يسوع الوصية الأولى والعظمى (مت ٢٢: ٣٨) ويسميها اليهود "الشِماع" بمعنى «اسمع»: اسمع يا إسرائيل.

ويهوه هو الإله الواحد وحده والقادر والمقتدر، كلي القدرة والمجد، لذلك دعا نفسه بأنه إله غيور لا يقبل أن يُعبد سواه أو يُحَبَّ أكثر منه أو أن يُطاع أكثر منه!

وهو إنْ يطلب المحبة فلأنه قد أحبَّ أولاً آباء شعبه ثم أبناء شعبه، وعمل لهم أعمالاً لا تُنسب إلاّ للمحبة.

لقد كانت عبادة إسرائيل التي أمر بها الله وخططها وبوَّبها وعلَّمها لموسى، تظهر في البداية أنها عبادة وطنية أهلية رسمية وظاهرية أيضاً، ولكن بعد موسى بعدة مئات من السنين أصبحت عبادة يهودية فردية شخصية إسرائيلية، ولكن الذي يدقق في دراسة تعاليم سفر التثنية ينتهي إلى أنها من الأول إلى الآخر عبادة إلهية، عبادة إله إسرائيل، مصدرها إلهي بكل معنى وكل دقة، عن حب بين الله وشعبه، وأن إسرائيل قد لُقِّب - بحق - شعب الله ولُقِّب الله بأنه إله إسرائيل على مستوى الفرد والأمة بحب متبادل «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك»، «إسرائيل ابني البكر» (خر ٤: ٢٢).

«هذه الكلمات (الوصايا) التي أنا أوصيك بها اليوم» آية تتكرر بكثرة، جاءت سبعين مرة في سفر التثنية، ذلك لتُعلن شدة المناسبة وشدة إلحاح موسى كوصية الوداع الأخير.

+ «ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك. وقُصَّها على أولادك، وتكلّم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك» (تث ٦: ٦ - ٩)

إن الخطية العظمى التي أودت بهذه الديانة هي عدم طاعة الشعب لصوت الله، مما أدّى إلى عصيانهم وارتدادهم وتشتتهم.

وإنها نفسها خطية آباء ومعلّمي المسيحية اليوم، فلا دراسة إنجيل ولا قراءة ولا سمع ولا تعليم. وهـذا

سر مرض الكنيسة والفرد والشعب اليوم. جيل واحد ظهر كسولاً محباً للتهرب من التديّن فأصبح جاهلاً حتى قارب على الهلاك من قلة المعرفة، فأنهى على كل الميراث والتراث، والأمجاد الأولى انمحت وتوقف التقليد وانقطع تيار الشهادة والاستعلان، وانطمست البصيرة وغاب الوعي. في حين أن الإنجيل أعظم كتاب تربية وأخلاق في العالم. والمسيح وظيفته الأولى والعظمى "المعلم" و"الراعي الصالح" ثم "المحرر بالحق"!! "ينبوع الحياة" و"مصدر النور" والفهم والاستعلان والبصيرة المفتوحة.

وما أكثر التظاهر بالتدين والمعرفة، والانتفاع بالتعليم للرزق أو للظهور وللتعالي على حسّ تواضع المسيح. كذلك اليهود اليوم فهم يتممون بالحرف ربط الأحجبة على اليدين والجبهة وينامون بها ولا يقرءون ما فيها أو يعملون ما بها.

شعب مقدس (٧: ٦):

«لأنك شعب **مقدَّس**» (٧: ٦)، (١٤: ٢ و٢١)، (٢٣: ١٤)، (٢٦: ١٩)، (٢٨: ٩).

شعب خاص:

«إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً **أخص** من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض» (٧: ٦)، (١٤: ٢)، ٢٦: ١٨)، (خر ١٩: ٥).

والحق الذي تعتمد عليه إسرائيل لكونها تمتلك أرض كنعان هو لأن الرب قد اختار الآباء الأوائل وأعطاهم هذا الوعد بقسم. ليس لأنهم أكثر من غيرهم أو لأنهم أبرار (٩: ٥)، ولكن لأن الله أمين في وعوده. فإذا أطاعوه يكون غزوهم لكنعان ونجاحهم وازدهارهم مضموناً ومؤكداً، ولكن إن هم انحرفوا ناحية فساد الوثنيين فإنه سيعمل في إسرائيل ما عملته إسرائيل في غيرها من الشعوب: سيُطردون من الأرض (٤: ٢٥ - ٢٧)، (تك ١٥: ١٣ - ١٦).

«والزنابير أيضاً يرسلها الرب إلهك عليهم (أطفال الجبابرة) حتى يفنى الباقون» (٧: ٢٠) لتطهير الأرض من سكانها (إش ٧: ١٨).

الأصحاحات من الثامن إلى الحادي عشر

حضٌّ وتحذير من جهة ماضي إسرائيل ورجائها ونجاحها.

فقد حذَّرها موسى ضد الخيانة، والبر الذاتي، والاكتفاء الذاتي، وخطورة الارتداد عن الله وذلك

بالتفاهم مع الشرور والأشرار - هذه الدروس عضّدها بعمل الله معهم في القديم «لأن أعينكم هي التي أبصرت كل صنائع الرب العظيمة التي عملها» (١١: ٧). وذكّرهم بتذمرهم وارتدادهم في سيناء (٩: ٨ - ١٠: ٥): «قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتكم» (٩: ٢٤). هذا الاتهام الفاضح كرره الأنبياء: (إش ١)، (إر ٤: ١٧)، (حز ٢)، (مرا ١: ١٨)، (دا ٩: ٥)، (هو ٤: ١). وقد كرر موسى قيامه بالشفاعة عدة مرات إذ كان يصوم أربعين يوماً وأربعين ليلة (٩: ١٨ - ٢٥):

+ «فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك إلا أن تتقي الرب إلهك لتسلك في كل طرقه وتحبه وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك، وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم لخيرك.» (تث ١٠: ١٢ و١٣)

من أجل خيرك ولكي تستنير. ولكن إسرائيل قادر أن يعصي ولا يطيع ويهجر الله ولا يعتبر العهد الذي وافق عليه. وميخا يقول نفس قول موسى (مي ٦: ٣ - ٨):

"الخوف .. التقوى .. المحبة .. العبادة": الناموس المقدس وعدل الله المتهادن إنما يستعلن بالتقوى، ورحمته ونعمته رهن محبتهم. والمحبة تمجد ذاتها وتحقق نفسها في العبادة الأمينة إن في سيناء أو الجلجثة. فكثير من المسيحيين فات عليهم معنى الصليب لأنهم لم يعملوا بوصايا الله فالعبادة تُلهم التحمل والفرح بالبذل.

الأصحاح الثاني عشر

كل **الأصنام** في الأرض تُباد، **وهياكل الوثنيين**. الشعب يصلي في مكان واحد حيث تُنصب خيمة الاجتماع بعد استراحة الشعب من جميع أعدائه. وهو يبدو أنه تم في أيام داود (٢صم ٧: ١). وكرّر أن الرب يختار الموقع تسعة عشر مرة في سفر التثنية (١٢: ١١) «المكان الذي يختاره الرب إلهكم ليحل اسمه فيه». فالله هو الذي يختار وليس الإسرائيليون. والخيمة هنا استُخدمت قبل الهيكل، لأن الهيكل كلمة لم ترد في سفر التثنية. وقد استخدم موسى في سفر التثنية كلمة "الموضع"، وقد تثبتت كلمة "**الموضع**" إلى اليوم حتى في صلوات الكنيسة الآن، حيث لا تُذكر كلمة "هيكل" ولكن "**موضعك** المقدس هذا". وكل صلاة يُذكر فيها في النهاية هذا "الموضع"، ثم شعبك هذا.

والمعروف أن:

١ - تابوت عهد الله أُحضر إلى أورشليم (٢صم ٦: ١٢) واستودع خيمة داود التي أقامها لهذا

الغرض (٢صم ٦: ١٧).

٢ - الخيمة والمذبح النحاسي كانا في جبعون (١مل ٣: ٤)، (٢أي ١: ٣ - ٦).

٣ - داود بنى مذبحاً في بيدر أرنون (٢صم ٢٤: ٢٥).

والتابوت لم يدخل الخيمة من يوم أن رُفع من شيلوه في موقعة حفني وفينحاس (١صم ٤: ٣ و٤) نحو مائة سنة مؤخراً. فالتابوت والخيمة أُحضرا ودخلا بواسطة سليمان إلى الهيكل (١مل ٣: ٤).

وبعد ذكر اختيار الموضع أكمل موسى كلامه «... وتأكلون هناك أمام الرب إلهكم وتفرحون» (١٢: ٥ - ٧) أي أن الموضع سيكون مركز عبادة وتجمع للشعب وإقامة ذبائح السلامة كما كانت الخيمة في البرية.

الأصحاح الثالث عشر

اختبار النبي (١٣: ١ - ٥):

لقب "نبي" بدأ بإبراهيم لأنه أول مَنْ دُعي نبياً (تك ٢٠: ٧)، وروح النبوّة استعلنت مؤخراً (تك ٤٩)، (عد ١١: ٢٥). ولكن على العموم فإن النبوّة الفعلية بدأت بموسى واستمرت من بعده حتى أيام الملوك. وكلمة "**الناموس والأنبياء**" التي جاءت في إنجيل ق. متى (مت ٧: ١٢) إنما تتبع الترتيب التاريخي. فصموئيل النبي كان صانع الملوك ويُعتبر أنه قد أحيا النبوّة وحركتها، ومدرسة أبناء الأنبياء بدأت به ومعه.

واختبار النبوّة الحقيقية هي أن تكون مطابقة لشريعة إسرائيل كما جاءت في الوصايا العشر. فالناموس أساسي وكل ما غير الناموس كذب: «امتحنوا الأرواح هل هي من الله.» (١يو ٤: ١)

أمّا عقاب الارتداد عن الله الحي فيوضحه في (١٣: ٦ - ١٨).

الأصحاحات (١٤ - ٢٦)

قوانين من أجل الشعب المقدس: تكرار لما جاء سابقاً في الأسفار.

ناموس اللحم: (١٤: ٣ - ٢١) = (لا ١١).

قانون العشور: (١٤: ٢٢ - ٢٩).

(لا ٢٧: ٣٠)، (عد ١٨: ٢١ - ٣١) مع تغيير الظروف.

عشور تُعطَى للاويين ليقتسموها مع الكهنة (عد ١٨: ٢١ - ٣٢)، (لا ٢٧: ٣٠ - ٣٣).

عشور تؤكل في الهيكل (تث ١٢: ٥ - ١٨، ١٤: ٢٢ - ٢٧).

عشور السنة الثالثة أو عشور الفقراء (تث ١٤: ٢٨ إلخ، ٢٦: ١٢ - ١٥).

سنة الإبراء (الفكاك): (١٥: ١ - ١٥).

= (خر ٢١: ٢). والقصد هو التساوي بين الشعب. وتتضمن توزيع الأرض بالقرعة.

الأبكار وباكورة الفاكهة: (١٥: ١٩ - ٢٣)، (٢٦: ١ - ١١)

الثلاثة أعياد السنوية: (١٦: ١ - ١٧) = (خر ٢٣: ١٤ - ١٩) (لا ٢٣).

ناموس التقاضي: (١٦: ١٨ - ٢٠).

لا يحل تقديم ما به عيب: (١٧: ١): عهد قديم وعهد جديد.

القضاة من الكهنة اللاويين: (١٧: ٨ إلخ)

ويختص هذا الجزء بالكلام عن القضاة من اللاويين، ومَنْ رَفَضَ سلطتهم يُعاقَب بالموت، وهم من اللاويين الكهنة أبناء هارون، وهم غير باقي اللاويين. وسفر التثنية يفرّق بين اللاويين والكهنة.

قانون الملك: (١٧: ١٤ - ٢٠)

وكان معروفاً في أيام إبراهيم أن "نسلَكَ سيخرج منه ملوك" (تك ١٧: ١٦). ولكن على العموم يُعتبر الملك الحقيقي لإسرائيل هو الله (خر ١٥: ١٨)، (١٩: ٦)، (تث ٣٣: ٥). علماً بأن جدعون رفض أن يكون ملكاً (قض ٨: ٢٣). وكل ما يختص بإقامة الملك في (١صم ٨ - ١٢) يوضح كيف يتصرف الله حتى من خلال أغراض البشر الخاطئة، إذ يكمِّل مشيئته المقدسة.

«وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة» (١٧: ١٨ - ٢٠) هذه هي وصية الله ليشوع (يش ١: ٨) وهي حقيقة ذات اهتمام بالغ.

الكهنة واللاويون أيضاً: (١٨: ١ - ٨)

الفرق بين الكهنة واللاويين: واللاويون البسطاء يتضح عملهم هنا وهو الاشتراك مع الكهنة في التقدمات التي للشعب، ولكن هذه التقدمات تجعل الكهنة أحياناً مستبدِّين (١صم ٢: ١٢ - ١٧). ويلاحظ أن المدن الثلاث عشرة التي تعينت أخيراً بواسطة يشوع للكهنة كانت كلها بالقرب من أورشليم. أما مدن اللاويين فهي موزَّعة على كل الأرض، شرقاً وغرباً من الأردن. وهذا جعل الكثرة من اللاويين يعيشون داخل أبواب بيوتهم ولا يحضرون إلى الهيكل الرئيسي أبداً. ولكنهم

يعتمدون على العشور التي لهم.

واللاويون الذين يريدون أن يخدموا في الهيكل يلزم أن تُكتب أسماؤهم ويدعون إلى ذلك.

النبوّة والأنبياء أيضاً: (١٨: ٩ - ٢٢)

شهوة الإنسان أن يعرف ما في المستقبل ويتحكم، ويظهر من الآتي:

توجد تسعة طرق عند الكنعانيين لمعرفة المستقبل (١٨: ١٠ و١١) وكلها يجحدها الله وممنوعة على الشعب الذين أعطاهم الله أن يعرفوا مشيئته.

+ «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون.» (١٨: ١٥)
+ «أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به.» (١٨: ١٨)

١ - «**يقيم لك الرب إلهك نبياً**»: هذا تعيين واضح محدد، هو فردي وشخصي ولا يورث. ودعوة إشعياء وإرميا وحزقيال توضح هذا بكل تدقيق. انظر أيضاً (عا ٧: ١٤ إلخ).

٢ - «**من وسط إخوتك**»: فالنبوة هي بكل تأكيد إسرائيلية. لا يوجد مثلها في أي دين يقارن بهذا. وبلعام هو استثناء مميز ولكنه هو نفسه التزم بالقاعدة والقانون الإسرائيلي.

٣ - «**مثلي**»: كان موسى هو النموذج للنبي الآتي الفائق المميَّز (يو ١: ٢١) الذي يكون له الطاعة الكاملة لأن الله يقول:

٤ - «**أجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به**»: أما النبي الحقيقي فيلزم أن يكون لسان حاله «هكذا قال الرب». وقد تحققت هذه النبوّة التي قيلت بالنسبة لموسى بحذافيرها في الرب يسوع المسيح الذي كلّم الناس بما لم يتكلم به إنسان آخر (يو ٧: ٤٦)، (أع ٣: ٢٢ إلخ) يسوع المسيح المخلّص لإسرائيل والعالم.

واختبار النبوّة الصادقة هو تكميلها وإتمامها.

وكل الأنبياء الذين أرسلهم الله تحققت نبواتهم في مستقبل أيامهم (١صم ١٠: ١ - ٨) وبالآيات والعجائب التي تحدث (١مل ١٧: ٢٤). ولما تحققت نبواتهم في حياتهم كانت نبواتهم عن المستقبل البعيد مصدَّقة (٢صم ٧: ١٢ إلخ).

مدن الملجأ: (١٩: ١ - ١٣)

ثلاث مدن شرق الأردن (٤: ٤١ - ٤٩) ذُكرت بالاسم، وثلاث أخرى قد رتبت في أرض كنعان (عد ٣٥: ١٤) وفي (١٩: ٨ إلخ) زادت المدن التي للملجأ من ست مدن إلى تسع مدن لأول مرة ولكن لم تُعطَ أسماؤها.

علامات الإرث "التُخم": (عد ١٩: ١٤)

لكل إسرائيلي نصيب في الأرض، وفي تحريك التخم مسئولية وعقاب.

شهادة الزور (١٩: ١٥ - ٢١):

وصايا حتى يكون العقاب بالعدل (١٩: ١٥) وليس للانتقام (١٩: ٢٠). انظر (خر ٢١: ٢٤)، (لا ٢٤: ٢٠).

أعمال الحرب (٢٠):

هناك فرق في التعامل مع مدن كنعانية (٢٠: ١٦) والتي على بُعد (٢٠: ١٥) وكل مدينة تعاقب بما يتناسب مع وضعها.

العلاقات العائلية (٢١: ١٠ - ٢٣: ٢٥):

وصايا عن العلاقات الاجتماعية من كل شكل والأخلاقيات والتعرض للانحرافات الشديدة مثل التمرد (٢١: ١٨ - ٢٣) وعقوبته الموت، وكل المخالفات التي تُظهر إسرائيل أنها ليست شعب الله مثل الحرث بالحمار مع الثور (٢٢: ١٠) واستخدام حيوانات نجسة مع طاهرة. وعلى الكهنة أن يلبسوا الكتان. وممنوع عليهم لبس الصوف أثناء الخدمة. وحزقيال يذكر السبب (٤٤: ١٨) ولا يجوز خلط الصوف بالكتان (٢٢: ١١). وملابس الرجال غير ملابس النساء (٢٢: ٥). ويلزم أن يكون ملبس الإسرائيلي مميزاً. ويجب أن تكون أطراف الثوب (الجدائل) ظاهرة (٢٢: ١٢) ويجب على شعب إسرائيل أن يكون مميزاً لأنه مختار، حتى في ملبسهم، لئلا يفقد هويّته. تأمين الزوجات وإعطاؤهن حقوقهن (٢٢: ١٣ - ١٩)، والزوجة المُدانة بالخيانة تُرجم. والجرائم الأخرى تُعاقب (٢٢: ٢٠ - ٣٠).

تحديد مَنْ الذي يدخل في الجماعة الإسرائيلية ومَنْ يُرفض (٢٣: ١ - ٨).

الطلاق والزواج الثاني (٢٤: ١ - ٤)

المرأة الطالق لا تعود لزوجها الأول (٢٤: ٤). ومن طلق امرأته يحسبها أنها قد ماتت بالنسبة له إلى الأبد، هذا لكي لا يكون الطلاق بلا تعقل.

وبقية القوانين في الأصحاحات (٢٤ - ٢٦) مختلطة ومتنوعة لأغراض متعددة.

معاملة الفقير معاملة إنسانية - الأرملة والغريب واليتيم يحتاجون إلى مساعدة (٢٤: ١٧ - ٢٢). قانون الباكورات (٢٦: ١ - ١١). القول بأن أصل الشعب أرامي (٢٦: ٥) والأرامية هي السريانية قديماً أما الآن فهي ذات معنى أثري آبائي. وكل القوانين تصب في أن إسرائيل هو شعب الله وشعب مقدس لله إلهه.

خامساً: البركات واللعنات (٢٧: ١ - ٢٨: ٦٨)

بعد أن استغرق الحديث الثاني لموسى من أصحاح (٥) إلى أصحاح (٢٦) يكمّل بتعليمات دقيقة أكثر أهمية عما سيحدث بعد دخول شعب إسرائيل الأرض (انظر: ١١: ٢٩)، (يش ٨: ٣٠ - ٣٥). فإن كلمات الناموس ينبغي أن تُكتب على الجبس الذي يغطي الأحجار الكبيرة التي للمذبح حيث يصبح الناموس هو الأساس الأعلى للطاعة في المكان المقدس لله القدوس. وهذا المذبح هو الذي تُقدَّم عليه ذبيحة التكفير إذا أُخفق في حفظ الناموس أو تُعُدِّيَ عليه، وهنا تظهر أيضاً أهمية لوحي الحجر التي للعشر وصايا التي في التابوت المغطى بكرسي الرحمة.

وجبل عيبال وجبل جرزيم كائنان في وسط الأرض عالياً، ويلزم أن يظهر هذا المنظر بمنظر مأساة مؤثرة كطقس عبادة. فاللعنات هي الأقرب والأحق لإسرائيل من البركات فيكون التأكيد على اللعنات: ١٢ لعنة وست بركات. وكلمة "آمين" من الشعب هي للتصديق، ولتنتقل إلى اللعنة التي بعدها (نح ٥: ١٣). ولكن يمكن أيضاً أن تكون للتصديق على البركة (١مل ١: ٣٦)، (نح ٨: ٦)، (مز ٧٢: ١٩).

على أن بين الجبلين جرزيم وعيبال تقع "شكيم" بذكرياتها الحسنة.

+ «فيوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة وتشيِّدها بالشِّيد. وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس حين تعبر لكي تدخل الأرض التي يعطيك الرب إلهك أرضاً تفيض لبناً وعسلاً، كما قال لك الرب إله آبائك، حين تعبرون الأردن تقيمون

هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال (أرض السامرة) وتكلسها بالكلس، وتبني هناك مذبحاً للرب إلهك مذبحاً من حجارة، لا ترفع عليها حديداً، من حجارة صحيحة تبني مذبح الرب إلهك، وتُصعد عليه محرقات للرب إلهك وتذبح ذبائح سلامة وتأكل هناك وتفرح أمام الرب إلهك، وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشاً جيداً ... هؤلاء يقفون على جبل جرزيم لكي يباركوا الشعب حين تعبرون الأردن: شمعون ولاوي ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين. وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة: رأوبين وجاد وأشير وزبولون ودان ونفتالي. فيُصرّح اللاويون ويقولون لجميع قوم إسرائيل بصوت عالٍ:

ملعون الإنسان الذي يصنع تمثالاً منحوتاً أو مسبوكاً رجساً لدى الرب عمل يَدَيْ نحات ويضعه في الخفاء	ويجيب جميع الشعب ويقولون آمين.
ملعون من يستخف بأبيه أو أمه	ويقول جميع الشعب آمين.
ملعون من ينقل تُخُم صاحبه	ويقول جميع الشعب آمين
ملعون من يضل الأعمى عن الطريق	ويقول جميع الشعب آمين
ملعون من يُعوِّج حق الغريب واليتيم والأرملة	ويقول جميع الشعب آمين
ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه لأنه يكشف ذيل أبيه	ويقول جميع الشعب آمين
ملعون من يضطجع مع بهيمة ما	ويقول جميع الشعب آمين
ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه	ويقول جميع الشعب آمين
ملعون من يضطجع مع حماته	ويقول جميع الشعب آمين
ملعون من يقتل قريبه في الخفاء	ويقول جميع الشعب آمين
ملعون من يأخذ رشوة لكي يقتل نفس دم بريء	ويقول جميع الشعب آمين
ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها	ويقول جميع الشعب آمين

(تث ٢٧: ٢ - ٢٦)

ويكملها دمجاً في أصحاح (٢٨): بالبركات (٢٨: ١ - ١٤)، ثم يعود أيضاً إلى اللعنات بأكثر تفاصيل (٢٨: ١٥: - ٦٨).

سادساً: عهد سيناء يؤكد ثانية (٢٩: ١ - ٣٠: ٢٠)

كلها استفاضة وتأكيد وتعديل في عهد سيناء ليناسب إسرائيل في أرضه. وهو هنا ينادي «جميع

إسرائيل» (٢٩: ٢)! وخاصة الذين عاينوا ما حدث في تسليم العهد وينتهي التحذير والتذكير باختيار إما الحياة أو الموت.

سابعاً: تعليمات أخيرة للكهنة واللاويين ويشوع (٣١: ١ - ٢٩)

تأكيد أخير لإسرائيل (٣١: ١ - ٦)، بعدها كلمة ليشوع (٣١: ٧ - ٢٣) ولها صداها في (يش ١: ٦ إلخ)، وأكد على كتابة الناموس في كتاب بيد الكاهن أو رئيس الكهنة وعليه أن يقرأ هذا الناموس للشعب مرة كل سبع سنوات. وماذا يقصد بهذا الناموس؟ هل كل التوراة أم كتاب التثنية؟ ولكن السبعة الأيام التي لعيد المظال هي تكفي، وهي مناسبة فخمة لقراءة كل المسجل الذي بحسب خمسة أسفار موسى النبي (لليهود والمسيحيين).

وموسى عليه الآن أن يموت!! وفي يده نشيد يقوله قبل أن يموت.

ثامناً: نشيد موسى (٣١: ٣٠ - ٣٢: ٥٢)

هذا القائد العظيم كان شاعراً يجيد الشعر، ألقى نشيده بالشعر لكي يدخل آذان الشعب ليحفر فيها قنوات كالموسيقى الإلهية. وقد كانت أهدافه المميزة:

– عظمة الله إله إسرائيل (٣٢: ٣٩)، إحساناته لإسرائيل (٣٢: ١٠ - ١٤)

– عقوق إسرائيل وفقدان الطاعة (٣٢: ٥ و٦ و١٥ - ٢١)، غضب الله والنقمة المؤجلة (٣٢: ٣٥ - ٤٢).

ويختم بالرجاء بالله وبمراحمه على الشعب العابر إلى أرضه، تكرار وصف الله بالصخر (٤ و٣٠ و٣١). وهو الذي أمره بكتابة هذا النشيد (٣١: ١٩ و٢٢) ليلقيه على شعبه (٣٢: ٤٤).

تاسعاً: بركات موسى (٣٣: ١ - ٢٩)

كانت هذه عادة الآباء الكبار الأُول، وقد اختطّ موسى طريقهم، خاصة أنه قد عاشر هذا الشعب أربعين سنة ليل نهار. واللغة شعرية عالية المستوى جداً، المُلفت فيها عدم ذكر سبط شمعون. انظر: (تك ٤٩: ٧) فقد فُقد في العصيان الأخير والوبأ، لقد فُقد في خطية بعل فغور (عد ٢٥: ١٤)، ثم إن أمانة اللاويين في حادث عجل الذهب (خر ٣٢: ٢٦ - ٢٩) جعل موسى يبارك سبط لاوي.

أمَّا يهوذا فبالرغم من أنه اختصر بركته، إلا أنه هو السبط الملكي ورجاء إسرائيل على بيت داود. وبنيامين يجد الأمان والتمايز فقد كان هيكل العبادة في أورشليم في حدوده الشمالية. وبركة يوسف مثل التي قيلت له من يعقوب أبيه (تك ٤٩)، وتميز أفرايم على منسَّى.

وتنتهي البركة بالاعتراف بأن يهوه العظيم هو أساس كل بركة ومؤمِّنها. وقد وصف غزو الأرض كحدث قد تم (٢٧).

وقد ترك لنا موسى مزموراً يحمل صوته (مز ٩٠).

صلاة لموسى رجل الله:

يا رب ملجأ كنت لنا من جيل إلى جيل — من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله.

تُرجع الإنسان إلى الغبار وتقول ارجعوا يا بني آدم — لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعدما عبر وكهزيع من الليل.

جرفتهم. كَسِنةٍ يكونون بالغداة كعشب يزول — بالغداة يزهر فيزول عند المساء يُجز فييبس

لأننا قد فنينا بسخطك وبغضبك ارتعبنا — قد جعلت آثامنا أمامك فخفياتنا في ضوء وجهك

لأن كل أيامنا قد انقضت برجزك أفنينا سنينا كقصة — أيام سنينا هي سبعون سنة وإن كانت مع القوة فثمانون سنة وأفخرها تعب وبلية. لأنها تُقرَض سريعاً فنطير.

من يعرف قوة غضبك. وكخوفك سخطك — إحصاء أيامنا هكذا علّمنا فنؤتى قلب حكمةٍ.

ارجع يا رب حتى متى وترأّف على عبيدك — أشبعنا بالغداة من رحمتك فنبتهج ونفرح كل

فرّحنا كالأيام التي فيها أذللتنا — أيامنا كالسنين التي رأينا فيها شراً.

ليظهر فعلك لعبيدك وجلالك لبنيهم — ولتكن نعمة الرب إلهنا علينا وعمل أيدينا ثبت علينا. وعمل أيدينا ثبته!

عاشراً: موت موسى (٣٤: ١ - ١٢)

وبعد أن خدم قومه ومسك بيد جيله في خوف الله وعبر أهوال البرية، استقبل موسى خبر موته كيوم

عيد. وذهب مسرعاً يتمّم أمره وكأنه ذاهب إلى بيت أبيه. هناك على جبل الفِسْجَة مات ودفنه الله!

والسؤال الذي يحيّر القارئ: **لماذا يُحرم موسى من دخول أرض الموعد، وشعب إسرائيل يُسمح له بالدخول. هل خطية موسى توزن بأكثر من خطية يشوع أو أليعازر أو الشعب؟**

وللإجابة على ذلك يلزم أن ندخل في سر الخلاص.

فموسى كان رئيساً وقائداً وكاهناً للشعب بل ونبياً بل ويمثل شعباً بأكمله.

فعبور البرية بمفهوم العهد الجديد هو عبور هذا العالم. شعب إسرائيل كان يمثل بني آدم إنسان الخطية. وعبور البرية كان تحت قيادة حكومة الله التي تتحكم في إنسان الخطية والجسد، وكان موسى ممثل الحكومة وبآن واحد ممثل الشعب. نهر الأردن وعبوره هو عبور الموت من شاطئ الموت لشاطئ الحياة الجديدة، من برية العالم إلى كنعان السماوية وهو عبور تمثيلي. هنا مستحيل على موسى ممثل حكومة الله على الجسد أن يعبر لأنه ممثل شعب العالم الذي يعبر البرية، ووظيفته أن يعبر بالشعب برية العالم فقط، لذلك تعيَّن يشوع وهو ممثل روحي ليسوع اسماً وعملاً أن يعبر بشعب الجسد من برية العالم إلى السماء الجديدة والأرض الجديدة التي يسكن فيها البر، إلى ملكوت السموات. وهو (أي المسيح) قادر وقدير لأنه حامل الجسد البشري وحامل حكومة الله الروحية.

هنا استثناء موسى من العبور "تمثيلي"، أي يمثل الشعب الذي ليست له مؤهلات العبور التي كانت ليسوع. والدور التمثيلي لا ينطبق أبداً على حقيقة شخص وحياة الممثل.

وإن أردت توضيحاً أكثر، فموسى يمثل يسوع نفسه فيما قبل التجسد من جهة قيادة ومسئولية العبور في العالم. والشعب شعب إسرائيل، هو أيضاً يمثل شعب الله الذي قاده يسوع الحقيقي وعَبَر الموت الفعلي إلى حياة أبدية. أما حقيقة وشخصية شعب إسرائيل فقد بقي هو الشعب المقاوم والمعاند الذي مدّ الله يده إليه طول النهار، ولكن دوره في الخلاص لم يأتِ بعد حتى يدخل ملء الأُمم.

والشعب الذي يمثله الشعب الإسرائيلي الذي عبر الأردن بقيادة يشوع وبحضور التابوت هو نحن الذين عبر بنا يسوع موت الخطية. ولكن لتكميل الدور، فنحن لا زلنا في العالم وتحت حكومة الله الروحية حيث الجسد للذين عبروا الخلاص بالصليب هو جسد ميت أو في حكم الميت بانتظار العبور الأخير – على يد المسيح المصالح والشفيع لأنه أعدَّ لنا المكان، وعلى رجاء الحصول على بر الخلاص الأخير الأبدي مرة واحدة نهائية.

أما كل ما حدث لشعب إسرائيل في البرية من تمرد وعناد وعدم طاعة وتذمر وارتداد عن الله الحي والتأديبات التي دخلوا فيها، فيعبِّر عنها بولس الرسول في رسالته الأولى لأهل كورنثوس قائلاً:

+ «فإني لستُ أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر. وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر. وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً. وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً. لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح - لكن بأكثرهم لم يُسرّ الله لأنهم طُرحوا في القفر - وهذه الأمور حدثت مثالاً لنا حتى لا نكون نحن مشتهين شروراً كما اشتهى أولئك. فلا تكونوا عبدة أوثان كما كان أناس منهم. كما هو مكتوب جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب. ولا نزنِ كما زنى أناس منهم فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً. ولا نجرب المسيح كما جرب أيضاً أناس منهم فأهلكتهم الحيات. ولا تتذمروا كما تذمر أيضاً أناس منهم فأهلكهم المهلك. **فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً. وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور!**» (١كو ١٠: ١ - ١١)

كذلك لا نستطيع أيها القارئ العزيز أن نلوم شعب إسرائيل على ما اقترفوه وخاصة من عدم الطاعة والتذمر في حين أن الله عمل معهم إحسانات لا حصر لها وتعامل معهم كأب «إسرائيل ابني البكر» وأحبّهم وأحبّ آباءهم، وتراءى لهم عن قرب وتكلم أمامهم مع موسى وكان لطيفاً معهم بألطاف لا يمكن أن تخطر على قلب إنسان.

ولكن كل هذا حدث أمام عيوننا، لكي نثق ونتأكد أنه يستحيل على الإنسان أن يستجيب لمحبة الله ويخضع ويطيع ويحب **إلاّ إذا حصل على قلب جديد!** وهذا ما انتهى الله إليه معنا في يسوع المسيح إذ وهبنا بقيامته الخليقة الجديدة للإنسان الجديد من فوق الذي تأهَّل أن يدخل في شركة الحياة الأبدية مع الله الآب وابنه يسوع المسيح (١يو ١: ٣).

وقد أشار سفر التثنية إلى ذلك إشارة واضحة جداً:

+ «ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم: أنتم شاهدتم ما فعل الرب أمام أعينكم في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وبكل أرضه، التجارب العظيمة التي أبصرَتْها عيناك وتلك الآيات والعجائب العظيمة، **ولكن لم يُعطِكم الرب قلباً لتفهموا وأعيناً لتبصروا وآذاناً لتسمعوا إلى هذا اليوم.**» (تث ٢٩: ٢ - ٤)

وقد أعاد الله هذه النغمة بسبب عدم أهلية الشعب مرة أخرى بواسطة إشعياء النبي:

+ «ثم سمعت صوت السيد قائلاً مَنْ أُرسِل ومن يذهب من أجلنا، فقلت هأنذا أرسلني. فقال اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا، **غلّظ قلب هذا الشعب و ثقّل أذنيه واطمس عينيه لئلا يُبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيُشفى.**» (إش ٦: ٨ - ١٠)

وحتى مجيء المسيح كانت هذه النغمة سائدة على الجميع:

+ «فأجاب وقال لهم لأنه قد أُعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات، وأما لأولئك فلم يعطَ، فإن من له سيُعطَى ويُزاد، وأما من ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه. من أجل هذا أكلّمهم بأمثال، **لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون، فقد تمت فيهم** نبوة إشعياء القائلة تسمعون سمعاً ولا تفهمون، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون، **لأن قلب هذا الشعب قد غلظ**، وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم.» (مت ١٣: ١١ - ١٥)

وهنا يعطي المسيح أول تصريح بعطية **العين المفتوحة** على أسرار ملكوت السموات:

+ «ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع، فإني الحق أقول لكم إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا.» (مت ١٣: ١٦ و١٧)

فالمسيح هو النور الآتي إلى العالم ليضيء لكل إنسان، وهو كلمة الله الممنوحة للإنسان لتفتح بصيرته ليدرك الحق والله.

أسفار الأنبياء

بعد موسى النبي

مقدِّمة لأسفار الأنبياء بعد موسى النبي

قانون العهد القديم من جهة تقسيم مواضيعه في التوراة العبرية ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الناموس، والأنبياء والكتب.

ويتكون قسم الأنبياء من الأنبياء الأولين: يشوع، القضاة، صموئيل، والملوك. أما الأنبياء الأخيرون فهم الذين دُوِّنت نبواتهم، أو الأنبياء الكاتبون وهم إشعياء، وإرميا، وحزقيال، ودانيال، والاثنا عشر نبياً الصغار. هؤلاء دُعوا بالأنبياء الصغار عند أغسطينوس وجيروم بسبب اختصار نبواتهم إذا قيست بنبوات الأنبياء الذين أسموهم بالكبار نسبة إلى كبر حجم نبواتهم. وفي الاتجاه العبري سُمِّي الأنبياء الصغار باسم الاثني عشر، وضُمُّوا في كتاب واحد حفاظاً لهم. أما نبوة دانيال فتوضع مع نبوات الأنبياء الكبار في الترجمة السبعينية ولكنه يُعتبر من "الكتب" العبرية.

أما الزمن الذي استغرقته النبوَّة المدوَّنة في إسرائيل فيبدأ من القرن التاسع قبل الميلاد بالنبيين عوبديا ويوئيل، وينتهي في القرن الخامس قبل الميلاد بملاخي.

وهكذا تُقدِّم النبوَّة في إسرائيل شهادة مستمرة عن الحالة الأخلاقية التي تجوزها البلاد، ثم الحالة الروحية، وكذلك الحالة السياسية لإسرائيل ويهوذا. على أن الشهادة النبوية في إسرائيل كانت دائماً تشهد للمستقبل بالنسبة لشعب الله، وأيضاً للأمم، وللملكوت المسيَّا.

ويستهل أسفار الأنبياء الصغار سفر هوشع النبي ربما لأنه أطول كتب الاثني عشر. ولكن النبي الذي يُحسب أول الاثني عشر هو عوبديا وذلك بالنسبة لزمنه المتقدم، وقد مارس النبوَّة لمدة أطول من جميع الأنبياء الصغار.

أما الأنبياء الكبار فكان ترتيبهم كالآتي: إشعياء، إرميا، حزقيال، دانيال. وتوجد تقسيمات لوضع الأنبياء إما بالنسبة للزمن، وإما بالنسبة لأيِّ أمم العالم التي خاطبوها، وإما لأزمنة الأنبياء في ابتداء نبواتهم.

ولكننا هنا سنأخذ بالترتيب الزمني:

١ - ما قبل السبي: عوبديا، يوئيل، يونان، هوشع، عاموس، إشعياء، ميخا، ناحوم، صفنيا، إرميا، حبقوق.

٢ - أنبياء السبي: دانيال، وحزقيال.

٣ – ما بعد السبي: حجي، زكريا، ملاخي.

أسماء الأنبياء بترتيب أزمنتهم، وتاريخ نبوتهم، وموطن النبي، والملوك المعاصرين لكل نبي

اسم النبي	تاريخ بدء النبوّة[1]	موطن النبي	الملوك المعاصرون
عوبديا	٨٤٥ ق.م	يهوذا	يهورام ملك يهوذا
يوئيل	٨٣٥ ق.م	يهوذا	يوآش ملك يهوذا
يونان	٧٨٢ ق.م	إسرائيل	عُزِّيا (في يهوذا) ويربعام الثاني في (إسرائيل)
هوشع	٧٦٠ ق.م	إسرائيل	عُزِّيا (في يهوذا) ويربعام الثاني في (إسرائيل)
عاموس	٧٦٠ ق.م	يهوذا	عُزِّيا ويوثام وآحاز وحزقيا (في يهوذا) ويربعام الثاني (في إسرائيل)
إشعياء	٧٣٩ ق.م	يهوذا	عُزِّيا ويوثام وآحاز وحزقيا
ميخا	٧٣٥ ق.م	يهوذا	يوثام وآحاز وحزقيا
ناحوم	٦٥٠ ق.م	يهوذا	مَنَسَّى
صفنيا	٦٤٠ ق.م	يهوذا	يوشيا
إرميا	٦٢٧ ق.م	يهوذا	يوشيا ويهوآحاز ويهوياقيم وصدقيا إلى السبي
حبقوق	٦٠٩ ق.م	يهوذا	يهوياقيم
دانيال	٦٠٥ ق.م	بابل	نبوخذنصر وداريوس وكورش
حزقيال	٥٩٣ ق.م	نهر خابور	نبوخذنصر في السنة الخامسة من سبي يهوياكين
حجي	٥٢٠ ق.م	أورشليم	داريوس الأول (هستاسبس)
زكريا	٥٢٠ ق.م	أورشليم	داريوس الأول (هستاسبس)

(1) According to Hobart E. Freeman, *An Introduction to the Old Testament Prophets*, Chicago, 1968, p. 136-137.

اسم النبي	تاريخ بدء النبوّة[1]	موطن النبي	الملوك المعاصرون
ملاخي	٤٣٣ ق.م	أورشليم	داريوس نوتوس وأرتحشستا منيمون

ملاحظة تاريخية:

أليشع النبي وهو من الأنبياء Precanonical أي الذين ليست لهم مدونات. وقد امتدت خدمة نبوته من سنة ٨٥٣ ق.م في القرن التاسع أثناء حكم يهوشافاط حتى سنة ٧٩٦ ق.م، وهكذا تغطي خدمته زمان نبوة عوبديا (٨٤٥) ويوئيل (٨٣٥) وامتدت حتى يونان النبي (٧٨٢).

الأنبياء الكبار

١ ـ إشعياء النبي

اسم إشعياء Yeshaiah يعني "يهوه مخلّص". تنبَّأ في يهوذا، وهو معاصر للأنبياء عاموس وهوشع وميخا، ومعاصر للملوك: عُزِّيا ويوثام وآحاز وحزقيا. ويُقال إن أبا إشعياء أموص كان أخاً للملك أَمَصْيا، فإشعياء ابن عم الملك عُزِّيا. وكان متزوجاً وامرأته كانت تُسمَّى النبية.

عاش إشعياء في يهوذا وعاصر زمناً لبلاده كان في غاية الأهمية، وهو النصف الثاني من القرن الثامن ق.م. وكان يحب أورشليم جداً ولكنه كان يرجو أورشليم الجديدة وقد وُلد فيها وتعلم. وقد زامن ورأى النبوّات المكتوبة للأنبياء عاموس وهوشع وميخا وكتب هو نبوته أيضاً. وشاهد سقوط واختفاء الجزء الأكبر من مملكة إسرائيل الشمالية بأسباطها العشرة.

وفي سنة ٧٣٩ ق.م شاهد موت عزيا، وذكر ذلك في بداية أصحاحه الهام، الأصحاح السادس (٦: ٦). وهذا التاريخ كان النهاية لزمان ربيع الألفة بين دولة إسرائيل ودولة يهوذا حوالي ٥٠ سنة بالرغم من ارتفاع مستوى العنف بينهما، ولكنها كلها صارت للذكرى، فقد ضاع كل شيء ولم يبقَ شيء. لأن بقية هذا القرن الثامن ق.م قد طغى عليه نهب ملوك الأشوريين وأولهم تَغْلَثَ فَلاَسَر الثالث الذي ساد من سنة ٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م، وتلاه شَلْمَنْأَسَر الخامس ٧٢٧ - ٧٢٢ ق.م، وتلاه سَرْجُون الثاني ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م، وتلاه سَنْحَارِيب من ٧٠٥ - ٦٨١ ق.م. وإشعياء حضر موت سَنْحَارِيب، ولم تكن أطماعهم النهب والسلب فقط ولكن كانت أمنيتهم إقامة إمبراطورية، فكان أساس غزوهم هو اقتلاع الشعوب وإعادة توطينهم وكانوا على أهبة سحق أية ثورة في أي مكان بكل بطش وقسوة.

وقد شعرت أورشليم سنة ٧٣٥ ق.م بقدوم الجيوش عليها لزلزلة الأرض، حينما اقتربت جيوش إسرائيل أختها في الشمال وذلك لما استعانت بجيوش سوريا لإجبار آحاز ملك يهوذا لينضم إليهم في مواجهة ملك أشور بعد أن يفتتحاها ويملكاها. ولكن إشعياء قاوم هذه المؤامرة بنبوة خطيرة وهي التي ذكر فيها «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل»، وهي من أقوى وأنبل النبوّات طرّاً.

+ «وحدث في أيام آحاز بن يوثام بن عُزِّيا ملك يهوذا أن رصين ملك أرام (سوريا) صعد مع فَقْحُ بْنُ رَمَلْيَا ملك إسرائيل إلى أورشليم لمحاربتها، فلم يقدر أن يحاربها، وأُخبر بيت داود وقيل له قد حلت أرام (سوريا) في أفرايم. فرجف قلبه وقلوب شعبه كرجفان (كارتعاش) شجر الوعر (الأثل) قدام الريح. فقال الرب لإشعياء: اخرج لملاقاة آحاز (ملك يهوذا) ...

وقُل له احترز واهدأ. لا تخف ولا يضعف قلبك ... لأن أرام (سوريا) تآمرت عليك بشرٍّ مع أفرايم وابن رمليا (ملك إسرائيل) قائلة: نصعد على يهوذا ونُقوِّضها ونستفتحها لأنفسنا ونُملِّك في وسطها ملكاً ابن طَبْئيل، هكذا يقول السيد الرب: لا تقوم لا تكون ... ثم عاد الرب فكلّم آحاز قائلاً: اطلب لنفسك آية من الرب إلهك. عمِّق طلبك أو رفِّعه إلى فوق. فقال آحاز: لا أطلب و لا أُجرِّب الرب. فقال (الرب) اسمعوا يا بيت داود: هل هو قليل عليكم أن تُضجروا الناس حتى تُضجروا إلهي أيضاً، ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل.» (إش ٧: ١ - ١٤)

وفي هذه النبوّة يقف الله - على لسان إشعياء - يخيِّر الملك الخائف المرتعب بين الإيمان الهادئ بالله القادر على كل شيء وبين التحالف الميئوس منه، ثم يظهر الله علانية لآحاز نفسه ملك يهوذا ويقول له: إن كان لا يكفيك الإيمان بي اطلب آية وعمِّق أو رفِّع الطلب، فلما احتشى آحاز وقال للرب: حاشا أن أجرب الرب، قال له الرب نفسه موجهاً الكلام إلى بيت داود أن الله نفسه سوف يأتي ليكون معكم (يعني: "عمانوئيل") ويكون مجيئه معجزة الأجيال كلها لأنه سيولد من عذراء ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا! وفي أيامه يختفي ملك سوريا وملك إسرائيل معاً.

ولكن مملكة إسرائيل قامت بعد ذلك بثورة على ملك أشور، فدفعت ثمنها غالياً جداً سنة ٧٣٤ ق.م إذ ضاع منها الجليل، وبعد ذلك ضاعت المملكة كلها سنة ٧٢٢ ق.م، وصارت تخوم إسرائيل تطل على حلفاء أشور الذين احتلوا إسرائيل: «وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوّا وحماة وسَفَرْوايم وأسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني إسرائيل» (٢مل ١٧: ٢٤). وكانت عاقبة ثورة حزقيا ملك يهوذا على أشور (إش ٣٦ و٣٧) أن جاء الملك الجبار سَنْحارِيب وسقط عليه في سنة ٧٠١ ق.م وترك مملكة يهوذا خراباً، وإن كانت أورشليم قد نجت بأعجوبة. وكان هذا ختام نبوّة إشعياء الأولى.

وبحسب رأي النقاد يكون إشعياء قد أنهى نبوته، وأما يأتي بعد ذلك فهو لنبي آخر من سبي بابل لزمن آخر. فإشعياء الكبير صاحب الأصحاحات من (١ - ٣٩) **كان في القرن الثامن وتنبأ حتى زمن حزقيا** وتنبأ من أصحاح (١) إلى أصحاح (٣٩) [٣٩ أصحاحاً]، والذي جاء بعده من أصحاح (٤٠) إلخ هذا كان أيام كورش الذي جاء اسمه في (إش ٤٤: ٢٨) وبهذا نكون قد انتقلنا **إلى القرن السادس**.

ولكن أصحاب الرأي التقليدي يقولون إن إشعياء كتب كل أصحاحاته الستة والستين.

النظرية التقليدية لسفر إشعياء:

سفر إشعياء مربوط ربطاً دقيقاً مُحكماً بالعهد الجديد، فالمسيح لما أحضروا له كتاباً ليقرأ كان هو سفر إشعياء النبي، ولما فتح المسيح سفر إشعياء النبي فتحه على الأصحاح الذي يتكلم فيه علانية الله الآب وكان ذلك على إرسالية الابن ومسحه بالروح القدس للخدمة يوم عماده هكذا:

+ «وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربَّى، ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ، فدُفع إليه سفر إشعياء النبي (دَرْجٌ واحد). ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه: روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة. ثم طوى السفر وسلَّمه إلى الخادم وجلس، وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه.» (لو ٤: ١٦ـ٢٠)

هذا المقطع مكتوب في آخر سفر إشعياء (إش ٦١: ١ و٢). وهكذا اشترك إشعياء في يوم عماد الرب قبل عماده بسبعمائة سنة. فالمسيح لم يعترض على أن هذا المكتوب هو من إشعياء النبي.

وفي موضع آخر من إنجيل ق. يوحنا (يو ١٢: ٣٧ـ٤١) يقول: «ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به، ليتم قول إشعياء النبي الذي قاله: يا رب من صدق خبرنا ولمن استُعلنت ذراع الرب. لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا. لأن إشعياء قال أيضاً: قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم. قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه» وهذه يقابلها (إش ٥٣: ١، ٦: ٩ و١٠). وقد جاء ذكر مقطع آخر في رسالة ق. بولس الرسول إلى أهل رومية (رو ٩: ٢٧ - ٢٩): «وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص، لأنه متمم أمر وقاض بالبر، لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به على الأرض. وكما سبق إشعياء فقال: لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة» وهذا يقابله (إش ١٠: ٢٢ و٢٣، ١: ٩).

وأيضاً يقول في رسالة رومية: «ثم إشعياء يتجاسر ويقول وُجدت من الذين لم يطلبوني وصرتُ ظاهراً للذين لم يسألوا عني» (رو ١٠: ٢٠). وإشعياء النبي يوردها هكذا «أصغيت إلى الذين لم يسألوا. وُجدت من الذين لم يطلبوني. قلت هأنذا لأمة لم تُسمَّ باسمي.» (إش ٦٥: ١)

أسلوبه:

لقد كان فكر إشعياء جريئاً لا مثيل له، ومجاله تقليديًّا مطوراً، ومستواه في التعبير والتصوير عالياً قوياً. وهو يُمثِّل أعلى مستوى للفكر النبوي في كل العهد القديم. وبالرغم من أن كل قوى تفكيره كانت منحصرة داخل التقليد لا يخرج عنه، إلاّ أن أسلوبه كان سهلاً مِطْواعاً، فجاءت رسالته لينة مقبولة، تطور نفسها لكل اتجاه دون تعسف في المواقف السياسية الحرجة، قادراً أن يلمَّ شمل المنظور السياسي بأجمعه ويصوره في حدود يحيط بها فكر القارئ بسهولة، وهذه مهارة نبيٍّ ممتازة جدًّا. لأن أصعب ما في تصوير النبوَّة هو المواقف الجامدة والحرجة التي لم يتعودها قارئ العصور القديمة. ونبوة إشعياء تكشف تراثاً كثيفاً لرجل يعيش في عصور جامدة سحيقة ولغته متعددة الأوزان اللغوية، فمن لغة التشهير التعسفي إلى اتساع التعليق الوجيه الفخم بالشعور الرخيم، ومن لغة القضاء المحدودة الضيقة الهامسة إلى الشعر الطنان الجهوري الكاشف عن جمال الكلمات والمعاني.

والعلامة المميزة جداً لشخصية إشعياء النفسانية والاجتماعية واللاهوتية هي نداؤه بالتوسط في كل شيء، مما يجعل هذا النبي على مستوى نبلاء الإصلاحيين في الشعوب. وإشعياء ينتمي إلى أورشليم فكان رجل مدينة أي مدنياً راقياً على أعلى درجة من الرقي الأخلاقي مما هيأه للتدخل في سياسة الملوك وكبار الضباط. علماً بأن زمانه كان فيه صراع الأعداء إن كانوا سوريين أو فلسطينيين أو موآبيين أو حتى الأشوريين. وأولى الحركات في أيامه كانت للأشوريين سنة ٧٣٤ ق.م حينما جاء أول نداء لإشعياء.

وإن كنت تريد أيها القارئ العزيز أن تعرف من هو إشعياء النبي وتعرف سيرته التقوية التي لا يدانيها ناسك ولا عابد والتي هي سر دعوته العظمى فاقرأ له: «إلى اسمك وإلى ذِكْرك شهوة النفس. بنفسي اشتهيتك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر.» (إش ٢٦: ٨ و٩). هكذا كان إشعياء يواصل السجود والعبادة والتأمل والصلاة الليل بطوله حتى يطلع عليه النهار. فإن كانت من نصيحة نقدمها للقارئ فعليه أن يتمثل بإشعياء النبي الذي قد دُعي عظيم الأنبياء بحق.

واسمعه وهو ينظر بالرؤيا البعيدة عودة بقية إسرائيل المغضوب عليها، كيف يدعوها الرب وهو فاتح أحضانه: «في ذلك اليوم يغنَّى بهذه الأغنية في أرض يهوذا: لنا مدينة قوية. يجعل الخلاص أسواراً ومترسة. افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة. ذو الرأي الممكَّن تحفظه سالماً سالماً، لأنه عليك متوكل. توكلوا على الرب إلى الأبد، لأن في ياه الرب صخر الدهور.» (إش ٢٦: ١ - ٤)

وإن أردت أن تعرف مدى صلة إشعياء بالصليب فاسمع: «ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازِّيها فلم يفتح فاه ... سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة!» (إش ٥٣: ٧ و١٢)

اللغة:

كان إشعياء النبي ضليعاً وعالماً في اللغة العبرية، فأسلوبه جزل وتصويري بكلمات نحتها لنفسه غير معروفة سابقاً واصطلاحات فخمة، وقد ملك زمام تصويرات الخليقة والشمس والقمر (إش ٢٤: ٢٣)، والصحراء (٣٥: ١)، والجبال والأشجار (٤٤: ٢٣، ٥٥: ١٢). وقد استخدم أسلوب القدح والهجوم والرؤى والتصوير (أصحاحات ٢٤، ٢٧) والتحقير (٤٤: ٩ و٢٠) والتقمص والرمز واللعب بالألفاظ والأحرف المتتابعة والقافية والسجع. وهو واعظ بليغ موهوب إلى أقصى حد، يدرك عمق اللغة العبرية كلغة وتراث، وهو رجل روحي أرستقراطي يتحرَّك ويتكلَّم كملك وأمير بين الناس، ويتكلَّم باعتداد وسلطان رئاسي أخلاقي الذي يتناسب مع سفير للعليّ الأعظم وهو ثمرة أفخر مستوى تربوي أخلاقي في يهوذا. وتصوُّراته الشعرية ورسائله تثير الإعجاب والخضوع الصاغر. ونبوَّاته قد كتبت لتُسلَّم كمسئولية، وقد خضع له الأتقياء بإعجاب، وأضداده وقفوا ضد الله دون أن يدروا. وهو نبي تقليدي محافظ له سلطان على ملكه، وعلى مدينة أورشليم وعلى شعبه اليهود. ووحدة نبوَّة الستة والستين أصحاحاً يزكيها التشابه الكامل اللغوي والتكرار بنفس الجزالة والغِنَى والمستوى والأسلوب والعقلية في كل الكتاب. لقد توقَّف كل نقَّاده ولم يعد كثير منهم يقول بتعدُّد كُتَّاب السفر. هو رسول صهيون ونبي مجيء الرب الثاني والممثِّل الأول لمملكة داود، والمنفذ لمخطَّط يهوه العظيم. صاحب رسالة واحدة موحَّدة متصلة لا تنتهي. ينادي بالدينونة والخلاص معاً وبآن. رسالته أن ينادَى بيهوه أنه قدوس إسرائيل يُنادَى به في الرؤيا، وقد استلم رؤيا وحدة الله وملء قداسته ومجد ملكوته. هذه الرؤيا صارت القوة القائدة له بطول خدمته ودعوته للنبوَّة، وذلك في الأصحاح (٦)، لم يضعها في أول النبوَّة مثل إرميا وحزقيال ولكنه حشرها كالأسفين بين الوحي للدينونة والخلاص (الأصحاحات ١-٥، ٧-١٢). فهذه اثنا عشر أصحاحاً في وسطهم سهم يفرِّق بين الدينونة والخلاص أو وُجد لينادي بهما. وفي أصحاح (٦) مفتاح سر الدينونة والخلاص.

ظروف نبوّة إشعياء

دعوة للنبوّة (٦: ١-١٣):

الدعوة متصلة بإعلان السرافيم بقداسة الله وتأسيس مُلكه وحكومته على بني الإنسان. وهذا يعطي القارئ رؤية لكتاب نبوّة إشعياء كله من أصحاح (١) إلى (١٢).

وإشعياء رأى الملك العظيم الرب "أدوناي" (٦: ١)، انظر: (١: ٢٤، ٣: ١، ١٠: ٣٣)، سيد العالم جالساً على عرشٍ عالٍ مرتفع (٦: ١)، (مزامير ٩٩: ٥، ١٣٢: ٧) يحيط به السرافيم، ولكن يُفهم من الكلام أنهم يرفعون حضرة الله على أجنحتهم كما ظهروا في جبل سيناء عند تدشين الهيكل والتابوت. وسطوع وهج وبهاء مجده الإلهي هزَّ السماء وفلق الأرض فدخَّنت، فغُلب إشعياء من الدهشة والعجب عند ظهور الرب كما حدث لموسى عندما شاهد مجد يهوه. فكان إشعياء أمام الله كأحد شعبه الذي كان باستعدادٍ لسماعه وخدمته.

إسرائيل سمعوا ضجة وصخباً فارتعبوا، ولكن إشعياء سمع نشيد السرافيم بالـ"قدوس"، وباعتراف إشعياء بخطيته تلقَّى الغفران عن كل الشعب كنبي لأنه اعترف بخطية شعبه. إذ جاء القدوس لينشر قداسته ومجد ملكوته بين الناس.

فصار إشعياء نبي الله والحكومة والمشورة الإلهية، وأُرسل ليكون المنادي بمجيء ملكوت الله، وليُعدَّ البقية المقدَّسة لاستعلان مجد يهوه وقداسته باستعداد تأسيس ملكه. فكان تعليمه ووعظه على مستوى ما حدث له عند الاستعلان: صرخة اعتراف بالخطية كغير مستحقين لمعرفة يهوه ورؤية يهوه (٦: ٩ و١٠)، (مت ١٣: ١٤ و١٥)، (مر ٤: ١٢)، (لو ٨: ١٠). وفي إشعياء، «البقية» (٦: ١٣) عليها أن تعد نفسها لمقابلة قداسة ومجد ملكوته، فإشعياء رأى العالم الجديد لشعب الله صارخاً بملء المجد لله.

حينما ابتدأ إشعياء النبي حياته كشاب يافع سليل أسرة ملكية يطرق باب النبوّة التي دعاه إليها الله، كان النبيَّان المشهوران عاموس وهوشع قد ابتدأ بالفعل رسالتيهما التي ائتمنهما الله عليها للتنبُّؤ في إسرائيل - المملكة الشمالية. وكان هؤلاء الثلاثة على قدر كبير من الأمانة والتقوى الشديدة ليهوه.

وكان إشعياء حتى وهو في شبابه معاصراً لأيام سعيدة تمر فيها مملكة يهوذا على يد ملكها النشيط المتحفز عُزّيا الجالس على عرش أورشليم - و يُظن أن إشعياء كان هو ابن أخيه - الذي

اعتلى العرش وهو شاب فجعل شعبه يقفز معه قفزات لينطلق من حالة البؤس والانحطاط التي جلبها على المملكة أبوه أَمَصْيا (٢مل ١٤: ٨ - ١٤) إلى الانتعاش الاقتصادي والاجتماعي الذي كان يصبو إليهما. وعزّيا حكم البلاد بكفاءة ونشاط في الحكم، فطوّر مصادر بلاده الطبيعية وقوَّى دفاعاتها وعبَّد كثيراً من طرقاتها، وفتح باب الرزق لكثير من العائلات، مما أجبر البلاد المحيطة بيهوذا على أن تُحسِّن معاملاتها وتغيِّر من عداوتها، وكانوا جميعاً خاضعين وتحت الجزية.

وامتد عزّيا بمملكته حتى استعاد سلطانه على إيلات في طرف الذراع الشرقي للبحر الأحمر، وأمَّن عمليات الملاحة البحرية في أسطول يصل إلى ترشيش (إش ٢: ١٦)، واستعاد التجارة مع جنوب البلاد العربية التي كان سليمان قد أقامها وأسَّسها. فجعل عزيا المملكة آمنة إذ أمَّن كل مداخلها ومخارجها، ورفعها إلى حالة من القوة والازدهار، وجعل الشعب يستعيد الثقة بنفسه وبالله وبمستقبله - فصارت مملكة يهوذا ندًّا قويًّا لإسرائيل وهي تحت مُلك يربعام الثاني. ولا تتعجَّب إن كانت روح إشعياء نبي يهوذا قد احتدَّت فيه لما رأى عاموس النبي في إسرائيل بحماسته وغيرته النارية، وهوشع أيضاً في إسرائيل، فالتهبت روحه فيه وابتدأ أعمال النبوّة في يهوذا بأكثر غيرة. لأن نفس انحراف يهوذا كان هو مثل انحراف إسرائيل: الطمع الشديد نحو الثراء بطرق خاطئة واستخدام طرق القوة الغاشمة والشريرة، وانتهاز الفرص ونسيان شريعة الله والقيم الأخلاقية، مع تديُّن كاذب وادعاء الأمانة لله. هذا درسه إشعياء من كل ما وضعه عاموس وهوشع في نبوّتيهما على إسرائيل مملكة الشمال. كل هذا مهَّد أمامه وأعدَّه لتكريس كل مَلَكاته، مع دفع روح النبوّة ليتكلَّم بكلام الله لشعب يهوذا. وأدرك ما وضعه الله عليه من مسئوليات، وعندما بدأ عمل الله كان فتىً ناشئاً ملتهباً. ويُعتقد أنه كان آنئذ متزوجاً وكانت امرأته تدعى النبية. والذي نعلمه أنه كان كاملاً في دعوته ونداءاته، وكانت بدايته تحمل سمات رزانته فيما بعد.

ولم يتدرَّج إشعياء في القوة أو النضج ولكن من شهاداته ندرك أن رسائل الله كانت تتدرَّج به حسب خطورتها وأهميتها لتكميل خطط الله الكبرى. فنبوَّته تعتبر تاريخاً لمعاملات الله.

وأثناء حكم يوثام وآحاز وحزقيا كان إشعياء النبي عاملاً بالإلهام وسائراً بتوجيهات الله لاتباعها وتطبيقها. فكانت بداية نبوته مشغولة بتوبيخ شعب يهوذا الخارجين عن طاعة يهوه المحسوبين أنهم تحدَّوا الله بأعمال تغيظ الله في مئات الشرور التي كانت تعيشها الأمم حواليها. ولقد تجاوز إشعياء مدارس عاموس وهوشع إلى مساوئ الحياة الاجتماعية نفسها، خاصة وأنه كانت له صلات قوية

بالقائمين بالأعمال الاجتماعية والمسئولين عنها الذين كانوا يحكمون الشعب، فكان نبيًّا على مستوى رجل دولة مهتم بالتجديد. فكان ينادي بالإصلاحات السياسية التي تتمشَّى مع وصايا يهوه ومشيئته، فكان يعمل أعمال أليشع النبي وإصلاحاته ونداءاته التي كانت محبوبة جداً لدى الشعب وقريبة منه، فأعطاها أهميتها وزاد عليها. فتحوَّلت نداءات النبوَّة عنده إلى يقظة في ضمير الشعب وتوبة وإصلاحات جذرية في الأخلاق والسلوك. ولإدراكه بصميم طبيعة الله وتعلُّقه بها نادى بإرضاء صوت الله في كل شيء، فصار في عمقه الروحي محسوباً تلميذاً للمشيئة الإلهية المحبوبة وعامل اتصال فعَّال بالله فاستحدث ما يمكن استقصاؤه **كبداية لاهوتية** عملية في العهد القديم.

ونحن نحاول أن نجمعها هنا كثروة للقارئ تزيده فهماً ومعرفة لأن معظمها من فم الله:

(٧: ١٤): «**يعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل**».

عمانوئيل:

اسم دلالة على حضور ذات الله، وهو جزء لاهوتي موجود في نبوَّة إشعياء يوازيه أسماء إشعياء وأولاده:

+ «هانذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب آيات وعجائب في إسرائيل من عند رب الجنود الساكن في جبل صهيون.» (إش ٨: ١٨)

فاسم إشعياء نفسه يُمهِّد لهذه الرؤية "يهوه الخلاص"، وأسماء أولاد إشعياء الذين أعطاهم إيَّاه الله تعني:

١ - يهوه هو ينبوع الخلاص،
٢ - يهوه يُبقي بقية لنفسه،
٣ - دينونة يهوه آتية.

والمعنى المباشر لاسم **عمانوئيل** يعني "الرب يحفظ يهوذا":

+ «ويندفق إلى يهوذا، يفيض ويعبر، يبلغ العنق ويكون بسط جناحيه ملءَ عرض بلادك يا عمانوئيل ... لأن الله معنا.» (إش ٨: ٨ و١٠)

(٨: ١٣ - ١٦): «قدِّسوا رب الجنود فهو خوفكم وهو رهبتكم. ويكون مقدساً وحجر صدمة وصخرة عثرةٍ لبيتي إسرائيل وفخاً وشَرَكاً لسكان أورشليم. فيعثر بها كثيرون

ويسقطون فينكسرون... صُرَّ الشهادة، اختم الشريعة».

(٩: ١ و٢): «ولكن لا يكون ظلامٌ للتي عليها ضيقٌ. كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالي يُكرِمُ الأخيرُ طريقَ البحر عَبْرَ الأُردن جليل الأُمم. الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً. الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نورٌ».

(٩: ٦ - ٨): «**لأنه يولد لنا ولدٌ ونُعطَى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه. ويُدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام. لنموِّ رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليُثبِّتها ويَعْضُدَها بالحق والبرِّ من الآن وإلى الأبد. غَيْرةُ ربِّ الجنود تصنع هذا**».

يهوه سيشرق الزمن الجديد الذي للتغيير في الخليقة وفي المفديين بواسطة مسيحه.
لأن نسل داود قد سقطوا بعيداً عن ما ينتظره لهم.
ولكن في المسيَّا مجد قادم،
هو النسل المختار من داود،
وله الروح القدس [له صلة الآب بالابن والابن بالآب.] (١١: ١ - ٣)
آت بزمن سلام لا يُقارن: برٌّ وخصب ونماء،
ويقيم ويؤسِّس جماعة جديدة (٩: ٢ - ٧).

(١١: ١ - ٥): «**ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب.** روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب. ولذَّته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه؛ بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه، ويكون البرُّ مِنْطَقَة مَتْنَيه والأمانة مِنْطَقَة حقويه».

رجاء المستقبل عند إشعياء هم البقية التي تتبع نموذج إشعياء وترجو الرب (٨: ١٧، ١٠: ٢٠ و٢١، ١١: ١ - ٥)، وهم يكوِّنون جماعة مطهَّرة ومجدَّدة، لأن رجاء البار عطية من الملك المسيَّا الذين ناموسهم هو بركة الله لشعبه (٩: ٢ - ٧، ١١: ١١ و١٢).

(١١: ٩ و١٠): «لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطّي المياه البحر. ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسَّى القائم رايةً للشعوب، إيَّاه تطلب الأُمم ويكون محلُّهُ مجداً».

(١٢: ١ – ٦): «وتقول في ذلك اليوم أحمدك يا رب لأنه إذ غضبت عليَّ ارتد غضبك فتعزيني، هوذا اللهُ خلاصي فأطمئن و لا أرتعب لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً، فتستقون مياهاً بفرحٍ من ينابيع الخلاص وتقولون في ذلك اليوم احمدوا الرب، ادعوا باسمه، عرِّفوا بين الشعوب بأفعاله، ذكِّروا بأن اسمه قد تعالى، رنِّموا للرب لأنه قد صنع مفتخراً، ليكن هذا معروفاً في كل الأرض. صوِّتي واهتفي يا ساكنة صهيون لأن قدوس إسرائيل عظيم في وسطكِ».

ترنيمة المعذبين:

أوصاف الزمن الماسياني الذي أقام فيهم هذه الأغنية استجابة له.

في هذه الأغنية ينادي إشعياء البقية الأبرار ليفرحوا مع يهوه المحارب الإلهي قدوس إسرائيل الذي وحده يعمل كل الخلاص حتى التمام لشعبه. يغفر للخطاة، يريحهم ويعطيهم كل الخلاص (١٢: ٢)، هو فرح منتظريه الذين يأخذون منه شهادات خلاصهم بالاشتراك في ملء الخلاص (٣)، يعاينون قوَّته وأعماله القوية التي للدينونة والخلاص كإله الخلاص في الخروج وفي البحر الأحمر، لا يزال مع شعبه يجعل الخلاص حياتهم ويقلب العداوة والدينونة على مبغضيه. هذا الملك العظيم القدوس والممجَّد يهوه سيبقى مع شعبه ويكون هو نفسه موضوع مديحهم.

ويُختَم الجزء الأول من كتاب إشعياء بهذه الأغنية. فإشعياء قد رأى الله آتياً ليؤسِّس ملكوته المجيد القدوس (٦: ٣) ورأى الشرير في جيله (٥) واشتهى ملكوت الله بين الأبرار. فمنظر الملكوت كان يشتعل في داخل النبي عندما كان يتكلَّم. وقليلون هم الذين يعودون في الطريق إلى الله.

(١٩: ١): «هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر ...».

(٢٢: ٢٢): «وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه، فيفتح وليس من يُغلق ويُغلق وليس من يفتح».

(٢٤: ١٦): «من أطراف الأرض سمعنا ترنيمة "مجداً للبار"، فقلت يا تَلَفِي يا تَلَفِي. ويلٌ لي، الناهبون نهبوا الناهبون نهبوا نهباً».

(٢٦: ٩و١٠): « بنفسي اشتهيتُك في الليل، أيضا بروحي في داخلي إليك أبتكر، لأنه حينما

تكون أحكامك في الأرض يتعلَّم سكان المسكونة العدل. يُرحَم المُنافِق ولا يتعلَّم العدل، في أرض الاستقامة يصنع شراً ولا يرى جلال الربِّ».

(٢٧: ٢ و٣): «في ذلك اليوم غنوا للكرمة المشتهاة. أنا الرب حارسها، أسقيها كل لحظة. لئلاَّ يُوقَعَ بها، أحرسها ليلاً ونهاراً».

(٢٨: ١٦): « هأنذا أؤسس في صهيون حجراً حجر امتحانٍ حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً. مَنْ آمن لا يهرب».

(٣٥: ٥ و٦): «حينئذ تتفقح عيون العمي وآذان الصم تتفتح. حينئذ يقفز الأعرج كالأُيَّل ويترنم لسان الأخرس لأنه قد انفجرت في البرية مياهٌ وأنهارٌ في القفر».

(٣٥: ١٠): «ومفديُّو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنُّمٍ، وفرحٌ أبدي على رؤوسهم ابتهاجٌ وفرحٌ يُدركانهم ويهرب الحزن والتنهد».

(٤٠: ٣ – ٥): «صوتُ صارخٍ في البرية أعدُّوا طريق الرب، قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا. كل وطاء يرتفع وكل جبلٍ وأكَمَة ينخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً. فيُعلَن مجد الرب ويراه كل بشرٍ جميعاً لأن فم الرب تكلم».

(٤٠: ١١): «كراعٍ يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات».

(٤٠: ٢٩ـ٣١): «يعطي المعيي قدرة ولعديم القوة يكثر شدة. الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثراً وأما منتظرو الرب فيُجدِّدون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون».

(٤١: ٣): «مرَّ سالماً في طريق لم يسلكه برجليه».

(٤٢: ١ – ٤): «هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سُرَّت به نفسي، وضعت روحي عليه فيُخرِج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمِع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يُطفئ. إلى الأمان يُخرِج الحق. لا يكِلُّ ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته».

(٤٢: ٦ و٧): «أنا الرب قد دعوتُكَ بالبر فأُمسكُ بيدكَ وأحفظُكَ وأجعلُكَ عهداً للشعب ونوراً للأمم. لتفتح عيون العمي لتُخرِجَ من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة».

(٤٩: ١): «... من أحشاء أمي ذَكَر اسمي».

(٤٩: ٦ و٧): «فقد جعلتك نوراً للأُمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض، هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدوسه، للمهان النفس لمكروه الأمة لعبد المتسلطين ...».

(٥٠: ٤ – ٦): «أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أُغيث المُعيِيَ بكلمة، يُوقظُ كل صباحٍ، يُوقِظُ لي أُذنا لأسمع كالمتعلمين. السيد الرب فتح لي أُذنا وأنا لم أُعاند. إلى الوراء لم أرتد. بذلت ظهري للضّاربين وخَدِّي للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق».

(٥٠: ٧ – ٩): «والسيد الرب يُعينني لذلك لا أخجل، لذلك جعلتُ وجهي كالصوان وعرفتُ أني لا أخزى. قريبٌ هو الذي يُبرِّرني، مَنْ يُخاصمني؟ لنتواقف مَنْ هو صاحب دَعْوَى معي؟ ليتقدَّم إليَّ هوذا السيد الرب يُعينني، مَنْ هو الذي يحكم عليَّ؟ هوذا كلهم كالثوب يَبلَون يأكلهم العُثُّ».

(٥١: ١١): «ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بالترنم وعلى رؤوسهم فرح أبدي. ابتهاج وفرح يُدركانهم. يهرب الحزن والتنهد».

(٥٣ كله): «مَنْ صدَّق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب. نَبَتَ قُدّامه كفرخٍ وكعرقٍ من أرضٍ يابسة لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه. مُحتقرٌ ومَخذولٌ من الناس رَجُلُ أوجاعٍ ومُختبر الحزن وكمُستَّرٍ عنه وجوهنا مُحتقرٌ فلم نعتدَّ به. لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها، ونحن حسبناه مُصاباً مضروباً من الله ومذلولاً، وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوقٌ لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا.

كلنا كغنم ضللنا مِلْنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظُلم أمّا هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازّيها فلم يفتح فاه. مِن الضغطة ومِن الدينونة أُخذ، وفي جيله مَنْ كان يظن أنه قُطع من أرض الأحياء أنه ضُرب من أجل ذنب شعبي. وجُعل مع الأشرار قبره ومع غنيّ عند موته، على أنه لم يعمل ظُلما ولم يكن في فمه غش. أما الرب فسُرّ بأن يسحقه بالحزن، إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح. من تعب نفسه يرى ويشبع. وعبدي البار بمعرفته يبرِّر كثيرين وآثامهم هو يحملها. لذلك أقسمُ له بين الأعزاء ومع العظماء يقسمُ غنيمة. من

أجل أنه سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة. وهو حَمَلَ خطية كثيرين وشَفَعَ في المذنبين».

(٥٤: ١٧): «كل آلة صُوِّرت ضدَّكِ لا تنجح وكل لسان يقوم عليكِ في القضاء تحكمين عليه».

(٥٦: ٧): «لأن بيتي بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب».

(٥٧: ١) «من وجه الشر يُضم الصِّدِّيق».

(٦١: ١ – ٢): «روح السيد الرب عليّ لأن الرب مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق، لأنادي بسنة مقبولة للرب».

(٦٣: ٩): «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم ...».

(٦٣: ١٦): «فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل، أنت يا رب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك».

(٦٤: ١): «ليتك تشق السماوات وتنزل. من حضرتك تتزلزل الجبال».

(٦٥: ١): «أصغيتُ إلى الذين لم يسألوا، وُجِدتُ من الذين لم يطلبوني، قُلت هأنذا هأنذا لأمة لم تُسمَّ باسمي».

(٦٥: ١٧): «لأني هأنذا خالق سماوات جديدة وأرضاً جديدة فلا تُذكَر الأولى ولا تخطر على بال».

(٦٥: ٢٤): «ويكون أني قبلما يدعون أنا أُجيب وفيما هُم يتكلّمون بعد أنا أسمع».

(٦٦: ٢): «إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي».

والدارس لسفر نبوّة إشعياء عليه أن يفرّق بين نبوات يقولها إشعياء النبي عن فداء إسرائيل من سبي بابل، وفداء إسرائيل على يد المسيح، وفداء إسرائيل في العودة الأخيرة في نهاية الأيام. فالصورة تشبه ثلاث قمم متقاربة لثلاثة جبال على بعد زمني كبير، فتظهر في أفق الرؤيا أنها متقاربة وكأن بينها أشبار، ولكن في الحقيقة هي آلاف من السنين لا يمكن تحديدها بالفكر أو القدرات البشرية التي لا ترى ولا تقيس إلاّ في حدود زمن قصير، ولكن تحديد حدود زمن تحقيق هذه النبوّات عن كل فداء يفوق العقل، فهي فوق الزمن.

لذلك حينما يتكلّم إشعياء في الأصحاح الأول عن مرض إسرائيل الذي أصاب الجسم كله من

الرأس إلى القدمين فهو يتكلَّم عن تاريخها كله، وعندما يتكلَّم عن الشفاء فهو يتكلَّم عنه على مدى ستة وستين أصحاحاً وليس كما يتصوَّر المؤرِّخون والنُقَّاد أنه من أصحاح ١ إلى ٣٩ فقط. وما يؤكِّد حقيقة أن إشعياء النبي هو صاحب الستة والستين أصحاحاً ما اكتشف من نسخ قديمة ترقى إلى القرن الثاني قبل الميلاد حيث نجد كلام الأصحاح الأربعين ملاصقاً لآخر كلمة في الأصحاح التاسع والثلاثين، حيث يُعزَى كتاب إشعياء بكل أصحاحاته لإشعياء النبي ابن آموص، كما يوجد تأكيد آخر لوحدة نبوَّات جميع أصحاحات إشعياء وهو ورود واحد وعشرين شاهداً منسوبة إلى إشعياء من كل الأصحاحات بلا تفريق في العهد الجديد.

كيف ابتدأ إشعياء نبوَّته:

يعطينا إشعياء النبي من تحقيقه الشخصي قصة اختيار الله لتكريسه لحياة النبوَّة، ولكن يبدو أن إشعياء كان قد ابتدأ حياة النبوَّة سابقاً ربما لسنوات قليلة كأحد التلاميذ الذين يلتحقون بمدارس الأنبياء. ولكن الذي ما يكشف ضعفه هو هذا الحادث المهيب:

+ «في سنة وفاة عُزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عال ومرتفع، وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه، لكل واحد ستة أجنحة، باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملءُ كل الأرض. فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخاناً (يبدو أن إشعياء لمَّا سمع التسبيح أراد أن يشترك فيه وينطق "قدوس" فلم يستطع أن ينطق، فعرف في الحال أنه ليس على مستوى القداسة). فقلت: ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود (ولكن وفي لحظة الاعتراف هذه بدأ تقديسه وتكريسه). فطار إليَّ واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومسَّ بها فمي وقال إن هذه قد مسَّت شفتيك فانتُزِع إثمك وكُفِّر عن خطيتك (وهكذا تأهَّل إشعياء النبي للإرسالية). ثم سمعت صوت السيد قائلاً: مَنْ أُرسل ومن يذهب من أجلنا؟ فقلت: هأنذا أرسلني.» (إش ٦: ١ - ٨)

ودليلنا على أن إشعياء قد تكرَّس للنبوَّة بصورة خاصة أكثر من أي نبي عادي هو أنه كان فعلاً قد بدأ نبوَّته قبل قصة هذا التكريس بخمسة أصحاحات، وواضح أن إشعياء يتتبَّع التاريخ المسلسل لأعمال الله. ومن بعد التكريس بدأ إشعياء يمارس أعلى وساطة قام بها نبي بين الله وبين ملك. والحادثة هامة جداً على مستوى أعمال الله الفائقة: إذ حدث في أيام الملك آحاز بن يوثام بن عزّيا

سنة ٧٣٥ ق.م (أي أن عزّيا الذي مات في أيام بداية نبوَّة إشعياء ورثه ابن ابنه آحاز)، في أيام هذا الملك الذي كان على مملكة يهوذا أن مملكة إسرائيل في الشمال بقيادة ملكها فَقْحُ بْنُ رَمَلْيَا اتفق مع ملك سوريا (أرام) واسمه رصين على غزو وتخريب مملكة يهوذا، واقتربت جيوشهما من أورشليم - فأُخبر بيت داود أي بيت الملك وقيل له إن جيوش أرام سوريا وإسرائيل حلّت في أفرايم تخوم مملكة يهوذا، فارتعد قلب الملك وقلوب الشعب جميعاً: «فقال الرب لإشعياء اخرج لملاقاة آحاز ... وقل له: احترز واهدأ. لا تخف ولا يضعف قلبك من أجل ذَنَبَي هاتين الشعلتين المدخنتين (رصين ملك سوريا وفَقْحُ بْنُ رَمَلْيَا ملك إسرائيل) اللذين قالا نصعد على يهوذا ونقوِّضها ونستفتحها لأنفسنا ونُمَلِّك في وسطها ملكاً ... هكذا يقول السيد الرب لا تقوم لا تكون!!» (إش ٧: ٣ - ٧ باختصار).

المفاتيح لشرح وتفسير أسرار نبوَّة إشعياء:

بدراسة نبوَّة إشعياء نجدها تتبوَّأ المكانة الأُولى في نبوَّات العهد القديم وهي أكثرها شمولاً وأغناها مادة، إذ تضم دائرة متسعة من جهة أفكار الله الخاصة بشعب إسرائيل وتكاد تكون محصورة فيه وحده.

ويمكن الإحاطة بنبوَّة إشعياء إذا قسّمناها إلى المواضيع التي طرقها. فسفر إشعياء سفر أخلاقي بالدرجة الأُولى، فهو يعطي لأخلاقية الشعب معظم اهتمامه ويبيِّن مطالب الله منه، ولكنه يتتبَّع الحوادث ويذكرها بتاريخها فسفر إشعياء يبدو تاريخيا، فهو يذكر التاريخ قبل بدء النبوَّات الكبيرة إذ يذكر:

(٦: ١) = سنة وفاة عزّيا الملك سنة ٧٣٩ ق.م.

(٧: ١) = في أيام آحاز سنة ٧٣٥ ق.م.

(١٤: ٢٨) = في سنة وفاة آحاز الملك سنة ٧١٥ ق.م.

(٢٠: ١) = في سنة مجيء ترتان حينما جاء إلى أشدود سنة ٧١١ ق.م.

(٣٦: ١) = في السنة الرابعة عشر لحزقيا الملك سنة ٧٠١ ق.م.

(٣٧: ٣٨) = سنة موت سَنْحَارِيب سنة ٦٨١ ق.م.

من هذا يمكن منطقياً أن نقول إن إشعياء اتبع نظاماً تاريخياً في توزيع نبوَّاته، فيمكن على هذا الأساس تقسيم تاريخ نبوَّاته كالآتي:

الأصحاحات (١ - ٦) : آخر أيام عُزيا الملك ٧٣٩ - ٧٣٥ ق.م.

على أن الأصحاح السادس لا يُحسب أنه أول النبوَّة. فمن الأصحاح

الأول ندرك أن إشعياء كان يقوم بعمله كنبي.

الأصحاحات (٧- ١٢) : أثناء حكم آحاز ٧٣٥ - ٧١٥ ق.م

وفيها زمان حرب سوريا مع إسرائيل ضد يهوذا.

(٧: ١٤) : نبوّة عمانوئيل الكبرى

الأصحاحات (١٣-٣٩) : آخر حكم آحاز وفترة من حكم حزقيا. قبل ٧٠٠ ق.م.

(١٤: ٢٨ - ٣٢) : موت آحاز الملك.

الأصحاحات (٤٠-٦٦) : حكم وموت حزقيا (٦٨٧ ق.م) وجزء من حكم منسّى (بعد ٦٨٧ ق.م).

موت سَنْحَارِيب ٦٨١ ق.م.

ولكن من أصحاح ٤٠ إلى أصحاح ٦٦ بدأ إشعياء ينشغل بما هو فوق التاريخ والزمن وخصَّص نبوّته ليتكلّم عن سر دعوة إسرائيل وسر رفضها وسر خلاص الأمم، وسر المجيء الثاني للرب وسر النهاية. وكل الأسرار تعلو فوق الزمن في حركات السماء.

وهو يعرض في نبوّته نظرة حزينة مؤسفة لأخلاق شعب إسرائيل، ولكنه يضعها في قالب محبة الله وعلو مقاصده لهذا الشعب، فإن ليل هذا الشعب حالك الظلمة وإن كانت تشوبه أشعة الفجر الذهبية تُنبئ عن يوم مجيد من أيام الله مع شعبه المخالف دائماً لوصاياه. وبهاء مجد الله يأتي دائماً بعد كل عبوسة يشيع الأفراح في قلب الإنسان المترقّب دائماً مراحم الله، الذي خلق الإنسان بالأساس ومنذ البدء بقصد الوصول إلى نعمة يهديها للإنسان وشركة في مجده بعد غضب وتأديب. لذلك فالإنسان يترقَّب دائماً أبداً نعمة الله ورضاه مهما أوغل في العصيان.

ونبوّة إشعياء مليئة بالأحزان لأنها مليئة بكشف خطايا الإنسان وتمرُّده وجنونه، وهي بآن واحد تكشف عن قلب الله المحب الذي لا ينفد صبره ولا ينفد حبّه أبداً. ففي الوقت الذي يتمادى فيه الإنسان في البُعد عن الله بشذوذه يقترب الله بمحبته لشعبه، والله يطلب دائماً خير الإنسان وصلاحه. لذلك فخطية الإنسان، وبالذات خطية شعب إسرائيل، لم تستطع أن تستنفد محبة الله، وهذا عرفناه من نبوّة إشعياء ومن فم الله ذاته. وهكذا نجد أن نسيج نبوّة إشعياء يخترقه غضب الله وبآن واحد يشده حب الله لهذا الشعب. إن أدركنا ذلك هانت علينا دراسة هذه النبوّة.

فأول ما يفتتح به إشعياء نبوّته هو سرد لحالة هذا الشعب الذي تمادى في خطاياه حتى لم يعد له

في حياته إلاَّ الخطية: «ويل للأمة الخاطئة، الشعب الثقيل الإثم، نسل فاعلي الشر، أولاد مفسدين. تركوا الرب، استهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى وراء. على مَ تُضربون بعد؟ تزدادون زيغاناً. كل الرأس مريض وكل القلب سقيم، من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جرح وأحباط وضربة طرية لم تُعصَر ولم تُعصَب ولم تُليَّن بالزيت، بلادكم خربة، مدنكم محرقة بالنار ...» (إش ١: ٤ - ٧)

ثم إذ ينتهي الأصحاح الأول على هذه النغمة المفزعة، يرد عليه مباشرة الأصحاح الثاني من أوله:

+ «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلُمَّ نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيُعلِّمنا من طرقه ونَسْلُك في سبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب، فيقضي بين الأمم ويُنصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سِكَكاً ورماحهم مناجل، لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب في ما بعد. يا بيت يعقوب هلم فنسلك في نور الرب.» (إش ٢: ٢ - ٥)

وهكذا لما بلغت الخطية بإسرائيل إلى حد المرض المستحيل الشفاء، بزغ نور الفجر بخيوطه الذهبية يبهج القلب، وعودة بعد توبة وسلوك في نور الرب يُنبئ به الرب على فم النبي ليَعِد برجوع إلى الله وحرية ونعمة بلا حدود. وهكذا: خطية فتوبة، فنور وبركات. والعجيب في هذا أن الله يعرف ما في القلب ويعرف أن الشعب لن يخضع لدعوة الله ولكنه يسوق لهم الوعود الذهبية ليشجعهم على التوبة والعودة. وهكذا يستعلن الله إيمان الذي لا إيمان له فيجرّه بحبال النعمة ليُزهر الإيمان في وسط عدم الإيمان، ولو في البقية العائدة في آخر الأيام. ومن هذا وذاك يتعلَّم الشعب ويستند على وعود الله بل على حتمية بلوغ كمال وعد الله، ففي وسط المدن الخربة والشعب الذي منتهاه في الخطية يعطي الوعد بميلاد "عمانوئيل" من العذراء الذي تفسيره "الله معنا". هم تركوه أما هو فالله معهم!

+ «فقال: اسمعوا يا بيت داود. هل هو قليل عليكم أن تُضجروا الناس حتى تُضجروا إلهي أيضاً. ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل.» (إش ٧: ١٣ و١٤)

ويلاحظ القارئ أنه أحياناً يأتي الوعد مناسباً للزمن، وأحياناً يضعه في آخر الزمن لأن الوعد

مهما كان بعيداً فهو يشدد قلب الإنسان كما سجّل لنا ذلك حبقوق في رؤياه:

+ «فأجابني الرب وقال: اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح لكي يركض قارئها. لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي النهاية تتكلَّم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر.» (حب ٢: ٢ و٣)

سر لغز نبوَّة إشعياء التي استعلنها المسيح لنفسه:

وإن كان لنا أن نذكرها في موضعها الذي أتت فيه، أي في النبوّة بحد ذاتها، ولكننا سنضعها الآن أمام التاريخ ليصل بين فصليها ويربط بين طرفيها، فهي اللعنة التي قضى بها يهوه على إسرائيل لرفضهم أقوال الرب وعنادهم وعدم إعطائهم الوجه بل القفا للرب، وعادوا بقلوبهم وعبدوا آلهة غريبة بطقوس غريبة كأنها آلهة، وهي شياطين. فهي تاج نبوّة إشعياء التي وقفت عَلَماً شاهداً ليهوه حتى مجيء المسيح بعد ٧٠٠ سنة. وقد جاءت هذه اللعنة في الأصحاح السادس بعد أن استلم إشعياء الرسالة مباشرة من فم الرب هكذا:

+ «ثم سمعت صوت السيد قائلاً: مَنْ أُرسل ومَنْ يذهب من أجلنا؟ فقلت: هأنذا أرسلني. فقال: اذهب وقُل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا. غلّظ قلب هذا الشعب **وثقِّل أُذنيه واطمس عينيه لئلا يُبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيُشفى**. فقلت: إلى متى أيها السيد؟ فقال: إلى أن **تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفر** ويُبعدُ الرب الإنسان ويكثُر **الخراب في وسط الأرض. وإن بقي فيها عُشْرٌ** بعد فيعود **ويصير للخراب** ولكن كالبطمة والبلوطة التي وإن قُطِعَت فلها ساق، يكون ساقه زرعاً مقدساً.» (إش ٦: ٨ - ١٣)

هي لعنة الله على فم إشعياء، وأهم ما ورد فيها «**ثقِّل أُذنيه واطمس عينيه**»، ويُعبّر عنها بحالة أسر في الظلام.

ويسير الزمان وتسير الأجيال بهذه اللعنة وتحتها إلى أن يأتي مَنْ يرفعها. فالذي وضعها هو وحده يرفعها.

وبعد سبعمائة سنة جاء اليوم ودخل المسيح إلى الناصرة حيث كان قد تربَّى ودخل المجمع حسب عادة السبت وقام ليقرأ، **فدُفع إليه سفر إشعياء النبي بالتدبير الإلهي الفائق**، ولما فتح المسيح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه:

+ «روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب **لأنادي للمأسورين بالإطلاق** وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة.» (لو ٤: ١٨ و١٩)

فابتدأ المسيح يقول لهم: إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم (لو ٤: ١٦ - ٢١)

هنا دعوة مُلحَّة للقارئ أن يدرك أن اللعنة التي أنزلها إشعياء على إسرائيل منذ ٧٠٠ سنة، جاء المسيح في الميعاد وبصفته الرب الذي أمر بها على فم إشعياء، بدأ بنفسه يرفعها عن كاهل الشعب وكانت بأن أظهر آياته بتفتيح عيون العمي وتفتيح آذان الصم، وبدأت رؤية الرب وسماعه بلا لعنة فشُفوا وآمنوا.

ولزيادة التوضيح نورد هنا ما فعله يوحنا المعمدان بعد أن قُبض عليه في السجن إذ أرسل تلاميذه ليسألوا المسيح: هل أنت المسيح أم ننتظر آخر، أي أنهم شكّوا في أن يكون المسيَّا يسوع هو الآتي، علماً بأن المسيح قد كشف لهم شخصيته عندما قرأ سفر إشعياء عن العلامة التي وُضعت من ٧٠٠ سنة وهي لعنة عمى الشعب ولعنة صمم الشعب، وبالتالي البعد عن الله، لأن العمي روحي والصمم روحي ولكنه طُبِّق أيضاً جسدياً ليكون للذكرى والتأكيد. فما كان من المسيح إلاّ أن أبقاهم عدة أيام حتى عمل المعجزات أمامهم ثم قال:

+ «اذهبا وأخبرا يوحنا بما **تسمعان وتنظران، العمي يُبصرون** والعرج يمشون والبرص يطهّرون **والصم يسمعون** والموتى يقومون والمساكين يُبشَّرون، وطوبى لمن لا يعثر فيَّ.» (مت ١١: ٤ـ٦)

وأهم علامتين تختصان برسالة المعمدان والمسيح معاً هما أن العمي يبصرون والصم يسمعون بمعنى أن اللعنة التي وقعت على إسرائيل من ٧٠٠ سنة جاء المسيح ليرفعها بأن جعل العمي يُبصرون والصم يسمعون. وكان كمن ينبِّه ذهن الشعب أنه جاء ليرفع اللعنة بكاملها عن الشعب. هذا كلّه كان ينبغي أن يكون معروفاً ومدركاً من الشعب المتعلِّم، ولكن الشعب كان تحت اللعنة بلا توعية، وهكذا بقيت اللعنة وكثر الأنين ولم يُعرف السبب، فزمان مجيء المسيح هو بمثابة إعلان انتهاء أثر لعنة نبوّة إشعياء على شعب إسرائيل ويهوذا، وكان يتحتّم علينا نحن أيضاً أن ندرك من ذات المعجزات التي صنعها المسيح الصلة الجوهرية بين لعنة النبي إشعياء وكرازة المسيح، ويؤيِّد ذلك قراءة المسيح لهذه النبوّة بالذات وتعليقه عليها بأن «**اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم**» (لو ٤: ٢١)

وبهذا تترابط النبوّة وتحقيقها.

وإنجيل ق. متى يعبّر عن لحظة دخول المسيح ليكرز للعُمي بالبصر هكذا: «**الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور**» (مت ٤: ١٦) وذلك تعبيراً عن رفع لعنة إشعياء التي كان الشعب يعيش كل هذه السنين تحت ثقلها. أمَّا اليهود الذين رفضوا المسيح فقد رفضوا أن تُرفع عنهم لعنة إشعياء وظلوا حتى الآن لهم عيون لا ترى ولهم آذان لا تسمع ولهم قلوب لا تفهم، فالنور جاء، وكلمة الله قد استُعلنت من السماء، والحياة الأبدية قد ظهرت بقيامة المسيح من الأموات، ولكنهم حُرموا من هذا الخلاص وفضّلوا أن يبقوا تحت اللعنة.

تقسيم نبوّة إشعياء إلى موضوعات

الأصحاح الأول:

حالة إسرائيل كدولة قد بلغت النهاية:

١ - نبوة إشعياء تبدأ مباشرة وكأنها تصدم القارئ بحالة إسرائيل كدولة قد بلغت النهاية في خطاياها (إش ١: ١ - ٩). وهنا يكمن أول أسرار هذه النبوّة. فهو يقدّم إسرائيل نفسها كحالة في حاضر الزمن ستنتهي بها إلى آخر الأيام. فالنبوّة ليست تاريخية ولا تدريجية ولكن استعلانية عبر الزمان، تُرى في الزمان وتُرى في آخر الأيام أيضاً.

٢ - تُرى فيها أعمال الله أكثر مما تُرى أعمال الإنسان، فالإنسان مخلوق مبارك منذ الأزل «بكل بركة روحية في السماويات في المسيح» (أف ١: ٣) ولابد أن ينتهي إلى ذلك. كذلك إن الله قد اختار شعب إسرائيل لنفسه ليكون شعب الله، فأن يُخطئ شعب الله ليس معناه أن يتركه الله **ويرفضه إلى الأبد. فعودة إسرائيل إلى مراحم الله** من أهم نقاط نبوة إشعياء بل وباقي الأنبياء.

٣ - كذلك نجد الله لا ينقل إسرائيل بالنهاية من حالة العصيان والخطية أي الرفض إلى حالة البر عن طريق العتاب والضرب والتأديب، فيقرر إشعياء: «على مَ تُضربون بعد؟ تزدادون زيغاناً!» (إش ١: ٥)

٤ - كذلك وإن كان الله قد ابتدأ بالقوانين والشريعة لتعليم الشعب فخالفوها جميعاً، وأعطاهم التكفير بالذبائح فأخطأوا معناها؛ فإنه أعلن أيضاً عدم رضاه أو قبوله لها: «اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم، أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة (أي الدول التي أخطأت ومحاها الله من على وجه الأرض - هنا كلام تهديد فقط) لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. اتَّخَمْتُ من محرقات

كباش وشحم مسمَّنات. وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أُسرُّ. حينما تأتون لتظهروا أمامي مَنْ طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري. لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي.» (إش ١: ١٠ - ١٣)

٥ - وهنا يقدِّم إشعياء شروط القدوم إلى الله والتوبة إليه والعبادة المقبولة: «اغتسلوا، تنقوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني، كفُّوا عن فعل الشر، تعلّموا فعل الخير، اطلبوا الحق، انصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة؛ هلم نتحاجج يقول الرب. إن كانت خطاياكم كَالقِرْمِزِ تبيضُّ كالثلج. إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف. إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض. وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلّم.» (إش ١: ١٦ - ٢٠)

الأصحاح الثاني:

العالم كله يدخل السلام الأخير وتبطل الحروب:

ثم ينتقل إشعياء مباشرة إلى الأصحاح الثاني وهي نقلة من الزمان إلى آخر الأيام أي بعد انتهاء الزمن.

وهنا يبدأ الله أن يعمل عمله لشعبه بدون الإنسان وبدون عمل الإنسان وبدون مشيئة الإنسان، فهو يرتفع مباشرة في رؤياه ليرى شعب الله في النهاية:

+ «الأمور التي رآها إشعياء بن أموص من جهة يهوذا وأورشليم: ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب، فيُعلِّمنا من طرقه ونسلك في سبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سِككاً ورِماحهم مناجل، لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلَّمون الحرب في ما بعد.» (إش ٢: ١ - ٤)

صورة مُبدعة لشعب إسرائيل ولجميع شعوب الأرض في نهاية الزمان.

وفي نهاية الأصحاح الثاني يؤكِّد أن هذا هو عمل الله وليس عمل إنسان.

+ «كفُّوا عن الإنسان الذي في أنفه نسمة لأنه ماذا يُحسب.» (إش ٢: ٢٢)

الأصحاح الثالث:

نبوّة بالمصائب الآتية على أورشليم ويهوذا وعلى بنات صهيون من أجل ترفهنَّ الزائد.

الأصحاح الرابع:

السر وراء نقلة شعب إسرائيل من حالة الخطية والرفض إلى حالة القبول والمجد والسلام:

يبدأ إشعياء الأصحاح الرابع **بكشف شخصية المسيَّا**، وقد سمّاه «غصن الرب»: الوسيط الوحيد بين الله والناس:

+ «في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاءً ومجداً، وثمر الأرض فخراً وزينة للناجين من إسرائيل. ويكون أن الذي يبقى في صهيون والذي يُترك في أورشليم يُسمى قدوساً. كل مَنْ كُتِبَ للحياة في أورشليم.» (إش ٤: ٢ و٣)

الأصحاح الخامس:

حالة إسرائيل وما ستنتهي إليه في تاريخها الطويل:

يعود إشعياء في كشف حالة حب الله وعنايته وحفظه ورعايته، كيف تركها خراباً كنهاية لعمل أيديهم، حتى تكون هذه شهادة لله وعلى إسرائيل في الزمان الآتي.

الأصحاح السادس:

استعلان المسيَّا في السماء لإشعياء النبي قبل التجسُّد.

١ - استعلان شخصية المسيَّا بالرؤيا لإشعياء باعتباره السيد الجالس على عرشه وفي موقع ظهوره في الهيكل حيث السرافيم من فوقه بأجنحتهم الستة وتقديسهم المثلث: قدوس قدوس قدوس، واستعلان مجد الرب لهم «مجده ملء الأرض» = التجسُّد.

ولما همَّ إشعياء ليتقدَّس معهم وجد نفسه أخرسَ لا ينطق، فقال في نفسه: ويل لي لقد هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، فطار إليه واحد من السرافيم وبيده جمرة أخذها بملقط من على المذبح ومسَّ بها فمه وقال إن هذه مسَّت شفتيك فانتُزع إثمك وكُفِّر عن خطيتك.

فكان ذلك تطهيراً وتقديساً للنبي إشعياء، وبعد ذلك أرسله الرب في رسالته الخطيرة.

٢ - رسالة إشعياء النبي بعد أن قدّسه السرافيم تكشف عن سر تعثُّر هذه الأمة وفقدانها شرف انتسابها وضياع أرضها وهيكلها، بل ويقول الرب يسوع إن ذلك هو سرّ رفضهم للمسيح وصلبه: «فقال اذهب وقُل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا، غلِّظ قلب هذا

الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يُبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيُشفى. فقلت إلى متى أيها السيد فقال إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفر ... وإن بقي فيها عُشرٌ بعد فيعود ويصير للخراب ولكن كَالْبُطْمَةِ والبلوطة التي وإن قُطعت فلها ساق يكون ساقه زرعاً مقدساً».

وتتردَّد أصداء هذه النبوّة مدة ٧٠٠ سنة إلى أن جاء المسيح ليردّدها كما جاءت على لسان إشعياء:

+ «من أجل هذا أكلمهم بأمثال، لأنهم مُبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون. فقد تمت فيهم نبوة إشعياء القائلة تسمعون سمعاً ولا تفهمون، ومُبصرين تُبصرون ولا تنظرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها وغمضوا عيونهم لئلا يُبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم» (مت ١٣: ١٣ - ١٥)، فرفضوا المسيح وصلبوه.

٣ - كان الأمر ثقيلاً جداً على إشعياء، فاللعنة شديدة وعامة على كل الشعب فصرخ إلى الرب:

+ « فقلت: إلى متى أيها السيد؟ فقال إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفر، ويبعد الرب الإنسان ويكثر الخراب في وسط الأرض. وإن بقي فيها عُشُرٌ بعد فيعود ويصير للخراب، ولكن كالبطمة والبلوطة التي وإن قُطعت فلها ساق يكون ساقه زرعاً مقدساً.» (إش ٦: ١١ - ١٣)

الأصحاح السابع:

نبوّة ميلاد المسيح من عذراء واسمه عمانوئيل:

إشعياء يتوسط بين الله وبين الملك الحائر الخائر. إسرائيل اتفقت مع سوريا، فَقَحَ ابن رَمَلْيا ملكها مع رصين ليغيروا على يهوذا ويغزوها ويتملَّكوها - الملك حائر وخائر والشعب صار في ضيقة عظيمة، وأخيراً الرب تكلَّم: « فقال الرب لإشعياء: اخرج لملاقاة آحاز ... إلى طرف قناة البركة العليا إلى سكة حقل الْقَصَّارِ، وقُل له: احترز واهدأ. لا تخف ولا يضعف قلبك من أجل ذنبَي هاتين الشعلتين المدخنتين بحمو غضب رصين وآرام وابن رمليا ... هكذا يقول السيد الرب لا تقوم لا تكون ... إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا.» (إش ٧: ٣ - ٩)

واللغز هنا ضخم لأن الوعد بالخراب لكل من إسرائيل ويهوذا هو دائم ومستمر والحادثة اليوم

ستتكرر كل يوم، والشعب واقع في خراب دائم كلعنة بسبب أعماله، ولا قدرة له على توبـة ولا عودة، فضربة العمى والصمم عن كلمة الله وفهمها عامة ستستمر وحتى مجيء الرب بعد ٧٠٠ سنة. والله قد عرّف إشعياء النبي بهذا السر الذي سيمتد بعد المسيح للذين ظلوا تحت الضـربة ورفضـوا المسيح إلى آخر الأيام، حتى تخرب الأرض ويخرب الإنسان إن لم يأتِ الحل مؤقتاً من الله ومـن الله وحده وبدون تدخل[1] عمل الإنسان. قال الله وكرّر إشعياء القول لينبئ بميلاد الذي سيرفع العمى والصمم والجهالة: «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية[2]. ها العذراء[3] تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمـه عمانوئيل.» (إش ٧: ١٤)

ولغز الآية يقع في أمرين خطيرين: **الأول عدم قدرة الإنسان على العودة إلى الله بأي وسـيلة لأن ضربة الخطية قد ضربت الجسم كله، والثاني محبة الله لشعبه ووعده بقَسَم بالخلاص المجـاني** كالأيام الأولى وأحسن. إذن فلابد من معجزة سماوية بنزول مخلّص من قبل الله يخلّص شعبه خلاصاً أبدياً لكل مَنْ يؤمن به: ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه الله معنا! وحبل العذراء بدون رجـل هي الآية - أي حَبَلٌ من قبل الله ليستبعد لعنة آدم نهائياً. ويعطي إشعياء معلومة ثابتة وهي قبـل أن يصير الولد - أي ولد - قادراً على الفهم يتم وعد الله. لن يكون. لن يكون، أي انهزام أورشليم بل يتم انسحاب سوريا وإسرائيل وخرابهما.

الأصحاح الثامن:

خطية إسرائيل واتصالها بملك دمشق لغزو يهوذا:

استغاثة يهوذا بأشور كانت إحدى انطماسات أعين الملوك وانسداد آذانهم وقلوبهم، لأنها فتحت الطريق لأشور لغزو البلاد ومن بعد أشور غيرها من الأعداء الذين حطّموا البلاد «هيجـوا أيهـا الشعوب وانكسروا، وأصغي يا جميع أقاصي الأرض. احتزموا وانكسروا. احتزموا وانكسـروا (أي اجتمعوا وتكتلوا وحاربوا وانكسروا) تشاوروا مشورة فتبطل. تكلموا كلمة فـلا تقـوم. لأن الله

---

(١) «أما أنتِ يا بيت لحم أفراتة وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسـلطاً علـى إسرائيل **ومخارجه** منذ القديم **منذ أيام الأزل**.» (مي ٥: ٢)

(٢) الله طلب من آحاز أن يطلب آية لكي يتبرهن له أن الله سيخلصه بتحطيم سوريا وإسرائيل فرفض ـــ فأعطـاه الله الآية من عنده وهي تكشف المستحيل عند الإنسان أن العذراء تحبل وتلد وتكشف عن قوة عمل الله أن يكون معنا.

(٣) مما يؤكد أن كلمة "عَلمَا" التي جاءت في إشعياء تعني العذراء تماماً، أنها جاءت في نطق الملاك ليوسف في الحلـم (مت ١: ٢٣).

معنا.» (إش ٨: ٩ و١٠)

والمعنى أن شعب الله سيكون في محن بعد محن والغازون يغزون وينكسرون. وكلمة "عمانوئيل" تعني "الله معنا"، ولكن الشعب أعمى وأطرش لا يفهم ولا يعرف فيكون عمانوئيل صخرة صدمة وحجر عثرة يعثر فيه شعب الله نفسه وينكسرون ليتم القول: خراب إلى النهاية وتحل أيام نسيان المسـيّا لهم، فهي أيام الأُمم ودخول الأُمم الإيمان وعصر الكنيسة، ويُعبِّر عنها بالنسبة لشعب إسرائيل هكذا:

+ «فأصطبر للرب الساتر وجهه عن بيت يعقوب، وأنتظره هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب آيات وعجائب ...» (إش ٨: ١٧ و١٨)

الأصحاح التاسع:

نبوة عن بدء خدمة المسيح في الجليل.

أول نور فجرِ النهارِ يشرق على الجليل الذي كان مُستعبداً للأمم الوثنيين وموطنـاً لفلاحـي إسرائيل الجهلة غير المتعلّمين، أرض سبط زبولون وأرض نفتالي التي تغنّى بها الإنجيل في أول إشراقة نور المسيح. وأرض زبولون ونفتالي كان يجوبها قوافل التجارة الآتية من دمشق وإليها والعابرة بحيرة طبرية (نهر الأردن) إلى ميناء كفرناحوم مركز الضرائب، وتمتد القوافل حتى مدينـة صـور ميناء التصدير والاستيراد على البحر الأبيض. وقد نقلها ق. متى في إنجيله عن إشعياء النبي: «لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل: أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن (قوافل التجارة) جليل الأُمم، الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً. والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور. من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.» (مت ٤: ١٤ - ١٧)

وهكذا يكشف إشعياء الستار عن بداية خدمة الرب يسوع في الجليل بإتقان مـذهل. ويعطـي إشعياء نبوته عن المسيح معطياً أوصافه الملكية الإلهية الدهرية:

+ «لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهـاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام. لنموِّ رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسـي داود وعلـى مملكته، ليثبِّتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هـذا.» (إش ٩: ٦ و٧)

هنا هذا النبي المذهل يكشف الستار عن لاهوت المسيح وعن استعادة مُلْك داود الـذي أعلنـه

الملاك للعذراء مريم وعن دوامه إلى الأبد، وعن وظيفته كرئيس السلام - وذلك كله يتم - كما يعلن النبي - لا بسبب توافقه مع الشعب ولا لمحبته لإسرائيل لأن الشعب مغضوب عليه ومصاب بالعمى والصمم والجهل، ولكن كما يكشف إشعياء عن سر هذا الافتقاد الجديد للأمم أنه: «**غيرة رب الجنود تصنع هذا**». ولكن لأن الشعب لأنه مطموس العينين والقلب رفضه وصلبه. ويقول إشعياء تعقيباً على ظهور المسيح: «والشعب لم يرجع إلى ضاربه ولم يطلب رب الجنود. فيقطع الرب من إسرائيل الرأس والذنب ... وصار مرشدو هذا الشعب مُضلّين ومرشدوه مُبتلَعين. لأجل ذلك لا يفرح السيد بفتيانه ولا يرحم يتاماه وأرامله لأن كل واحد منهم منافقٌ وفاعلُ شر ... مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد.» (إش ٩: ١٣ - ١٧)

وبهذا كشف هذا النبي العظيم كيف رفضت إسرائيل رسالة العهد الجديد وكيف **رفضهم الرب ولكن يده لا تزال ممدودة بعد!**

الأصحاح العاشر:

قضاء رؤساء الكهنة والكتبة المضلّين - وبقية إسرائيل:

يمتد إشعياء إلى الأمام قليلاً ويصف حالة إسرائيل وخاصة رؤساء الكهنة والكتبة الذين ضلّلوا الشعب وسلبوه الحق، ويصف حالة اليهود بعد خراب أورشليم وتشتتهم في كل الأرض واضطهاداتهم المريعة «إمّا يجثون بين الأسرى وإمّا يسقطون تحت القتلى مع كل هذا لم يرتد غضبه **بل يده ممدودة بعد.**» (إش ١٠: ٤)

ويعاقب الله أشور الذي ظن أن بقوته قد خرّب البلاد ونهب إسرائيل مع أن ذلك كان بأمر الله «هل تفتخر الفأس على القاطع بها أو يتكبّر المنشار على مُردّده ...؟» (إش ١٠: ١٥)

ثم يعود إشعياء مرّة واحدة «إلى ذلك اليوم» ليتكلّم عن «بقية إسرائيل والناجين من بيت يعقوب ... يتوكلون على الرب قدوس إسرائيل بالحق ... إلى الله القدير. لأنه وإن كان شعبك يا إسرائيل كرمل البحر (هذا كان وصف الله لإبراهيم) ترجع بقية منه ...» (إش ١٠: ٢٠ - ٢٣)

ويردّدها ق. بولس في رسالة رومية: «وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص.» (رو ٩: ٢٧)

الأصحاح الحادي عشر:

ملوكية المسيح وصفات ملكه، ضرب الأرض، موت المنافق بنفخة شفتيه، وعصر السلام العالمي للأمم وبقية إسرائيل. نبوّة ظهور المسيح من بيت داود وحلول الروح يوم العماد وكرازته للشعب - وينتقل إلى آخر الأيام.

«ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب» (إش ١١: ١ و٢). سبعة أرواح الله التي كررها سفر الرؤيا (٤: ٥)، وكلمة «من جذع يسى» تعني "من نسل داود" (رو ١: ٢)؛ وحلول الروح عليه تحقق في (مت ٣: ١٦) «فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه». و(يو ١: ٣٢) «إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة فاستقر عليه». «ويقضي بالعدل» جاءت في، (رؤ ١٩: ١١) «بالعدل يحكم». «ونفخة شفتيه» جاءت في (٢تس ٢: ٨) «نفخة فمه»، مؤكداً أن هكذا سيكون المسيّا في وسط شعبه في أواخر الأيام. «ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه ... ويرفع راية للأُمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض.» (إش ١١: ١١ و١٢)

الأصحاح الثاني عشر:

ترنيمة بقية إسرائيل الراجعين:

+ «وتقول في ذلك اليوم أحمدك يا رب لأنه إذ غضبت عليّ ارتدّ غضبُك فتعزيني. هوذا الله خلاصي.» (إش ١٢: ١ و٢)

الأصحاح الثالث عشر:

نهاية العالم:

بداية قيام أُمة على أُمة ومملكة على مملكة، وبعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تتساقط من السماء وقوات السموات تتزعزع (انظر: مت ٢٤). وتبدأ ببابل.

الأصحاح الرابع عشر:

سقوط الشيطان من السماء وهبوطه إلى الهاوية، باسم بابل (رؤ ١٨):

الأصحاح الخامس عشر:

حروب الأمم - خراب موآب.

الأصحاح السادس عشر:

حروب الأُمم – موآب أيضاً.

الأصحاح السابع عشر:

حروب الأُمم. دمشق.

الأصحاح الثامن عشر:

حروب الأُمم – كوش ومصر.

الأصحاح التاسع عشر:

حروب الأُمم – وتكون أرض يهوذا رعباً لمصر.

الأصحاح العشرون:

حروب الأُمم – أشور ضد أشدود سنة ٧١١ ق.م

الأصحاح الحادي والعشرون:

حروب الأُمم – بلاد العرب.

الأصحاح الثاني والعشرون:

حروب الأُمم.

الأصحاح الثالث والعشرون:

حروب الأُمم – صور ٧٠ سنة.

الأصحاح الرابع والعشرون:

الرؤيا الصغيرة ليوم الرب (٢٤: ١ – ٢٣).

نهاية الحروب. رب الجنود قد مَلَك في صهيون وفي أورشليم، وقدام شيوخه مجد!

الأصحاح الخامس والعشرون:

العودة (٢٥: ١ – ١٢).

+ «يَبْلَعُ الموت إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه، وينزع عار شعبه عن كل الأرض لأن الرب قد تكلّم. ويُقال في ذلك اليوم هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلّصَنا. هذا

هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه.» (إش ٢٥: ٨ و٩)

الأصحاح السادس والعشرون:

عودة إسرائيل.

+ «افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة» (٢)

+ «تحيا أمواتك تقوم الجثث. استيقظوا ترنّموا يا سكان التراب.» (١٩)

الأصحاح السابع والعشرون:

+ «في ذلك اليوم غنوا للكرمة المشتهاة. أنا الرب حارسها. أسقيها كل لحظة. لئلا يوقع بها أحرسها ليلاً ونهاراً.» (إش ٢ و٣)

+ «ويكون في ذلك اليوم أنه يُضرب ببوق عظيم فيأتي التائهون في أرض أشور والمنفيون في أرض مصر ويسجدون للرب في الجبل المقدّس في أورشليم.» (١٣)

الأصحاح الثامن والعشرون:

سمعت فناءً قد قُضي به على الأرض.

الأصحاح التاسع والعشرون:

غضب على الشعب لا ينقطع.

الأصحاح الثلاثون:

غضب على الشعب: «بالرجوع والسكون تخلصون.» (١٥)

الأصحاح الحادي والثلاثون:

غضب على الشعب: «ارجعوا إلى الذي ارتد بنو إسرائيل عنه.» (٦)

الأصحاح الثاني والثلاثون:

غضب على الشعب.

الأصحاح الثالث والثلاثون:

غضب على الشعب.

الأصحاح الرابع والثلاثون:

غضب في السماء وعلى الأرض.

الأصحاح الخامس والثلاثون:

أيام المفديين:

+ «ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدي على رؤوسهم، ابتهاج وفرح يدركانهم. ويهرب الحزن والتنهد.» (١٠)
+ « حينئذ تتفقح عيون العمي وآذان الصم تتفتَّح. حينئذ يقفز الأعرج كالأُيَّل ويترنم لسان الأخرس.» (٥ و٦)
+ « شددوا الأيادي المسترخية والركب المرتعشة ثبتوها.» (٣)
+ «قولوا لخائفي القلوب تشددوا لا تخافوا. هوذا إلهكم. الانتقام يأتي. جزاء الله. هو يأتي ويخلّصكم.» (٤)

الأصحاح السادس والثلاثون:

ملك أشور يهجم على يهوذا ويهدّد حزقيا الملك وكل الشعب.

الأصحاح السابع والثلاثون:

+ « فجاء عبيد الملك حزقيا إلى إشعياء فقال لهم إشعياء: هكذا تقولون لسيدكم هكذا يقول الرب: لا تخف بسبب الكلام الذي سمعته الذي جدف عليَّ به غلمان ملك أشور، هأنذا أجعل فيه روحاً فيسمع خبراً ويرجع إلى أرضه وأُسقطه بالسيف في أرضه.» (٥ – ٧)
+ «وصلّى حزقيا إلى الرب قائلاً: يا رب الجنود إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم، أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض، أنت صنعتَ السماوات والأرض، أملْ يا رب أذنك واسمع. افتح يا رب عينيك وانظر واسمع كل كلام سَنْحَاريب الذي أرسله ليعيِّر اللهَ الحي.» (١٥ – ١٧)
+ «لذلك هكذا يقول الرب عن ملك أشور. لا يدخل هذه المدينة ولا يرمي هناك سهماً ... في الطريق الذي جاء فيه يرجع.» (٢٣ و٣٤)

الأصحاح الثامن والثلاثون:

مرض حزقيا الملك حتى الموت:

+ «اذهب وقل لحزقيا: هكذا يقول الرب إله داود أبيك: قد سَمِعتُ صلاتك قد رأيت دموعك هأنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة. ومن يد ملك أشور أُنقذك، وهذه المدينة، وأحامي عن هذه المدينة. وهذه لك العلامة من قبل الرب على أن الرب يفعل هذا الأمر الذي تكلّم به، هأنذا أُرجع ظل الدرجات الذي نزل في درجات آحاز بالشمس عشر درجات إلى الوراء، فرجعت الشمس عشر درجات ...» (٥ – ٨)

الأصحاح التاسع والثلاثون:

ملك بابل يرسل مرودَخ برسائل وهدية لحزقيا الملك. وأراه حزقيا كل ما في مخازنه فأرسل ملك بابل وأخذ هياكلها حسب نبوَّة إشعياء.

الأصحاح الأربعون:

الإعلان عن مجيء المسيح:

+ «فَيُعْلَنُ مجد الرب ويراه كل بشر معاً لأن فم الرب تكلّم.» (٥)
+ «عزّوا عزّوا شعبي.» (١)
+ «هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له.» (١٠)
+ «صوتُ صارخٍ في البرية أعدوا طريق الرب. قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا.» (٣) - يوحنا المعمدان.
+ «كراعٍ يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات.» (١١)

الأصحاح الحادي والأربعون:

+ «مَرَّ سالماً في طريق لم يسلكه برجليه.» (٣): تعبير إشعياء عن القيامة.
+ «أنا الرب الأول ومع الآخرين أنا هو.» (٤)

تعزيات لإسرائيل **عبده** نسل إبراهيم خليله.

+ «لا تخف يا دودة يعقوب يا شرذمة إسرائيل أنا أُعِينُك، يقول الرب، وفاديك قدوس إسرائيل.» (١٤)

الأصحاح الثاني والأربعون:

عبد الرب:

+ «هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سُرَّت به نفسي، وضعتُ روحي عليه فيُخرج الحق

للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمِع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ، إلى الأمان يخرج الحق. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته.» (١ - ٤)

+ «أنا الرب قد دعوتُك بالبر فأُمسكُ بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونوراً للأمم. لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة.» (٦ و٧)

رفض إسرائيل:

+ «ولكنه شعب منهوب ومسلوب قد اصطيد في الحفر كله وفي بيوت الحبوس اختبأوا. صاروا نهباً ولا مُنقذ وسلباً وليس مَنْ يقول ردّ.» (٢٢)

+ «من دفع يعقوب إلى السلب وإسرائيل إلى الناهبين. أليس الرب الذي أخطأنا إليه ولم يشاءوا أن يسلكوا في طرقه ولم يسمعوا لشريعته.» (٢٤)

الأصحاح الثالث والأربعون:

تعزيات لإسرائيل:

+ «والآن هكذا يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلُك يا إسرائيل: لا تخف لأني فديتُك. دعوتك باسمك أنت لي.» (١)

+ «أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلِّصك.» (٣)

+ «إذ صرت عزيزاً في عيني مكرَّماً وأنا قد أحببتُك ... لا تخف فإني معك. مِن المشرق آتي بنسلك ومن المغرب أجمعك ... أُخرج الشعب الأعمى وله عيون والأصم وله آذان.» (٤ - ٨)

+ «هذا الشعب جبلته لنفسي. يحدّث بتسبيحي.» (٢١)

+ «أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها.» (٢٥)

الأصحاح الرابع والأربعون:

تعزيات لإسرائيل:

+ «أسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك.» (٣)

+ «هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود. أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري.» (٦)

+ «لا يعرفون ولا يفهمون لأنه قد طمست عيونهم عن الإبصار وقلوبهم عن التعقّل.» (١٨)

+ «اذكر هذه يا يعقوب. يا إسرائيل فإنك أنت عبدي. قد جبلْتُك. عبد لي أنت، يا إسرائيل لا تُنسى

مني. قد محوتُ كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك، ارجع إليَّ لأني فديتك.» (٢١ و٢٢)

+ « القائل عن أورشليم ستُعمَّر ولمدن يهوذا ستُبنَيْن وخِربُها أُقيمُ ... ويقول عن أورشليم ستُبنَى وللهيكل ستؤسَّس.» (٢٦ و٢٨)

الأصحاح الخامس والأربعون:

تعزية إسرائيل: «بالرب يتبرَّر ويفتخر كل نسل إسرائيل.» (٢٥)

الأصحاح السادس والأربعون:

تعزية إسرائيل: «وأجعل في صهيون خلاصاً. لإسرائيل جلالي.» (١٣)

الأصحاح السابع والأربعون:

هلاك أعداء إسرائيل: بابل.

الأصحاح الثامن والأربعون:

توبيخ إسرائيل: «ليتك أصغيت لوصاياي فكان كنهر سلامك.» (١٨)

الأصحاح التاسع والأربعون:

تنبؤات عن ميلاد المسيح وعمله:

إشعياء	العهد الجديد
«الرب من البطن دعاني. من أحشاء أمي ذكر اسمي.» (١)	(مت ١: ٢٠و٢١): «لا تخف أن تأخذ امرأتك. لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم». (لو ١ : ٣١): «وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع».
«وجعل فمي كسيف حاد.» (٢)	(عب ٤: ١٢): «لأن كلمة الله حيَّة وفعَّالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميِّزة أفكار

إشعياء	العهد الجديد
	القلب ونيَّاته».
«فقد جعلتك نوراً للأُمم.» (٦)	(لو ٢: ٣٢): «نور إعلان للأُمم ومجداً لشعبك إسرائيل».

أمَّا أوصاف المسيح فجاءت هكذا:

+ «وقال لي أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجَّد.» (٣)
+ «فقد جعلتك نوراً للأُمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض.» (٦)
+ «هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدوسه للمهان النفس لمكروه الأمة لعبد المتسلطين.» (٧)
+ «في وقت القبول استجَبتُك وفي يوم الخلاص أعنتك.» (٨) = (٢كو ٦: ٢)
+ «لا يجوعون ولا يعطشون ولا يضربهم حر ولا شمس لأن الذي يرحمهم يهديهم وإلى ينابيع المياه يوردهم.» (١٠) = (رؤ ٧: ١٦)

تعزيات إسرائيل:

+ «وقالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيني، هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساكِ. هوذا على كفي نقشتك. أسوارك أمامي دائماً.» (١٤ - ١٦)
+ «فتقولين في قلبكِ مَنْ ولد لي هؤلاء وأنا ثكلى وعاقر منفية ومطرودة، وهؤلاء مَنْ ربَّاهم، هأنذا كنت متروكة وحدي. هؤلاء أين كانوا ... فيأتون بأولادكِ في الأحضان وبناتك على الأكتاف يُحملن. ويكون الملوك حاضنيك و سيداتهم مرضعاتك.» (٢١ - ٢٣)

الأصحاح الخمسون:

طلاق إسرائيل من أجل آثامهم:

ثم ظهور الفادي:

+ «بذلت ظهري للضاربين وخديَّ للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق. والسيد الرب يعينني لذلك لا أخجل، لذلك جعلت وجهي كالصوان وعرفت أني لا أخزى، قريب هو الذي يبرِّرني. مَنْ يخاصمني. لنتواقف؟ مَنْ هو صاحب دعوى معي. ليتقدَّم إليَّ؟» (٦ - ٨)

الأصحاح الحادي والخمسون:

عودة المفديين من بقية إسرائيل:

+ «ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بالترنم وعلى رؤوسهم فرح أبدي. ابتهاج وفرح يُدركانهم. يهرب الحزن والتنهد.» (١١)

الأصحاح الثاني والخمسون:

+ «استيقظي استيقظي البسي عزَّكِ يا صهيون البسي ثياب جمالكِ يا أورشليم ... فإنه هكذا قال الرب مجاناً بُعتم وبلا فضة تُفكّون.» (١ و ٣)
+ «ما أجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير المُخبِر بالخلاص القائل لصهيون قد مَلَكَ إلهُكِ.» (٧)
+ «الرب قد عزَّى شعبه، فَدَى أورشليم. قد شمَّر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأُمم.» (٩ و ١٠)
+ «الرب سائر أمامك وإله إسرائيل يجمع ساقتكم.» (١٢)

تنبوات عن المسيح:

«هوذا عبدي يعقل يتعالى ويرتقي ويتسامى جداً.» (١٣)	«لذلك رفَّعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم.» (في ٢: ٩)
«قد أبصروا ما لم يخبروا به وما لم يسمعوه فهموه.» (١٥)	«الذين لم يخبروا به سيبصرون والذين لم يسمعوا سيفهمون.» (رو ١٥: ٢١)

الأصحاح الثالث والخمسون:

تنبوات:

«من صدَّق خبرنا و لمن استُعلنت ذراع الرب.» (١)	«ليتم قول إشعياء النبي الذي قاله يا رب مَنْ صدَّق خبرنا ولمن استُعلنت ذراع الرب.» (يو ١٢: ٣٨)
«محتقَر فلم نعتدّ به.» (٣)	«إلى خاصتّه جاء وخاصتّه لم تقبله.» (يو ١: ١١)
«أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها.» (٤)	«لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا.» (مت ٨: ١٧)
«و هو مجروح لأجل معاصينا مسحوق	«الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا.» (رو ٤:

لأجل آثامنا.» (٥)

«وبحُبُره شفينا.» (٥)

«كلنا كغنم ضللنا.» (٦)

«ولم يفتح فاه.» (٧)

«كشاة تُساق إلى الذبح.» (٧)

«وجُعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته.» (٩)

«ولم يكن في فمه غش.» (٩)

«ذبيحة إثم.» (١٠)

«يرى نسلاً تطول أيامه.» (١٠)

٢٥)

«فإن المسيح أيضاً تألّم مرّة واحدة من أجلِ الخطايا.» (١بط ٣: ١٨)

«المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب.» (١كو ١٥: ٣)

«الذي بِجَلَدَتِه شفيتم.» (١بط ٢: ٢٤)

«لأنكم كنتم كخرافٍ ضالةٍ، لكنكم رجعتُم الآن إلى راعي نفوسِكُم وأُسقفها.» (١بط ٢: ٢٥)

«وأما يسوع فكان ساكتاً.» (مت ٢٦: ٦٣)

«وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يُجِب بشيء.» (مت ٢٧: ١٢)

«فلم يُجِبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جداً.» (مت ٢٧: ١٤)

«الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهَدِّد بل كان يُسلِّم لمن يقضي بعدل.» (١بط ٢: ٢٣)

«مثل شاة سيق إلى الذبح ومثل خروف صامت أمام الذي يجزُّه.» (أع ٨: ٣٢)

«ولما كان المساء جاء رجل غني من الرامة اسمه يوسف.» (مت ٢٧: ٥٧)

«ووضعه في قبر جديد.» (مت ٢٧: ٦٠)

«الذي لم يفعل خطية ولا وُجِدَ في فمه مكر.» (١بط ٢: ٢٢)

«وليس فيه خطية.» (١يو ٣: ٥)

«لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا.» (٢كو ٥: ٢١)

«عالمين أن المسيح بعدما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً. لا

«ومسرّة الرب بيده تنجح.» (١٠)

«وعبدي البار.» (١١)

«بمعرفته يبرّر كثيرين وآثامهم هو يحملها.» (١١)

«أقسم له بين الأعزاء.» (١٢)

«ومع العظماء يقسم غنيمة.» (١٢)

«أُحصي مع أثمة.» (١٢)

يسود عليه الموت بعد.» (رو ٦: ٩)

«إذ عرّفَنا بسر مشيئته حسب مسرّته التي قصدها في نفسه.» (أف ١: ٩)

«إذ سبقَ فعيَّننا للتبنِّي بيسوعَ المسيحِ لنفسه، **حسب مسرّة مشيئته.**» (أف ١: ٥)

«يؤهِّلكم إلهنا للدعوة، ويكمِّل كل مسرّة الصلاحِ وعمل الإيمان بقوة.» (٢تس ١: ١١)

«فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار.» (١يو ٢: ١)

«وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو ١٧: ٣)

«فبالأَوْلَى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح. فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة. هكذا ببرٍّ واحدٍ صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة.» (رو ٥: ١٧ و١٨)

«وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا.» (٢بط ١: ٣)

«لذلك رفَّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم.» (في ٢: ٩)

«جرّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه.» (كو ٢: ١٥)

«وأُحصي مع أثمة.» (لو ٢٢: ٣٧)

الأصحاح الرابع والخمسون:

تعزيات لإسرائيل:

+ «ترنمي أيتها العاقر التي لم تَلِدْ أَشيدي بالترنم.» (١)
+ «لأنك لا تستحين، فإنك تنسين خزي صباك وعار ترمُّلك لا تذكرينه بعد.» (٤)
+ «وليُّك قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يُدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الرب وكزوجة الصبا إذا رُذِلتِ، قال إلهك. لُحَيْظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك،

بفيضان الغضب حجبت وجهي عنكِ لحظة، وبإحسان أبدي أرحمكِ قال وليُّكِ الرب.» (٥–٨)

+ «فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنكِ، وعهد سلامي لا يتزعزع، قال راحمكِ الرب.» (١٠)

+ «مَنْ اجتمع عليك، فإليك يسقط.» (١٥)

+ «كل آلة صُوِّرت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليكِ في القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب وبِرُّهم من عندي، يقول الرب.» (١٧)

الأصحاح الخامس والخمسون:

تعزيات إسرائيل:

+ «اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهداً أبدياً مراحم داود الصادقة.» (٣)

والباقي عن نبوات مجيء الرب يسوع شارعاً للشعوب، رئيساً وموصياً للشعوب.

الأصحاح السادس والخمسون:

الأيام الأخيرة:

+ «لأنه قريب مجيء خلاصي.» (١)

الأصحاح السابع والخمسون:

توبيخ إسرائيل.

الأصحاح الثامن والخمسون:

تبكيت إسرائيل.

الأصحاح التاسع والخمسون:

انتظار الفادي

+ «ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب يقول الرب.» (٢٠)

الأصحاح الستون:

أتى زمان العودة:

+ «قومي استنيري لأنه قد جاء نوركِ ومجد الرب أشرق عليكِ. لأنه ها هي الظلمة تغطي

الأرض والظلام الدامس الأُمم. أما عليكِ فيشرق الرب ومجده عليكِ يُرى، فتسير الأمم في نوركِ والملوك في ضياء إشراقكِ. ارفعي عينيكِ حواليكِ وانظري. قد اجتمعوا كلهم. جاءوا إليك. يأتي بنوكِ من بعيد وتُحمل بناتك على الأيدي. حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأُمم.» (١ – ٥)

+ «مَنْ هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها. إن الجزائر تنتظرني..» (٨ و٩)

+ «وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك. لأني بغضبي ضربتك وبرضواني رحمتك، وتنفتح أبوابك دائماً. نهاراً وليلاً لا تُغلق. ليؤتى إليك بغنى الأمم.» (١٠ و١١)

+ «وبنو الذين قهروك يسيرون إليكِ خاضعين وكل الذين أهانوكِ يسجدون لدى باطن قدميكِ ويدعونكِ مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل.» (١٤)

دخول في مجد آخر الأيام:

+ «عوضاً عن كونكِ مهجورة ومُبغضة بلا عابر بك أجعلكِ فخراً أبدياً فرح دور فدور.» (١٥)

+ «لا يُسمع بعد ظلم في أرضكِ ... بل تسمين أَسوارك خلاصاً وأبوابك تسبيحاً. لا تكون لكِ بعد الشمس نوراً في النهار ولا القمر يُنير لك مضيئاً، بل الرب يكون لكِ نوراً أبدياً وإلهكِ زينتكِ. لا تغيب بعد شمسكِ، وقمركِ لا ينقص، لأن الرب يكون لكِ نوراً أبدياً... وشعبكِ كلهم أبرار. إلى الأبد يرثون الأرض... الصغير يصير ألفاً والحقير أمة قوية. أنا الرب في وقته أُسرِعُ به.» (١٨ – ٢٢)

الأصحاح الحادي والستون:

مسح الرب يسوع قدوساً للقديسين، وظهور العهد الجديد:

+ «فرحاً أفرح بالرب. تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص. كساني رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة، ومثل عروس تتزين بحليها.» (١٠ و١١) (رمز إلى الكنيسة)

الأصحاح الثاني والستون:

الزمان قريب:

+ «على أسوارك يا أُورشليم أقمتُ حراساً لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام، يا ذاكري الرب لا تسكتوا. ولا تدَعُوه يسكت حتى يُثبِّتَ ويجعل أورشليم تسبيحة في الأرض.» (٦ و٧)

+ «هوذا مخلِّصك آت، ها أجرته معه، وجزاؤه أمامه.» (١١)
+ «ويسمونهم شعباً مقدساً.» (١٢)

الأصحاح الثالث والستون:

للتذكرة:

+ «مَنْ ذا الآتي من أدوم بثياب حُمر، مِن بُصرَة، هذا البهيُّ بملابسه المتعظم بكثرة قوته. أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص.» (١)
+ «قد دُسْت المعصرة وحدي، ومن الشعوب لم يكن معي أحد.» (٣)
+ «إحسانات الرب أذْكُرُ تسابيح الرب حسب كل ما كافأنا به الرب والخير العظيم لبيت إسرائيل.» (٧)
+ «في كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلَّصهم.» (٩)
+ «ذَكَر الأيام القديمة موسى وشعبه، أين الذي أصعدهم من البحر مع راعي غنمه؟ أين الذي جعل في وسطهم روح قدسه؟» (١١)
+ «تطلع من السماوات وانظر من مسكن قدسك ومجدك. أين غيرتك وجبروتك؟ ... ومراحمك نحوي امتنعت؟ فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل، أنت يا رب أبونا وليُّنا منذ الأبد اسمك. لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك؟» (١٥ - ١٧)

الأصحاح الرابع والستون:

توسُّل:

+ «ليتك تشق السماوات وتنزل.» (١)
+ «لأنك حجبت وجهك عنا وأذَبتنا بسبب آثامنا.» (٧)
+ «لا تسخط كل السخط يا رب ولا تذكر الإثم إلى الأبد.» (٩)

الأصحاح الخامس والستون:

البقية صغيرة وكريمة في عينيه:

+ «كما أن السُّلافَ يوجد في العنقود، فيقول قائل لا تُهلكه لأن فيه بركة، هكذا أعملُ لأجل عبيدي حتى لا أُهلك الكل. بل أُخرج من يعقوب نسلاً ومن يهوذا وارثاً.» (٨ و٩)
+ «لأني هأنذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة فلا تُذْكَرُ الأولى ولا تخطر على بال.» (١٧)

+ «نسل مباركي الرب وذريتهم معهم. ويكون إني قبلما يدعون أنا أجيب وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع.» (٢٣ و٢٤)

ويعطي في نهاية الأصحاح علامات الأيام الأخيرة حيث يُنزع الشر من الأرض انتزاعاً (٢٥).

الأصحاح السادس والستون:

+ «هكذا قال الرب: السماوات كرسيي والأرض موطئ قدميَّ. أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي؟» (١)

لا أقبل ذبائح، أقبل الروح المنسحق والمرتعد من كلامي (٢ و٣).

أُمة تولد في يوم (٨)، أدير عليها سلاماً كنهر (١٢) وأتخذ منهم كهنة ولاويين (٢١) السماء جديدة وأرض جديدة. الذي يسمع يحيا، والذي يعصي لا يحيا (٢٤).



لماذا دُعي إشعياء بالنبي الإنجيلي:

كانت نبوَّة إشعياء هي العزاء الأكبر للراجعين من السبي، لأن الناجين من إسرائيل ومن يهوذا تطلَّعوا إلى الحرية والمجد والخصب والسلام الذي أبرزه إشعياء في عهد العودة. وقد ألهمت هؤلاء العائدين الطامحين نحو المجد أن يقيموا قيادة إلهية تحت نشاط الرئيس زَرُبَّابِلَ ويشوع، ذلك في زمن نبوة حَجَّي النبي وزملائه زكريا وملاخي وعزرا ونحميا الأنبياء العائدين من السبي. فكانوا بالفعل أداة تصلح أن تكوِّن أو تنشئ تجديداً لعهد نعمة الله وذلك بعمل الروح القدس الذي كان واضحاً أنه في وسطهم، ولكن مع بقاء مجد صهيون الأعلى بعيداً بعيداً.

ومناظر الكتاب إنما تأخذنا بعيداً عن أيام إشعياء وأيام السبي وكأنها إعداد لسماء جديدة وأرض جديدة. وكانت روح النبوَّة متسعة لتشمل كل إشعياء حتى النهاية. وكأنها تقص خطة الله المرسومة للفداء لشعبه. فكان معنى إشعياء «الخلاص هو من الرب». أو أن «يهوه خلاصي» كجماع لكل النبوَّة.

فالأتقياء يمارسون السلام مع الله والمحبة والعدالة والأمانة هنا وهناك بين الهادئين، ولو أن معظم الأتقياء كانوا يتوقعون تكميلاً أشمل عند تكميل ملكوت الله في زمنه المحدد.

ولا يدهشنا كثيراً أن الرب بنفسه شرح ذلك في خدمته إنما في تعبيرات نبوية من إشعياء نفسه،

فرأى فيها الأيام التي سيُجري هو فيها عودة كل شيء ويكون إنجيله هو الأخبار الصالحة لأن يسوع نفسه هو مكمِّل كل الوعود! (لو ٤: ١٦ - ٢١)

«فابتدأ يقول لهم إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم» (لو ٤: ٢١)، بعد أن سرد المكتوب في إشعياء: «وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربَّى. ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ. فدُفع إليه سفر إشعياء النبي. ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه. روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأُبشِّر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعُمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة ...».

لم تكن صدفة، يا قارئي العزيز، أن يُقدَّم للمسيح سفر إشعياء، وعند الموضع الأساسي منه الذي فيه يَعِدُ برفع اللعنة عن الشعب التي أُمر بها إشعياء في الأصحاح السادس:

«فقال اذهب وقُل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا. غلِّظ قلب هذا الشعب وثقِّل أذنيه واطمس عينيه لئلا يُبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيُشفى» (إش ٦: ٩ و١٠).

لعنة مرّة أصابت أدوات الحكم والوعي والإدراك والتعقل والمعرفة الحقة، وظلّت الإصابة قائمة دائمة، ضاربة كل قوة لعنتها في أجيال هذا الشعب، من إشعياء إلى يوم المسيح ٧٠٠ سنة. ولكن كان قد جاء ملء الزمان وتجسد الابن الموعود به ليرفع اللعنة ويزيل الغضب وكل آثاره، فوقفت الأجيال كلها هذه اللحظة تترقب، وكل الملائكة والخلائق الروحانية ترصد، وتضافرت قوى العالم الروحي في إحضار دَرَج إشعياء في الساعة واللحظة والتو، ووضعت إصبعها حتى يفتح المسيح الدرج على نبوته ذاتها ليبشر بأنه قد جاء اليوم لتتم هذه النبوَّة المكتوبة، ويفتح المسيح الآذان المقفلة والعيون المغلقة والقلوب المطموسة، ويعيد الإنسان، كل إنسان، من السبي والانكسار، وينادي لكل المأسورين في الظلمة وظلال الموت بالإطلاق.

ولكي ينتبه الشعب أكثر إلى هذه القوة الإلهية المحددة بالروح، بدأ المسيح يشير إليها عملياً بتفتيح أعين العمي بكثرة مذهلة وتفتيح آذان الصم بكثرة ملفتة، والمساكين أحاطوا به من كل جانب، والأموات سمعوا فقاموا، لكي يتحقق ما جاء ليفعله بالروح وهو الكرازة بالسَنَة الإلهية، سَنَة الخلاص، وفَتْح أبواب الملكوت التي كانت موصدة في وجه كل إنسان. فكانت العظة وكأنها تحية للراجعين من السبي والأسر والحبوس، يعانون ضربات الموت بلا شفيع ولا مَنْ يواسي، ولكن هذه العظة بلغت

منتهاها الأزلي والأبدي معاً في البشارة بخلاص الإنسان وتأسيس المصالحة وفتح باب الملكوت.

وبهذه القراءة الواحدة من فم المسيح تمت أعمال العهدين وأُكملت كافة النبوّات وعاد الابن الضال إلى بيت الآب. وكان عتق السبي من بابل كمقدمة لهذه القصة النبوية، كخلفية لكل الشعوب وكل الأجناس المأسورة تحت كل سلطان أنه قد جاء يوم خلاص الكل استعداداً لحظوة التأهيل للعبور الأخير. لذلك أصر الله في إعطاء إشعياء نبوّته، أن جعله هو نبيًّا للشعوب فوق أنه نبي لشعب إسرائيل. ولقد كنا في نبوة إشعياء نحن الذين لم يكن يعرفنا إبراهيم ولا درى بنا يعقوب ولا عبَّر عنا إشعياء إلاّ على مستوى السامعين للنبوّة، لنتلقى لعنة قفل العيون والآذان وبقينا نحن حتى جاءت سنة الرب المقبولة وتم فينا القول: «الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور.» (إش ٩: ٢)، (مت ٤: ١٦)

لذلك عن حق دُعي إشعياء بالنبي الإنجيلي.

+ «هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له. هوذا أجرته معه وعُملته قدّامه. كراعٍ يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات.» (إش ٤٠: ١٠ و١١)

+ «أصغيتُ إلى الذين لم يسألوا. وُجِدْتُ من الذين لم يطلبوني. قلت هأنذا هأنذا لأمة لم تُسمَّ باسمي.» (إش ٦٥: ١)

٢ ـ إرميا بن حلقيّاً

الاسم يعني بالعبرية ''يهوه يعين''، وأبوه حلقيا كاهن عاش في مدينة الكهنة عَنَاثوث وهي إحدى مدن بنيامين على بُعد أميال قليلة شمال أورشليم، وكان من نسل إيثامار، ودُعي لخدمة النبوَّة وهو لا يزال صغيراً: «فقلت آه يا سيد الرب إني لا أعرف أن أتكلَّم لأني ولد.» (إر ١: ٦)

وقد خدم النبوَّة في أورشليم في السنوات الواحدة والأربعين الأخيرة لمملكة يهوذا من السنة الثالثة عشر ليوشيا حتى سقوط أورشليم في سنة ٥٨٦ ق.م. وكانت إسرائيل مملكة الشمال قد سُبيت منذ مائة سنة. وقد ذُكر في سفر إرميا بيانات عن حياته أكثر من أي نبي آخر وكذلك عن أخبار زمانه.

وتاريخ خدمته الطويلة يمكن تتبعها منذ بدء دعوته في أيام ملوكية يوشيا حتى خُتمت في مصر بعد خراب أورشليم بقليل في زمن سبي بابل.

والرب هو الذي يستعلن دعوة إرميا وتكريسه وهو لا يزال في البطن كاهناً لله العلي (١: ٥)، وهو مولود وريث للكهنوت. ودُعي في زمن نضوجه الأخلاقي والديني في أيام أفول نجم مملكة يهوذا في الجنوب. وكان رجلاً عظيم الأخلاق، حساساً بدرجة رقيقة. فكان كثير التأثر بأخلاق قومه وخطاياهم التي عنَّفها بشدة، وبكى عليها بكثرة. وتنبَّأ بصرامة على حتمية سقوط يهوذا، لذلك رُذل إرميا واضطُّهد من قِبَل الأنبياء الآخرين الشعبيين والنبلاء والحكام وعامة الشعب. لكنه استمر في معركة بلا هوادة ضد الأنبياء الكذبة الذين يتلطَّفون كذباً على الشعب فكان يصدُّهم في مواجهتهم المتلطِّفة الكاذبة لضلالة الشعب إذ كانوا يزوِّرون السلام والأمان، ولا سلام ولا أمان.

وفي وقت دعوته دخل في محاكمة لتفنيد نبوَّته على مدى سفره بأكمله (١: ١٧ - ١٩)، ولكنه استمر في إصراره على سقوط مملكة يهوذا لا محالة بسبب خطاياهم، وأنها ستخضع لبابل حتى تتجنَّب إراقة الدماء بلا فائدة. هذا جعل نبوَّته غير محبوبة للغاية ومُزعزِعة. وقد ضُرب وسُجن ورُفض من عائلته وأصدقائه، واحتُسب خائناً للأمة، واحتقره الرؤساء والشعب، ومُزِّقت نبوَّاته، وتهدَّدت حياته فصار سبب مصادمات ضد كل الهيئات بسبب ذمِّهم وارتدادهم. لذلك سبق وحذَّره الله في بداية نبوَّته بسبب هذه الحقيقة، ففي بدء دعوته قيل له إن الله أرسله: «هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس على كل الأرض. لملوك يهوذا ولرؤسائها ولكهنتها ولشعب الأرض. فيحاربونك ولا يقدرون عليك لأني أنا معك يقول الرب لأُنقذك.» (إر ١: ١٨ و١٩)

«لأني أنا ساهر على كلمتي لأُجريها» (إر ١: ١٢)، وتم فيها قول الرب: «تركوني أنا ينبوع المياه الحيَّة لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشقَّقة لا تضبط ماءً.» (٢: ١٣)

نبوَّة إرميا:

إرميا نبيٌّ مثالي حسب رأي العلماء، وقارئ نبوَّة إرميا يأخذ فكرة مؤكَّدة عن عمق هذا النبي وحساسيته الشديدة. ولأن معظم نبوَّته جاءت شعراً مثقفاً لذلك اعتُبر إرميا من كبار شعراء التوراة. وسفر إرميا يُحسب مزيجاً من سيرة حياة نبي وتاريخ أُمة ووحي مقدَّس كما يصفه العالِم Wolff[1].

ونبوَّة إرميا أصيلة من وحي الله المباشر له، وكان يمليها على بَارُوخُ. وسفر إرميا يحصر الحوادث التي جرت في أيامه من سنة ٦٢٧ - ٥٨٧ ق.م. ولو أن كثيراً من العلماء يقولون إنه قد امتدَّ بنبوَّته حتى سنة ٥٥٠ ق.م. أي قبل سقوط بابل سنة ٥٣٩ ق.م.

وقد عاش إرميا على مدى زمن نبوَّته في حالة توتر شديد بين دينونة الله لنفي شعبه وبين الوعد بعصر تحوُّلٍ جديد.

وفي زمن محن دولية ومحن شعبه ووطنه دُعي إرميا ليكون رسولاً للأمم (١: ٥). وقام بدعوتين لينادي بنهاية الزمن القديم وإعلان الزمن الجديد. وقد حصر العلماء الباحثون نبوَّة إرميا بكونها تشبه عملية موسى بلَعْن شعبه ولكنها تنتهي بنهاية هذه اللعنة، فقد أعلن إرميا نهاية عهد موسى وبداية عهد جديد. وقد تساءل إرميا كما تساءل موسى أمام الله: لماذا اخترتني خادماً؟ كما تخاطَبَ وتحادث مع الله كما صنع موسى، وقد أكمل رسالته كما أكملها موسى حتى نهاية حياة كل منهما.

ولكن بعكس موسى، فقد نادى إرميا بنفاد صبر الله، وسيظهر الرب لدينونة شعبه. وعكس ما قدَّم موسى الله لشعبه كصديق كما كان مع آبائه، نقل إرميا لعنات الله وغضبه كنهاية لعهده.

وقد أحب إرميا شعب الله وأراد أن يتوسَّط بين الله وشعبه (١٤: ٧ - ٢٢)، وقد كانت رسالته للموت وليست للحياة. ولم يستطع إرميا أن يصمت عن أن يشرح آلام السبي المزمعة قبل أن تحدث، ولكن الله منعه من أن يصلِّي عن يهوذا (١٤: ١١ و١٥: ١) بعكس موسى الذي توسَّط عن الشعب فسمع الله لصوته: «اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك. وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى هنا، فقال الرب قد صفحت حسب قولك» (عد ١٤: ١٩ و٢٠)؛ بعكس

(1) C. Wolff quoted by Robert P. Carroll, *Jeremiah*, SCM Press, 1986, p. 56.

إرميا الذي توسّل وحاجج ولاجج بلا فائدة «هل رفضتَ يهوذا رفضاً أو كَرِهَتْ نفسك صهيون؟ لماذا ضربتنا ولا شفاء لنا؟ انتظرنا السلام فلم يكن خير وزمان الشفاء فإذا رعب. قد عرفنا يا رب شرّنا؛ إثم آبائنا لأننا قد أخطأنا إليك. لا ترفض لأجل اسمك. لا تُهِنْ كرسي مجدك، اذكر. لا تنقض عهدك معنا» (إر ١٤: ١٩ - ٢١)، «ثم قال الرب لي وإن وقف موسى وصموئيل أمامي لا تكون نفسي نحو هذا الشعب.» (إر ١٥: ١)

لذلك رثى إرميا شعبه بدموع غزيرة: «يا ليت رأسي ماءً وعينيَّ ينبوع دموع فأبكي نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبي ... وإن لم تسمعوا ذلك فإن نفسي تبكي في أماكن مستترة من أجل الكبرياء وتبكي عيني بكاءً وتذرف الدموع لأنه قد سُبي قطيع الرب» (إر ٩: ١، ١٣: ١٧)؛ كما رثى المسيح أورشليم وشعبها بدموعه: «وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها.» (لو ١٩: ٤١)

إرميا موسى الجديد للكنيسة:

لذلك يمكننا أن ندعو إرميا من كل الوجوه بموسى الجديد أو نبي العهد الجديد:

فكما كان موسى نبي العهد القديم بدم ذبائح: «وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال (الناموس أي الشريعة)» (خر ٢٤: ٨)؛ هكذا صار في قمة نبوّة إرميا، الإعلان عن زوال العهد القديم بموسى وإعطاء الوعد بالعهد الجديد.

عند موسى العهد القديم كان بدم ذبائح على حرفية الناموس الموضوع، أما العهد الجديد في نبوّة إرميا فهو وعد بالكلمة، كلمة الله المنقوشة لا على ألواح حجرية بل على ألواح قلب لحمية:

+ «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. ليس كالعهد الذي قطعتُه مع آبائهم يوم أمسكتُهم بيدهم لأُخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب. بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب. **أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم**، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. ولا يعلّمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الرب. لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد.» (إر ٣١: ٣١ - ٣٤)

وهكذا دام عهد موسى حتى إرميا النبي، ومن إرميا النبي صار الوعد بعهد جديد، عهد الكلمة المحفورة بالروح على قلوب لحمية، وكان قارئها الجيد بولس الرسول:

+ «أنتم رسالتنا مكتوبة في قلوبنا معروفة ومقروءة من جميع الناس. ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي. لا في ألواح حجرية بل في ألواح قلب لحمية.» (٢كو ٣: ٢ و٣)

وهذا الوعد الحي من قِبَل رب الجنود جعل إرميا يموت على الرجاء.

طبيعة نبوّة إرميا:

نبوّة إرميا فريدة، وتُنظر من جهة طبيعتها ذات الاتجاهين في الخدمة:

الاتجاه الأول:

غرضها الظاهري هو الخراب القادم حالاً: «انظر. قد وكّلتُك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتُهدم وتُهلك وتنقض وتبني وتغرس» (١: ١٠)، فكان على إرميا أن يتكلّم بكلام الله الذي يؤدّي إلى خراب الشرير، والقوة الإلهية التي كانت تدفع إرميا كانت تقوم بتحقيق كل ما يقوله كما قال زكريا النبي بعد السبي عما سبق وقاله إرميا:

+ «ولكن كلامي وفرائضي التي أوصيتُ بها عبيدي الأنبياء أفلم تدرك آباءكم. فرجعوا وقالوا كما قصد رب الجنود أن يصنع بنا كطرقنا وكأعمالنا كذلك فعل بنا.» (زك ١: ٦)

فكانت كلمات إرميا هي كلمات الرب، فكانت آلات لا تخفق لسلطانه وأغراضه: «هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما أرسلتها له» (إش ٥٥: ١١)، (تك ١: ٣)، (مز ٣٣: ٦ و١١) لأن الكلمة الإلهية توصف بأنها نار آكلة وكمطرقة تحطم الصخر.

+ «أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب؟ وكمطرقة تحطم الصخر!» (إر ٢٣: ٢٩)

لذلك فالنبي إرميا أُمر أولاً وأُرسل ليعلن ما هو آتٍ قريباً، وتم خلع الجذور وقلب الأشياء ثم التحطيم النهائي لمملكة يهوذا، وكذلك عقاب الأُمم بسبب شرّهم.

الاتجاه الثاني:

إنها خدمة بناء في غرضها النهائي. فإرميا لم يُرسَل فقط ليعلن الانقلاب والتحطيم بالنسبة للشعوب ولكنه دُعي أيضاً من الله: «أن تبني وتغرس» (إر ١: ١٠). فالرب قد أعطى وصفين لعمل إرميا:

(أ) **الاصطلاح الزراعي: يقلع وبعد ذلك يغرس.**

(ب) **الاصطلاح الهندسي: يهدم وبعد ذلك يبني.**

فكلمته المسلَّطة على يهوذا والشعوب هي لتعلن تحطيمها، ولكن بالنسبة ليهوذا وإسرائيل مستقبلاً فإنه وعد بالعودة للبقية بحسب مشيئة سلطان الله ونعمته. فبعد أن يُقطعا ويُهدما في القضاء فإن الأمة تُبنى ثانية وتُزرع مرَّة أخرى في ذات أرضها.

+ «ويكون كما سهرتُ عليهم للاقتلاع والهدم والقَرْض والإهلاك والأذى؛ كذلك أسهر عليهم للبناء والغرس يقول الرب.» (إر ٣١: ٢٨)

أمَّا رسالة إرميا النبي للقضاء فقد جاءت مؤيَّدة برؤيتين:

الرؤيا الأُولى: شجرة اللوز:

+ «ثم صارت كلمة الرب إليَّ قائلاً: ماذا أنتَ راء يا إرميا؟ فقلت أنا راء قضيب لوز. فقال الرب لي: أحْسنتَ الرؤيا لأني أنا ساهر على كلمتي لأُجريها.» (إر ١: ١١ و١٢)

هنا في كلام الرب لعب بالألفاظ لأن شجرة اللوز في العُرف الزراعي اليهودي تدعى الشجرة الساهرة أو الشجرة المتيقظة، لأنها أول شجرة تُخرج براعمها بعد سكون الشتاء. فخروج البراعم في شجرة اللوز تُشير إلى سهر الله على كلمته ليُجريها في أول فرصة مواتية وتتميم مشيئته بالدينونة مبكراً، فهذا معنى الآية «أنا ساهر على كلمتي لأُجريها»، أو بالترجمة الدقيقة «أنا سأسهر على كلمتي لأجريها».

فالحقيقة أن إرميا قد أُرسل ليتنبأ فيما يخص القضاء وقَلْب أورشليم أثناء فترة سلام وخصب، مما يجعل كلمة الله تتعرَّض لعدم التصديق والازدراء بواسطة الشعب الذين لاحظوا أنه لا توجد علامات اضطرابات تزكِّي النبوَّة. وفي الوقت نفسه استغل الأنبياء الكذبة هذا السلام وهذا الخصب الوقتي ليؤكِّدوا أن السلام قائم والخصب قائم عكس ما يقول إرميا. لذلك يعطي الرب تأكيداً لإرميا بأن يقول إن الرب يسهر على كلمته وليكمِّلها في وضعها الموضوع لها وفي زمنها المحدَّد.

وهكذا قد تظل كلمات إرميا المتكلِّم بكلام الله نائمة وغير مطبَّقة، ويظهر لكثيرين أنها ادعاءات كاذبة، وللجهلة والأشرار يبدو أن كلام الله لا ينفذ، ولكن الله يعلن أن الحاصل ليس كذلك، فحينما يقولون سلامٌ وأمانٌ يأتيهم الهلاك فجأة (١تس ٥: ٣). فالله لا يتجاهل الأشرار أو ينعس عن أعمالهم «لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل» (مز ١٢١: ٤)، وهو يظل حارساً لكلمته ويتيقَّظ في الوقت المعيَّن. والله لا يتأخَّر عن الدينونة في ميعادها ولو ظهر ذلك فلأن هناك أسباباً كافية:

(أ) فالبار لا ينال مساعدة في الضيق الذي يسوقه عليه الأشرار، لأن الله له غرض في ذلك:

«فقام أيوب ومزَّق جُبَّته وجزَّ شعر رأسه وخرَّ على الأرض وسجد. وقال عُرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك (التراب). الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً. في كل هذا لم يُخطئ أيوب ولم ينسب لله جهالة.» (أي ١: ٢٠ - ٢٢)

(ب) ولله أغراض كونه يترك الخطية حتى تتضح ويبلغ شر الإنسان نهايته وحينئذ يُجري الدينونة:
«لا تَقُلْ في قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلاً: لأجل برِّي أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض، ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك، ليس لأجل برِّك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك.» (تث ٩: ٤ و٥)

(ج) وتأخُّر الله في توقيع العقوبة يكون أساساً لإعطاء فرصة للتوبة كما يقول القديس بطرس الرسول: «لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ لكنه يتأنَّى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أُناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة.» (٢بط ٣: ٩).

فكما أن الحصاد ينضج ببطء ولكنه يُجمعَ بسهولة، كذلك فدينونة الله إن كانت تظهر متباطئة لكنها في النهاية تأتي بسرعة كأيَّام الطوفان أو هلاك سدوم وعمورة، كذلك كان سقوط أورشليم فعندما عسكرَ نبوخذنصَّر هجم على الأسوار وأسقط المدينة، واكتشف اليهود المصيبة متأخراً وتم نفاذ وعيد إرميا في وقته المحدَّد.

الرؤية الثانية: القِدْرُ المنفوخة (بسبب غليان الماء)، ووجهها نحو الشمال:

«ثم صارت كلمة الرب إليَّ ثانية قائلاً: ماذا أنت راء؟ فقلت: إني راء قدْراً منفوخة ووجهها من جهة الشمال. فقال الرب لي: من الشمال ينفتح الشر علَى كل سكان الأرض. لأني هأنذا داعٍ كل عشائر ممالك الشمال، يقول الرب، فيأتون ويضعون كل واحد كرسيه في مدخل أبواب أورشليم وعلى كل أسوارها حواليها وعلى كل مدن يهوذا. وأُقيم دعواي على كل شرهم لأنهم تركوني وبخروا لآلهة أخرى وسجدوا لأعمال أيديهم.» (إر ١: ١٣ - ١٦)

غرض هذه الرؤية الثانية مثل الأُولى، وتعني النَّقْمة التي على وشك حدوثها ضد أورشليم ويهوذا من أجل شرهم. فالقِدْر التي تغلي ترمز إلى الحرب الوشيكة، وتعني كيف أن الرب سيقيم الحرب ويثيرها فجأة فتطرد القِدْرُ ما يغلي في بطنها من شرور ساكنيها، فالقِدْر كانت تُحمَّى ببطء حتى بلغت النهاية في الغليان، وفجأة اندفعت الجيوش عليها، كما أن الخطية والشر أخذا قوة الدفع حتى

بلغت الكسر لفاعليها. والقِدْر كانت مواجَهَة للشمال لتطرح ما في بطنها من سكان فلسطين، وتتدفق على الشمال على بابل «من الشمال ينفتح الشر على كل سكان الأرض».

فهذان المثلان لهذين الدرسين اللذين احتوتهما رؤية إرميا بحضرة الرب، سواء شجرة اللوز الساهرة لتخرج براعمها في الميعاد أو القِدْر المنفوخة بغليانها، هما في الحقيقة واحد ويشيران إلى تتميم كلمة الرب العتيدة أن تأتي بفعلها فجأة وفي الميعاد بعنف لتحطيم الشرير بسرعة وفجأة معاً وبلا ترقُّب؛ تماماً كما تغلي مياه القِدْر وتندفق فجأة، كذلك كان الله الساهر على كلمته ليُجريها في الوقت المعيَّن حينما يندفق غضبه على الأشرار فجأة وبلا ترقب بعقوبة وفناء. ويسبق الرب وينذر إرميا نفسه: «أما أنت فنطِّق حقويك وقُمْ وكلِّمْهم بكل ما آمرك به، لا تَرتَعْ من وجوههم لئلاَّ أُريعك أمامهم.» (إر ١: ١٧)

وكان النبي ثابتاً متحفِّزاً في وجه المقاومين، مكمِّلاً رسالته، وداعياً بأمانة بكل ما أمره الرب أن يتكلَّم به، ولم يعمل كباقي الأشخاص الذين يتكلَّمون على قدر احتمال سماع الأشرار وقبولهم لئلا يرفضوهم ولا يقبلوا رسالتهم. ولكن الله قد أنذر إرميا مسبقاً أن أي تعوُّق في النداء بأمر الله بأمانة فإن المشورة كلها ستنتهي بالحكم على المرسَل والمُرسَل إليهم، إن هو ارتعب أمام أمانة النطق فهو سيواجه دينونة أشر!

فالأمانة لكلمة الله ليست مجرَّد وعظ منتخب باهتمام لكي نُسِرَّ السامع أو نتبع تقليداً ما أو تسجيلاً محفوظاً، ولكن النداء بكلمة الله هو تكميل مشورة الله: التهديد والوعد معاً، الدينونة والبركات معاً، الانتهار والتعزية، مهما كلَّف الشخص من ثمن، لأنها تُحسب خيانة للسفير أن يختزل في مواد الاتفاقية مهما كانت صعبة وخشنة وغير مُسِرَّة، فكم تكون خيانة صاحب الرسالة لله إن تَداعى تحت تأثير الخوف والجبن والرغبة في السلام الشخصي بأي ثمن ويُهمل مضمون الدعوة والرسالة التي ائتمنه الله عليها.

الخلفية التاريخية لنبوَّة إرميا:

أزمنة نبوَّات إرميا النبي

	٦٢٧	٦٠٩	٦٠٣	٥٩٧	٥٨٦
الحوادث الكبرى	الدعوة	موت يوشيا	بابل تغزو أورشليم	رحيل الغزاة ومعهم دفعة أولى من المسبيين	سقوط أورشليم وسبي بابل

ملوك يهوذا	يوشيا (٦٤٠–٦٠٩)	يهوآحاز (٦٠٩)	يَهُويَاقِيمُ (٦٠٨–٥٩٨)	يهوياكين (٥٩٨–٥٩٧)	صدقيا (٥٩٧–٥٨٦)

إرميا النبي كان آخر مَنْ أرسله الله قبل السبي مباشرة. ورسالته كانت أصلاً لمملكة يهوذا، ولو أنه أُرسل ليكون «نبياً للشعوب». وقد تنبَّأ لمملكة الجنوب يهوذا قبل سبي بابل مباشرة وأثناء الأيام الصعبة حينما وقع الشعب في الحصار ثم عند وقوع أورشليم في الأسر. ونبوَّة إرميا تنبه الذهن بسبب المناظر المتعددة التي حملها كأساس لدعواه. وتعتبر رسالته ذات اتجاه فريد من نوعه، فخلفية خدمته كانت إزاء تغييرات مستمرة في الأحوال الدينية والسياسية سواء كانت لوطنه أو للشعوب خارج وطنه التي سبقت سقوط حكم يوشيا، حيث كانت مملكة يهوذا قد سقطت دينياً نتيجة لمروق منسَّى وآمون.

فبعد دعوة إرميا بقليل كان قد اكتُشف سفر الشريعة في الهيكل سنة ٦٢١ ق.م. (٢مل ٢٢ و٢٣)، (إر ١١: ١ - ٨) وما نتج عنه حرارة وتجديد ديني مؤقت في مملكة يهوذا. لكن تقلُّب اعتلاء العرش في أثناء نبوَّة إرميا كان كثيراً، فقد اعتلى العرش في مملكة يهوذا خمسة ملوك مختلفين، بدءاً من تأجج ثورة دينية ذات غيرة تحت حكم الملك يوشيا ثم مالت وانحسرت المملكة تحت مُلك يهوآحاز ويَهُويَاقِيمُ ويهوياكين انتهاءً بالسقوط مملكة يهوذا تحت الأسر أثناء حكم صِدْقِيَّا.

ولم يكن هذا نهاية حدِّ خدمة نبوَّة إرميا، إذ أنه استمر في خدمة نبوَّته تحت حكم جَدَلْيا وأخيراً في مصر حينما حُمل بالقوة بواسطة الشعب بعد مقتل جَدَلْيا.

وعلى المستوى العالمي فقد حدثت عدة أمور تاريخية، فقد كان حكم العالم في هذه المسافة الزمانية يُتبادل بين مصر وأشور وبابل، فلمدة ثلثمائة سنة كانت أشور هي السائدة وقد حطمت فيها مملكة إسرائيل الشمالية سنة ٧٢٢ ق.م، ولكن انحطت بعدها قُوى أشور وحلَّت مكانها مملكة بابل في جنوبها فأصبحت هي موضع الخطر، وكان فيها نابو بلاصر وقد ثار على أشور سنة ٦٢٦ ق.م وأسَّس إمبراطورية بابل الجديدة. وكان هذا بعد دعوة إرميا بسنة واحدة (دعوته سنة ٦٢٧ ق.م)، وقبل سقوط نينوى (عاصمة أشور سنة ٦١٢ ق.م) بأربع عشرة سنة. ونتج عن ذلك اتحاد الماديين والبابليين والسكيثيين ضد أشور. وبعد سقوط نينوى بسبع سنين قامت بابل بقيادة نبوخذنصر بسحق قوة مصر في موقعة كركميش المشهورة (٦٠٥ ق.م)، وعلى مدى سبعين سنة

استمرت سيادتها على كل أرض العهد القديم وتم أسر مملكة يهوذا في سنة ٥٩٧ ق.م كما تنبَّأ إرميا (أصحاح ٢٥). وقُتل آخر ملك مؤمن في يهوذا وهو يوشيا على يد المصريين (٢أي ٣٥: ٢٠ - ٢٧). أمَّا المملكة الشمالية إسرائيل فكانت قد سقطت منذ قرن مضى قبل دعوة إرميا، وكان النبي إرميا قد تنبَّأ على مملكة يهوذا بمثل هذا المصير بسبب عبادة الأوثان وكثرة شرورها، وكانت نبوَّته تُقابَل بحالة تغيير مستمر إلى الأردأ دينياً وسياسياً.

مآخذ النُقَّاد قديماً وحديثاً وتفنيدها:

١ - أول هجوم كان بسبب مَنْ هو الكاتب للسفر لأن السفر يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء، فقالوا إن ثلاثة أقلام كُلاً منها لعب دوراً في كتابة هذا السفر.

٢ - كما أن هجوماً آخر للنقاد اتجه ناحية كتابة النبوَّة، بعضها بالشعر والآخر نثراً، فقالوا الشعر وحده هو نبوَّة إرميا والباقي كتابة دخيلة. كما وجدوا أن الترجمة السبعينية لنبوَّة إرميا باللغة اليونانية مختلفة في ترتيبها عن النسخة العبرية القديمة في الكتاب المقدَّس، ولكن لم يستطع النقاد أن يُبرهنوا على ادعاءاتهم. ويقول العلاَّمة Unger[٢] إن وحدة النبوَّة واضحة جداً ولا تقبل أي نقد ولأن إرميا كتبها على عدة مراحل، وأعاد كتابة نبوَّات الثلاث والعشرين سنة الأُولى بعد أن مزَّقها أحد الملوك الجهلة فأعاد إرميا كتابتها مع إضافات.

ويُلاحَظ في النبوَّات الأخيرة أن إرميا النبي كان يمليها على بَارُوخُ الذي ارتحل مع إرميا لمصر وجمع النبوَّة كلها هناك. والأصحاح (٥٢) غير المتفق عليه استعاره بَارُوخُ من سفر الملوك الثاني (٢٤ و٢٥) وجعله خاتمة للنبوَّة.

أمَّا الفروق بين النسخة العبرانية والنسخة السبعينية فقد حقَّقها العالِم درايفر[٣] ولم يوافق أنها تمثل نسختين مختلفتين ولا أن السبعينية متوافقة مع الموضوع أكثر، فمعظم المحذوف في السبعينية ذو قيمة ثانوية، فهو ألفاظ مكررة. وترجع بعض الفروق اللغوية إلى أن المصطلحات اللاهوتية ليهود الإسكندرية تختلف عن مصطلحات يهود فلسطين، وقد ظهر ذلك بصدور النسخة السبعينية في الإسكندرية.

(2) Cited by H. E. Freeman, *op. cit.*, p. 248.

(3) Ibid.

مختصر الأصحاحات وموضوعاتها

الأصحاح الأول:

دعوة إرميا يسبقها الإعلان عن سابق تكريسه وهو في البطن.

الأصحاحات من (٢ - ٤٥):

وكلها ضد مملكة يهوذا وأورشليم.

١ - الأصحاحات من (٢ - ٣٩):

نبوات قيلت حتى سقوط أورشليم:

(أ) **[٢ - ٢٠]:**

وهي تحوي ستة مواضيع تخص تحطيم مملكة يهوذا والسبي.

الموضوع الأول: (٢: ١ - ٣: ٥): عن ارتداد مملكة يهوذا عن الإيمان.

الموضوع الثاني: (٣: ٦ - ٦: ٣٠): نبوَّة عن الغزو لمملكة يهوذا وخراب أورشليم.

الموضوع الثالث: (٧: ١ــ١٠: ٢٥): شرور مملكة يهوذا وأوثانها وعقوبتها السبي.

الموضوع الرابع: (١١: ١ــ١٣:٢٧): كسر مملكة يهوذا للعهد والتنبؤ على جزائها بالكلمة والآية.

الموضوع الخامس: (١٤: ١ــ١٧:٢٧): تشفُّع إرميا بلا نتيجة بسبب القحط ونصيب مملكة يهوذا.

الموضوع السادس: (١٨: ١ــ٢٠:١٨): السبي القادم في رمز علامة الفخاري، والقِدْر المكسور.

(ب) **[٢١ - ٢٩]:**

نبوَّات ضد الملوك والأنبياء الكذبة والشعب بسبب قرب السبي:

الموضوع الأول: (٢١: ١ - ١٤): صِدْقِيَّا وأورشليم سيُسلَّم ليد بابل.

الموضوع الثاني: (٢٢: ١ــ٢٣: ٨): تحذيرات ضد الملوك الأشرار في يهوذا.

الموضوع الثالث: (٢٣: ٩ - ٤٠): جحد الأنبياء الكذبة.

الموضوع الرابع: (٢٤: ١ - ١٠): منظر سلتين من التين تمثلان حظوظ صنفين من الناس.

الموضوع الخامس: (٢٥: ١ــ ٣٨): نبوَّة سبي السبعين سنة ودينونة الشعب.

الموضوع السادس: (٢٦: ١ - ٢٤): عظة في الهيكل والقبض على إرميا.

الموضوع السابع: (٢٧: ١ــ٢٨: عمل رمزي يعمله النبي يمثِّل نير بابل.

١٧):

الموضوع الثامن: (٢٩: ١ - ٣٢): خطاب إرميا للمسبيين.

ج) [٣٠ - ٣٣]:

نبوّة على المستقبل وعودة إسرائيل ومملكة يهوذا وحكم المسيّا.

الموضوع الأول: (٣٠: ١ـ٣١: ٤٠): الوعد بعودة إسرائيل ومملكة يهوذا بعهد جديد (المسيح).

الموضوع الثاني: (٣٢: ١ - ٤٤): استعادة أرض الموعد وتوصيف اليهود الراجعين بعمل رمزي

الموضوع الثالث: (٣٣: ١ - ٢٦): استعادة أورشليم والمملكة

د) [٣٤ - ٣٦]:

نبوّات ضد صِدْقِيَّا ويَهُويَاقِيمُ وسكان يهوذا.

الموضوع الأول: (٣٤: ١ - ٢٢): كسر الملك صِدْقِيَّا الإيمان.

الموضوع الثاني: (٣٥: ١ـ١٩): توبيخ مملكة يهوذا بمثل الركابيين.

الموضوع الثالث: (٣٦: ١ - ٣٢): نبوّة ضد يَهُويَاقِيمُ لمقاومته إرميا.

هـ) [٣٧ - ٣٩]:

تجارب إرميا أثناء الحصار وخراب أورشليم.

الموضوع الأول: (٣٧: ١ـ٣٨: ٢٨): أقوال إرميا وسجنه أثناء حصار أورشليم.

الموضوع الثاني: (٣٩: ١ـ١٨): سقوط أورشليم.

٢ - الأصحاحات من (٤٠ - ٤٥):

تاريخ ونبوات بعد سقوط أورشليم.

الموضوع الأول: (٤٠: ١ـ٤٣: ٧): نبوّات وحوادث تحت حكم جَدَلْيَا.

الموضوع الثاني: (٤٣: ٨ـ٤٤: ٣٠): خدمة إرميا في مصر.

الموضوع الثالث: (٤٥: ١ - ٥): كلمة يهوه لبَارُوخ.

الأصحاحات من (٤٦ - ٥١):

نبوّات ضد الأُمم الأخرى.

الموضوع الأول: (٤٦: ١ - ٢٨): ضد مصر.

الموضوع الثاني: (٤٧: ١ - ٧): ضد فلسطين.

الموضوع الثالث: (٤٨: ١ - ٤٧): ضد موآب.

الموضوع الرابع: (٤٩: ١ - ٦): ضد بني عمون.

الموضوع الخامس: (٤٩: ٧ - ٢٢): ضد أدوم.

الموضوع السادس: (٤٩: ٢٣ - ٢٧): ضد دمشق.

الموضوع السابع: (٤٩: ٢٨ - ٣٣): ضد قيدار ومملكة حاصور.

الموضوع الثامن: (٤٩: ٣٤ - ٣٩) ضد عيلام.

الموضوع التاسع: (٥٠: ١ـ٥١: ٦٤): ضد بابل.

الأصحاح الثاني والخمسون:

ملحق تاريخي.

الآيات المنتخبة من نبوّة إرميا في حديث الكنيسة اللاهوتي:

(١: ٤ و٥) «فكانت كلمة الرب إليَّ قائلاً: قبلما صوَّرتُك في البطن عرفتُك وقبلما خرجتَ من الرحم قدَّستُك. جعلتك نبياً للشعوب».

(١: ٧ - ١٠) «فقال الرب لي: لا تقل إني ولد لأنك إلى كل مَن أُرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمُرك به. لا تخفْ من وجوههم لأني أنا معك لأنقذك يقول الرب. ومدَّ الرب يده ولَمَس فمي، وقال الرب لي: ها قد جعلتُ كلامي في فمك. انظر. قد وكَّلتُك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس».

(١: ١٢) «لأني أنا ساهر على كلمتي لأُجريها».

(٢: ١ - ٣) «وصارت إليّ كلمة الرب قائلاً: اذهب وناد في أذنيّ أورشليم قائلاً: هكذا قال الرب قد ذكرت لكِ غيرة صباك، محبة خِطْبتك، ذهابكِ ورائي في البرية في أرض غير مزروعة. إسرائيل قُدْسٌ للرب أوائل غلّته. كل آكليه يأثمون. شر يأتي عليهم يقول الرب».

(٢: ١٢ و١٣) «ابهتي أيتها السماوات من هذا واقشعرّي وتحيري جداً يقول الرب. لأن شعبي عمل شرّين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشققة لا تضبط ماءً».

(٢: ٢٧) «قائلين للعود أنت أبي وللحجر أنت ولدتني. لأنهم حوّلوا نحوي القفا لا الوجه وفي وقت بَليّتهم يقولون قُمْ وخلّصنا».

(٥: ١) «طوفوا في شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا وفتشوا في ساحاتها، هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالبٌ الحقّ فأصفح عنها».

(٦: ١٦) «هكذا قال الرب: قِفُوا على الطرق وانظروا، واسألوا عن السُبُل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم. ولكنهم قالوا لا نسير فيه».

(٧: ١١) «هل صار هذا البيت الذي دُعي باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم؟ هأنذا أيضاً قد رأيتُ، يقول الرب».

(٨: ٢٢) «أليس بَلَسَانٌ في جلعاد أم ليس هناك طبيب؟ فلماذا لم تُعصَب بنت شعبي؟».

(٩: ١ و٢) «يا ليت رأسي ماءٌ وعينيّ ينبوع دموع فأبكي نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبي. يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين فأترك شعبي وأنطلق من عندهم لأنهم جميعاً زناة جماعة خائنين».

(١١: ١٩) «وأنا كخروف داجن يُساق إلى الذبح ولم أعلم أنهم فكّروا عليّ أفكاراً قائلين: لنُهلك الشجرة بثمرها ونقطعه من أرض الأحياء فلا يُذكر بعد اسمه».

(١٢: ٥) «إن جَرَيتَ مع المشاة فأتعبوك فكيف تُباري الخيل. وإن كنت منبطحاً في أرض السلام فكيف تعمل في كبرياء الأردن».

(١٣: ٢٣) «هل يُغيّر الكوشي جلده أو النمر رُقَطَهُ».

(١٤: ٧ - ٩) «وإن تكن آثامنا تشهد علينا يا رب فاعمل لأجل اسمك... لماذا تكون كغريب في الأرض وكمسافر يميل ليبيت. لماذا تكون كإنسان قد تحيّر كجبار لا يستطيع أن يخلّص. وأنت في وسطنا يا رب وقد دُعينا باسمك. لا تتركنا».

(١٥: ١٦) «وُجِد كلامك فأكلتهُ فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي لأني دُعيت باسمك يا رب إله الجنود».

(١٥: ٢٠ و٢١) «وأجعلكَ لهذا الشعب سور نحاس حصيناً فيحاربونك ولا يقدرون عليك، لأني معك لأُخلّصك وأنقذكَ يقول الرب. فأُنقذكَ من يد الأشرار وأفديك من كفّ العتاة».

(١٧: ٥) «ملعونٌ الرجل الذي يتّكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه».

(١٧: ٩) «القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس مَن يعرفه».

(٢٢: ١٩) «يُدفن دَفْنَ حمار مسحوباً ومطروحاً بعيداً عن أبواب أورشليم».

(٢٣: ٣) «وأنا أجمع بقية غنمي من جميع الأراضي التي طردتُها إليها وأردُّها إلى مرابضها فتثمر وتكثر».

(٢٣: ٥ و٦) «ها أيام تأتي يقول الرب وأُقيم لداود غُصن برٍّ فيملك ملك، وينجح، ويُجري حقاً وعدلاً في الأرض. في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً وهذا هو اسمه الذي يدعونه به: الربُّ برُّنا».

(٢٣: ٢٩) «أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب وكمطرقة تحطّم الصخر».

(٣٢: ٣٣) «وقد حوّلوا لي القفا لا الوجه».

(٤٩: ١١) «اترك أيتامك أنا أحييهم، وأراملك عليّ ليتوكلن».

٣ ـ حزقيال النبي

ومعنى اسمه "الله يُقوِّي". وهو مثل إرميا وزكريا من أصل كهنوتي، وأبوه هو بوزي. ولا يعطينا الكتاب أكثر من اسمه – وقد سيق إلى السبي سنة ٥٩٧ ق.م. وذلك قبل إحدى عشرة سنة من سقوط أورشليم وذلك مع الملك يهوياكين وكثير من وجهاء الشعب والكهنة وطبقات الشعب الراقية:

+ «وسَبَى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس، عشرة آلاف مسبي وجميع الصناع والأقيان. لم يبق أحد إلاَّ مساكين شعب الأرض. وسبى يهوياكين إلى بابل وأم الملك ونساء الملك وخصيانه وأقوياء الأرض سباهم من أورشليم إلى بابل. وجميع أصحاب البأس سبعة آلاف والصناع والأقيان ألف وجميع الأبطال أهل الحرب سباهم ملك بابل إلى بابل. وملَّك ملك بابل مَتَّنِيَّا عمه عوضا عنه وغيَّر اسمه إلى صِدْقِيَّا» (٢مل ٢٤: ١٤ – ١٧)

وكذلك ورد في سفر إرميا النبي:

+ «هذا كلام الرسالة التي أرسلها إرميا النبي من أورشليم إلى بقية شيوخ السبي وإلى الكهنة والأنبياء وإلى كل الشعب الذين سباهم نُبوخَذْنَاصَّر من أورشليم إلى بابل. بعد خروج يَكُنْيَا الملك والملكة والخِصْيان ورؤساء يهوذا وأورشليم و النجارين والحدادين من أُورشليم.» (إر ٢٩: ١ و٢)

وإن كان إرميا يمتُّ بصلة إلى إيثامار، ولكن حزقيال يمتُّ إلى صادوق آخذاً ميراثه من خط ألعازار بن هارون، وكان من الكهنة الأرستقراطيين. وبينما سُمح لإرميا أن يبقى في الأرض بعد ذهاب السبي والعائلة المالكة سنة ٥٩٧، ولكن حزقيال عاش في بابل بين جماعة من المسبيين اليهود في مكان يعرف بتل أبيب بجوار نهر خابور أو خيبار:

+ «كان في السنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر وأنا بين المسبيين عند نهر خابور أن السماوات انفتحت فرأيت رؤى الله.» (حز ١: ١)
+ «فجئت إلى المسبيين عند تل أبيب الساكنين عند نهر خابور.» (حز ٣: ١٥)
+ «وكان في السنة السادسة في الشهر السادس في الخامس من الشهر وأنا جالس في بيتي ومشايخ يهوذا جالسين أمامي أن يد السيد الرب وقعت عليَّ هناك.» (حز ٨: ١)

وقد كان حزقيال النبي متزوجاً: «فكلَّمتُ الشعب صباحاً وماتت زوجتي مساءً» (حز ٢٤: ١٨).

وكان يعيش في المنفى في بيته على نهر خابور. وكان شيوخ اليهود يأتون إليه للمشورة والتعليم، وهي صورة للمجمع اليهودي. وقد بدأت المجامع بعد خراب الهيكل وتوقُّف الذبيحة والعبادة الخاصة بها. وكان يتردَّد عليه شيوخ يهوذا وإسرائيل باعتبار أن المكان شبه مجمع (٨: ١، ١٤: ١، ٢٠: ١، ٣٣: ٣٠ – ٣٣). وقد تقبَّل دعوته برؤية إلهية مهيبة وهو في سن الثلاثين في السنة الخامسة من سبيه أي سنة ٥٩٣ ق.م.

وقد استمرت خدمة نبوَّته على الأقل ٢٢ سنة من سنة ٥٩٣ – ٥٧١ ق.م، وآخر نبوَّة له مؤرَّخة بعد ٢٧ سنة من سَبْيه (٢٩: ١٧). وهو مثل معاصره دانيال النبي، فإن خدمته كانت في بابل، أما دانيال فكان في القصر الملكي، وأما حزقيال فكان وسط الشعب حيث أَمْضَى حياته كلها. ومع أنه لم يترك مكان سبيه، ولكنه بخبرة فريدة زار أورشليم قبل سقوطها سنة ٥٨٦ ق.م؛ ثم بعد سنة وشهرين من دعوته أي (٥٩٢ ق.م)، رُفع بالروح وانتقل بالروح إلى أورشليم حيث رأى الرجاسات وأصنام المدينة (الأصحاح الثامن)، ودينونة الساكنين في المدينة (الأصحاح ٩ و١٠) وزوال المجد، ثم عاد بالرؤيا بالروح إلى أرض الكلدانيين (١١: ٢٤ و٢٥). وهذه الخبرة الروحية الفائقة تكرَّرت في السنة الخامسة والعشرين لسَبْيه حينما ارتفع أيضاً وذهب إلى إسرائيل (٤٠: ١ و٢) حينما أُعطي استعلاناً يخص المستقبل بخصوص الهيكل والعبادة عند عودة إسرائيل في الألف سنة.

ولحزقيال النبي اتجاهان، فهو كاهن ونبي، وهذان الاتجاهان منسوجان معاً ليعطيا ملامح نبوَّة حزقيال.

فالاتجاه الكهنوتي يظهر في إحساسه بالقداسة (٤: ١٤)، (٢٢: ٢٦) ودرايته بمعرفة الذبائح وأنواع التقدمات (٤٢: ١٣)، (٤٣: ٢٧)، (٤٤: ٢٩ – ٣١)، (٤٥: ١٧)، (٤٦: ٢٠)، والعشور (٤٤: ٣٠)، وتعرُّضه للكهنوت والهيكل والعبادة (٤٤ – ٤٨). فخلفية حزقيال الكهنوتية كزكريا النبي، كانت قد أعدَّته للرؤى التي أخذها فيما يخص عودة المستقبل للهيكل والعبادة الشعبية في الألف سنة. وهو يضغط أكثر من بقية الأنبياء – مع زكريا – على أهمية الصلوات الدينية والأعياد (زك ٧ و٨ و١٤: ١٦ – ١٩) والهيكل الجديد (زك ١ – ٦) والحاجة إلى القداسة (زك ٣ و٥ و١٣: ١ و ١٤: ٢٠ و٢١).

وعندما يصوِّر حزقيال الهيكل الجديد ودقائق مُكوِّناته وناموسه كذبائح وأعياد يحدِّدها والكهنة الصدوقيين يخدمون بمساعدة اللاويين، ويصوِّر الكل كمدينة مقدَّسة بهيكلها، يضع كل اعتباره في التحديد الروحي للشعب وقداسة المملكة (١١: ١٩ و٢٠، ٣٦: ٢٤ – ٢٩، ٤٤: ١ إلخ).

لكن حزقيال نبي أولاً، فالله القدوس يهتم بكل دقائق المملكة روحياً وبالعيوب الأخلاقية، والنبي باسم الله القدوس يُطلق أحكامه. فيهوه هو الله قدوس إسرائيل وهو سيعاقب على أي خطية ويطهر كل نجاسة من أرضه المقدسة: «فالنفس التي تخطئ هي تموت» (١٨: ٤).

كل هذا التدقيق جعل العالِم ولهوزن يخطئ ويقول إن حزقيال هنا هو أبو النزعة اليهودية المتطرفة في التمسك بالناموس (كالفريسيين فيما بعد). والعلماء المنصفون يقولون إن حزقيال لا يؤاخذ على شدة تدقيقاته في أمور الناموس والعبادة فهو من سلالة الكهنة الصدوقيين، ومن كثرة قراءته في ناموس موسى أصبحت لغته وتصوراته كلها ناموسية. هذا وكونه نبياً لله العلي وتحت السبي بسبب خطايا الشعب جعله يشتاق إلى أجواء وتصورات القداسة.

طبيعة سفر حزقيال

ينقسم إلى ثلاثة أقسام تتعامل مع المواضيع الثلاثة الآتية:

١ - إعلان سقوط أورشليم: الأصحاحات (١ــ٢٤).

٢ - نبوّات ضد الأُمم الغريبة: الأصحاحات (٢٥ــ٣٢).

٣ - نبوّات عن مستقبل إسرائيل واستعادتها لكيانها: الأصحاحات (٣٣ــ٤٨).

وتتميّز نبوّة حزقيال بتنسيق السفر بنظام منطقي في خطة جدّ منسّقة. وبالأكثر فإن حزقيال يؤرِّخ لنبوّاته بعناية مع تجاوزات قليلة ويرتبها على المستوى التاريخي، وهي مؤرَّخة بالنسبة للسنين التي عاشها يهوياكين في السبي وهي التي شملتها نبوّاته.

وحزقيال هو نبي السبي، حُمل إلى بابل سنة ٥٩٧ ق.م في وقت سبي الملك يهوياكين، في حين أن إرميا النبي المعاصر له ظلّ يعظ عن سقوط أورشليم العظيم من داخل المدينة، أمّا حزقيال فكان يؤرِّخ لحظّها ونصيبها وهو في بابل (١ــ٢٤).

ومن وجهة نظر لاهوتية فإن نبوّته تقع في حقبتين: **الأولى** من سنة ٥٩٣ - ٥٨٦ ق.م أي حتى سقوط أورشليم، وتتكوّن نبوّته مبدئياً في المناداة ضد مملكة يهوذا. أمّا **الحقبة الثانية** من سنة ٥٨٦ - ٥٧١ ق.م بعد خراب أورشليم والهيكل فكانت خدمة حزقيال بالأساس للتعزية والتنبُّؤ بالعودة للأمة بهيكلها وعبادتها.

وسوف يُصدم القارئ المتحفِّظ باستخدام اللغة القبيحة الفاحشة في أحط معانيها وصورها في

مخاطبة أهل إسرائيل وذلك تمثيلاً للشعب ومجازاً يعبِّر به عن أعمال الشعب مع تمثيلات شائنة لخيانته. ولكن صبراً قليلاً فإن إسرائيل معروف أن الله صار عريسها الأوحد أي رجلها بمعنى الكلمة، مسئولاً عن الأكل والشرب والزراعة والحصاد وحماية البلاد من الأعداء، إن كانت جيوش أمم أو وحوشاً أو أوبئة فتّاكة، فكان أشد قُرباً وحدباً لإسرائيل من الزوج للزوجة والأولاد، بل نقول كان عريس إسرائيل الذي تفتخر به وتتعظَّم به. وقد وهبهم هبات جسدية وروحية استطاعوا بها أن يهزموا كل أعدائهم.

فأصبحت خيانة العريس محسوبة في لغة التوراة أنها زنى، ولكن زنىً قبيحاً نجساً فاحشاً، فالزنى يكون له سبب ما إلاَّ زنى إسرائيل من وراء عريسها، فهو زنىً بلا أي سبب، كونها متمرِّدة وفاحشة وأقبح من القباحة. فالله يعاملها ويخاطبها كامرأة خانته وأغاظته وعبدت ضد الله كل العبادات التي يدخل فيها الزنى والنجاسة. فعلى القارئ أن يعبر على كل الأوصاف في نبوّة حزقيال بالأسى والحزن لأن ثمن الزنى وترك الله كان مرعباً بكل رعب، فكل مصيبة في الدنيا حاقت بهم وكل انتقام مريع نزل بهم، والرب قد سدَّ أذنيه وأغمض عينيه عن صراخهم فصاروا بلا سند. أربعة وعشرون أصحاحاً يفتتح بهم حزقيال نبوّته عليهم فيها كل وساخة الزنا وفحشاء الإنسان، هذا من جهة الإنسان، وكل غضب وعقاب بكل أنواع العذابات المعروفة من جهة الله. وتبتدئ هذه الأصحاحات كما تنتهي بلا أي بارقة رحمة إلاَّ بالوعد البعيد البعيد. بأن بقية ستبقى منهم بعد أن يرذلهم ويفرِّقهم على كل الأُمم آلاف السنين، حتى يفنى من قلبها ما تعلَّمته وما صنعته.

والذي نخرج به من هذه الأصحاحات أيها القارئ العزيز أن الله صعب، صعب ومريع جداً، وويل وويل لمن يستهين بلطفه وطول أناته. هذا نقوله لأنفسنا التي عاشت في دلال المسيح، ولكن الذي لم يشفق على ابنه وجعله يقبل الإهانة والضرب والتعذيب والتشهير والفضيحة والصليب وتقطيع الجسد بالمسامير، ويتركه معلَّقاً في الهواء حتى يلفظ أنفاسه ليرفعنا من حالة كحالة إسرائيل التي خانته نحن الأُمم، هذا أمر مرعب ويحتاج إلى وقفة تأمل لنقرِّر نوع الحياة التي سنحياها تحت اسمه وتحت كرامته وتحت وصاياه.

واذكر أيها القارئ للإنجيل أن سبي إسرائيل والمرار الذي عاشته تحت غضب الله هو سَبْيُنا نحن، فهو تاريخ تهذيب الشعوب والأمم والأفراد حتى يليقوا لحياة المحبة والأمانة الدقيقة مع الله. فقسوة الله لا تعيش جنباً إلى جنب مع لطفه وإحسانه ومحبته الكثيرة. فعليك أن تختار: تحت أيهما تعيش.

تفتكر أن الحياة مع الله شهوراً أو سنين، فالحياة في الله ومع الله بطول الزمان وما بعد الزمان حسب قول صاحب المزمور: أين أهرب من وجهك يا رب. بهذا أصبح اختيارنا حتمياً للخضوع والطاعة والتعبُّد الصادق، بعيداً عن الغش وميل النظر والأذن إلى الناس وما يستحبه الناس، وتحوّل العبادة إلى مجرد استعراض مفضوح من أجل مديح الناس الذي هو هو الزنى. فعليك أن تقرأ نبوَّة حزقيال بتأمل ودموع حتى يجف منك ينبوع الزنى.

ولكن كان غرض حزقيال من خلال كل نبوَّته هو أن يوضِّح الخطايا التي اقترفتها الأمة وأنها هي أساس العقوبة، ويعطي أملاً وقوة للباقين من أجل مستقبلهم وبركات قادمة (١٤: ٢١ - ٢٣).

وقد وُهب لحزقيال سبعة رؤى نبويَّة تخص الله وخططه في المستقبل (١: ٣، ٣: ١٤ و٢٢، ٨: ١، ٣٣: ٢٢، ٣٧: ١، ٤٠: ١) تتميَّز بالعبارة: «وكانت عليَّ يد الرب».

ونبوَّة حزقيال لها أسلوب ذات خواص عديدة: الرمز، والاستعارة والتشبيه من داخل تشبيه بكل دقائق أوصافه. وحزقيال يصف تحطيم الأُمم تحت رمز صور حيوانات، أمَّا أورشليم والسامرة فتوصف بالزنى باستمرار، وأن بيت يعقوب هو عرين أسد (١٩: ١ - ٩)، أو كرمة (١٩: ١٠)، (١٧: ٦) أو أرز (١٧: ٣). ونبوخذنصر يُشبَّه بنسر كبير ومعه مصر نسر آخر (١٧: ٣ و٧) وصور مركب مهيَّئة للغرق (٢٧ كله) ومصر تمساح في نهر (٢٩: ٣، ٣٢: ٢).

وتمتاز نبوَّة حزقيال باستخدام الأسئلة مثل: «يا ابن آدم هل رأيتَ ما هُم عاملون؟» (حز ٨: ٦)، واستخدام الأمثلة مثل: «الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست» (١٨: ٢)، «مثلُ الأُم بنتها» (١٦: ٤٤) والتشبيه والاستعارة تُستخدم فيما هو آت وفيما هو مضى. فإسرائيل هي مثل اللبوة التي تريد صيداً، والأَرْز الذي سيتحطَّم، والكَرْم الذي سيخرب (١٩: ١٠، ١٥: ٦، ١٧: ٦)

والسؤال الذي يلح على القارئ: لماذا يلجأ حزقيال إلى الرمز والتشبيه المغطَّى بدلاً من إظهار الحقيقة؟ ولكن حزقيال يتشبَّه بالمسيح الذي التجأ إلى الأمثال ليخفي الحقيقة عن العامة، فلمَّا سأله التلاميذ عن هذا قال لهم إن أسرار الملكوت قد أُعطيت لهم، أمَّا للباقين فبالأمثال حتى يسمعوا ولا يأتوا فأشفيهم (مت ١٣: ١ - ١٥).

وحزقيال عاش حياة رمزية تمثيلية لإظهار الحقيقة جداً: مثل الأكل على الوسخ، ونقب الحائط والفرار والجلوس على جنب واحد أياماً كثيرة لكي يُظهر ضيق السبي وهكذا. وبعد المثل يعود

ليشرح الموضوع. أمَّا استخدام حزقيال التشبيه والرمز فمثل القديس بولس في هاجر وسارة فهو يوضِّح حقيقة عميقة في شكل سهل رمزي، الأمر الذي استخدمه المسيح في الكرمة والأغصان.

تواريخ النبوَّة:

ابتدأ حزقيال كما ذكر في أول كتابه سنة ٥٩٣ ق.م. وقد شحن نبوَّته بالتواريخ والشواهد بصورة لم يألها نبي إذا استثنينا حَجّي وزكريا.

وقد حُمل عنوة إلى السبي في بابل مع المسبيين سنة ٥٩٧ ق.م. وقد بدأ دعوته في السنة الخامسة لبدء السبي للملك يهوياكين الذي جعل حزقيال حياته في السبي مقياساً يقيس عليه تواريخه في (١: ١-٣). واستمر في خدمته إلى اثنتين وعشرين سنة منذ بدء إعلانها، وآخرها كان سنة ٥٧١ ق.م وهي السنة السابعة والعشرون لسَبْيه هو، وبين هذين التاريخين ٥٩٣ - ٥٧١ ق.م. أورد حزقيال ما لا يقل عن أربعة عشر تاريخاً وبيَّنه حتى اليوم والشهر.

والتقسيم حسب التسجيل التاريخي للنبوَّة يتمشَّى مع الثلاثة أجزاء في الكتاب:

١ - **الأصحاحات (١-٢٤)**: دينونة مرة وتشهير وفضيحة وتخريب أورشليم من سنة ٥٩٣ - ٥٨٨ ق.م.

٢ - **الأصحاحات (٢٥-٣٢)**: نبوَّات ضد الأُمم الغريبة وزمانها من سنة ٥٨٧-٥٨٥ ق.م مع استثناء (٢٩: ١٧-٢١) لأنها آخر نبوَّة ذُكرت في الكتاب سنة ٥٧١ ق.م. التي حدثت بعد ست عشرة سنة من التاريخ الموجود في (٢٩: ١) وهي نبوَّة ضد مصر.

٣ - **الأصحاحات (٣٣-٤٨)**: وهي عن مستقبل عودة إسرائيل وهي مؤرَّخة بين ٥٨٥-٥٧٣ ق.م من (٤٠: ١).

والأربع عشرة حادثة المؤرَّخة في سفر حزقيال هي كالآتي:

١ - (١: ١)	٢ - (١: ٢)	٣ - (٨: ١)	٤ - (٢٠: ١)
٥ - (٢٤: ١)	٦ - (٢٦: ١)	٧ - (٢٩: ١)	٨ - (٢٩: ١٧)
٩ - (٣٠: ٢٠)	١٠ - (٣١: ١)	١١ - (٣٢: ١)	١٢ - (٣٢: ١٧)
١٣ - (٣٣: ٢١)	١٤ - (٤٠: ١)		

ملاحظة: حينما يقول حزقيال في أول نبوّته إنها ابتدأت بأول رؤيا في السنة الثلاثين فقد احتار العلماء في معناها ولكن الآباء قالوا إنها عمره في بدء دعوته حسب نظام اليهود(١).

الخلفية التاريخية لنبوّة حزقيال:

حينما بدأ بدعوته سنة ٥٩٣ ق.م كانت المملكة الشمالية إسرائيل قد سُبيت وتحطّمت منذ مائة وثلاثين سنة. وكان نصيب مملكة يهوذا أيضاً وشيك الوقوع.

وبموت يوشيا سنة ٦٠٩ ق.م عند مجدّو خلفه ملوك ضد يهوه أسرعوا بسقوط الأمة روحياً ثم إلى الخراب.

وبعد سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق.م وانهزام مصر في موقعة كَرْكَميشَ سنة ٦٠٥ ق.م وفي نفس السنة قام نبوخذنصر وحمل معه قسماً من شعب السبي وكانوا نبلاء البلاد ومن بينهم كان دانيال. وقد سجَّل ذلك دانيال (دا ١: ١ - ٣ و٦)، (٢مل ٢٤: ١)، (٢أي ٣٦: ٦) وابتداءً من هذا التاريخ ٦٠٥ ق.م ابتدأ سبي بابل.

ويهوياقيم الذي كان ملكاً على اليهودية في ذلك الوقت تجاهل إرميا وتحذيراته بضرورة الخضوع لبابل بهدوء. وبعد ثلاث سنوات من الخضوع لبابل قام يهوياقيم بثورة سنة ٦٠٢ ق.م (٢مل ٢٤: ١)، فأرسل الله له مَنْ أحاطوه: كلدانيين وسوريين وموآبيين وعمونيين الذين اجتاحوا اليهودية. ومات يهوياقيم قبل وصول نبوخذنصر وخلفه ابنه يهوياكين واستسلم بعد ثلاثة أشهر (٢مل ٢٤: ٨). وفي سنة ٥٩٧ ق.م اجتاح نبوخذنصر الهيكل وحمل يهوياكين إلى بابل مع كل الأمراء وكل الأبطال والأقوياء حوالي عشرة آلاف مسبي وفيهم حزقيال الكاهن (٢مل ٢٤: ١٣ و١٤)، (حز ١: ١ - ٣).

وقد أقيم صِدْقِيَّا ابن يوشيا من سنة ٥٩٧ إلى ٥٨٦ ق.م وهو عم يهوياكين، على عرش اليهودية كعميل لنبوخذنصر. وفي السنة الخامسة لحكمه تقبَّل حزقيال دعوته في بابل لخدمة النبوّة.

أمّا صِدْقِيَّا الملك فحكم إحدى عشرة سنة، وهو ضعيف ومتردد يتبع خطوات الأشرار. وفي السنة التاسعة من حكمه ثار ضد نبوخذنصر، الذي حاصر بدوره أورشليم (حز ٢٤: ١ و٢) وأسقطها وخرَّبها سنة ٥٨٦ ق.م وحمل صِدْقِيَّا وبقية الشعب معه.

(١) H. E. Freeman, *op. cit.*, p. 302.

القضية الأُولى في شرح نبوّة حزقيال

تصوُّر الشيطان في مَلك صور (كما صوَّره حزقيال وإشعياء) [حز ٢٨] ويقابلها تصوُّر الشيطان في مَلك بابل في نبوّة إشعياء [إش ١٤: ٣ - ٢٠]

إن نبوّة حزقيال عن ملك صور هي كناية ورمز عن الشيطان وسقوطه، كذلك نبوّة إشعياء عن ملك بابل هي كناية رمزية عن نفس الشيطان وسقوطه. فلقد تبارى العلماء Robert Jamieson و A. R. Favsset و Lewis Sperry Chafer في شرح ذلك وقد اتفقوا أن الوصف هو على الشيطان. ونحن نضع أقوال إشعياء وحزقيال وغيرهما في العهد الجديد ليظهر أن الكلام هو عن الشيطان. أمّا متى يسقط، فقد أكَّد أحد العلماء وسيأتي ذكره أنه يكون بعد عودة البقية من إسرائيل لترتاح الأرض كلها.

نبوّة إشعياء النبي الموجهّة للشيطان (إش ١٤: ٣ - ٢٠):

+ «ويكون في يوم يريحك الرب من تعبك ومن انزعاجك ومن العبودية القاسية التي استُعبِدْتَ بها، أنك تنطق بهذا الهجو على ملك بابل وتقول: **كيف باد الظالم بادت المغطرسة؟** قد كسر الرب عصا الأشرار قضيب المتسلطين. الضارب الشعوب بسخط، ضربة بلا فتور، المتسلط بغضب على الأمم باضطهاد بلا إمساك. استراحت اطمأنت كل الأرض، هتفوا ترنماً. حتى السَّرو يفرح عليكَ وأرز لبنان قائلاً: منذ اضطجعت لم يصعد علينا قاطعٌ. **الهاوية من أسفل مهتزة لكَ لاستقبال قدومكَ** مُنهضة لكَ الأخيلة جميع عظماء الأرض، أقامت كل ملوك الأمم عن كراسيهم. كلهم يجيبون ويقولون لكَ أأنت أيضا قد ضعفت نظيرنا وصرت مثلنا؟ **أُهبِطَ إلى الهاوية فخرُكَ** رنَّة أعوادك، **تحتكَ تُفرش الرِّمة وغطاؤكَ الدود. كيف سقطتِ من السماء يا زهرة بنت الصبح؟ كيف قُطِعْتَ إلى الأرض يا قاهر الأُمم؟ وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السماوات أرفع كرسيَّ فوق كواكب الله** وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال. **أصعد فوق مرتفعات السحاب، أصير مثل العلي.** لكنكَ انحدرت إلى الهاوية إلى أسافل الجب. الذين يرونك يتطلعون إليك يتأملون فيك: أهذا هو الرجل الذي زلزل الأرض وزعزع الممالك؟ الذي جعل العالم كقفر وهدم مدنه الذي لم يُطلق أسراه إلى بيوتهم. كل ملوك الأمم بأجمعهم اضطجعوا بالكرامة كل واحد في بيته. وأما أنت فقد طُرِحْتَ من قبرك كغصن أشنع كلباس القتلى المضروبين بالسيف الهابطين إلى حجارة الجب

كجثة مدوسة. لا تتحد بهم في القبر لأنك أخربت أرضك قتلت شعبك، لا يُسمى إلى الأبد نسل فاعلي الشر».

تصوُّر الشيطان في ملك صور كما ورد في حزقيال (الأصحاح ٢٨):

المتكلّم هنا هو نبي مفتوح العينين وبلغ إدراكه الروحي أقصى محيط الروح، ولكن المشكلة التي واجهت إشعياء قديماً واجهت حزقيال من بعده. ففجأة انفتحت عيناه على صورة الشيطان ولكن متصوَّراً ملكاً في ملك صور كما في نبوّة حزقيال. أمّا في نبوّة إشعياء فكان متصوَّراً في ملك بابل. فالذي أمامه إنسان؛ ولكن حقيقته الشيطان. فابتدأ حزقيال يصفه ليس مواجهة ولكن في صُوَره البشرية الملكية. فحزقيال يعرف ملك صور ويراه أمامه من جهة أنه ملك البحر فمدينته أكبر مدن ساحل البحر، وأنه ثري خزائنه مملوءة ذهباً وفضةً. ولكن حزقيال رفع عينه فإذا أمامه الشيطان نفسه بتمامه، ففتح الرب بصيرة حزقيال وابتدأ يصف أوصافه العالية التي تَسَربل بها، ولكن أصبحت ليس له: «خاتم الكمال، ملآن حكمة وكامل الجمال» (١٢)، «لأجل بهائك» (١٧) فالشكل أمام النبي حزقيال شكل ملك بهي، ولكن يحوطه من كل جهة الشيطان نفسه، ولكن عين النبي كانت تسمع ما يقوله له الله يوم خَلَقه رئيسَ ملائكة أبهى جمالاً وكمالاً من أي خليقة أخرى روحانية. فابتدأ حزقيال يهجوه من واقع خلقته الأُولى ومن خلف شخصية ملك صور فقال:

+ «وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم قُل لرئيس صور: هكذا قال السيد الرب من أجل أنه قد ارتفع قلبك وقلت: **أنا إله**، في مجلس الآلهة أجلس في قلب البحار، وأنت إنسان لا إله وإن جعلت قلبك كقلب الآلهة. ها أنت أحكم من دانيال، سرٌّ ما لا يُخفى عليك. وبحكمتك وبفهمك حصلت لنفسك ثروة وحصَّلت الذهب والفضة في خزائنك. بكثرة حكمتك في تجارتك كثَّرت ثروتك فارتفع قلبك بسبب غناك.» (حز ٢٨: ١ - ٥)

هذه تُعتبر مقدِّمة لما قاله الله للشيطان بعد ذلك:

+ «وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم ارفع مرثاة على ملك صور وقُل له: هكذا قال السيد الرب: **أنت خاتم الكمال ملآن حكمة وكامل الجمال. كنت في عدن جنة الله.** كل حجر كريم ستارتك (غطاءك) عقيق أحمر وياقوت أصفر وعقيق أبيض وزبرجد وجزع ويشب وياقوت أزرق وبهرمان وزمرد وذهب، أنشأوا فيك صنعة صيغة الفصوص وترصيعها يوم خُلِقتَ. **أنت الكروب المنبسط المظلل وأقمتك على جبل الله المقدَّس كنت. بين حجارة النار** تمشيت. **أنت كامل في طرقك من يوم خُلقت حتى وُجِدَ فيك إثمٌ.** بكثرة تجارتك

ملأوا جوفك ظلماً فأخطأت، **فأطرحك من جبل الله وأبيدك أيها الكروب المظلل من بين حجارة النار. قد ارتفع قلبك لبهجتك، أفسدت حكمتك لأجل بهائك، سأطرحك إلى الأرض وأجعلك أمام الملوك لينظروا إليك. قد نجَّست مقادسك بكثرة آثامك** بظلم تجارتك فأُخرِج ناراً من وسطك فتأكلك وأصيرك رماداً على الأرض أمام عيني كل من يراك. فيتحير منك جميع الذين يعرفونك بين الشعوب وتكون أهوالاً **ولا توجد بعد إلى الأبد.**» (حز ٢٨: ١١ - ١٩)

هذا الكلام يخرج خارج حدود تاريخ ملك إلى مواجهة قوية خطيرة صادقة متشفية من فم الله عن طريق النبي حزقيال، مواجهة شيطان متربِّص متقمص ملك صور، وهو وصف أصيل للشيطان غير الساقط بعد - كوصف الله للشيطان في نبوّة إشعياء فإن الله يتمادى ويصف رعبة سقوطه في المستقبل وكيف سيبيده الله، وفي حزقيال يقول «إلى الأبد»!

أمّا لماذا هاتان النبوّتان اللتان يخاطب فيهما النبيّان ملك صور وملك بابل التاريخيين مع أنهما موجَّهتان إلى الشيطان بوضوح، هذا لأنه:

أولاً: كانت أخلاق وسلوك هذين الملكين نفس أخلاق الشر وسلوك الشيطان.

ثانياً: إن الشيطان قد ملأ نفسه وقوة شرِّه في هذين الملكين ومن خلالهما على الشعوب الوثنية التي تجحد الله.

ثالثاً: كان هذان الملكان يتعظَّمان ويعطيان لنفسهما الكرامة التي لله وحده.

أمّا بقية المواضع التي فيها مخاطبة غير مباشرة للشيطان في صورة شخص آخر مثل ملك بابل وملك صور فقد وردت هكذا:

+ «فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه.» (تك ٣: ١٤ و١٥)
+ «فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس.» (مت ١٦: ٢٣)
+ «فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة.» (يو ١٣: ٢٧)

وهكذا في حالة نبوَّة إشعياء وحزقيال كان الخطاب لشخص آخر غير ذات الشخص المقصود.

وفي سفر الرؤيا نسمع هذه الأوصاف:

+ «وحدثت حرب في السماء، ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته. ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطُرِح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته» (رؤ ١٢: ٧ - ٩)

+ «وإبليس الذي كان يُضلُّهم طُرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين.» (رؤ ٢٠: ١٠)

أمَّا متى يسقط الشيطان:

فقد حدَّده إشعياء في بداية نبوَّته عن ملك بابل في الأصحاح الرابع عشر، وتحديد زمن سقوط الشيطان هو عودة بقية إسرائيل من سبي الشتات وبداية عزاء الله لهم: «ويكون في يوم يريحك الرب من تعبك ومن انزعاجك ومن العبودية القاسية التي استُعبدتَ بها. أنك تنطق بهذا الهجو على ملك بابل» (إش ١٤: ٣)، أي على الشيطان الذي سخَّر الملوك ليقوموا بالسبي وتخريب البلاد والحروب وراء الحروب، حيث يقول بعد سقوط الشيطان من السماء إنه يُقطَعُ من الأرض أيضاً. وواضح من نبوَّة إشعياء وحزقيال آخرة الشيطان وحال الأرض بعد ذلك:

+ «فأُخرِج ناراً من وسطك فتأكلك وأُصيِّرك رماداً على الأرض أمام عينيَّ كل مَنْ يراك.» (حز ٢٨: ١٨)

ويكملها إشعياء قائلاً:

+ «استراحت، واطمأنت كل الأرض. هتفوا ترنُّماً.» (إش ١٤: ٧)

ويصدق على ذلك سفر الرؤيا قائلاً:

+ «فطُرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله **طُرح إلى الأرض** وطُرحت معه ملائكته. وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء **الآن صار خلاص إلهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه** لأنه قد طُرح المشتكي على إخوتنا الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً.» (رؤ ١٢: ٩ و١٠)

الشيطان في الهاوية:

+ «فقَبَضَ على التنين الحيَّة القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيَّده ألف سنة وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكي لا يضل الأُمم في ما بعد حتى تتم الألف سنة وبعد ذلك لابد أن

يُحل زماناً يسيراً.» (رؤ ٢٠: ٢ و٣)

إبليس في بحيرة النار لعذاب أبدي:

+ «ثم متى تمَّت الألف السنة يُحَلُّ الشيطان من سجنه. ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج وماجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر. فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم. وإبليس الذي كان يُضلُّهم طُرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب وسيُعذَّبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين.» (رؤ ٢٠: ٧ - ١٠)

كذلك نحن لا نستصغر العلاقة الزمانية بين التعبير عن سقوط الشيطان في كل من إشعياء (١٤) وحزقيال (٢٨) وبين زمان عودة بقية إسرائيل حسب المكتوب:

أولاً: في إشعياء: «**ويكون في يوم يريحك الرب** من تعبك ومن انزعاجك ومن العبودية القاسية التي استُعبدت بها. أنك تنطق بهذا الهجو على ملك بابل (رمز الشيطان) وتقول: كيف باد الظالم؟ ... قد كسر الرب عصا الأشرار قضيب المتسلطين. الضارب الشعوب ... استراحت اطمأنت كل الأرض هتفوا ترنماً ... **الهاوية من أسفل** مهتزة لك لاستقبال قدومك» (إش ١٤: ٣ - ٩)، قارن: «فقَبَضَ على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة، **وطرحه في الهاوية**.» (رؤ ٢٠: ٢ و٣)

ثانياً: في حزقيال: وهنا تأتي النبوَّة على سقوط الشيطان أولاً (حز ٢٨: ١١ - ١٩) وبعد النبوَّة بحوالي أربع آيات فقط يكمِّل حزقيال: «فلا يكون بعد لبيت إسرائيل سُلاَّءٌ مُمَرِّر ولا شوكة مُوجعة من كل الذين حولهم الذين يبغضونهم فيعلمون أني أنا السيد الرب. هكذا قال السيد الرب، عندما أجمع بيت إسرائيل من الشعوب الذين تفرقوا بينهم وأتقدس فيهم أمام عيون الأمم يسكنون في أرضهم التي أعطيتها لعبدي يعقوب. ويسكنون فيها آمنين» (حز ٢٨: ٢٤ - ٢٦).

وهذا قيل إمعاناً من الرب لراحة الراجعين من بقية شعب إسرائيل ودخولهم في عهد سلام.

القضية الثانية في شرح نبوَّة حزقيال

الأصحاحات [٤٠ - ٤٨]

هناك تعارض كبير بين العلماء فيما يخص شرح ما تعبِّر عنه النبوَّة في هذه الأصحاحات:

١ - فمنهم مَنْ قال إنها تعود على الكنيسة، وأصحاب هذا الرأي هم كل الإصلاحيين.

٢ - ومنهم مَنْ يقول إنها رمزية وهي تنتظر ما سيحدث وحينئذ تُستعلن مقاصد هذه النبوَّة.

ونحن نعتقد أن النبوَّة روحانية ولا يمكن تأويلها بحقائق مادية من ذبائح العهد القديم المتنوعة والعبادة الخاصة بها حسب الطقس القديم. ولكن الله لما أراد إقامة نظام الطقس القديم بكل دقائقه وأوصافه قال لموسى انظر المثال الذي سأُريه لك في السماء ونفِّذ أوصافه. فنفَّذ موسى أوصافه بالقدر الذي استوعبه بعقله وليس بروحه لأنه يستحيل أن يرسم الروحيات بأمور مادية، ولكن على قدر ما استوعب عقله المادي رسم وخطَّط وبنى وأعطى الوصايا.

وفي رأينا أن إعادة هذا الطقس بعينه مرَّة أخرى لجماعة العائدين من شعب إسرائيل سيكون بالمفهوم الروحي الذي رآه موسى مصوَّراً بالروح في السماء وليس على المستوى الفعلي أو المادي، لأن عودة بقية شعب إسرائيل - وهو أمر كتابي انتهى التصديق عليه من كل الأنبياء في كل العصور وألمح إليه المسيح نفسه - فعودة بقية إسرائيل ستكون عودة روحانية واعية، وفي هذا الوضع سيستعلن لهم المسيح حقيقة الوضع الروحي لوصايا وطقوس العهد القديم، التي رآها موسى، ليُشبع روحهم المتعلقة بالذبائح والهيكل والعبادة والكهنوت بدرجة هستيرية مميتة لا يمكن أن تخرج من وعيهم إلَّا إذا اطلعوا على حقيقتها الروحية الأُولى التي رآها موسى، فيستوعبوا مفهومها الحقيقي ويتمتَّعوا بحقيقتها أكثر مما استوعب وتحقَّق منها أجيال العهد القديم. لأن هذا يحقِّق وعد الله وأقسامه وبآن واحد يحقِّق ويُشبع روح الشعب اليهودي ووجدانه، الأمر الذي يُحسب أن الله نفسه هو المسئول عن غرز هذه الأحاسيس واستيعابها بتدقيق وتكرار وشدة. وبهذا يُحسب الله أميناً لوعده، صادقاً في عهده، حانياً في أبوَّته.

ويُلاحظ أيضاً أننا نؤكِّد صدق رؤيا حزقيال النبي في جميع أوصافه ودقائق قياساته، فيه تماماً كما رآها موسى في السماء ولكن صوَّرها على الأرض بأشكال تكاد لا تُفهم، لأن تطبيق الروحيات على مستوى عقلي وضعي جسدي أمر يكاد أن يكون فائق على مقدرة أي عقلية أو إمكانية

إنسان، الأمر الذي عبَّر عنه القديس بولس الرسول: أنه سمع كلمات لا يسوغ أن يُتكلَّم بها. ونحن نرى أن الشبه شديد جداً في الأبعاد وفي الوصف والتدقيق بين موسى وبين حزقيال. فإن كان موسى قد حُسب أنه الناموس والتقليد في العهد القديم، فحزقيال هو موسى الجديد دون أن يكون له مجال للعمل.

أمَّا الفائدة التي نستخلصها من نبوَّات حزقيال في الأصحاحات (٤٠ - ٤٨) فهي أمران: صدق ما رآه موسى، وعجز تحقيق السماويات على الأرض. مما جعل الآب يُرسل ابنه متجسِّداً ليكمِّل ما شرَّع به موسى: «ما جئت لأنقض بل لأُكمِّل» (مت ٥: ١٧). الأمر الذي سيجد الكل معناه الصحيح عند الاستعلان الكامل للمسيح في يوم الاستعلان:

+ «فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عُرفتُ.» (١كو ١٣: ١٢)

وفي الختام

يلزم أن لا ينسى القارئ أن النبي حزقيال تنبَّأ لليهود خاصة، سواء في التوبيخ أو فيما بعد الرجوع من سبي بابل بالتوبيخ أيضاً، ولكن بالنسبة للبقية العائدة في آخر الأيام أي في منتهى الدهور والأزمان وهم اليهود المشتَّتون الآن في العالم كله، لهؤلاء يتكلَّم عن الهيكل والعبادة بصورة خاصة، ليست هي بنفسها التي وضعها موسى ولكن الصورة التي رآها موسى في السماء وحاول أن يصنع مثلها. لأن المسيح سيظهر لإسرائيل كمسيَّا الذي انتظروه ليُشبع روحهم فيهم ويكون ملكاً روحياً عليهم حسب آلاف الوعود والنبوَّات، وليس كطقس العهد القديم في شيء.

ووعد المسيح صريح إذ لمَّا سأله التلاميذ عن زمن عودة البقية قال: «ويُسبون إلى جميع الأُمم. وتكون أورشليم مدوسة من الأُمم حتى تكمل أزمنة الأُمم» (لو ٢١: ٢٤). أمَّا بولس الرسول فيشرح هذا الأمر بالتفصيل:

+ «من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم، وأمَّا من جهة الاختيار فهم أحباء من أجل الآباء. لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة. فإنه كما كنتم أنتم مرَّة لا تُطيعون الله ولكن الآن رُحمتم بعصيان هؤلاء، هكذا هؤلاء أيضاً الآن لم يطيعوا لكي يُرحموا هم أيضاً برحمتكم.» (رو ١١: ٢٨ - ٣١)

+ «إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل **إلى أن يدخل ملؤ الأُمم**. وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (رو ١١: ٢٥ و٢٦)

وهنا تفسير كلمة «**إلى أن يدخل ملؤ الأُمم**»، هنا لا يدخلون هيكلاً ولا عبادة يهود، فواضح أن الدخول مقصود به دخول الملكوت وبهذا أصبحت هذه الآية إشارة إلى الزمن بالتقريب أي حينما تُكمِّل الكنيسة رسالتها ليبدأ دخول اليهود - البقية المسبيَّة في الشتات - في الإيمان بالمسيح بطريقتهم الخاصة.

٤ ـ دانيال النبي

الاسم يعني "الله قاضيَّ". وقد حُمل وهو شاب صغير أسيراً إلى بابل في أسر نبوخذناصر سنة ٦٠٥ ق.م. أثناء حكم يهوياقيم (١: ١ - ٧). ويبدو أنه كان من دم ملكي (١: ٣)، من بني يهوذا (١: ٦) من بين زمرة النبلاء. وقد اختير دانيال ليتعلَّم الخط والقراءة بالكلدانية لخدمة الدولة، ونجح دانيال وزملاؤه الثلاثة حننيا وعَزَرْيا وميشائيل، ولكنهم حافظوا على عهد موسى فامتنعوا عن أكل المحرمات وارتضوا بالبُقْل والخُضْر فقط. ولكن بعد عشرة أيام أعادوا اختبارهم فوجدوهم حسان الأجساد والمنظر أكثر من الآخرين إذ كانت بركة يهوه تؤازرهم بالمعرفة والحكمة السماوية ففاقوا الجميع. وفاق دانيال الكل إذ أخذ موهبة حلِّ الألغاز والأحلام والرؤى فذاعت شهرته للآفاق.

وقد أشار النبي حزقيال إلى دانيال من جهة التقوى وشبَّهه بنوح وأيوب (١٤: ١٤ و١٦ و١٨ و٢٠، ٢٨: ٣). وعمل دانيال في حكومة نَبُوخَذْنَاصَّر، وبَيْلْشَاصَّر وداريوس المادي وكورش (١: ٢١). واستمرَّت رؤاه حتى سنة ٥٣٦ ق.م. وحتى نهاية أسر اليهود في بابل. وعاصر فكَّ الأسر بواسطة كورش بعد نهاية سبي السبعين سنة في حكومة الكلدان سنة ٥٣٩ ق.م. (٩: ١ والآيات اللاحقة). ولكن لا يوجد نصوص تاريخية محفوظة لنشاط دانيال النبوي للفترات الوسيطة بين موت نَبُوخَذْنَاصَّر وبَيْلْشَاصَّر.

وعندما عجز حكماء وسحرة الكلدان في حل ألغاز رؤيا بَيْلْشَاصَّر الملك المكتوبة بالحروف على الحائط، تذكروا حكمة دانيال الذي كان قد فسَّر أحلام نَبُوخَذْنَاصَّر، وعندما نجح في فك ألغاز الرؤيا التي كانت تشير إلى سقوط بابل على أيدي الماديين والفُرس، رفعوا رأس دانيال لمستوى الرأس الثالث للمملكة. وفي عهد داريوس بدأ أعداء دانيال يتحرَّكون بالحقد مستغلين وداعة وتقوى واتضاع دانيال لله، ونجحوا في الوقيعة به. ووصلت خيانتهم إلى الإلقاء بدانيال في جب الأسود ولكن بإعجاز الله نجا من الأسود الجائعة وعُفي عنه ورُقِّي في حكم داريوس وحكم كورش الفارسي (٦: ٢٨). وعاش دانيال كل مدة الأسر السبعين سنة في بابل وقد بقي هناك حتى توفي فيها.

تحقيق سفر دانيال:

لم يدخل أي سفر من أسفار الكتاب المقدَّس للعهد القديم مجال النقد الشديد منذ القرن الثالث

مثل هذا السفر، ولم يُترك فيه موضوع بدون نقد، أو تاريخ أو كلمة يونانية أو فارسية أو عبرية أو أرامية، حتى لم يَعُد في نظرهم يصلح أن يكون سفراً من الأسفار. ولكن الفضل يرجع للعلماء المدققين الذين أثبتوا عدم صحة كل ما قُدِّم من نقد كلمة كلمة، وقد استعان العلماء أخيراً بمخطوطات رأس شمرا، ومخطوطات وادي قمران، وأثبتوا صحة السفر وصحة زمانه بكل تدقيق. فعادت لسفر دانيال أصالته التي وصف الرب يسوع السفر به بالرجوع إليه: «فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدَّس، ليفهم القارئ» (مت ٢٤: ١٥). وبقول المسيح هذا يوضِّح أن السفر صادق وإلهي بكل معنى ونبوَّته تحتاج للفهم بما فيها من ألغاز واضحة تحتاج إلى وعي روحي وخاصة حينما لمَّا يحين زمان تحقيقها.

وقد تحقَّق أن زمان هذه النبوَّة تمتد من ٦٠٦ ق.م. إلى ٥٣٤ ق.م. وعاش دانيال زمان السبي، فقد أُخذ صبياً في أول سبي على يد نَبُوخَذْنَاصَّر وعاصر من الملوك: بِيَلْشَاصَّر وداريوس، وكورش. ومات دانيال في السبي بعد أن تنبَّأ ٧٢ سنة. وهو سفر ذو مركز خاص بسبب موضوعه، وهو خاص بأزمنة الأُمم وليس فيه خطاب أو كلام موجَّه إلى اليهود ما عدا النبوَّة التي التقطها المسيح وأوضح زمانها وهي الوحيدة، لذلك يُعتبر المسيح أول مَنْ فسَّر سفر دانيال.

ولهذا السفر صلة وطيدة بنبوات سفر الرؤيا من الأصحاح (٤) إلى الأصحاح (٢٢).

الخلفية التاريخية:

الكلدان هم من أصل سام، كانوا يعيشون في جنوب بابل حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م. وهم قوم عدائيون، مرتحلون، مثيرو الشَغَب، وتقلبوا ضد سلطان مملكة بابل كثيراً. وأخيراً اعتلى عرش بابل واحد منهم هو مرودخ بلادان في القرن الثامن قبل الميلاد، وكانت مملكة أشور آنذاك تحت سلطان سَنْحَارِيب، فقامت على بابل وحطَّمتها بسبب ثوراتها؛ ولكن استردت مملكة بابل أَسْرَحدّون.

وفي سنة ٦١٢ ق.م. اجتمع نبوفلاسر مع كياكسارس المادي مع الملك السكيثي وضربوا مدينة نينوى. وفي سنة ٦٠٥ ق.م. قام المصريون ضد إمبراطورية بابل الجديدة بقيادة نَخُو فرعون مصر، وهُزمت مصر في موقعة كركميش على يد ابن نبوفلاسر الذي جاء بعده هو الملك نَبُوخَذْنَاصَّر (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م). وكان فرعون مصر نخو قد أقام يهوياقيم على اليهودية (٢مل ٢٣: ٣٤)، فصار بعد انتصار نَبُوخَذْنَاصَّر تابعاً له (٢مل ٢٤: ١) الذي احتل فلسطين وسبى كل النبلاء سنة ٦٠٥ ق.م.

إلى بابل، وكان من بينهم دانيال وزملاؤه الثلاثة (دا ١: ١ - ٧). ولكن يهوياقيم ثار بعد ذلك بثلاث سنين (٢مل ٢٤: ١) ثم ثارت جماعات من الكلدان والأراميين والموآبيين والعمونيين على اليهودية.

وفي سنة ٥٩٧ ق.م. أغار نبوخذناصر على الهيكل وسبى يهوياقيم وابن يهوياقيم الذي خلف يهوياقيم أيضاً إلى بابل مع أسرى كثيرين وكان معهم حزقيال النبي والكاهن (٢مل ٢٤: ١٣ و١٤، حز ١: ١ - ٣). ومن بعده صار صِدْقِيَّا الملك تابعاً لِنَبُوخَذْنَاصَّر، ولكنه ثار عليه بعد تسع سنوات من حكمه، ولكن البابليين رجعوا بقوة وخرَّبوا أورشليم والهيكل وأسروا صدقيا وكل المواطنين إلى بابل سنة ٥٨٦ ق.م.

أما إمبراطورية بابل الجديدة فقد ظلَّت على قيد الحياة حوالي سبعين سنة بعد أول سبي لليهودية الذي كان سنة ٦٠٥ ق.م، وأويل مرودخ خلف أباه نَبُوخَذْنَاصَّر سنة ٥٦٢ ق.م. ولكن نسيبه نرجليسار ذبحه وحكم بعده أربع سنوات (٥٦٠ - ٥٥٦ ق.م)، وخليفته لباشي مرودخ حكم عدة شهور سنة ٥٥٦ وخلفه نبونيدس (٥٥٦ - ٥٣٩ ق.م)، الذي كان بِيَلْشَاصَّر ابنه (دانيال ٥) الذي ملك حتى سقوط بابل في أيدي الفُرْس وداريوس المادي سنة ٥٣٩ ق.م. (دا ٥: ٣٠ و٣١). وظل دانيال يخدم حتى عودة إسرائيل إلى الوطن من السبي سنة ٥٣٦ ق.م. (دا ٩: ١)، بينما كانت آخر نبوَّة لحزقيال قد وقعت سنة ٥٧١ ق.م. (حز ٢٩: ١٧).

نبوَّة دانيال:

من المهم أن نلخِّص نبوَّة دانيال في كونها تتكلَّم عن أزمنة الأُمم التي بدأت منذ خراب أورشليم على يد نَبُوخَذْنَاصَّر وزوال المجد عن إسرائيل، كما جاء في الأصحاح العاشر لنبوَّة حزقيال (حز ١٠: ١٨). كما تنبَّأ المسيح قبل صلبه مباشرة عندما وقف قبالة أورشليم على جبل الزيتون وقال «هوذا بيتكم يُترَك لكم خراباً، لأني أقول لكم إنكم لا تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب» (مت ٢٣: ٣٨ و٣٩)، وأكمل النبوَّة لتلاميذه أمام الهيكل بقوله مباشرة: «ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل، فتقدَّم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه؟ الحق أقول لكم إنه لا يُترك هنا حجر على حجر لا يُنقض» (مت ٢٤: ١ و٢). «وتكون أورشليم مدوسة من الأُمم حتى تُكمَّل أزمنة الأُمم» (لو ٢١: ٢٤). والرب يقصد أنهم سيرونه مرَّة أخرى عندما يرد المجد لهم أي مجد الرب ومجد المُلك معاً عند توبتهم كما سجَّلها ق. بولس الرسول قائلاً:

+ «ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم. لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه. فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السُحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام.» (اتس ٤: ١٣ - ١٨)

وأهم أجزاء السفر هي أجزاء التمثال الهائل الذي رآه نَبُوخَذْنَاصَّر (دا ٢) والذي يشير إلى الأربع إمبراطوريات التي تعاقبت على عرش سيادة العالم بعد تشتُّت إسرائيل. وأجزاء التمثال:

١ - **الرأس**: الذي كان من ذهب ويمثل مملكة بابل التي رأسها نَبُوخَذْنَاصَّر.

٢ - **الصدر والذراعان**: وهما من الفضة وتمثل مملكة مادي وفارس التي رأسها كورش الفارسي.

٣ - **البطن والفخذان**: اللذان من نحاس وتمثل مملكة اليونان ورأسها الإسكندر المقدوني.

٤ - **الساقان**: اللذان من حديد والقدمان والأصابع من حديد ممزوج بخزف وتمثل مملكة الرومان ورأسها يوليوس قيصر.

ولكن دانيال كان يرى أيضاً الإمبراطوريات المذكورة في هيئة حيوانات أو وحوش:

الأول: الأسد ويمثل بابل.

الثاني: الدب ويمثل مادي وفارس.

الثالث: النمر ويمثل اليونان.

الرابع: الحيوان الهائل والمخالف لجميع الحيوانات. ويمثل الرومان (دا ٧).

والحكومات والممالك القائمة الآن في أوربا والغرب يمكن أن يُقال إنها تمثل السيادة الأممية للمملكة الرابعة بعد غروب الدولة الرومانية الرابعة المميَّزة في النبوَّة بالحديد المختلط بالخزف، وهذا يشير إلى الحكم الملكي والجمهوري.

والحجر الذي قُطع بغير يدين في رؤيا التمثال (دا ٢: ٣٤ و٣٥ و٤٤ و٤٥) والمملكة التي لا تنقرض في رؤيا الحيوانات كلاهما يشيران إلى الرب يسوع الآتي (دا ٧: ٩ و١٣ و١٤).

وبعد ذلك يتناول السفر أيضاً النبوَّات الخاصة عن الانتصارات التي قام بها الإسكندر الأكبر وموته الفجائي وتقسيم المملكة من بعده على قواده الأربعة (دا ٨). ثم دقائق الحرب التي قامت بين اثنين منهما وهما ملك الشمال (سوريا) وملك الجنوب (مصر) نظراً لموقعهما في الماضي من أرض فلسطين. وقد أسهب عن حروب هاتين المملكتين سواء ما تم في الماضي وما سيتم في الأيام الأخيرة لما لهما من علاقة بإسرائيل وأرض فلسطين (دا ١١).

كما يتناول السفر في الأصحاح (٩: ٢٢ - ٢٧) رؤيا غاية في الأهمية والخطورة وهي رؤيا السبعين أسبوعاً من بعد زمن السبي، الرؤيا المشهورة التي تفصح عن تاريخ شعب الله الذي سيمر فيه بأدواره كلها بعد أن ينتهي زمن السبي البابلي الذي استغرق سبعين سنة. وتُقسَّم الرؤيا إلى ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: وتبدأ من صدور أمر كورش ببناء الهيكل وأسماها السبعة أسابيع.

المرحلة الثانية: وأسماها الاثنين والستين أسبوعاً مميَّزة بعد السبعة أسابيع ولكن متصلة بها وتنتهي بقطع المسيح وليس له مملكة.

المرحلة الثالثة: أسبوع أخير ويدعوه العلماء أسبوع دانيال مع أنه سحيق الزمن بعده فهو لم يتم بعد. وسيكون له أهمية عُظمى في مستقبل الأيام وهو نفسه مشروح في سفر الرؤيا الأصحاحات (٤ - ١٩). وهو أسبوع منفصل عن التسعة والستين أسبوعاً السالفة التي تُختم بموت المسيح.

هذا الأسبوع المنفصل عن التسعة والستين أسبوعاً هو منفصل عنها بمدة غير محسوبة وغير محدودة بزمن، وهذه المدة في حقيقتها هي زمن الكنيسة أي مدة الكرازة بالمسيح - من بعد موته - بإنجيل الخلاص وتكوين المخلَّصين جسد المسيح وعروسه السماوية أثناء غيابه في السماء - وهذا الموضوع هو الموضوع الوحيد الذي كُتِمَ عن جميع أنبياء إسرائيل في كُنْهِهِ وفي زمنه وموته لأنه خارج عن اختصاص إسرائيل وكل ما يتصل بها. وقد ألمح إلى كتمان هذا السر بولس الرسول في رسالته إلى رومية وفي رسالته إلى أفسس وإليك الآيات:

+ «وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب **إعلان السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية** (سر دانيال المشروح في رسالة أفسس) ولكن ظهر الآن وأُعلم به جميع الأمم بالكتب النبويَّة حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان. لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد آمين.» (رو ١٦: ٢٥ و٢٦)

+ «بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأُمم. إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم. **أنه بإعلان عرَّفني بالسر** (سر دانيال) كما سبقت فكتبت بالإيجاز. الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا **درايتي بسر المسيح. الذي في أجيال أُخَر لم يُعرَّف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح، أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل.** الذي صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوته. لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطيَت هذه النعمة أن أُبشِّر بين الأمم بِغنَى المسيح الذي لا يُستقصَى. **وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح. لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة.** حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا. الذي به لنا جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة. لذلك أطلب أن لا تكلُّوا في شدائدي لأجلكم التي هي مجدكم. بسبب هذا أحني ركبتيَّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح. الذي منه تُسمَّى كل عشيرة في السماوات وعلى الأرض، لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه **في الإنسان الباطن. ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم.** وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة **لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.** والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو **نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا.** له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور آمين.» (أف ٣)

ويُضم إلى الاثنين والستين أسبوعاً التي قال عنها دانيال حتى موت المسيح مدَّة إضافية نضيفها نحن بمعرفتنا، وهي المدَّة التي ظلَّ فيها المسيح بعد الموت والقيامة وقدرها خمسون يوماً، أربعون منها على الأرض والعشرة في السماء إلى أن أرسل الروح القدس الذي يتحد بأجسادنا الروحية الجديدة ويجعلها جسداً واحداً للمسيح مُعَدًّا للاختطاف يوم أن تُدعى الكنيسة للانتقال من الأرض إلى السماء لتحيا مع الرب وفيه، حسب وعده ووعد الله الأزلي بقوله في (أف ١: ٤): «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة».

ودانيال يفصل بين مدة الاثنين والستين أسبوعاً وأسبوع آخر أخير يخصِّصه لظهور الضد للمسيح. وقد عرفنا أن المدة غير المحسوبة بينهما هي زمن الكنيسة التي تنتهي باختطاف الكنيسة إلى

السماء التي أشار إليها بولس الرسول في رسالته لأهل تسالونيكي:

+ «ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم، لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضا معه، فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين، لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام.» (١تس ٤: ١٣ – ١٨)

أمَّا أسبوع دانيال الأخير فهو لا يخص الكنيسة إلاَّ في الجزء المجهول زمنه ولم يذكره دانيال حسب نص النبوَّة: «فإذا تم تفريق أيدي الشعب المقدَّس تتم كل هذه» (دا ١٢: ٧) أي أن ما تذكره النبوَّة يخص ويُتمّم كل ما يهم إسرائيل بعد خراب أورشليم وتشتيت الشعب كله، لأن دانيال صام وتضرَّع إلى الله كثيراً من أجل مصير شعبه وعودهم وذلك في (٩: ١ – ١٩). نرجو القارئ أن يعود إليها – وبينما هو يصلِّي ظهر له الملاك جبرائيل وأعلن له نبوَّة السبعين أسبوعاً وهي المدة التي سيلزم على شعب إسرائيل وأورشليم المدينة المقدَّسة أن يعبروها أولاً حتى تنتهي حقبة خطاياهم ويتوبوا ويعود هو ويُصفَح عنهم هكذا:

+ «**سبعون أسبوعاً قُضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة** لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم **وليؤتَى بالبر الأبدي** ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين. فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً (أسبوع سنين) يعود ويُبنى سوقٌ وخليجٌ في ضيق الأزمنة. وبعد اثنين وستين أسبوعا يُقطع المسيح وليس له (ليس له مملكة) وشعب رئيس آتٍ (ضد المسيح) يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخِرَبٌ قضي بها. ويُثبت عهداً مع كثيرين في أسبوع واحد وفي وسط الأسبوع يُبطِّل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مخرِّب حتى يتم ويُصبَّ المقضي على المخرب.» (دا ٩: ٢٤: – ٢٧)

وهذه النبوَّة واضح أنها تخص شعب إسرائيل من وقت البدء في بناء أورشليم بأمر أرتحشستا لنحميا النبي إلى تكميل بناء الهيكل سبعة أسابيع سنين ثم بعدها اثنان وستون أسبوع سنين (في

نهايتها يُصلب المسيح ويموت ويقوم) ثم تترك النبوَّة زمناً مجهولاً لا تحدَّد مدته (وهو زمن الكنيسة) ثم أسبوع سنين يحارب فيها الضد للمسيح شعب إسرائيل وبه تنتهي مدة السبعين أسبوعاً لتتميم الخطايا وتكميل المعصية والكفَّارة (لإسرائيل) ويؤتى بالبر الأبدي.

هذا الشرح هو الذي انتهى إليه العلماء فيما يخص شعب إسرائيل الذين يثقون بأنه سيحدث لهم وهم ينتظرونه.

وتوجد في الرسائل التي لبولس الرسول تعابير تتفق مع هذه الأحداث مثل ما جاء في رسالة تسالونيكي الثانية بخصوص حدوث ارتداد وظهور استعلان إنسان الخطية ابن الهلاك وجلوسه في الهيكل هكذا:

+ «ثم نسألكم أيها الأخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه. أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منَّا أي أنَّ يوم المسيح قد حضر. لا يخدعنكم أحد على طريقة ما **لأنه لا يأتي إن لم يأتِ الارتداد أولاً ويُستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك. المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله مُظهراً نفسه أنه إله.** أما تذكرون أني وأنا بعد عندكم كنت أقول لكم هذا. والآن تعلمون ما يَحجز حتى يُستعلن في وقته. لأن سر الإثم الآن يعمل فقط إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجز الآن. **وحينئذ سيُستعلن الأثيم الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويُبطله بظهور مجيئه.** الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة. وبكل خديعة الإثم في الهالكين **لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا** (رفضوا المسيح). ولأجل هذا سيُرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدِّقوا الكذب. **لكي يُدان جميع الذين لم يُصدقوا الحق** (المسيح) بل سُرُّوا بالإثم (صلبوه).» (٢تس ٢: ١ - ١٢)

هذا الكلام ينسجم تماماً مع نبوَّة دانيال أن الحقبة الزمنية المجهولة التي تقع بين الاثنين والستين أسبوعاً والأسبوع الأخير - وهي حقبة زمن الكنيسة - أنها ستنتهي بحدوث الارتداد أولاً وظهور الضد للمسيح إنسان الخطية ابن الهلاك في الهيكل، وحينئذ يأتي المسيح في مجيئه الثاني ليبيده بنفخة فمه وبظهوره الإلهي المهيب.

وبإبادة الشيطان يبدأ كما يقول دانيال النبي زمن البر الأبدي.

وبولس الرسول في رسالته الأُولى لأهل تسالونيكي يصف **مجيء الرب الثاني الذي سيبيد الشيطان** بنفخة فمه هكذا:

+ «لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام.» (١تس ٤: ١٦ - ١٨)

وكان تلاميذ الرب يلحون في معرفة علامة مجيء الرب: «وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدَّم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قُل لنا **متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر**» (مت ٢٤: ٣). وكانت علامة الرب يسوع الهامة جداً هي نبوَّة دانيال مما يحقق انطباق نبوَّة السبعين أسبوعاً في الأسبوع الأخير منها على كلام المسيح «فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس، ليفهمْ القارئ.» (مت ٢٤: ١٥)

وهذا يطابق كلام بولس الرسول في (٢تس ٢: ١ - ١٢) بخصوص حدوث الارتداد أولاً وظهور إنسان الخطية ابن الهلاك الذي يُظهر نفسه كإله في هيكل الله والذي سيبيده الرب بظهور مجيئه الثاني أي مجيء الرب الثاني.

أما رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي فقد جاءت هكذا:

+ «وفي وسط الأسبوع يُبطِّل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مُخرَّب حتى يتم ويُصبُّ المقضيُّ على المخرب.» (دا ٩: ٢٧)

ودانيال النبي يتكلَّم عن الهيكل الذي سيُبنى وإبطال الذبيحة منه الأمر الذي يتكلَّم الإسرائيليون عنه في هذه الأيام لبناء هيكل في أورشليم ومحاولة إقامة الذبيحة كالقديم.

والمسيح يتكلَّم مع تلاميذه عن رجسة الخراب في المكان المقدس أي أن الرب يشير إلى الهيكل المقدس! وقد ذكر سفر الرؤيا هذا الهيكل المقدس الذي خُرِّب: «ثم أُعطيت قصبة شبه عصا ووقف الملاك قائلاً لي قم وقس هيكل الله والمذبح والساجدين فيه» (رؤ ١١: ١). وذلك في أواخر الأهوال التي ستجيء على العالم والتي ابتدأت من الأصحاح السادس لسفر الرؤيا وانتهت في الأصحاح الثاني عشر بمعركة الملاك ميخائيل رئيس الملائكة وجنوده مع الشيطان وجنوده وسقوطه من السماء.

ويقول في الأصحاح الحادي عشر في نهاية أهوال العالم التي ستكون كعلامة قبل مجيئه: «ثم بوَّق الملاك السابع فحدثت أصوات عظيمة في السماء قائلة **قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين**» (رؤ ١١: ١٥)، وهذا يتوافق في الزمن مع قول دانيال النبي في ختام نبوَّته عن السبعين أسبوعاً: «سبعون أسبوعاً قُضِيتْ على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم **وليؤتَى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين**.» (دا ٩: ٢٤)

ويُلاحظ أن بوق الملاك أعلن في السماء ما حدث على الأرض ولكن ليست النهاية.

أقوال دانيال المختارة:

+ «كنت تنظر إلى أن قُطع حجر بغير يدين ... فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها.» (دا ٢: ٣٤ و٣٥)
+ «يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً ومُلكها لا يُترك لشعب آخر وتسحق وتُفنِي كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد.» (دا ٢: ٤٤)
+ «ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين (في حين أن الذين ألقوهم ثلاثة فقط) يتمشون في وسط النار وما بهم ضرر ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة» (تتمة دانيال ٣: ٩٢)
+ «لتكن عطاياك لنفسك وهَبْ هِبَاتك لغيري.» (دا ٥: ١٧)
+ «إلهي أرسل ملاكه وسدَّ أفواه الأسود فلم تضرُّني لأني وُجدت بريئاً.» (دا ٦: ٢٢)
+ «نهر نار جرى وخرج من قدامه ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه ...» (دا ٧: ١٠)
+ «كنتُ أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرَّبوه قدامه. فأُعطِيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض.» (دا ٧: ١٣ و١٤)
+ «أمَّا قديسو العلِيِّ فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين.» (دا ٧: ١٨)
+ «والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تُعطي لشعب قديسي العلِيِّ. ملكوته ملكوت أبدي ...» (دا ٧: ٢٧)
+ «وقال لي يا دانيال أيها الرجل المحبوب افهم الكلام الذي أكلمك به وقم على مقامك لأني

الآن أُرسلت إليك، ولما تكلم معي بهذا الكلام قمتُ مرتعداً. فقال لي لا تخف يا دانيال لأنه من اليوم الأول الذي فيه جعلتَ قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدام إلهك سُمع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك... وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتي» (دا ١٠: ١١ – ١٣)

+ «ولا أحد يتمسك معي على هؤلاء إلا ميخائيل رئيسكم (رئيس شعب إسرائيل).» (دا ١٠: ٢١)
+ «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت وفي ذلك الوقت يُنجَّى شعبك كل من يوجد مكتوباً في السفر. وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي. والفاهمون يضيئون كضياء الجَلَدْ والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور.» (دا ١٢: ١ – ٣)

انتهى الأربعة أنبياء الكبار

ويليه الاثنا عشر الصغار

وهم يُدْعَوْن صغاراً نظراً لصِغَر حجم أسفارهم

الأنبياء الصغار

أولاً: أنبياء ما قبل السبي

١ ـ عوبديا النبي

عوبديا النبي:

لا يُعلم شيء عن الذي كتب نبوَّة عوبديا المختصرة ما عدا اسمه الذي يعني بالعبري «عبد يهوه» والاسم ليس غريباً علينا فهو يملأ الأسفار ولكن محتوى السفر يوضِّح أن صاحبه مواطن من اليهود (عو ١٠: ١٢ و١٧ و٢١). كذلك ليس عندنا ما يوضِّح تاريخ النبوَّة ولا زمانها أي مدتها.

أمَّا زمان هذا النبي فإن الآيات (١١ - ١٤) توضِّح أن غزو أورشليم حدث قبل ظهور عوبديا. وبحسب التاريخ نعلم أن غزو أورشليم كان:

١ - إمَّا بواسطة شيشق ملك مصر وهذا كان مبكِّراً جداً سنة ٩٢٥ ق.م أثناء حكم رحبعام ملك يهوذا (١مل ١٤: ٢٥ و٢٦)، (٢أي ١٢) ولكن هذا الاحتمال غير وارد بسبب:

(أ) أن أدوم ظلَّت خاضعة للعبرانيين في هذا الوقت.

(ب) لا توجد في سجلات مصر ما يشابه الغزو والتخريب والبؤس كما يصفه عوبديا.

٢ - أثناء حكم يهورام ملك يهوذا سنة ٨٤٨ - ٨٤١ ق.م عمل الفلسطينيون والعرب هجوماً على يهوذا (٢أي ٢١: ١٦ و١٧) وهذا هو التاريخ الأكثر مناسبة.

٣ - غزا يوآش ملك إسرائيل اليهودية سنة ٧٩٠ ق.م وذلك لإغاظة الملك أمَصْيا ملك يهوذا (٢مل ١٤)، (٢أي ٢٥) ولكن هذه الغزوة لا تدخل في تاريخنا لأن عوبديا في سفره (١١) يدعو الغازين أنهم غرباء، "أعاجم".

٤ - خراب أورشليم بواسطة نبوخذنصر سنة ٥٨٦ ق.م وهو الأخير في تخريب أورشليم ويعتبره بعض علماء العهد القديم أنه التاريخ المناسب لنبوَّة عوبديا.

ولكن مما يزيد اعتبار تاريخ خراب أورشليم أثناء حكم يهورام (سنة ٨٤٥ ق.م) أكثر مناسبة من ٥٨٦ ق.م الأسباب التالية:

(أ) أدوم قامت بثورة أثناء حكم يهورام وكانت خصماً لليهودية في هذا الوقت (٢مل ٨: ٢٠ - ٢٢)، (٢أي ٢١: ٨ - ٢٠)

(ب) لا يذكر عوبديا حدوث الأسر الكلي الذي حدث سنة ٥٨٦ ق.م

(ج) الأسرى لم يؤخذوا إلى بابل كما في غزو سنة ٥٨٦ ق.م ولكن أُخذوا إلى فينيقية والغرب "صفارد" في (عو ٢٠).

(د) كل الأنبياء الأخارَى الذين تكلّموا عن سقوط أورشليم والأسر ذكروا الكلدان ذاكرين اسم نبوخذنصر نفسه، ولكن عوبديا ذكر العدو بدون أن يصفه، فإن كان عوبديا يتكلّم عن خراب أورشليم سنة ٥٨٦ ق.م فيكون سكوته عن ذلك غير مفهوم.

(هـ) لا توجد أية إشارة في نبوّة عوبديا توضح الخراب الكامل لأورشليم والهيكل الذي حدث سنة ٥٨٦ ق.م.

(و) عاموس (٧٦٠)، وإرميا (٦٢٧) أظهروا معرفتهم لعوبديا وهذا يرجّح أن عوبديا قبل السبي: قارن: (عو ١٤) مع (عا ١: ٦)، (عو ٤) مع (عا ٩: ٢)، (عو ١٩) مع (عا ٩: ١٢)، إرميا يأخذ من (عو ١: ٦) في كتابه (إر ٤٩: ٧ إلخ) وأيضاً: (يؤ ٣: ٣ - ٦) سنة ٨٣٥ ق.م يشير إلى نفس الحالة التي وصفها عوبديا.

الخلفية التاريخية:

دولة أدوم هي من نسل عيسو (تك ٢٥: ٣٠، ٣٦: ١ إلخ). والأدوميون يعيشون في حصون صخرية في جبل سعير جنوب فلسطين. وعاصمة أدوم سالع (بترا)، وقد غزوا واستبدلوا المواطنين الأصليين "الحوريين" بتوطنهم في هذه الحصون. وتمتُّع الأدوميين في بلادهم راجع إلى جبالهم المحصّنة التي جعلتهم يشعرون بالكبرياء والأمان كما يصفهم عوبديا (١ - ٩) محتقرين كل التهديدات التي تهدد أمنهم.

والعداوة بين الأدوميين والعبرانيين، كما يصفها عوبديا، لها جذورها الأُولى من نصرة يعقوب على أخيه عيسو من جهة البكورية التي اختطفها منه (تك ٢٧) بل إن عراكهم مع بعضهم بدأ منذ الولادة. ولكن بينما يعقوب وعيسو قد تصالحا إلاّ أنه واضح من العهد القديم أن نَسْليهما لم يتصالحا أبداً، وهذا يظهر بوضوح عندما رفض أدوم أن يمنح إسرائيل حق العبور في أرضه وهو مرتحل غرباً قادماً من مصر بقيادة موسى[1] (سفر العدد ٢٠). ونسمع أيضاً عن أن الملك شاول

(١) فاضطر بنو إسرائيل أن يدوروا حول جبل هور (عد ٢١: ٤).

حارب أدوم (١صم ١٤: ٤٧)، وداود أثناء حكمه أخضع أدوم تحت سلطانه (٢صم ٨: ١٣ و١٤). وقد حاول الأدوميون القيام بالثورة ولكنهم لم ينجحوا وذلك في حكم سليمان (١مل ١١: ١٤ - ٢٢)، فلم يستطيعوا أن ينالوا حريتهم حتى ثورتهم أثناء حكم يَرُبْعَام ملك يهوذا سنة ٨٤٥ ق.م (٢مل ٨: ٢٠ - ٢٢). واندلاع الحرب بين الاثنين: يهوذا وأدوم استمرَّت حتى خراب أورشليم سنة ٥٨٦ ق.م. وهم شجَّعوا على سقوطها: «اذكر يا رب لبني أدوم يوم أورشليم القائلين هدّوا هدّوا حتى إلى أساسها» (مز ١٣٧: ٧). ولكن الله حكم عليهم بسبب قسوتهم وبسبب عدم العطف على نسل أخيهم يعقوب. وقد ذكرت في كل صفحات الكتاب المقدّس مثل عوبديا:

+ «هكذا قال السيد الرب من أجل أن أدوم قد عمل بالانتقام على بيت يهوذا وأساء إساءة وانتقم منه. لذلك هكذا قال السيد الرب وأمدُّ يدي على أدوم وأقطع منها الإنسان والحيوان وأُصيِّرها خراباً من التيمن وإلى ددان يسقطون بالسيف. وأجعل نقمتي في أدوم بيد شعبي إسرائيل فيفعلون بأدوم كغضبي وكسخطي فيعرفون نقمتي، يقول السيد الرب.» (حز ٢٥: ١٢ - ١٤)

+ «هكذا قال الرب من أجل ذنوب أدوم الثلاثة والأربعة لا أرجع، لأنه تبع بالسيف أخاه وأفسد مراحمه وغضبه، إلى الدهر يفترس وسخطه يحفظه إلى الأبد. فأرسل ناراً على تيمان فتأكل قصور بَصْرة.» (عا ١: ١١ و١٢)

+ «لأنه قد روي في السماوات سيفي هوذا على أدوم ينزل وعلى شعب حَرَّمْتُهُ للدينونة... لأن للرب يوم انتقام، سنة جزاء من أجل دعوى صهيون.» (إش ٣٤: ٥ - ٨)

+ «عن أدوم هكذا قال رب الجنود ألا حكمة بعد في تيمان هل بادت المشورة من الفهماء هل فرغت حكمتهم.» (إر ٤٩: ٧ - ٢٢)

وابتداءً من سنة ٣١٢ ق.م قام العرب النباطيون وأحلوا محل الأدوميين في بترا كما تنبأ عوبديا. وانتشر الأدوميون بعد ذلك واحتلوا جنوب اليهودية وقد أسماها اليونان أدومية، وقام المكابيون زمن يوحنا هركانوس وأخضعوهم ووضعوا على الأدوميين قانوناً هو ناموس اليهود وختنوهم. ويوليوس قيصر عيَّن أنتيباتير وهو أدومي والياً على اليهودية سنة ٤٧ ق.م وهيرودس ابنه صار ملكاً على اليهودية سنة ٣٧ ق.م. واشترك الأدوميون في الثورة مع اليهود ضد سيادة الرومان سنة ٧٠ ميلادية وعانوا ما عاناه اليهود في خراب أورشليم بواسطة تيطس. ومن هذه السنة اختفى الأدوميون من

التاريخ. وهكذا أُكملت نبوّة عوبديا:

+ «من أجل ظلمك لأخيك يعقوب يغشاك الخزي وتنقرض إلى الأبد.» (١٠)

+ «ويكون بيت يعقوب ناراً وبيت يوسف لهيباً وبيت عيسو قشاً فيشعلونهم ويأكلونهم ولا يكون باق من بيت عيسو لأن الرب تكلّم!!» (١٨)

والقديس جيروم (٣٤٥ - ٤١٩م) كان أول من تساءل حول هذه النبوّة وعن سبب قصرها وعن كاتبها وزمانها.

العودة والنصرة والنهاية السعيدة:

+ «فإنه قريب الرب على كل الأُمم. كما فعلت يُفعل بك. عملك يرتد على رأسك .. وأمَّا جبل صهيون فتكون عليه نجاة ويكون مُقدَّساً ويرث بيت يعقوب مواريثهم ... **ويكون المُلك للرب.**» (١٥ و١٧ و٢١)

٢ - يوئيل النبي

نبي يوم الخمسين

اسم يوئيل يعني "يهوه هو الله" ولا يوجد أي تعريف بمن هو النبي ولا تاريخه أو زمنه أو ميلاده غير أنه قد ذُكر اسم أبيه "بن فثوئيل" وهذا أيضاً غير معروف. كان مواطناً من اليهودية يتكلّم عن الكهنة والذبائح والهيكل، ولكن واضح أنه لا ينتمي إلى الكهنوت.

أسلوبه واضح سلس، منظوم على أوزان شعرية تسبيحية تصويرية. وكخادم للرب ينادي بالصلاة دوماً وبالصوم والتوبة لمواجهة دينونة الله. يُرجَّح أنه من أنبياء ما قبل السبي والبعض يؤكّدون ما بعد السبي، وهناك ما يرجّح أنه من القرن التاسع قبل الميلاد للأسباب الآتية:

١ - وضعه في القانون العبراني للأسفار بين النبي هوشع وعاموس.

٢ - اشتراكه في الغايات تتناسب مع أسفار أنبياء القرن التاسع.

٣ - لغته والأسلوب يجعلانه يُحسب من أنبياء الدرجة الأُولى.

ولكن يفضل بعض العلماء(١) أن لا نجعل التاريخ سبباً عرقلة في شرح النبوّة، لأنها تكاد تكون مستقلة عن أي زمن. فنبوّة يوئيل ذات طابع عام وهو يعلنها للشيوخ (١: ٣) «هل حدث هذا في أيامكم أو في أيام آبائكم؟ أخبروا بنيكم عنه وبنوكم بنيهم وبنوهم دوراً آخر» (١: ٢ و٣). وقد حدثت في أيام يوئيل جائحة هجوم الجراد كوباً، شيء لم يكن له مثيل من قبل، ويصح أن يكون حديث الأجيال. وهذا يخص الأرض والزراعة والاقتصاد والحياة الاجتماعية والدينية والكهنة والمذبح.

وعند يوئيل صار وبأ الجراد مثالاً ليوم الرب الآتي مثله، بل وأسوأ (٢: ١ - ١١) ثم يعود ويتحدَّث عن يوم العودة كعلامة إلهية للحفظ من يوم الرب الآتي.

اللغة والتركيب:

الأصحاحان الأولان ربما كانا قد دخلا الليتورجية اليهودية، والنبي يحض الشعب على الصلاة ليتعطّف الله علينا سواء أفراداً (١: ١٩ و٢٠) أو جماعةً (٢: ١٦)، ويدعو للولولة (٢: ١٧) والصوم (١: ١٤، ٢: ١٢) وتجديد عبادتهم (٢: ١٢).

---

(1) W. A. VanGemeren, *Interpreting the Prophetic Word*, Zondervan, 1990, p. 120.

وبعد الليتورجيا أتى وحيٌ عن الخلاص (٢: ١٨ - ٣٢). وفي الأصحاح الثالث يتكلّم عن طبيعة يوم الرب والدينونة ضد الأمم (٣: ١ - ١٥)، وخلاص شعبه (٣: ١٦ - ٢١). وربما يأخذ يوئيل من النبوّات الأخرى يحاكي النبوّات الأولى، ولكن لغته جديدة خلاّقة مترابطة، وهو يستخدم جميع أنواع الأدب اللغوي والتوازي في الشعر والتشبيه والكلمات ذات البلاغة، ويكرّر ويطابق.

أجزاء النبوّة:

النبوّة تنقسم إلى جزئين: (١: ١ - ٢: ١٧)، (٢: ١٨ - ٣: ١٦). وهناك تقابل بين محتويات الجزء الأول والجزء الثاني: فالعويل على ضربة الجراد في الجزء الأول ينقلب إلى فرح في الجزء الثاني، لأن الجماعة تتسلّم تشجيعاً من الله وبركة. ثم يعود ويشير إلى أن وبأ ضربة الجراد في الجزء الأول تقابله في الجزء الثاني كارثة قادمة أقوى هي يوم الرب. ثم النداء بالتوبة في الجزء الأول يقابله دعوة الوعد بالروح القدس في الجزء الثاني.

رسالة يوئيل:

استغل وبأ الجراد ليشبّهه بعهد الآلام، لأن الآلام هي علامة من الله على قدوم نهاية فوق جميع المضادين (٣: ١ - ١٥). وبالرغم من الكارثة سيذكرهم الرب، وهو يحذر الشعب بلطف أن لا يتكلوا على عهد آبائهم كأنها حالة دائمة ولكن عليهم أن يعدّوا أنفسهم ليوم الدينونة.

يوم الرب:

ويوم الرب عند يوئيل هو الوقت الذي فيه يتحوّل سلطان الله إلى محاكمة ودينونة وغضب، ويدخل كل مخلوق الدينونة في الأرض والسماء (٢: ١١). وينادي يوئيل بأن:

١ - يوم يهوه قريب دائماً.

٢ - وهو يوم ضيق وتعب.

٣ - لا يمكن الانفلات منه.

٤ـ ويصير على العالم كله (٢: ١ - ١١)

وهو ينتشر ويغمر بسرعة ويغطي الأماكن البعيدة كضربة الجراد الذي يشبه ضرره ما سيصيب يهوذا وإسرائيل (٢: ٢ و٣)، وهو يقع فجأة ويُحدث ذعراً لأنه يصيب كل أبناء العهد. ويعطيهم يوئيل رؤية تملُّك الله على الخليقة وما سيصيب الجماعة الجديدة، ويشجع الأبرار أن يثبتوا بقلوبهم وينظروا العصر الجديد وبركاته.

+ «وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة.» (٢: ١٣)

ويوئيل يعلن استمرار ودوام تكميل الله لأغراضه لجماعة العهد:

+ «فيَغَار الرب لأرضه ويرق لشعبه.» (يؤ ٢: ١٨)

والذي يُتعجَّب منه هو أن الله الذي ترتعد أمامه السماء والأرض إنما يعمل كل ذلك ليكمّل مواعيده لشعبه. وقد يتباطأ، ولكنه لا يفقد مسرّته في شعبه، وبينما هو يسمح بمقاومة الأعداء، ولكن على شعبه أن يترقّب زمن النهاية والعهد الأخير.

ومواعيد الله كلها أقرَّها الله انطلاقاً من غيرته على شعبه. ويؤكّد الرب حتمية تكميل عهده بحياة روحية: «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام» (يؤ ٢: ٢٨ و٢٩). ويقول الرب إنه لن يعود يجعلهم موضع احتقار وشماتة بين الأمم (٢: ١٩ و٢٦، ٣: ١٧). وهذه العطايا إنما هي عطايا الملك المنتصر (٢: ٢٣ و٢٦)، ويؤكّد أنه سيكون معهم (٢: ٢٧، ٣: ١٧)، ويعبدون اسمه، والرب سيقوّم ويشدِّد شعبه الذي يثبت في الإيمان. وإن كان الله سيصيب الكل بالخراب ولكن لا يخاف شعبه ولا يفزعون من أحكام عمله لأنه وعد أن يحفظهم ويحميهم (٣: ١٦ و١٧). ولقد أعطى شعبه كلمته للتأكيد على ذلك:

+ «ولا أجعلكم أيضاً عاراً بين الأمم ... والشمالي أُبعده ... وأُعوِّض لكم عن السنين التي أكلها الجراد ... أسكب روحي على كل بشر ... عندما أرد سبي يهوذا وأورشليم ... وأحاكمهم هناك على شعبي وميراثي إسرائيل.» (يؤ ٢: ١٩ و٢٠ و٢٥ و٢٨، ٣: ١ و٢)

روح عودة واسترجاع إسرائيل:

ولكن كيف يعرفون أن هذا كله مُذخر لهم في وسط المصائب الآتية؟ هنا أعطاهم الرب الروح القدس كتأمين يؤمِّن أن الرب حاضر حتى في الآلام. والروح يجمع الإنسان مع الله، ويعطي الوعد بالعودة واسترجاع ما ضاع، ويؤكّد وعد العودة. فهو روح العودة وتأسيس المملكة ويعطي الراحة الموعود بها لشعبه:

+ «فتعرفون أني أنا الرب إلهكم ساكناً في صهيون جبل قدسي وتكون أورشليم مقدَّسة ولا يجتاز فيها الأعاجم في ما بعد. ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيراً والتلال تفيض لبناً وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماءً، ومن بيت الرب يخرج ينبوع ويسقي وادي السنط ... ولكن يهوذا تُسكَن إلى الأبد وأورشليم إلى دورٍ فدورٍ. وأبرئ دمهم الذي لم أبرئه والرب

يسكن في صهيون.» (٣: ١٧—٢١)

واضح جداً أن انسكاب الروح القدس منفصل عن وعود العودة وبركاتها، لأن حقيقة يوم الخمسين ولو أن يوئيل قد رآها ضمن رؤيا عودة البقية ولكن إرسال الروح القدس يسبق رجوع العودة، ليعزّي إنسان الأُمم الذي دُعي إلى شركة العهد، ويدخل الآلام بمعزل عن البقية الآتية في آخر الأيام.

فالروح القدس هو عطية آخر الأيام سبقت الأيام وأُعطيت للجماعة الجديدة – الكنيسة – للتمتّع ببركات الروح في هذا الدهر وفي الدهر الآتي.

+ «التقوى ... لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة» (١تي ٤: ٨)

فهي عطية تظل إسخاتولوجية ولكنها قائمة تنتظر ملء عملها في الدهر الآتي.

والروح يشهد بالخلاص وقت المحنة والضيقة وفي زمن التجارب والتخلية فهو يعمل في الحاضر لحساب المستقبل:

+ «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا.» (رو ٨: ١٨)

تعميم عطية الروح لكل إنسان:

هو الروح الذي يعمل في الخليقة، هو روح الرب، يعمل في أولاد الله، أولاد مملكة الله ليعدّها لاستقبال كل الراجعين من كل جنس، فما يقصده يوئيل بعبارة (كول باصار بالعبرية)، أي كل بشر، متوافق مع وحي الخلاص الذي يتكلّم عنه إرميا النبي وحزقيال النبي، وهو حلول ناموس الرب داخل قلب كل إنسان:

+ «بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب، أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً» (إر ٣١: ٣٣)

والمزامير أيضاً:

+ «شريعة إلهه في قلبه. لا تتقلقل خطواته.» (مز ٣٧: ٣١)
+ «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُرِرت. وشريعتك في وسط أحشائي.» (مز ٤٠: ٨)

وعمومية الروح تفيد احتضان أولاد الله كلية بالروح لحياة متفقة تماماً بتدبير التجديد. فالقلب المتجدِّد للشعب المؤمن لا يشتهي الآن إلاَّ ما يتفق مع غرض الله من هذه الحياة الجديدة.

ويشترك حزقيال مع يوئيل في جعل صلة بين الختان – ختان القلب وانسكاب الروح:

+ «وأجعل روحي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها.» (حز ٣٦: ٢٧)
+ «ولكن الآن يقول الرب ارجعوا إليَّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح.» (يؤ ٢: ١٢)

فالتجديد لن يعود يعتمد بعد على النظام أو الترتيب أو الأعمال، ولكن "بروحي"، فالروح هو الذي سيعمل بالإنسان، والروح بعد أن كان يعمل فقط في القادة وحراس الحياة الدينية، صار يملأ الشعب ويعمل فيهم.

روح التجديد:

يشرح يوئيل معالم العصر الجديد وتجديد العهد بالروح وبركاته، فالروح يُعطَى لكل الشعب «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر ...» (يؤ ٢: ٢٨)، ولكن ليس الكل بلا توعية ولكن كل الذي يدعو باسم الرب، وأيضاً الذي يدعوه الرب (٣٢). والنص العبري يوضّح العلاقة بين عبارة «كل بشر» وعبارة «ويكون بعد ذلك» التي يعود ويشرحها في العدد (٢٩) «في تلك الأيام» ثم في عدد (٣٢) «ويكون (بالمستقبل)». لذلك يستحسن قراءة (يؤ ٢: ٢٨ و٢٩ و٣٢) معاً هكذا:

+ «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر ... في تلك الأيام ... ويكون أن كل مَنْ يدعو باسم الرب ... لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم تكون نجاة، كما قال الرب، وبين الباقين كل مَنْ يدعوه الرب.»

لقد كان الروح في العهد القديم يرافق القادة ويحل في الذين يقودون الشعب: موسى وكل الشيوخ السبعين (عد ١١: ٢٥) ويشوع (تث ٣٤: ٩)، كما كان يرافق الملوك (٢صم ٢٣: ٢)، (مز ٥١: ١١) والأنبياء (٢مل ٢: ٩)، (٢بط ١: ٢١).

ولكن يوئيل ينادي بأن الروح سيكون للشعب، أي عطية داخلية لكل عضو في شعب الله. وتعضيدات الروح كما كانت قديماً في القادة هي هي حديثاً في الأفراد بدون اعتبار للجنس ولا الحالة الاجتماعية ولا العمر، الكل يجد بالروح ملجأ في الرب وحده (٢: ٣٢)، والرب يؤكّد لشعبه أنه معهم قبل وأثناء يوم الرب، ولا يخافون لأنه سيكون ملجأ شديداً (٣: ١٦): «والرب من صهيون يزمجر ومن أورشليم يعطي صوته فترجف السماء والأرض. ولكن الرب ملجأ لشعبه

وحصن لبني إسرائيل».

القصد الأساسي في نبوّة يوئيل:

إن غرض عمل يهوه المحارب الإلهي هو كمال تأسيس مملكته على الأرض، وهو يقتص من أعدائه (٣: ١ - ١٥) وذلك برمز خراب مصر وأدوم (٣: ١٩) ويمحص شعبه الذين يترقّبون بصبر انتصاره، لأنهم سيشتركون في نصرته كخلقة جديدة (٢: ١٨ - ٢١). وتنتهي النبوّة برؤية عالم متغير بنهر يتدفق من وسط أورشليم (يؤ ٣: ١٨). قارن (إش ٣٣: ٢٠ و٢١)، (زك ١٤: ٨)، (مز ٤٦: ٤)، وبوجود الله وسط شعب قد غفر له، هذه هي رؤية السلام (٣: ٢١). وبمجيء المسيح اتضحت رؤية يوئيل وصارت حقيقة واقعة. ولم يتكلّم يسوع فقط عن مستقبل الضيقة العظمى الآتية وما فيها من تحولات، وسلطانه أن يخلّص ويدين، ولكنه قد أعطى كنيسته عطية الروح القدس كتأكيد لوجوده. والروح نفسه عطية إسخاتولوجية من الآب بواسطة الابن: «متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي» (يو ١٥: ٢٦)، (أع ٢: ١٦ - ٣٩)، وشهد أيضاً للتجديد الآتي ودعا كل الأعضاء في الجماعة الجديدة ذكراً وأنثى، عبداً وحرًّا، شيخاً وطفلاً، يهوداً وأمماً لينظروا أمامهم إلى فداء الخليقة التي سيعتقها من العبودية، وترقّب سماء جديدة وأرض جديدة (رو ٨: ١٨ - ٢٧)، (غل ٥: ٥). هؤلاء الذين يدعون باسم الرب يسوع سيجدون حماية وحفظاً في يوم الرب والغضب الآتي. انظر (رو ١٠: ١١ - ١٣)، (اتس ١: ١٠)، ولهم روح الرب علامة الفداء والحفظ والتجديد.

وبهذا الوضع يكون قد أُكمل العهد الجديد في تكوينه، كما كان العهد القديم في تكوينه:

العهد القديم	العهد الجديد
مؤسّسه موسى	مؤسّسه الرب يسوع
رعاته القادة الروحيون	رعاته مسوقون بالروح القدس
والأنبياء عيّنة من البشرية الجديدة	شعبه كله متجدّد بالروح
يهود فقط	أمم نمو في العدد دون النظر إلى الجنس ولا الحاجة الاجتماعية والكل واحد

دعوة يوئيل النبي تحمل مبادئ مسيحية سامية:

١ - يدعو الشعب أن يزدادوا في الأمانة للرب.

٢ - أن يتطلّعوا إلى الحرية التي يعطيها الله بعطفه ونعمته.

٣ - أن يكون لدى الشعب نظرة أخروية في حياتهم اليومية.

٤ - يدعونا أن نسير بالروح وأن نعطف على كل مَنْ لا يزال ولم يدعو بعد باسم الرب.

٥ - يدعو إلى عودة الله.

أقوال يوئيل المنتخبة:

+ «قدّسوا صوماً نادوا باعتكاف.» (يؤ ١: ١٤)
+ «أعوّض لكم عن السنين التي أكلها الجراد.» (يؤ ٢: ٢٥)
+ «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام. وأعطي عجائب في السماء والأرض.» (يؤ ٢: ٢٨ - ٣٠)

٣ ـ يونان النبي

كما قد ذُكر في سفره، فإن أباه هو أمتّاي، وكان يعيش في القرن الثامن قبل الميلاد وقد وُلِدَ في مدينة جتّ حافر في أرض زبولون على بُعد خمسة أميال شمالاً من الناصرة. ونعرف من (٢مل ١٤: ٢٥) أنه قد تنبّأ أثناء حكم يَرُبْعَام الثاني (٧٨٢ - ٧٥٣ ق.م) في إسرائيل. وفي بكور خدمته كان معروفاً ومحبوباً لأنه تنبّأ عن نصرة إسرائيل واتساع أراضيها إلى حدودها الأصلية (حماة شمالاً والبحر جنوباً)، لذلك وهبه الله أن يبقى مؤقتاً نبيًّا يتنبّأ على إسرائيل. وقد منح الله شعب إسرائيل خصباً نادراً في أرضها أيام يربعام (٢مل ١٤: ٢٤). كما منح الله كلاًّ من مملكتي يهوذا وإسرائيل النعمة كعطية لكنهما اعتبرتا نعمة الله كأنها حق مكتسب ومستقر.

وفي أثناء خدمة يونان كانت أشور تحت الغزو من قبائل أورارتو الجبلية ولم تستمر في حروبها في الغرب في فلسطين حتى مجيء تَغْلَثَ فَلاَسِر الثالث سنة ٧٤٥ ق.م مستعيداً قوتها. وكانت مملكة إسرائيل مسرورة لأن أشور مكسورة تحت الغزو. وظلّت هكذا تحافظ على تحصيناتها وتقوّي دفاعاتها وتقوّي المدن المحصّنة وتبني جيشها مستخدمة الدبلوماسية مع الأمم الأخرى.

ولما سمعت مملكة إسرائيل بدعوة يونان من الله لكي ينادي بحكم الله على نينوى كانوا يعـــاملون يونان كبطل إسرائيلي وطني، ولكن لم تكن إسرائيل تدري أن الله حرٌّ في أن يتعامل برأفة مع أشور ويصب غضبه على إسرائيل، وكان هذا يبدو منتهى عدم العدل.

واسم يونان يعني ''حمامة''، ومنابع البحث عن يونان هي نفس السفر، وكذلك ما جاء في (٢مل ١٤: ٢٥) حيث ذُكرت خدمته، ثم أسفار العهد الجديد، حيث اتخذه المسيح مثالاً له من حيث بقائه في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ.

ويونان معاصر للأنبياء عاموس وهوشع وميخا.

الخلفية التاريخية:

نبي إسرائيلي تقبّل الرسالة الإلهية أن ينادي بالحكم على مدينة نينوى العُظمى بسبب ازدياد شرّها، ولكن يونان حاول أن يهرب من هذه الرسالة، وهرب في سفينة ذاهبة إلى ترشيش وهي كيليكية في آسيا الصغرى، ليس احتقاراً لإرسالية الله، ولكن ثبت بعد ذلك أنه كان يعلم أن الله رحيم وأنه سيعفو عن المدينة وسيصبح موقف يونان حرجاً، وفي نفس الوقت خوفاً من معاملة الأشوريين الصعبة. وصعد يونان على المركب ونام في باطنها، وأهاج الله ريحاً شديدة وابتدأت

السفينة تغرق. وأخيراً عرف البحّارة سر يونان وهروبه، واقترح يونان أن يلقوه في البحر لتهدئة البحر ونجاة السفينة، فألقوه. وأعدَّ الله الحوت الكبير ويُقال إنه من فصيلة ''زفا'' من كبار الحيتان المشهورة واسع الحلقوم باتساع باب القبر، فابتلعه. ولكن الله، بإعجاز، أبقى على يونان حيًّا ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. وأخيراً قذفه الحوت على الأرض. وأخيراً رضخ يونان تحت أمر الله ووافق على الذهاب إلى نينوى، وذهب إلى نينوى ونادى ثلاث مرّات بالحكم الواقع على نينوى أنه بعد أربعين يوماً سيقلبها الله. ولكن نينوى تابت، وندم كل الشعب مع الملك ونادوا بصوم.

وأشور كانت حينئذ إمبراطورية قوية، ونينوى كانت مدينة عظيمة محاطة ببلاد أخرى، وتعدادها ضخم، وبعد موت يربعام الثاني صارت إسرائيل تحت الجزية لأشور في زمن ملكها مَنَحيمُ (٢مل ١٥: ١٩). وكانت أشور أيام يربعام ويونان على صلة دائمة بفلسطين، فَتَغْلَثَ فَلاَسِر الأول (١١١٤ - ١٠٧٦ ق.م) وسَّع تخوم أشور بغزواته غرباً حتى البحر الأبيض المتوسط. وفي سنة ٨٥٣ ق.م غزا شَلْمَنْأَسَرُ الثاني فلسطين وضرب عدة ملوك منهم أخآب في موقعة كركر. وفيما بعد صار بنو إسرائيل في عهد ياهو يدفعون الجزية لأشور.

ونينوى كانت آخر عاصمة لإمبراطورية أشور وهي واقعة على الشاطئ الشرقي لنهر دجلة وقد خربت سنة ٦١٢ ق.م وذلك بتحالف الماديين مع البابليين والسكيثيين، وكان قد أسَّســها نمــرود (تك ١٠: ٩ و١٠)، وقد ذُكرت المدينة في مخطوطات البابليين المكتوبة بالخط المسماري.

وحينما ذُكرت نينوى في سفر يونان ذُكرت بأنها «المدينة العظيمة» وذلك يعني المدينة وتخومها التي حولها (تك ١٠: ١١ و١٢)، وهي واحدة من المدن التي سكنها ملوك أشور من سنة ١١٠٠ ق.م. ويتناسب وصف عظمة واتساع وتعداد الشعب في سفر يونان مع كل ما جاء في التاريخ والآثار عنها. وقد بلغت نينوى في ذلك الوقت أقصى حدود الفجور والفساد والشر ليس أقل من سدوم وعمورة، وقد ذكر النبي ناحوم مدى فسادها.

ولما ظهر يونان في مدينة نينوى كان ذلك في أيام أحد الملوك المعروفين: حدد نيراري الثالث (٨١٠ - ٧٨٣ ق.م) أو شملنأسر الرابع (٧٨٢ - ٧٧٣ ق.م) أو أشور دان الثالث (٧٧٢ - ٧٥٥ ق.م) أو أشور نيراري الخامس (٧٥٤ - ٧٤٥ ق.م) أو تغلث فلاسر الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ ق.م). فــإن كان زمان يونان في دخوله نينوى هو أيام الملك أشور دان الثالث (٧٧٢ - ٧٥٥ ق.م)، فقد كان حينئذ وبأ مشهور مذكور في تاريخ أشور وكان محسوباً ضمن غضب الله وهو الذي أرعب الشعب

والملك، وكان هذا أكبر تمهيد لتهديد يونان.

أصالة السفر والقصد منه:

السفر يحتوي على حادثتين معجزتين: الأُولى ابتلاع الحوت ليونان وبقاؤه في بطنه ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، والحادثة الثانية اليقطينة التي نبتت في يوم وظلَّلت على يونان ونشفت في اليوم نفسه.

ويُضاف إلى هاتين الحادثتين معجزة توبة أهل نينوى بمناداة نبي غريب لإله غريب.

بسبب هذا دخل العلماء في مساءلات لا حصر لها، ونقد من النُّقَّاد بصورة ليست لها مثيل، وقيل فيه ما قيل. ولكن أمام كل نقد، كان يقف السفر ليصدَّه ويردَّه ويقف شامخاً بحقائقه الإعجازية والتاريخية. ولكن وقف علماء كثيرون آخرون يُعتدُّ بهم يقولون بصحة السفر وصحة النبوَّة وأنها قد تؤخذ على مستوى الرمز أو التعليم ولكن في حقيقتها هي قصة واقعية نبوية، فالنبي مذكور في أسفار تاريخية أخرى تؤكِّد صحة اسمه ووجوده وعمله وزمنه.

والقصد من النبوَّة هو تعليم إسرائيل من جهة مستقبل قبول الأمم التائبين ليدخلوا في بركات الإيمان بالله والخلاص الذي قبلته إسرائيل أولاً، والذي قبلته أصلاً من أجل الأمم (تك ١٢: ١ - ٣). وفي نفس الوقت ليصحِّح نظرة إسرائيل كأنها مختارة لتعيش منفصلة دون الشعوب أو لتكون أفضل من بقية الأمم. فكون الله يُظهر رحمته من جهة نينوى ويتمنَّع يونان كإسرائيلي من قبول الإرسالية وهروبه، فإن ذلك يوضِّح موقف إسرائيل أصلاً. فيعود الله يصحِّحه بتوبة يونان وقبوله للإرسالية ليصحِّح نظرة إسرائيل نفسها، والموقف الذي وبَّخ فيه الله يونان على حزنه على اليقطينة وعدم حزنه على هلاك مدينة عُظمى، هو درسٌ لا يمكن التقليل من شأنه ليكون أساساً لتعليم إسرائيل وإظهار محبة الله نحو الأمم أيضاً بل وكل العالم.

ولكن لا التعليم ولا الرموز وصحتها تستنفد كل حقائق النبوَّة وعمق أصالتها التاريخية لتكون الحقيقة الإلهية المقابلة لحقيقة تتشبَّه بها وهي موت المسيح ودفنه في القبر ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. ويقولها المسيح نفسه محقِّقاً صدق دعوة يونان وصدق حادثة الحوت على مستوى صدق موت المسيح ودفنه في القبر (مت ١٢: ٤٠).

كما أن توبة نينوى كانت حقيقة تصلح أن تكون مثلاً للتوبة لإسرائيل التي رفضت قبول المسيح كمبشِّر لها بالحقيقة كما بشَّر يونان المدينة الوثنية؛ وهي أن غضب الله محدق بها فإذا لم تسمع النبوَّة

وتتوب وتصوم وتقع في الرماد فمصيرها سيكون الخراب. فما سمعت للمسيح المُرسل لها من السماء ولا تابت ولا صامت، بل رفضت المسيح وصَلَبَتْه، ورفضت قبول تحذير الله فجرى عليها من التخريب ما جرى.

فنينوى هي المثل الذي قدَّمه العهد القديم على مستوى النبوَّة لإسرائيل كمثيل ليوم الرب القادم وليس لأيام المسيح فقط، لتقف يوم الدينونة شاهدة ضد إسرائيل كقول المسيح:

+ «لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان. وهوذا أعظم من يونان ههنا.» (مت ١٢: ٤٠ و٤١)

أمَّا فيما يختص بالمعجزات في نبوَّة يونان ولو أنها تبدو في نظر بعض العلماء الناقدين أنها لا تتوازن مع العلم، إلا أنها ليست مستحيلة على الله الذي أراد أن يجعل منها درساً للعالم وليس لإسرائيل فقط، سواء العاصفة أو القرعة التي استقرت على يونان، أو قبول يونان أن يرموه في البحر، أو أن يبقى ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ في بطن الحوت ثم قذفه سليماً بعد أن كان يصلِّي وهو في بطن الحوت صائماً، أو اليقطينة التي ظَهرت في ليلة وذبلت قبل الليلة، وتوبة أهل نينوى وتوبة ملكها. فهذه المعجزات تتوازى مع معجزات خلاص إسرائيل وخلاص كل نفس، أو معجزات الطوفان وتجديد وجه الأرض. فالله يُسخِّر السماء والأرض وكل مخلوق ليعطي للإنسان درساً ليعلم أنه هو الله القدير. وأين هذا الدرس من درس خلاص الإنسان على يد المسيح ابن الله متجسِّداً مصلوباً ميتاً قائماً؟

وتركيب سفر يونان بسيط من أربعة أصحاحات مقسَّمة على ما احتوته من حقائق. والأصحاح الثاني يحتوي على صلاة يونان بالشعر الموزون للشكر، وباقي الأصحاحات تكميل المستوى التاريخي لتجربة يونان.

أمَّا قول الكتاب أن نينوى كانت مدينة عظيمة (٣: ٣) وتعدادها ضخم فهذا يرجع إلى أن المدينة كانت في أيام يونان محاطة بمدن متاخمة كثيرة كعاصمة للبلاد. وكان ذلك في سنة ٧٨٢ ق.م التي هي أول سنة لملك يربعام وبداية لخدمة يونان (٢مل ١٤: ٢٥)، أي أن نبوَّة يونان كانت في القرن الثامن قبل الميلاد.

والله يهوه العظيم يظهر في نبوَّة يونان أنه حرٌ يرحم مَنْ يشاء ويتراءف على مَنْ يشاء وما على

الإنسان إلاَّ أن يكون خاضعاً ومطيعاً لتدبيرات الله التي للخير. كما يظهر أنه رب الشعوب كلها.

والعجيب أن يكون يونان رسولَ خلاصٍ لنينوى الوثنية، ويستقر في طريق إرساليته في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ليكون مثيلاً للمسيح الذي جاء لخلاص العالم فاستقر في باطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال. هذا التشبيه وجده المسيح مطابقاً لنفسه. فيونان نبي التجسُّد والخلاص، نبي الموت والقيامة، نبي الأخبار السارة للوثنية التائبة، نبي الدينونة الذي سيقف مع مدينة نينوى ليشهد على غير التائبين.

صلاة يونان في بطن الحوت:

دعوتُ من ضيقي الرب فاستجابني.
لأنك طرحتني في العمق في قلب البحار. فأحاط بي نهر.
فقلتُ قد طُردتُ من أمام عينيك.
قد اكتنفتني مياه إلى النفس. أحاط بي غمر.
نزلت إلى أسافل الجبال. مغاليق الأرض عليَّ إلى الأبد.
حين أعيت فيَّ نفسي ذكرتُ الرب فجاءت إليك صلاتي.
الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم.

صرختُ من جوف الهاوية فسمعتَ صوتي.
جازت فوقي جميع تياراتك ولججك.
ولكنني أعود أنظر إلى هيكل قدسك.
التفَّ عشب البحر برأسي.
ثم أصعدتَ من الوهدة حياتي أيها الرب إلهي
إلى هيكل قدسك.
أمَّا أنا فبصوت الحمد أذبح لك وأوفي بما نذرته.
للرب الخلاص!

ملامح تكوين سفر يونان:

الأصحاح الأول: إرسالية يونان الأُولى وهروبه.

١ - إرسالية الله ليونان وهروبه (١: ١ - ٣)
٢ - العاصفة تعصف بالسفينة (١: ٤ و٥)
٣ - البحارة يكتشفون هروبه ويحقّقون معه (١: ٦ - ١٠)
٤ - هدوء العاصفة بعد إلقاء يونان (١: ١١ - ١٦)

الأصحاح الثاني: إنقاذ يونان بقذف الحوت له على الأرض:

١ - صلاة يونان من بطن الحوت للشكر على الخلاص (١: ١٧ - ٢: ٩)
٢ - يونان يُنقَذ (٢: ١٠)

الأصحاح الثالث: إرسالية يونان الثانية وطاعته.

١ - الله يجدِّد أمره بالإرسالية (٣: ١ و ٢)
٢ - النبي يعظ والمدينة تستجيب بالتوبة (٣: ٣ - ٩)
٣ - غفران الله لنينوى (٣: ١٠)

الأصحاح الرابع: عدم استعداد النبي للمسرَّة وتذمره:

١ - عدم سرور يونان وإظهار استيائه (٤: ١ - ٥)
٢ - توبيخ يونان النبي (٤: ٦ - ١١)

٤ ـ هوشع النبي

اسم "هوشع" يعني الخلاص. واسم "هوشع" يأتي في الأسفار المقدَّسة مرادفاً لاسم يشوع خليفة موسى النبي، ويأتي أيضاً مرادفاً لاسم هوشع بن أيلة (٢مل ١٧: ١) آخر ملوك مملكة إسرائيل الشمالية. وفي اللغة اليونانية يأتي مرادفاً لاسم يسوع.

وهوشع كان مواطناً في المملكة الشمالية إسرائيل، ومارس نبوَّته في إسرائيل، وهذا يتضح من ذكره لأوصاف وتضاريس إسرائيل الشمالية (٥: ١، ٦: ٨ و٩، ١٢: ١٢، ١٤: ٦ إلخ).

وكتاب هوشع ينقسم إلى جزئين هما من وضع هوشع:

فالجزء الأول ويشمل الأصحاحات الثلاثة الأُولى على امرأة هوشع - ويُقال أنها مجرَّد رؤية - وزواجها وأولادها الثلاثة ولدين وبنتاً وهو زواج مأساة ومأساة حياة، كلها جُعلت بصورتها المزدرى بها كإشارة رمزية لتوضيح العلاقة السيئة جداً التي كانت بين الله وإسرائيل في ذلك الزمان. وكثيرون يقولون إن انسجام الانطباق الشديد يوضِّح أنها مجرَّد رؤيا.

وفي الجزء الثاني مجموعات من التوجيهات كلها ترجيَّات وتوسلات وفيها نقد لاذع وتحذير وحث ووعود. ولا يوجد في الجزء الثاني لهوشع تواريخ محدَّدة منتظمة يمكن استطلاعها لأن الأصحاحات من (٤ - ١٤) لا تحتوي توجيهات متكاملة لإسرائيل لأنها جاءت متفرِّقة لا يربطها رابط.

ويبدأ السفر بفعل رمزي يُقال أنه مجرَّد رؤية ليفضح فيه خيانة إسرائيل واحتمال محبة الله. ولما كان معروفاً أن الله قد أحبَّ إسرائيل في البداية ودعاها شعبه وابنه البكر وكأنها قد خُطبت له من بين الأُمم وكأنه رجلها، أي أن التشبيه بين محبة الله لإسرائيل كان يقوم على حب وأمانة العبادة كحب زوجة لزوجها، فإذا خانت الزوجة زوجها بعبادة الأصنام والآلهة الشريرة الأخرى التي للبلاد المجاورة، فإن الله يعتبرها أنها - وهي إسرائيل - قد خانت عهد الزوجية، أي أنها أصبحت أمامه كدولة بلا إله وشبهها بتشبيه يفهمه الشعب: أنها قد زنت عن رجلها الوحيد.

وهكذا أُمر هوشع من الله أن يتزوَّج زوجة زانية علناً لكي يضغط بالنبوَّة وبتأثير مثير على شعب إسرائيل بأن حقيقة اختيار هوشع لزوجة تمثِّل حالة إسرائيل باعتبارها في النظرة الإلهية حالة زنىً روحي. وأعطى أسماء لأولادها الذين خرجوا منها أسماءً تشهيرية ليفضح بها حالة إسرائيل كزوجة خائنة. وبهذه الطريقة يشير الله إشارة بليغة إلى مستقبل إسرائيل ومصيرها. لأن أسماء أولاد زوجة

هوشع المعتبرة أنها مثال لحال إسرائيل كدولة وشعب مختار، تكشف عن أنهم أصبحوا نتاج زنىً، أي أن الشعب لم يعد شعباً خاصاً في نظر الله، فأعطى أسماء "الرفض"، و"السبي" للأولاد للتعبير عن سبي الشعب لأشور.

فالابن الأول تسمَّى **"يزرعيل"** وهو يعني "يتفرَّق بيد الله" مشيراً إلى السبي القادم لإسرائيل. علماً بأن كلمة "يزرعيل" هي اسم لسهلٍ قد قَتَل فيه ياهو بوحشية كل بيت آخاب وسال دمهم فيه (٢مل ١٠: ١١)، وفي هذا السهل وقعت مجازر كثيرة، وبذلك يشير بهذا الاسم إلى أن إسرائيل سوف تنكسر.

والاسم الثاني **"لورحامة"** وتعني "بلا رحمة"، ويعني أن إسرائيل لن تجد رحمة من الله عندما تقع المحاكمة.

والاسم الثالث **"لوعمي"** ويعني "ليس شعبي"، ويُشير بأن مستقبل الشعب قد رُفض وأُهمل وتُرك بواسطة الله.

وبعد مدة هجرت امرأة هوشع - وكان اسمها جومر - زوجها بالأمر، لإثبات خيانة إسرائيل الفعلية لله. ولكن عُشاقها انقلبوا عليها وطردوها. وذهب هوشع يسأل عنها ويفتقدها بأمر الله فوجدها مهجورة ومُحتقرة ومُزدرى بها وقد بيعت من الحاجة لتكون عبدة. ولكن من محبة هوشع التمثيلية ليمثِّل عمل الله في إسرائيل أنه اشترى حريتها، أي دفع ثمن عبوديتها وحرَّرها، **وأعادها** ولكن ليس إلى حالتها الأُولى لتستمتع بالعناية والإعزاز والبر والبركات كزوجة لا يمكن طردها، ولكن أُمر فوضعها تحت الحجز ممتنعاً عن محبتها ومعاشرتها حتى عادت عفتها كاملة.

وعلى أساس عهد الميثاق الذي ارتبط به الله مع إسرائيل مع آبائها وملوكها الأُول إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وداود، اعتُبر هذا على نمط عقد زواج:

+ «احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض، فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتُدعى وتأكل من ذبيحتهم.» (خر ٣٤: ١٥)
+ «لأنه كما يتزوج الشاب عذراء يتزوجك بنوكِ، وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهكِ.» (إش ٦٢: ٥)
+ «وأخطبُكِ لنفسي إلى الأبد وأخطبُكِ لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبُكِ لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب.» (هو ٢: ١٩ و٢٠)
+ «ارجعوا أيها البنون العصاة يقول الرب لأني سُدتُ عليكم فآخذكم واحداً من المدينة واثنين

من العشيرة وآتي بكم إلى صهيون ... في ذلك الزمان يسمون أورشليم كرسي الرب ويجتمع إليها كل الأمم إلى اسم الرب إلى أورشليم ولا يذهبون بعد وراء عناد قلبهم الشرير. في تلك الأيام يذهب بيت يهوذا مع بيت إسرائيل ويأتيان معاً من أرض الشمال إلى الأرض التي ملّكْتُ آباءكم إياها. وأنا قلت كيف أضعكِ بين البنين وأعطيك أرضاً شهية ميراث مجد أمجاد الأُمم، وقلتُ تدعينني يا أبي ومن ورائي لا ترجعين. حقاً إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل يقول الرب.» (إر ٣: ١٤ و ١٧ - ٢٠)

وبعد ذلك أعلن الرب في هوشع أنه سيضع لزناها نهاية بعد أن تكون قد تأدّبت بعقاب السبي، وبالعقاب سيخضعها لنفسه إلى الأبد.

ثم أمر الله هوشع أن يعيد امرأته الخائنة مشيراً إلى حب الرب الذي لم ينقطع لها (أصحاح ٣). وكان على هوشع أن يُبقيها هكذا حتى يكون مستحيلاً بعد ذلك أن تقترف الخيانة. بهذا تكون حالة أورشليم الحاضرة قد تم وضعها والذي تُرى فيه مفصولة عن نظامها وطقوسها القديمة في العبادة ولكنها بعيدة ومتحررة من عبادة الأصنام، حتى يتم زمان رجوعها عندما يكون زمان تأديبها قد كمل (يا رب):

+ «لأن بني إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وترافيم. بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده في آخر الأيام.» (هو ٣: ٤ و٥)

والجزء الثاني من الكتاب كله حديث للنبي هوشع ولا يوجد فيه رموز تمثيلية لشيء ولو أن الغرض هو نفس غرض الجزء الأول: عقوبات ودينونة مُعلنة على المملكة الشمالية لإسرائيل بسبب خيانتها لله، ولكنه يتنبأ في نفس الوقت أن إسرائيل سوف تُسترجع في يوم من الأيام وتصير مرّة أخرى موضوع محبة الله ومعونة الله.

وأجزاء نبوّة هوشع غير مرتّبة بحسب الزمن. وكان مزامناً للأنبياء عاموس وميخا وإشعياء. كما نجد تأثير هوشع النبي واضحاً في الكتب الأخرى التي جاءت من بعده. وقد وُجدَ أكثر من ثلاثين اقتباساً مباشراً وغير مباشر من النبي هوشع في الأناجيل والرسائل في العهد الجديد، وقد سجّلنا بعضاً منها للقارئ ليطّلع عليها:

سفر هوشع	العهد الجديد
(هو ١١: ١): + «لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوتُ ابني».	(مت ٢: ١٥): + «من مصر دعوتُ ابني».
(هو ٦: ٦): + «إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات».	(مت ٩: ١٣): + «فاذهبوا وتعلّموا ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة». (مت ١٢: ٧): + «فلو علمتم ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة».
(هو ١٠: ٨): + «ويقولون للجبال غطّينا وللتلال اسقطي علينا».	(لو ٢٣: ٣٠): + «حينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا».
(هو ٢: ٢٣): + «وأقول للوعمي أنت شعبي وهو يقول أنت إلهي».	(رو ٩: ٢٥): + «كما يقول في هوشع أيضاً سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة».
(هو ١٣: ١٤): + «أين أوباؤك يا موت أين شوكتكِ يا هاوية».	(١كو ١٥: ٥٥): + «أين شوكتك يا موت. أين غلبتكِ يا هاوية».

ونبوّة هوشع بأكملها هي من عمله هو نفسه، ويخطئ النُقّاد جداً إذ يستكثرون عليه صفحات التعزية والرجاء التي لعودة إسرائيل (٢: ١٤ إلخ)، (٣: ٥)، (١١: ٨ - ١١)، (١٤: ٢ - ٩) مع أنها دُرر هوشع.

وكلمة "حسد" hesed يُعبِّر بها هوشع عن حب الله وهي مستخدمة بهذا المعنى في العهد القديم. والكلمة تَكشف عن طبيعة الله الفريدة في محبته لإسرائيل دون أي مخلوق آخر، وأصل الكلمة يعني الثبوت والرحمة والمحبة الحانية، وهي تأتي دائماً مرتبطة "بالعهد" بين الله وشعبه وهي تكشف

عن وضع الأمانة والإيمان، وهي نفس المشاعر التي يرتبط بها طرفا العهد، فهي تعبِّر عن الرباط الذي يوصل ويربط الطرفين في العهد، وباختصار، الثبوت في الأمانة، فهي تعبِّر عن "عهد الحب" أو "عهد المحبة".

وهوشع يُدعى نبي المحبة في العهد القديم ويُدعى بحق نبي "حسِد hesed". وهذا النوع من رباط العهد يطالب به الله إسرائيل أكثر من أي توافق ظاهري من نحو الأعمال والواجبات الدينية، والتي عبَّر عنها هوشع هكذا عن الله «إني أريد **رحمة** hesed لا ذبيحة، ومعرفة الله أكثر من محرقات» (هو ٦: ٦). فعدم أمانة إسرائيل وُصفت أنها تحريف وكسر وإلغاء للعهد وروابطه: «ولكنهم كآدم تعدَّوا **العهد**. هناك غدروا بي.» (هو ٦: ٧)

وهوشع يعتبر خطية إسرائيل نحو الله هي بالأساس عدم أمانة روحية فكان عهد الله بالنسبة لإسرائيل كسحابة عابرة أو كندى الصبح: «ماذا أصنع بك يا يهوذا. فإن إحسانكم (حبكم hesed) كسحاب الصبح وكالندى الماضي باكراً» (٦: ٤). ويقول الله على فم هوشع إن حبهم hesed هو ناقص في كل الأرض:

+ «إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان (حب hesed) ولا معرفة الله في الأرض.» (٤: ١ و٢)

لذلك كان هوشع يستحثهم أن يحفظوا أصول المحبة:

+ «وأنت فارجع إلى إلهك. احفظ الرحمة (حب hesed) والحق (رباط العهد) وانتظر إلهك دائماً.» (١٢: ٦)

فإسرائيل بعد عهد الحب الذي عمله معها الرب يمكن أن تخونه، ولكن الله لا يمكن أن يخون عهد الحب، فهو أبدي وثابت. من هنا جاءت كل مواعيد الله لإسرائيل، فمحبة الله لا تتغيَّر، فمن أجل عهد محبة الله سيأتي يوم ويقبلها ويعيدها لأنه لابد أن يكون أميناً لعهد محبته، يعود ويخطبها لنفسه ويؤدبها لكي تعود إلى حبها الأول:

+ «وأخطبك لنفسي إلى الأبد وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب.» (هو ٢: ١٩ و٢٠)

الخلفية التاريخية:

إن مدى الخدمة النبوية التي قام بها هوشع مذكورة في كلامه: «في أيام عُزيا ويوثام وآحاز

وحزقيا ملوك يهوذا وفي أيام يربعام ابن يوآش ملك إسرائيل» (١: ١). وهكذا قد ذكر هوشع حدود زمن خدمته النبوية أنها كانت من وقت حكم عُزيا (٧٩٠ - ٧٣٩ ق.م) حتى أيام حزقيا (٧١٥ - ٦٨٦ ق.م). ومع أن يَرُبْعام الثاني ذُكر وحده في ملوك إسرائيل، ولكن بذكر أيام حزقيا نفهم أن خدمة هوشع امتدت حتى بعد موت يربعام وشملت مدة حكم كل ملوك إسرائيل الأخيرين: زكريا، شلوم، منحيم، فقح، وهوشع ابن أيلة الذين انتهى حكمهم بسقوط السامرة سنة ٧٢٢ ق.م.

ومحتوى نبوة هوشع يوضح أنها قد امتدت إلى مدة تفوق الأربعين سنة: من آخر أيام يربعام الثاني حتى حكم حزقيا. ويقول العالِم Keil إن هوشع ظل يخدم نبوَّته حتى ستين سنة أو حتى خمس وستين سنة(1).

والجزء الأول من الكتاب (الأصحاح ١ إلى الأصحاح ٣) فيه إشارات واضحة لحكم يربعام الثاني. والعنوان (١: ١) يضع بداية نبوَّة هوشع في وقت ما في أيام حكم يربعام الثاني بعد بداية حكم عزيا في يهوذا، أي حوالي ٧٦٠ ق.م. وفي (١: ٤) انقطاع بيت ياهو (الذي منه يربعام) يوصف أنه في المستقبل ولو أنه قريب، ومملكة إسرائيل توصف بأنها مزدهرة (٢: ٨)، ولكنه لا يعطي تلميحات عن حالة الملوكية والارتباك الحادث بعد موت يربعام (٧٥٣ ق.م) لذلك يُقترح أن بداية خدمة هوشع يمكن أن تكون عنهم ٧٦٠ ق.م.

وهناك عوامل كثيرة تؤيِّد مدة نبوَّة هوشع منها:

١ - ذكر حزقيا (٧١٥ - ٦٨٦ ق.م) أي أن خدمة هوشع ممتدة بالتأكيد حتى سنة ٧١٥ ق.م.

٢ - يقول كثير من العلماء إن ذكر كلمة شَلْمَانَ في (١٠: ١٤) إنما يشير إلى شلمناسر وحملته على الجليل التي حدثت بحسب (٢مل ١٧: ٣) في بداية حكم هوشع بن أيلة (٧٣٢ - ٧٢٢ ق.م). وهذا الحادث بحسب هوشع كان قد وقع عندما بدأ التهديد من الأشوريين بغزو جديد وهذا التهديد يشير إلى حملة شلمناسر الثانية ضد هوشع بن أيلة (الذي ثار ضدَّه) الذي انتهت ثورته بسقوط السامرة في سنة ٧٢٢ ق.م في السنة السادسة لحزقيا (٢مل ١٨: ١٠).

(1) Cited by H. E. Freeman, *op. cit.*, p. 175.

٣ - يعتقد البعض أن كلمة "ياريب" Jareb التي جاءت في (٥: ١٣)، (١٠: ٦) وهي في الترجمة عدوّ أي الملك العدوّ يُقصد بها سرجون الثاني (٢١ - ٧٠٥ ق.م).

٤ - التنبُّؤات بغزو الأشوريين في (١٠: ٥ و٦)، (١٣: ١٥ و١٦) تشير إلى المستقبل القريب.

٥ - الحقيقة المذكورة في (٨: ١٠) إنما تعود إلى جزية دُفعت إلى تَغْلَثَ فَلاَسِر بواسطة مَنَحِيم سنة ٧٥٢ - ٨٤٢ ق.م.

٦ - الإشارات إلى مصر واللجوء إليها (٧: ١١)، (١١: ١١) تشير إلى حوادث أثناء حكم هوشع بن أيلة (٧٣٢ - ٧٢٢ ق.م).

٧ - لا يمكن من (٦: ٨)، (١٢: ١١) التحقُّق من أن خدمة هوشع النبوية قد انتهت بعد حكم يوثام.

وكون هوشع النبي يتكلّم عن الملك في إسرائيل أنه ملكنا (٧: ٥) فهذا يؤكّد أن هوشع كان مواطناً إسرائيلياً من مملكة الشمال أصلاً، والسفر يوضّح أن خدمته كانت متركزة فقط على الأمور الدينية أخلاقياً وسياسياً.

وكل الذي يمكن أن نعرفه عن النبي نفسه يأتينا من خلال سفره، فهو الذي ينص على أنه ابن بئيري. وهوشع يُعتبر عند المنشغلين بدراسة الأنبياء أنه كان لإسرائيل بمثابة النبي إرميا ليهوذا. فإرميا كان ينعى يهوذا وهوشع كان ينعى إسرائيل. وكما رأى إرميا سرعة انحطاط وخراب يهوذا وخراب أورشليم بالنهاية وأسر الشعب الذي نعاه في سفر المراثي، هكذا فإن هوشع قد تنبأ أولاً ثم شاهد بنفسه مؤكّداً سقوط إسرائيل وسبي شعبها.

خلفيات حوادث السفر التاريخية:

من التقارير التاريخية التي جاءت في (٢مل ١٤ إلى ١٧) يبدو أن هوشع قد مارس نبوته في فترة مشوشة مليئة بالانقلابات وسفك الدماء. فأثناء مُلْك يربعام الثاني كانت إسرائيل مزدهرة وناجحة ولكن خطية عبادة الأصنام كانت تُمارَس مع انحطاط وقسوة وشهوة مادية وبذخ، وانحدار أخلاقي وروحي كان متفشياً في كل مكان. ولما مات يربعام سادت فوضى في المملكة (٤: ١ و٢، ٧: ١ و٧، ٨: ٣ و٤، ٩: ١٥). وابن يربعام زكريا اغتيل بواسطة شلوم بعد حكم قصير دام ستة أشهر. وشلوم بعد ذلك اغتصب العرش ولكنه قُتل بعد شهر واحد بواسطة مَنَحِيم أحد قوّاده. هذا الخائن

الشرير والمغتال حكم عشر سنوات غزا وأثناءها الأشوريون إسرائيل بقيادة تغلث فلاسر وأدخل المملكة الشمالية تحت الجزية.

وابن مَنَحِيم فَقَحْيَا بعد حكم سنتين قتله فقح أحد ضباطه واستولى على العرش وتعاهد مع رصين ملك دمشق ضد المملكة الجنوبية يهوذا. وقد طلب آحاز ملك يهوذا النجدة والتجأ إلى أشور الذين أغاروا على دمشق واستولوا على السامرة، أمّا فقح فاغتالوه بواسطة هوشع بن أيلة الذي استولى على العرش، وفي البداية دفع الجزية للأشوريين ولكن أخيراً تحالف هوشع ابن أيلة مع مصر وامتنع عن دفع الجزية، مما دعا شلمنأسر الخامس خليفة تغلث فلاسر لغزو البلاد وأخذوا هوشع بن أيلة أسيراً. وبعد حصار دام ثلاث سنوات، سقطت السامرة في يد سرجون في سنة ٧٢٢ ق.م ونُقلت أعدادٌ غفيرة جداً من إسرائيل إلى ما بين النهرين وحلّ محلّهم أجانب أغراب عن إسرائيل استُحضروا من أشور وبابل وكوث وعوّا وحماة وسفروايم (٢مل ١٧: ١ - ٢٤).

فهكذا كانت الفترة التي تنبّأ أثناءها هوشع فترة صاخبة، وكانت حالة إسرائيل الأخلاقية منتهى الفساد بشهادة النبوّات والكتب التاريخية وكل البراهين. وعوض أن يقود الكهنة الشعب للحياة المستقيمة كانوا يشجّعونهم على الخطية (٤: ٦ - ٩، ٥: ١، ٦: ٩). والملوك أعطوا المثل في شرب الخمر وبناء المذابح للأوثان (٧: ٣ - ٥) والشعب عثر في عبادة يهوذا وارتبك وانشغل بعبادة الأصنام وسادت عبادة العجل في كل بيت. ورفضت الأمة إلهها وبدأت تعتمد على محالفة الأمم الغريبة (٨: ٩ و١٠)، وساد انحطاط الأخلاق وتسفُّل الحياة الروحية وانحدار السياسة وراء عبادة الأصنام، وخانوا عهد يهوه الذي هو عماد الأمة. وحينما حثّ الله هوشع أن ينطق بتحذيراته وتعنيفه على إسرائيل كان هذا هو الواقع الحزين.

عناصر نبوّة هوشع النبي:

الجزء الأول: خيانة إسرائيل، عدم الأمانة ثم العودة بعد التأديب. (الأصحاح الأول إلى الثالث):

(أ) زواج هوشع من زوجة أصلها زانية (جومر) (١ - ٢: ٢٣)

١ - رفض إسرائيل يُرمز له بأسماء أولاد جومر الثلاثة (١: ١ - ٩)

٢ - عودة إسرائيل الشمالية ويهوذا الجنوبية (١: ١٠ - ٢: ١)

٣ - دينونة خيانة إسرائيل وعقوبتها التأديبية (٢: ٢ - ١٣)

٤ - عودة إسرائيل كزوجة أمينة مؤكدة ليهوه (٢: ١٤ - ٢٣)

(ب) زواج هوشع مرة ثانية لجومر (٣: ١ - ٣)

١ - استئجار الزوجة جومر وتأديبها (٣: ٤ و٥)

٢ - معاملة إسرائيل بالمثل (٣: ١ - ٥)

الجزء الثاني: اتهام إسرائيل وتأديبها وعودتها

مصورة بأقوال هوشع (من الأصحاح الرابع إلى الأصحاح الرابع عشر)

(أ) اتهام إسرائيل بالجريمة (٤: ١—٧: ١٦)

١ - تخاطب الله مع إسرائيل (٤: ١ - ٥: ٧)

٢ - إعلان دينونة إسرائيل (٥: ٨ - ١٤)

٣ - توبة إسرائيل (٥: ١٥ - ٦: ٣)

٤ - اهتمام الله بالإصلاح الداخلي وليس بالالتزام بالطقس (٦: ٤ - ١١)

٥ - خواء حالة إسرائيل الداخلية والعلامات الخارجية للانحلال (٧: ١ - ١٦)

(ب) عقوبة وتأديب إسرائيل على عدم أمانتها (٨: ١ - ١٠: ١٥)

١ - النبي يعلن الدينونة العاجلة (٨: ١ - ١٤)

٢ - فساد إسرائيل سينتهي بالسبي (٩: ١ - ٩)

٣ - فساد إسرائيل ينذر بتشتتها بين الأُمم (٩: ١٠ - ١٧)

٤ - فساد إسرائيل نتج عن ازدهارها الذي سينتهي (١٠: ١ - ٨)

٥ - فساد إسرائيل يمكن تعقبه من بداية وجودها فخطاياها هي السبب(١٠: ٩ - ١٥)

(ج) الله يعيد إسرائيل بعد تأديبها (١١: ١ - ١٤: ٩)

١ - عطف الأب على ابنه (١١: ١ - ١١)

٢ - خيانة إسرائيل ستُعاقَب عليها (١١: ١٢—١٣: ١٦)

+ إسرائيل لم ترع طرق يعقوب (١١: ١٢ - ١٤)

+ خراب إسرائيل لا يمكن الرجوع فيه (١٣: ١ - ١٦)

٣ - عودة إسرائيل على أساس توبتها (١٤: ١ - ٩)

الأقوال المأثورة من نبوّة هوشع:

+ «لكن يكون عدد بني إسرائيل كرمل البحر الذي لا يُكال ولا يُعدُّ ويكون عوضاً عن أن يُقال لهم لستم شعبي يُقال لهم أبناء الله الحي.» (هو ١: ١٠)

+ «ويُجمع بنو يهوذا وبنو إسرائيل معاً ويجعلون لأنفسهم رأساً واحداً ويصعدون من الأرض

لأن يوم يزرعيل عظيم.» (هو ١: ١١)

+ «وأخطبك لنفسي إلى الأبد وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم، أخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب.» (هو ٢: ١٩ و٢٠)

+ «لأن بني إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وترافيم، بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده في آخر الأيام.» (هو ٣: ٤ و٥)

+ «قد هلك شعبي من عدم المعرفة.» (هو ٤: ٦)

+ «هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا. ضرب فيجبرنا. يُحيينا بعد يومين. في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه.» (هو ٦: ١ و٢)

+ «لنعرف فلنتتبَّع لنعرف الرب. خروجه يقين كالفجر. يأتي إلينا كالمطر. كمطر متأخر يسقي الأرض.» (هو ٦: ٣)

+ «أنا أفديهم وهم تكلَّموا عليَّ بكذب.» (هو ٧: ١٣)

+ «إنهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة.» (هو ٨: ٧)

+ «ازرعوا لأنفسكم بالبر. احصدوا بحسب الصلاح احرثوا لأنفسكم حرثاً فإنه وقت لطلب الرب حتى يأتي ويعلمكم البر.» (هو ١٠: ١٢)

+ «لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني.» (هو ١١: ١)

+ «في البطن قبض بعقب أخيه وبقوته جاهد مع الله. جاهد مع الملاك وغلب.» (هو ١٢: ٣ و٤)

+ «من يد الهاوية أفديهم. من الموت أخلصهم. أين أوْبَاؤكِ يا موت؟ أين شوكتكِ يا هاوية؟» (هو ١٣: ١٤)

+ «فنقدم عجول شفاهنا.» (هو ١٤: ٢)

+ «مَنْ هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور وفهيم حتى يعرفها، فإن طرق الرب مستقيمة والأبرار يسلكون فيها وأما المنافقون فيعثرون فيها.» (هو ١٤: ٩)

٥ ـ عاموس النبي

مَنْ هو عاموس؟

اسمه العبري يحمل معنى ''حِمل أو ثقل''. ولكن لا يصح أن يختلط اسمه بأموص أبي النبي إشعياء. وقد أورد عاموس في نبوَّته معلومات طيبة عن نفسه: فقد كان يعيش في مدينة تَقُوعَ مدينة على بُعد خمسة أميال من بيت لحم أفراتة، وكان عمله راعياً للغنم كداود، وبنفس الآن كان عليه أن يتسلَّق شجر الجميز ليختنه تينة تينة. فهو راعٍ وجاني وخاتن جميز (٧: ١٤). لم يكن من بيت كهنوتي ولا من أصل نبوي ولكنه، كقوله، دُعي للنبوَّة بصوت يهوه وهو يرعَى الغنم، ويقول عن نفسه إنه ليس نبياً ولا هو ابن نبي وإنما دعاه الله للنبوَّة، أي لم يمتهن النبوَّة بالسابق ولا أخذها من مدرسة ولا عن أحد ولكن كدعوة سمائية: «قال لي الرب اذهب تنبَّأ لشعبي إسرائيل.» (٧: ١٤ و١٥)

وقد دُعي عاموس «نبي البرّ» بسبب شجاعة دعوته ومناداته الأخلاقية بالبر ضد الفساد الأخلاقي الذي استشرى في إسرائيل ويهوذا. وكان تنبؤه الشجاع الذي بلا خوف ضد إسرائيل سبباً في أن أثار عليه أحقاد أَمَصْيَا رئيس الكهنة المارق الذي شكاه وأثار عليه حفيظة الملك يربعام لأنه كان يتنبَّأ في كل الأرض من يهوذا إلى إسرائيل مشياً على الأقدام. ولكنه خصَّ الدولة الشمالية إسرائيل بمعظم نبوَّاته (٧: ١٥)، غير أنه تنبَّأ أيضاً على يهوذا (٢: ٤ و٥) وكذلك البلاد الأخرى المجاورة غير إسرائيل دمشق (أرام)، وغزة (فلسطين) وصور (فينيقية) وأدوم وعمون وموآب. وكان يرتفع بالنداء بنبوَّته إلى مستوى هيكل إسرائيل في بيت إيل (٧: ١٠ و١٣)، وجاب السامرة صارخاً (٣: ٩ - ١٢)، (٤: ١ - ٣)، ووصل إلى الجلجال (٤: ٤، ٥: ٤ و٥).

وعاموس كان متقدِّماً في العمر عن هوشع، وقد كان يخدم نبوّته في إسرائيل سنة ٧٦٠ ق.م قبل الزلزال الذي حدث هناك وزعزع مملكة إسرائيل. والعجيب أن نسمع أن عاموس كان متعلماً وقد درس كيهودي ما يحقّق هويته كنبي، وكان عالماً بأحوال مجتمعه السياسي والحكومي والقضائي والأعمال العامة لتلك الأيام. وقد تكلَّم علناً في بيت إيل (٧: ١٠ - ١٧). ومن مستوى عالٍ صرخ في السامرة (٣: ٩، ٤: ١، ٦: ١) كما قلنا قبلاً وفي الجلجال (٥: ٥). وكان دارياً بجغرافية المكان وتاريخ إسرائيل وأحوال البلاد اجتماعياً وما حول إسرائيل من بلاد وما يجري فيها، وكان يعيش طائعاً لله متحملاً استهتار قومه بالعهد وتركهم لمسئولياتهم. فعاموس فلاح، نعم فلاح ولكن عالم بالدنيا التي يعيشها دارياً بحكمة بلاده الموروثة، وكان يدعو الحكماء أن يصمتوا في تلك الأيام (٥: ١٣) ولكنه لم يصمت لأن يهوه قال له تكلَّم. فصارت كلمة الله كالنار تحرق في صدره (٣:

٨). وبتحدٍّ نحّى نفسه من مستوى طبقة الأنبياء وهو نبي. وكان عاموس قد رفض الغِنَى وقاوم الأغنياء، وكرجل أعمال احتقر الثروات (٣: ١٠ و١٢ و١٥، ٥: ١١، ٦: ٤ و٨)، وكلّ ما يجري من الأثرياء من قبائح أخلاقية وأعمال الظلم (٢: ٦ و٧، ٤: ١، ٥: ١٠ و١٢، ٨: ٤ - ٦).

وكان نقد هذا النبي نابعاً عن دراية كمن يجاهد في الحياة بعمل يديه (١: ١، ٧: ١٤ و١٥)، دعاه الله فلبَّى الدعوة، وترك وراءه العمل والثروة والأهل والمسئولية، تقوده كلمة الله كخبير حياة طائع لكلمة الله (٧: ١٥).

وعاموس نبي ذو شخصية صلبة كأصالة الأنبياء، انفجر في وجه رئيس الكهنة لما أراد أن يهدده ويُسكت فمه، فما عبأ به ولا بالملك، مع أن أَمَصْيَا كان كبير كهنة بيت إيل والتالي من بعد الملك (٧: ١٢ و١٣). ونادى برسالته منذراً بدينونة عامة وخلاص آت. وكان عاموس كالأسد الذي يصفه: «الأسد قد زمجر فمن لا يخاف. السيد الرب قد تكلَّم فمن لا يتنبَّأ.» (عا ٣: ٨)

وعاموس كان نبيًّا على مستوى زمنه، عملاقاً أديباً، ولغته ساحرة ومن لغته نكتشف أنه رجل على مستوى نبوَّته فعلاً (٢: ١٢، ٤: ١، ٥: ١٤، ٦: ١٣، ٧: ١٠ و١١ و١٦، ٨: ٥ و٦، ٩: ١٠). هذا الراعي الفلاح جاني الجميز الذي حاول دائماً أن يُحقّر نفسه ليُعلّي من شأن كلمة الله في فمه.

وأسلوبه في الوعظ والمناداة سهل مناسب موجَّه، حي متحرك يصطدم باللاهي بحذق. وهو يتعرَّض إلى حياة الناس الشخصية (٧: ١٧) كنبي وليس كناقد، بمعنى الدينونة وليس السخرية. وهو يلعب بالألفاظ، بليغ، موجَّه «لا تطلبوا بيت إيل وإلى الجلجال لا تذهبوا وإلى بئر سبع لا تعبروا. لأن الجلجال تُسبى سبياً[١] وبيت إيل تصير عدماً. اطلبوا فتحيوا لئلا يقتحم بيت يوسف كنار تحرق ولا يكون مَنْ يطفئها من بيت إيل!!» (٥: ٥ - ٧) وكذلك (٦: ٧)، (٨: ٢).

وإذا بدأ عاموس في كلام الحكمة فإنه يسترسل فيه كسفر الأمثال عمقاً ومعنًى (٣: ٣ - ٦ و٨). وله تشابيه لاذعة على مستوى الحكمة. وقد تأكد العلماء أن كتاب عاموس احتُفِظ به في يهوذا كوثيقة أصيلة مسجَّلة[٢].

وكان الوعيد بأن دينونة الله آتية عامة، وشاملة هو مركز النبوَّة (١: ٢). فلم تقتصر على حدود

---

(١) «لأن الجلجال يُسبى سبياً» تُنطق بالعبري ''كي جلجال جالو يجلي''.

(2) W. A. Van Gemeren, op. cit., p. 130.

ما هو لإسرائيل بل امتدت لتشمل يهوذا وملوك كل منهما، وامتدت خارج يهوذا والسامرة إلى البلاد المحيطة فكشفت عن اتساع محيطها وهدفها في الأُمم. والقطع الشعرية الأربع (١: ٢)، (٤: ١٣)، (٥: ٨ و٩)، (٩: ٥ و٦) تكشف عن حكم يهوه على الأُمم. والجزء الأخير المملوء رجاء (٩: ١١ - ١٥) يعطي النبوَّة اتساع الأفق والاتجاه بها إلى الإسخاتولوجيا (أي آخر الأزمنة) متنقلاً من الدينونة إلى العودة والتجديد.

وفي زمن نبوَّة عاموس كانت إسرائيل تنعم بالهدوء والسلام من الخارج تجاه الأعداء التقليديين، من الداخل كانت مستقرة ومزدهرة وناجحة ترفل في الهدوء ولا تعلم ماذا سيحل بها في أقل من أربعين سنة. وكان يربعام الثاني ناجحاً سياسياً وحربياً، وكان من أكثر ملوك الشمال نجاحاً. وأخبار حكمه وإن تسجلت في حيز ضيق في كتب الملوك إلا أنها تشير أنه كان أكثر من أي ملك آخر نجاحاً وقد استعاد دمشق وحماة التي كانت خاضعة في السابق ليهوذا أيام داود وسليمان. فكانت الأمة كلها تنعم بازدهارها وقد خلدت إلى ملاذ المعيشة والبذخ (٦: ١٣). وكان من ثمرات الازدهار وإفراط النجاح أن دخلها الكبرياء والبذخ والأنانية والطموح والقسوة وانحطاط الأخلاق، ومالت بقوة إلى عبادة الأصنام حتى وفي بيت إيل. وقد ذهب عاموس إلى هناك وصرخ في وجوه القوم، وحذَّر وأنذر وعنَّف الكبار والمسئولين على الخطية والتعدِّي، وهدَّد بالدينونة العتيدة أن تأتي عليهم. ولكن كانت حالة الثراء والغِنَى وانحطاط الأخلاق حائلاً من أن تصغى الأمة لفلاح بلدة تَقُوعَ جاني الجميز، فكانت محاولات عاموس بلا نتيجة.

ولم يكن أحد يلتفت إلى الخطر الداهم من جهة أشور، ولكن عاموس رأى بعين النبوَّة مثل إشعياء أن الغضب زاحف والعدو يتحرَّك كأداة نقمة وتأديب للنائمين على الأَسِرَّة الحرير (إش ١٠: ١ - ٤)، (عا ٧: ١١ و١٦ و١٧) وبالأكثر (عا ٥: ٢٧).

أجزاء سفر عاموس:

سفر نبوَّة عاموس يحوي تسعة أصحاحات، يغلب عليه إعلان الدينونة. وكانت إسرائيل أكثر من يهوذا انحلالاً في أيامه، فاتجهت إنذاراته وتوبيخاته نحو إسرائيل في الشمال التي كانت حالتها الأخلاقية قد ساءت حيث طغى الظلم وعدم العدالة، فكثر ارتداد الشعب عن يهوه إلى الأصنام. ولم يتنبأ عاموس عن انحلال الأمة وسوء مصيرها فقط، بل تعدَّاها أيضاً إلى البلاد المجاورة التي كانت إسرائيل تتعامل معها، والتي سرَّبت إلى إسرائيل عبادة الأصنام، فنادى عاموس بدينونة البلاد المحيطة.

وكان في اعتبار عاموس أن العدل والأخلاق هما أساس المجتمع، وقد هاله ما تفشَّى في وسط الشعب من الطمع والخيانة والتسفُّل الأخلاقي والظلم، ورأى أن هذا كله خيانة لعهد يهوه.

وكتاب عاموس ينقسم إلى ثلاثة أجزاء من أقوال الوحي الإلهي، ولكن يمكن أن يجمعها عنوان واحد افتتح به نبوَّته: «أقوال عاموس ... التي رآها عن إسرائيل في أيام عُزِّيَّا ملك يهوذا وفي أيام يربعام بن يوآش ملك إسرائيل قبل الزلزلة بسنتين.» (١: ١)

الجزء الأول: ويضم الأصحاحين الأول والثاني:

وهو يحمل واجباً ثقيلاً أراد أن يخلِّص ضميره منه ضد الأُمم المحيطة ومعها إسرائيل ويهوذا. ويتجه الوحي ضد جرائم هذه الشعوب التي ستنتهي إلى دينونة مفصَّلة عن الجرائم والخطايا والشرور الأخلاقية لإسرائيل.

الجزء الثاني: ويضم الأصحاحات من (٣ - ٦):

ويتكوَّن من ثلاثة خطابات وعظية عن الدينونة يمكن تحديدها بسهولة، لأن كل واحد منها يبتدئ بالقول النبوي: «اسمعوا هذا القول» على رأس الأصحاحات ٣ و٤ و٥. وكل واحد من هذه التشهيرات يعقبها كلمة واضحة: "لذلك" (٣: ١١، ٤: ١٢، ٥: ١٦، ٦: ٧) التي تعلن عن طبيعة الدينونة التي ستأتي.

وهكذا في بدء كل خطاب يذكر سبب الدينونة وفي الآخر طبيعة الدينونة.

توضيح للجزء الثاني كما جاء في السفر:

الأصحاح الثالث : يبدأ هكذا: «اسمعوا هذا القول ...» (٣: ١)
ويليه: «لذلك هكذا قال السيد الرب.» (٣: ١١)

الأصحاح الرابع : يبدأ هكذا: «اسمعوا هذا القول ...» (٤: ١)
يليه: «لذلك هكذا أصنع ...» (٤: ١٢)

الأصحاح الخامس: يبدأ هكذا: «اسمعوا هذا القول ...» (٥: ١)
يليه: «لذلك هكذا قال السيد الرب ...» (٥: ١٦)

الجزء الثالث: ويضم الأصحاحات (٧ - ٩).

وهو يتكوَّن من خمس رؤى:

الأولى: جراد (٧: ١). **الثانية**: نار (٧: ٤).

الثالثة: زيج "حبل القياس" (٧: ٧) **الرابعة**: سلة القطاف (٨: ١)

الخامسة: المذبح (٩: ١)

وفي الأصحاح (٧: ١٠ - ١٧) حديث أَمَصْيَا مع عاموس ليمنعه من التنبُّؤ. وهكذا جعل الدينونة آتية لأن الأمة اختارت بفم رئيس الكهنة الثورة ضد كلمة الرب. ولكن النبوَّة تشمل أيضاً (٩: ١١ - ١٥) مع وعد للعودة واسترجاع المجد لإسرائيل.

ولكن المبدأ الذي يصر عليه عاموس هو أن العبادة في الظاهر قد انحرفت عن الاتجاه الأخلاقي السلوكي وأصبحت غير مقبولة عند الله.

أما الشعب فقد غدروا به وخدعوه ليكون إيمانهم بمجرد القيام بأعمال التديُّن باستهانة وأما حياتهم فمملوءة أطماعاً وأنانية وتسفلاً أخلاقياً، وخدعوه باعتقادهم أن أعمال التديُّن هذه تكفيهم وتؤمنهم ضد القضاء الإلهي.

ويستخدم النبي عاموس التهكم في دعوة الناس أن يأتوا إلى بيت إيل باجتهاد وأن يحضروا الذبائح ويكثروا الذنوب:

+ «هلم إلى بيت إيل وأذنبوا إلى الجلجال وأكثروا الذنوب وأحضروا كل صباح ذبائحكم وكل ثلاثة أيام عشوركم. وأوقدوا من الخمير تقدمة شكر ونادوا بنوافل وسمعوا. لأنكم هكذا أحببتم يا بني إسرائيل يقول السيد الرب.» (عا ٤: ٤ و٥)

وعاموس النبي يُصِرّ على أن الدين والأخلاق لا يفترقان، ويستحيل أن نفصل بين العبادة والسلوك أو بين الدين والحياة.

ويرى أن الأمة بازدهارها هذا غير المسبوق وبذخهم مع انغماسهم في الخطايا وهم يركنون إلى الكسل والحياة الناعمة، كل هذا يشير إلى أن الأمة قد فسدت وقد حُرِموا من الأخلاق.

وهو ينعى إسرائيل واليهودية في الأصحاح (٦)، الذين يعيشون في أمان كاذب مكتفين بحاضرهم النجس لاهين عن الدينونة القادمة:

+ «ويل للمستريحين في صهيون والمطمئنين في جبل السامرة، نقباء أول الأمم.» (٦: ١)

يُبعدون عنهم يوم البلية (٦: ٣) مع أن دينونتهم قادمة لا محالة والخطية قد عشعشت في المدن والعواصم.

وهو يصف كيف أن الفساد الأخلاقي في إسرائيل قد أعطاهم الأمان الكاذب، فاحتقروا الدينونة على الخطية، واستخدموا العنف واللامبالاة وسكروا بالخمر (٤: ١) وفقدوا الإحساس بالرحمة واستنكروا المصيبة القادمة، والأمة تسير في عماها وشهوتها وهي تُسرع إلى النهاية مما أغاظ الرب وجعله يقسم بنفسه أنه قد أبغض عظمتهم الكاذبة، وعقابهم قادم (٦: ٨).

لقد كانت علاقة إسرائيل بالرب خاصة جداً من بين الأمم، وقد تقبَّلت منه إحسانات هذا عددها، وبالرغم من ذلك لم تتعلَّم أنه بقدر العطف والإحسان تكون المسئولية (لو ١٢: ٤٨). لقد مالت إسرائيل إلى الافتخار بنصيبها ورفضت مسئوليتها الأخلاقية بين الأمم، لذلك سبق الله وأنذرها أن عليها أن تتوقع عقاب خطاياها: «إياكم فقط عرفتُ من جميع قبائل الأرض لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم» (٣: ٢). فإن كان الاختيار قد أعطاها عطفاً خاصاً، ولكن لم يعطها حق أن تخطئ بفجور. وعاموس ينذرها بأنها ستقابل وجه الله:

+ «لذلك هكذا أصنع بكَ يا إسرائيل. فمن أجل أني أصنع بكَ هذا فاستعدّ للقاء إلهك يا إسرائيل.» (٤: ١٢)

إن الاختيار لا يُنظر إليه أبداً أنه عفويّ وبلا معنى، فالاختيار له هدف وغرض. فاختيار الله لإسرائيل لا يعطيها حق احتكار عطف الله ولكن يضع على عنقها مسئولية أخلاقية بين الأمم. لقد دُعوا رسمياً من الله أن يكونوا قديسين، لقد دعاهم ليكونوا له خاصة فوق كل الأمم، ليكونوا نوراً للعالم، ولذلك أُعطوا استعلانات لم تعط لأمة أخرى قط:

+ «يخبر يعقوب بكلمته وإسرائيل بفرائضه وأحكامه. لم يصنع هكذا بإحدى الأمم. وأحكامه لم يعرفوها. هللويا.» (مز ١٤٧: ١٩ و٢٠)

وهذا كله قد أضاف عليهم المسئولية ووضع أمامهم الدينونة لا محالة إن أخطأوا ولم يطيعوا صوته. لقد دعاهم الله ليكونوا ملوكاً وكهنة لله الحي، فكان عليهم أن يعرضوا أنفسهم أمام أمم العالم كشعب يطيع باختياره ويمجدوه بأخلاق وعبادة. فاستعلان الله لنفسه الذي صنعه مع إسرائيل كان لابد أن ينعكس عليهم بالقداسة والطاعة. فاختيار إسرائيل وضع عليها مسئولية أخلاقية عظمى، ولكنها قد سقطت في اختيارها وقدَّمت أردأ المُثُل. لذلك يعنِّف ويوبِّخ إسرائيل لأنها

أدركت الله ونفسها إدراكاً خاطئاً (٥: ١٨ – ٢٠ و٢٧).

وعاموس قدَّم أربعة أشعار موزونة في نبوَّته وهي (١: ٢)، (٤: ١٣)، (٥: ٨–٩)، (٩: ٥–٦) وتتخلل هذه الأشعار ثلاثة ألقاب خاصة بيهوه:

اللقب الأول: «يهوه اسمه» (٥: ٨)، (٩: ٦):

+ «الذي صنع الثُّريَّا والجبار، ويُحوِّل ظل الموت صبحاً ويظلم النهار كالليل، الذي يدعو مياه البحر ويصبُّها على وجه الأرض، **يهوه اسمه**.» (٥: ٨)

+ «الذي بنى في السماء علاليه وأسَّس على الأرض قبَّته، الذي يدعو مياه البحر ويصبها على وجه الأرض. **يهوه اسمه**.» (٩: ٦)

اللقب الثاني: يهوه «رب الجنود» وتُرجمت في السبعينية إلى كلي القدرة (٤: ١٣)، (٩: ٥):

+ «فإنه هوذا الذي صنع الجبال وخلق الريح وأخبر الإنسان ما هو فكره، الذي يجعل الفجر ظلاماً ويمشي على مشارف الأرض، يهوه **إله الجنود** اسمه.» (٤: ١٣)

+ «والسيد **رب الجنود** الذي يمس الأرض فتذوب وينوح الساكنون فيها وتطمو كلها كنهر وتنضب كنيل مصر.» (٩: ٥)

اللقب الثالث: «السيد الرب»، «أدوناي يهوه» (٩: ٥):

+ «والسيد (أدوناي) رب (يهوه) الجنود يمس الأرض فتذوب وينوح الساكنون فيها وتطمو كلها كنهر وتنضب كنيل مصر.» (٩: ٥)

على أن القطعة الموزونة الرابعة هي أكثر أشعاره دراما، فالظهور الإلهي سيصيب الكون كله، والرب رب السماء والأرض والخليقة والأمم، كل شيء خاضع لحركته في الخليقة (٩: ٥ – ٦).

وهو الذي أمر بسبي إسرائيل (٩: ٣)، (٨: ٩):

+ «وإن اختبأوا في رأس الكرمل فمن هناك أفتش وآخذهم، وإن اختفوا من أمام عيني في قعر البحر فمن هناك آمر الحية فتلدغهم.» (٩: ٣)

+ «ويكون في ذلك اليوم يقول السيد الرب إني أُغيِّب الشمس في الظهر وأنتم الأرض في يوم نور.» (٨: ٩)

رؤى عاموس الخمسة:

كما قلنا **الأولى**: الجراد (٧: ١). **والثانية**: المحاكمة بالنار (٧: ٤).
والثالثة: حبل القياس، الزيج (٧: ٧)، **والرابعة**: سلة القطاف (٨: ١)،
والخامسة: المذبح (٩: ١).

والخمس الرؤى تكشف عن تصميم الرب الإله على أن يخرب إسرائيل، ولكن للنبي تدخُّلٌ فبالصلاة للشفاعة. فعاموس وقف لشعب إسرائيل كموسى يتشفَّع لدى الله أن لا يُهلك بل يعفو عن إسرائيل:

+ «أيها السيد الرب اصفح، كيف يقوم يعقوب فإنه صغير: فندم الرب على هذا لا يكون قال الرب.» (٧: ٢ و٣)

وذلك خوفاً من أن يفنى إسرائيل من عوامل الطبيعة (الجراد) (٧: ١ – ٣)، فالرب استمع واستراح وقَبِلَ صابراً.

ولكن الرب لم يغفر لإسرائيل فكانت الرؤيا الثانية (٧: ٤) دعا للمحاكمة بالنار! ولكن عاد عاموس وصلَّى:

+ «فقلت أيها السيد الرب كُفَّ. كيف يقوم يعقوب فإنه صغير. فندم الرب على هذا. فهو أيضاً لا يكون قال السيد الرب.» (٧: ٥ و٦)

ولكن الله لم يُنه المحاكمة ولم يوقف الحكم.

ولكن قرار الله بالدينونة هو قائم ثابت، لأن الخطأ مستمر فكانت الرؤيا الثالثة أنه لن يحتمل بعد (٧: ٨): «لا أعود أصفح له بعد». لأن الزيج وهو حبل قياس يحقِّق أنهم قد نقلوا تخومهم من الرب خارجاً.

هنا تدخل أَمَصْيَا ليمنع عاموس من التنبُّؤ فتوقفت الرؤيا حيناً.

بعدها رأى الرؤية الرابعة سلة قطَّاف (أي فاكهة نضجت للقطف) (٨: ١ – ٣) أي حان وقت المحاكمة: «قد أتت النهاية على شعبي إسرائيل لا أعود أصفح له بعد» (٨: ٢) والرؤيا الخامسة: «رأيت السيد قائماً على المذبح فقال اضرب ...» (٩: ١ – ١٤)

وبدل الراحة والأمان اللذين كانوا فيهما سوف يُشتَّتون في أنحاء العالم: «لأني هأنذا آمر فأغربل بيت إسرائيل بين جميع الأمم.» (٩: ٩)

وفي نهاية السفر يتكلّم عاموس عن البقية والعودة وإقامة خيمة داود الساقطة وأن الحكم المنهار يتجدّد بحكم إلهي:

+ «في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة ... كأيام الدهر ... وأرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً ...» (٩: ١١ - ١٦)

وهي الآية التي استخدمت في سفر الأعمال:

+ «سأرجع بعد هذا وأبني أيضاً خيمة داود الساقطة وأبني أيضاً ردمها وأقيمها ثانية.» (أع ١٥: ١٦)

فهرس موضوعات نبوّة عاموس:

الجزء الأول: الدينونات العامة ضد الأمم ومعها يهوذا وإسرائيل — الأصحاح (١) و(٢)

(أ) دينونة الأمم المحيطة: (١: ١ - ٢: ٣)

١ - ضد دمشق (١: ٣ - ٥)

٢ - ضد غزة (١: ٦ - ٨)

٣ - ضد صور (١: ٩ و١٠)

٤ - ضد أدوم (١: ١١ و١٢)

٥ - ضد عمون (١: ١٣ - ١٥)

٦ - ضد موآب (٢: ١ - ٣)

(ب) دينونة يهوذا وإسرائيل: (٢: ٤ - ١٦)

١ - ضد يهوذا (٢: ٤ - ٥)

٢ - ضد إسرائيل (٢: ٦ - ١٦)

الجزء الثاني: دينونة خاصة ضد إسرائيل في ثلاثة نداءات — الأصحاح (٣) - (٦)

(أ) خطية الجرأة والغطرسة والتعالي: (٣: ١ - ١٥)

١ - السبب في محاكمة إسرائيل وهو رفض مسئوليتها (٣: ١و٢و٩و١٠)

٢ - سلطان النبي لينطق ويعلن النبوّة بالحكم (٣: ٣ - ٨)

٣ - وصف الحكم (٣: ١١ - ١٥)

(ب) خطية التديُّن الكاذب: (٤: ١ - ١٣)

١ - وصف لأخلاقهم: فساد أخلاقي واجتماعي (٤: ١ - ٣)

٢ - وصف لممارساتهم الدينية: تديُّن ظاهري وطقوس ميتة (٤: ٤ و ٥)

٣ - عدم نفع الأحكام السابقة على إسرائيل (٤: ٦ - ١١)

٤ - اقتراب الدينونة الأخيرة، الاستعداد لمواجهة الله (٤: ١٢ و١٣)

(ج) خطية فساد الأخلاق والسلوك: (٥: ١ - ٦: ١٤)

١ - نحيب عاموس على إسرائيل (٥: ١ - ٣)

٢ - دعوة للتوبة (٥: ٤–٩و١٤و١٥)

٣ - سبب الدينونة فساد الأخلاق والسلوك (٥: ١٠ - ١٣)

٤ - إعلان الدينونة: (٥: ١٦ - ٦: ١٤)

+ نحيب الشعب (٥: ١٦ و١٧)

+ الويل الأول: يوم الرب (٥: ١٨ - ٢٧)

+ الويل الثاني: الخراب والأسر (٦: ١ - ١٤)

الجزء الثالث: ويضم الأصحاحات (٧ - ٩)

(أ) الرؤى الرمزية للدينونة القادمة: (٧: ١ - ٩: ١٠)

١ - الرؤيا الأولى: الجراد. آفة طبيعية (٧: ١ - ٣)

٢ - الرؤيا الثانية: النار الآكلة (٧: ٤ - ٦)

٣ - الرؤيا الثالثة: الزيج. حبل القياس (٧: ٧ - ٩)

٤ - موقف تاريخي: اعتراض أمصيا ضد النبي (٧: ١٠ - ١٧)

٥ - الرؤية الرابعة: سلة القطاف (٨: ١ - ١٤)

٦ - الرؤية الخامسة: المذبح (خراب الهيكل) (٩: ١ - ١٠)

النهاية سنة ٧٢٢ ق.م

(ب) الوعد ببركات المسيّا الآتية: (٩: ١١ - ١٥)

١ - مملكة المسيّا (٩: ١١ و١٢)

٢ - بركات العصر المسياني (٩: ١٣)

٣ - عودة إسرائيل (٩: ١٤ و ١٥)

الأقوال المأثورة في سفر عاموس النبي:

+ «هكذا قال الرب. من أجل ذنوب إسرائيل الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنهم باعوا البار بالفضة والبائس لأجل نعلين.» (عا ٢: ٦)

+ «إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم.» (عا ٣: ٢)

+ «هل تحدث بلية في مدينة والرب لم يصنعها. إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يُعلن سرَّه لعبيده الأنبياء. الأسد قد زمجر فمن لا يخاف. السيد الرب قد تكلم فمن لا يتنبأ.» (عا ٣: ٦ – ٨)

+ «فصرتم كشعلة منتشلة من الحريق.» (عا ٤: ١١)

+ «اطلبوا فتحيوا ... اطلبوا الرب فتحيوا.» (عا ٥: ٤ و٦)

+ «يصمت العاقل في ذلك الزمان لأنه زمان رديء.» (عا ٥: ١٣)

+ «فأجاب عاموس وقال لأَمَصْيَا لست أنا نبيًّا ولا أنا ابن نبي بل أنا راعٍ وجاني جميز. فأخذني الرب من وراء الضأن وقال لي الرب اذهب تنبأ لشعبي إسرائيل.» (عا ٧: ١٤ و١٥)

+ «هوذا أيام تأتي يقول السيد الرب أرسل جوعاً في الأرض، لا جوعاً للخبز ولا عطشاً للماء بل لاستماع كلمات الرب.» (عا ٨: ١١)

+ «غير أني لا أبيد بيت يعقوب تماماً يقول الرب. لأنه هأنذا آمر فأُغَرْبِل بيت إسرائيل بين جميع الأمم كما يُغَرْبَل في الغربال وحبة لا تقع إلى الأرض.» (عا ٩: ٨ و٩)

+ «في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة وأُحصِّن شقوقها وأقيم ردمها وأبنيها كأيام الدهر.» (عا ٩: ١١)

+ «وأرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً خربة ويسكنون ويغرسون كروماً ... وأغرسهم في أرضهم ولن يُقلعوا بعد من أرضهم التي أعطيتهم، قال الرب إلهك.» (عا ٩: ١٤ و١٥)

٦ - ميخا النبي

ميخا اسم على كل لسان في العهد القديم، وهو مختصر لاسم ميخايا ويعني: "مَنْ الذي يشبه يهوه"، "لا يوجد إله آخر مثل يهوه". وهو يتميَّز عن بقية الأشخاص الذين يُسمُّون ميخا بأنه ميخا المورشتي كما وصف هو نفسه، أي مواطن من مورشة جت (١: ١٤). ولو أن المدينة التي بهذا الاسم ليست معروفة ولا معروف مكانها، ولكن يُقال بحسب يشوع أنها في أرض يهوذا (يش ١٥: ٤٤)، و"مريشة" جاءت في (٢أي ١١: ٨) «وجت ومريشة». ولو أن اسم أبيه لم يُذكر ولكن اسم "ميخا" يوضِّح أن الذي أسماه (أي أبواه) كانا أبوين مؤمنين.

وكان ميخا مواطناً من يهوذا وتنبَّأ في أورشليم. وهذا يُفهم من كون خدمته قد انحصرت في حكام يهوذا: يوثام وآحاز وحزقيا، ومقالاته كانت تدين فساد أورشليم وصهيون. وكان نبيًّا مستقيماً وأقواله واضحة، وله قوة إقناع وشجاعة وإيمان ثابت في الله لا يتهاون. وكان ينادي مطالباً بالعدل بين الناس والتعاطف مع الفقير والمضغوطين وذلك كما كان يطالب عاموس زميله المعاصر له. ومنبع قوة ندائه واضح في (٣: ٨): «لكني أنا ملآن قوة روح الرب وحقاً وبأساً لأُخبِّر يعقوب بذنبه وإسرائيل بخطيته».

وكانت اتجاهاته في النبوَّة تتجه إلى:

١ – الدينونة.

٢ – التطهير والنقاوة والرجاء.

٣ – أساس قيام مملكة الله والمسيَّا.

الخلفية التاريخية:

هو مثل معاصره إشعياء، ينتمي إلى النصف الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد، حيث في هذا الزمان كانت أشور قوية تحت حكم تَغْلَثَ فَلاَسِر الثالث وشَلْمَنْأَسَر الخامس وسَرْجُون الثاني وسَنْحَارِيب.

وكان قد خلف عزّيا ملك يهوذا على العرش ابنه يوثام وكان صالحاً مثل أبيه، وقد حكم سنين قليلة من سنة ٧٣٩ – ٧٣٥ ق.م. وبالقرب من نهاية حكمه صار تهديدٌ على يهوذا بغزوٍ من قوات إسرائيل ودمشق ولكن لم تحدث هذه الواقعة حتى إلى زمان حكم ابنه آحاز، الذي على الرغم من احتجاج إشعياء، استصرخ تَغْلَثَ فَلاَسِر الثالث لينجده. وقد سقطت إسرائيل ودمشق ونجت يهوذا،

ولكن كان الثمن أنها قد فقدت حريتها الوطنية وصارت تحت الجزية لملك أشور.

وأثناء السنين الأُولى لحزقيا ظلّت اليهودية تنعم بالسلام ولكن بدفع الجزية سنوياً لأشور. وجبروت أشور قد ظهر في اقتحامهم للسامرة وأسر إسرائيل (٧٢٢ ق.م) على يد سَرْجُون، وذلك في حكم هوشع ابن أيلة الذي كان ملكاً على إسرائيل، والذي أراد أن يلقي عن كاهله نير أشور بتحالفه مع مصر. ولكن سنحاريب الذي خلف سرجون واجه الثورة التي اشتركت فيها يهوذا، وفي سنة ٧٠٢ - ٧٠١ ق.م تقدَّم غرباً واستولى على صور وصيدا والبقية، واجتاح اليهودية. وانحصر حزقيا في أورشليم وحُبس فيها كعصفور في قفص ولكن أُنقذ بتدخل سماوي بواسطة قوة عجيبة (انظر: ٢مل ١٨ و١٩).

وكانت حالة اليهودية الأخلاقية والروحية في هذا الزمان منحطّة، وكان التديُّن في الظاهر فقط معتقدين أن أداء الشعائر الدينية يؤمِّن لهم الرضا الإلهي والقبول (٦: ٦ و٧، ٣: ١١). وكانت عبادة الأصنام متفشية، كما دخلت العبادة عناصرٌ غريبة مثل الذبائح البشرية، وكان الكهنة والأنبياء يؤدون خدمتهم بالأجرة، والأغنياء أكلوا حق الفقراء، والقضاة تقاضوا الرشوة وأكلوا حق الأيتام والأرامل.

وبلغت الحالة الروحية والاجتماعية والأخلاقية إلى فقد الرجاء الأمر الذي كان واضحاً في كلمات النبي ميخا:

+ «لا تأتمنوا صاحباً لا تثقوا بصديق. احفظ أبواب فمك عن المضطجعة في حضنك. لأن الابن مستهين بالأب والبنت قائمة على أُمها والكنَّة على حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته. ولكنني أراقب الرب، أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي. لا تشمتي بي يا عدوتي. إذا سقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي.» (مي ٧: ٥ - ٨)

لذلك سُمّي ميخا أنه المترجّي مملكة الله والمسيَّا.

وميخا وإشعياء عاشا في أيام حكومة أرام التي كانت تحت حكم الملك رصين (٧٤٠ - ٧٣٢ ق.م) بينما أشور كانت تحت حكم تَغْلَث فَلاَسِر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م). وشَلْمَنْأَسَرُ الخامس (٧٢٧ - ٧٢٢ ق.م) وسَرْجُون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) وسَنْحَارِيب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) وسادت أشور على الشرق الأدنى القديم أكثر من مائة سنة قبل أن يأفل مجدها على يد بابل.

وقد عضَّد ميخا بتشجيعاته التجديد الحقيقي الذي قام به الملك حزقيا. وقد تقبَّل هذا الملك كل النقد النبوي الذي سمعه واستخدمه بروح الله جيداً (٢أي ٢٩: ١ - ٣١: ٢٠)، حتى ظلَّ مواطنو يهوذا بعد مائة سنة يذكرون أعمال ميخا التي استخدمه فيها الرب. وكانوا يعزون إلى الملك يهوياقيم أن يتذكَّر أن الملك حزقيا ترك النبي ميخا دون أن يمسّه أحد ولقد كان مثل إرميا إذ نادى بخراب اليهودية وأورشليم. وبسبب تذكُّر ما عُمل لميخا من المسامحة واللطف نجا إرميا من الموت (إر ٢٦: ١٧ - ٢٤).

طبيعة سفر نبوَّة ميخا:

يحتوي على ثلاثة نداءات يخاطب بهما يهوذا وإسرائيل وبقية الشعوب، يمكن تمييزها الواحد عن الآخر بواسطة كلمة البداية «اسمعوا»: (١: ٢) «اسمعوا أيها الشعوب جميعكم»، (٣: ١) «اسمعوا يا رؤساء يعقوب»، (٦: ١) «اسمعوا ما قاله الرب». وهذه الثلاث مخاطبات تكوِّن الأصحاحات (١و٢)، (٣ - ٥)، (٦و٧) وهي ليست ثلاث نبوَّات لميخا ملقاة للشعب في ثلاث مناسبات مثلاً، ولكن هي بالأكثر تكثيف لجوهر ما تحويه مخاطباته الشفاهية وقد نزلت إلى حيِّز الكتابة: «تُهدِّد، وتوعد»، وتدين، وتطلب الرحمة على التوالي. ويوجد فيها الشيء الكثير المشترك بينها وبين أقوال إشعياء حتى أنه لا يمكن أحياناً تمييز كلمات ميخا من كلمات إشعياء لأنهما كانا في نفس الزمن الواحد، وقد واجها نفس الأحوال، وغالباً ما ينهمك كل منهما في نفس الأمر والموضوع.

ويمكن التفريق بين الثلاث مخاطبات بمحتوى كل منها من جهة اللهجة والموضوع واتجاه النظرة، ولكن يمكن أن نلمح تلاحماً بينه من حيث المضمون. وكل مخاطبة منها تختص بحالة الفساد الراهن والتهديد بدينونة واقعة سريعاً، والوعد بمستقبل عظيم.

فالمخاطبة الأُولى في الأصحاحين الأول والثاني تنادي بدينونة عامة على إسرائيل ويهوذا بسبب خطاياهم، وتنتهي بوعدٍ بعودة البقية (٢: ١٢ و١٣).

والمخاطبة الثانية بعد النطق بدينونة إلهية على القادة المسئولين عن الأمة سواء الملوك الأشرار أو الأنبياء الكذبة وذلك في الأصحاح الثالث، تُعلن بعد ذلك الرجاء الآتي بمجيء المسيَّا ومملكته، في الأصحاحين الرابع والخامس.

والمخاطبة الثالثة تتكوَّن من توبيخ من أجل التوبة ثم الرجاء في مستقبل الخلاص والنجاة وذلك في الأصحاحين السادس والسابع.

ونجد أن مطالب الديانة الحقيقية عند ميخا والعبادة المقبولة هي أن يصنعوا الحق ويحبوا الرحمة ويسلكوا باتضاع مع الله إلههم (٦: ٨). وميخا يجمع في هذه العبارة المبادئ الأساسية للديانة الأصلية وذلك في مقابل العبادة الشكلية. ومنذ أن خلصت وانعتقت إسرائيل من مصر وعبوديتها وحتى السبي الذي أصابها في بابل، أكثر من ثمانية قرون (٨٠٠ سنة)، أرسل الله أنبياءه لهم يطلب أن يعلمهم ما هي الديانة المقبولة عند الله. فالديانة الحقيقية لا تكون أبداً بالتمسك والتدقيق بالمظاهر والعبادة بالمراسيم والطقوس التقليدية، ولا هي مجرد تقديم الذبائح أو دفع العشور – ولكن الحياة بحسب المبادئ الإلهية للبر:

+ «بِمَ أتقدم إلى الرب وأنحني للإله العلي؟ هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة؟ هل يُسرُّ الرب بألوف الكباش بربوات أنهار زيت؟ هل أعطي بكري عن معصيتي ثمرة جسدي عن خطية نفسي؟ قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب إلاّ أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك.» (مي ٦: ٦ – ٨)

وميخا كمعاصريه هوشع وعاموس وإشعياء، جاهد ليجعل إسرائيل يطيع بالحق بعض المبادئ التي للسلوك بالبر والتي كانت لازمة للشعب وأن لا يكتفي بالسلوك بحسب المطلوب في تدبير الفرائض والشعائر الدينية. وفي المبدأين الأولين اهتم بأخلاق الشخص وسلوكه بإخلاص من نحو قريبه، وفي المبدأ الثالث اهتم بالتواضع والطاعة بالنسبة لله، أي أنه اهتم بثلاثة مبادئ داخلية:

أولاً: أن «يصنع الحق» أي "يعمل بالعدل" أي يلتزم بمبدأ الإنصاف في الكلام والعمل في أي علاقة مع الآخرين وهذا كان عكس ما يعملون! (٢: ١ و٢ و٨ و٩)

ثانياً: أن يحبوا الرحمة، لأن العدل بمفرده قد يؤذي. فالمطلوب مع العدل أن تكون الرحمة. فالقاضي قد يكون عادلاً ولكنه غير رحيم. محبة الرحمة Loving kindness لها في العبرية كلمة Hesed. كذلك العدل يكتفي بالأمانة ومعاملة القريب بالإنصاف، ولكن الرحمة تعني أيضاً اللطف والتعاطف. والمطلوب لا أن يعملوا العدل فقط أو يعملوا الرحمة ولكن أن يحبوا الرحمة. بمعنى أن تكون رحمته صادرة من روح محبة: «فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم» (لو ٦: ٣٦)، فالمسيح علَّم تلاميذه هذه الرحمة المُحبَّة في مَثَل العبد غير الرحوم (مت ١٨: ٢٣ إلخ).

ثالثاً: وأن يسلك أو يسير أو يمشي walk to بالاتضاع مع الله، لأن اتباع المسيرة مع الله يحتاج

إلى الاتضاع والطاعة. فحينما تتكلَّم الأسفار عن مسيرة إنسان تعني أسلوب الحياة والسلوك. فالبطاركة الأولون يُقال عنهم أنهم «ساروا مع الله». والإنسان المسيحي يطالب بأن يسلك كما يحق للدعوة التي دُعي إليها: «فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن **تسلكوا** كما يحق للدعوة التي دُعيتم بها. **بكل تواضع** ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة» (أف ٤: ١ و٢). فالتواضع دائماً أبداً يقترن في الأسفار المقدَّسة مع المسيرة مع الله (٢أي ٧: ١٤): «لذلك يقول يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (يع ٤: ٦). هذه الثلاثة مبادئ الأخلاقية الدينية الرئيسية يجمعها المسيح في إنجيل ق. متى: الحق والرحمة والإيمان: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس (الوصايا) الحق والرحمة والإيمان.» (مت ٢٣: ٢٣)

ولا نجد في كل أنبياء العهد القديم نبيًّا يفوق ميخا بالنسبة للتنبؤات التي قدَّمها لمستقبل إسرائيل ومجيء المسيَّا ومملكته. ومن بين تنبؤاته: سقوط السامرة في سنة ٧٢٢ ق.م (١: ٦ و٧)، غزو اليهودية بواسطة سنحاريب (١: ٩ – ١٦)، سقوط أورشليم وتخريب الهيكل سنة ٥٨٦ ق.م (٣: ١٢، ٧: ١٣)، وسبي بابل (٤: ١٠) والعودة من الأسر ومستقبل السلام والامتياز والعلو لإسرائيل (٤: ١ – ٨ و١٣، ٧: ١١ و١٤ – ١٧)، ميلاد الملك المسياني في بيت لحم (٥: ٢). وبالأكثر تنبَّأ ميخا أن زمن حكم المسيَّا سيسود فيه أعمق سلام عُرف (٤: ١ – ٧) مستخدماً نفس كلمات إشعياء (إش ٢: ٢، ٥: ٤ و٨) في وصف مملكته.

وميخا النبي يُظهر معرفة بأسفار موسى الخمسة وبقية الأسفار الأخرى للعهد القديم، فالاصطلاحات التي يستخدمها توضح معرفته بكتب موسى وكذلك بالكتب الأخرى:

(٢صم ١: ٢٠) = (مي ١: ١٠)؛ (١مل ٢٢: ٢٨) = (مي ١: ٢)؛ وكلمات من المزامير قارن: (مي ٢: ١، ٣: ٢) مع (مز ٣٦: ٤، ٥٣: ٤، ١٤: ٤، ٢٧: ٢)؛ والأمثال: (في ٦: ١٠ و١١)؛ واستخدم لغة عاموس (في ٢: ٣، ٦: ١١، ٣: ٦)، وميخا (٤: ١ – ٥) يكرر بالحرف الواحد (إش ٢: ٢ – ٥) وقد نقل (مت ١٠: ٣٥ و٣٦) عن ميخا (٧: ٦).

وفي ميخا (١: ١٠ – ١٥) يرتفع أسلوب النبي ويُرى كيف يستخدم الـ (paronomasia) أي

اللعب بالألفاظ في رثائه ليهوذا، ويتهكم ويستخدم أسماء المدن لتعطي معاني بالعبرية[1]. كلها إنذارات وتوبيخ ومحقرة وتهديد يصعب ملاحقتها في الترجمات إلى لغات أخرى.

اللغة الأدبية لميخا النبي:

كان على الوجه الأكثر شاعراً، وأشعاره تتخللها قطع نثرية. وكان أسلوبه يستخدم الطباق وكان يلعب بالألفاظ ويستخدم الكلمات اللاذعة، مستخدماً الكلام الشعري في كل المناسبات. والنداءات يستخدم فيها لغة الخطابة ويدعو الناس بنداءات مأساوية يصوغها في قالب فيها الشعر، ودائماً ينعي على الرؤساء، ويحوِّل الكلام والنقد لهم، إن في إسرائيل أو اليهودية.

رسالة ميخا النبي:

أهم ما ينادي به هو ارتفاع وسمو يهوه ومملكته بصورة لا يجاريها إله آخر عند الآخرين، وإدانة الرؤساء الأغنياء والأنبياء الكذبة باعتبارهم ثائرين ضد الله (٣: ٩ - ١٢)، والكثيرون يجاهدون نحو المحبة والعدل والبر ويتألمون من أجل ذلك، ولكن يحاربهم رعاة إسرائيل واليهود الغاشون، وكان ميخا ينصح الفقراء والأرامل واليتامى أن يثقوا في يهوه ويطلبوا البر والملكوت.

المناداة بالدينونة:

تُفتتح نبوَّة ميخا بمنظر فخم والملك الكبير يدخل ملكوته. عندما يدخل يهوه في مجال الناس تذوب الجبال وتهرب الآكام (١: ٤)، وكذا حينما يدخل يهوه معلناً الدينونة فحينئذ تتساقط كبرياء الناس الكاذبة وتصير إلى التراب، وحتى الأنبياء الكذبة تختفي وتهرب. هذا النداء أرعب الشعب الذي كان يعتقد أن ينال البركات، فميخا النبي يعلن أن الله الذي كان يحبهم في الماضي (٦: ٤ و٥، ٧: ١٤ و١٥) قادم ليؤسِّس مملكته ويطرد رجال العهد، لقد أفسدوا ثقة الله فيهم بسبب أصنامهم، فلن يدخلوا ملكوته لأن ولاءهم اقتصر على أعمال الأُمم الأخرى وعباداتها الكاذبة وأصنامها وسحرها. وإسرائيل التي بُعثت لتكون ضد أعمال الأُمم المجاورة الأخرى صارت تجاربهم (١: ٧، ٥: ١٢ - ١٤)، وبدلاً من أن يكون اعتمادهم على الرب اعتمدوا على قوتهم الحربية وعلى التحالف مع الأُمم الغريبة ليعطوهم الأمان، وانقلب الشعب إلى شعب يتكالب وراء مصالحه المادية وفقد الأخوة والاعتماد على بعضهم البعض (٢: ١ و٢ و٨، ٣: ١ - ٤ و٩ و١١، ٦: ١٠ -

(١) استطاعت الترجمة العربية أن تحتفظ في (١: ١٤) بإحدى هذه التلاعبات بالألفاظ: «تصير بيوت أكزيب كاذبة» ولكن غير ذلك كثير في الأصل العبري.

١٢، ٧: ٢ - ٤)، وفقدوا إحساسهم بالعدل وصارت الفوضى واحتقار الحكومة والرئيس هي سلوكهم. وحتى الترابط الأسري فقدوه وانحلت العائلات والروابط الأسرية (٧: ٥ و٦). والرؤساء والقادة احتقروا العهد ووعود الله، ولم يهتموا برضى الله وبركاته حتى بالنسبة لأولادهم (٢: ٩). ولم تكن القيادة الدينية أفضل من ذلك، وحتى الكهنة والأنبياء هربوا وراء الربح باسم يهوه (٢: ١١، ٣: ٥ و١١).

ونادى ميخا النبي أن إسرائيل والسامرة ويهوذا وأورشليم سوف يواجهون السبي بسبب سياسات عُمري وآخاب واعتمادهم على الأُمم (٦: ١٦)، وإسرائيل تخرب بسبب سياسات السامرة وذلك في يوم الرب (سنة ٧٢٢ ق.م) ويضيع تعب الشعب. وباختصار بظهور يهوه للدينونة ستنقلب الطبيعة بمجيء الملك العظيم وسيأتي ضد السامرة وأورشليم وكل الأُمم.

وكذلك مصير أورشليم، لأنها قبلت الصَنَمية والوثنية، فقد صارت مريضة لا دين لها ولا سياسة (١: ٩)، واهتم الناس كلٌّ بنفسه ومصلحته كالأمم دون اعتبار للرب وهيبته (٢: ١ - ٤)، وستقع صهيون مدينة الرب (٣: ١٢) وتضيع معها الرموز الدينية وهيبة مملكة الله ونسل داود وعلاقات الله المقدَّسة مع شعبه، في الوقت الذي ظن فيه الكهنة أنهم في أمان ورخاء إن كان الله قد أعطاهم الوعد أن يكون معهم فكيف يتركهم يهوه أيصير الله ضد نفسه؟

وصار ميخا يهيم حافياً ويبكي كمن هو في السبي (١: ٨) حتى يريعهم، وانزوى يصلّي ويرجو الله أن يرفع غضبه، وظل على إيمانه ورجائه بالله: «ولكني أراقب الرب أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي. لا تشمتي بي يا عدوّتي. إذا سقطتُ أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي.» (٧: ٧ و٨)

وميخا لم ينتظر كبقية معاصريه حلولاً اقتصادية أو اجتماعية، ولكنه كان يصرخ في بأس، وبالشعر:

+ «ويل لي لأني صرت كجَنْيِ الصيف كخصاصة القطاف لا عنقودَ للأكل ولا باكورة تينة اشتهتها نفسي، قد باد التقيُّ من الأرض وليس مستقيم بين الناس. جميعهم يكمنون للدماء يصطادون بعضهم بعضاً بشبكة.» (٧: ١ و٢)

ولكن ميخا رجا الطهارة وعودة وجه الله:

+ «من هو إله مثلك غافرُ الإثم وصافحٌ عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُسرُّ بالرأفة. يعود يرحمنا، يدوس آثامنا، وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم. تصنع

الأمانة ليعقوب والرأفة لإبراهيم اللتين حلفتَ لآبائنا منذ أيام القدم.» (مي ٧: ١٨ - ٢٠)

عودة البقية:

حينما يتكلّم ميخا عن المستقبل فهو يشهد لزمن جديد يتدخّل فيه الله (٤: ١ و٦ و٧، ٥: ١٠، ٧: ٧ - ١٥). والزمن الجديد سيكون أعظم استعلان لمملكة الله ومسيحه. والنبوّة تثير الرجاء في مملكة الله وفي حكم المسيَّا على كل الخليقة، فميخا نبي العصر الجديد. كما يشهد للعلاقة بين العودة من السبي وبين تجديد كل شيء. والعودة تبدأ بتجديد لطف الله على البقية العائدة من السبي (٢: ١٢، ٤: ٦ و٧)، وعودة اليهود لها صلة بخلاص الأُمم (٧: ١٢) والفداء له علاقة بالخليقة.

مملكة الله:

وحكم الله تأتي معه البركات والحماية لأبناء الله، ووعود الملك العظيم سوف تدرك المطرودين وتجعلهم مواطنين لمملكته (٤: ٦ - ٨)، وكمواطنين سوف يتقبَّلون بركاته ويحيون في أمان ويستمتعون بملء وعوده:

+ «في ذلك اليوم يقول الرب أجمع الظالعة (العرجاء) وأضم المطرودة والتي أضررت بها. وأجعل الظالعة بقية والمقصاة أُمة قوية **ويملك الرب عليهم** في جبل صهيون من الآن إلى الأبد. **وأنت يا برج القطيع أكمة بنت صهيون** إليك يأتي. ويجيء الحكم الأول مُلْكُ بنت أُورشليم.» (مي ٤: ٦ - ٨)

+ «من هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يُسر بالرأفة. يعود يرحمنا يدوس آثامنا وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم. تصنع الأمانة ليعقوب والرأفة لإبراهيم اللتين حلفتَ لآبائنا منذ أيام القدم.» (مي ٧: ١٨ - ٢٠)

فهرس موضوعات نبوّة ميخا:

١ - إعلان الحكم على إسرائيل ويهوذا، وخلاص البقية **الأصحاحات (١)، (٢)**

(أ) الحكم على السامرة ويهوذا: (١: ١ - ١٦)

١ - رسالة الدينونة (١: ١ - ٧)

٢ - ولولة على دينونة اليهودية (١: ٨ - ١٦)

(ب) طبيعة خطيتهم وعقوبتها: (٢: ١ - ١١)

١ - طمع وظلم (٢: ٤ - ٥)

٢ - رفض كلمات النبي (٢: ٦ - و٧ و١١)

٣ - الاغتيالات: نهب الأرامل والأولاد (٢: ٨ - ١٠)

(ج) وعد بخلاص البقية: (٢: ١٢ و١٣)

٢ - إعلان الدينونة الواقعة على الرؤساء قادة الوطن وتأسيس مملكة المسيَّا **الأصحاحات (٣ - ٥)**

(أ) اتهام القادة في إسرائيل والتنبُّؤ بسقوط أورشليم: (٣: ١ - ١٢)

١ - فضح وتشهير لقواد الظلم (٣: ١ - ٤)

٢ - ولولة على دينونة اليهودية (٣: ٥ - ٨)

٣ - التشهير العام بالقادة والقضاة والكهنة وأنبياء الغش (٣: ٩ - ١٢)

(ب) تأسيس مملكة الألف سنة دعوده إسرائيل: (٤: ١ - ٥: ١٥)

١ - طبيعة المملكة (٤: ١ - ٥)

٢ - تأسيس المملكة (٤: ٦ - ٥: ١٥)

أ - مستقبل إعادة وجمع البقية (٤: ٦ - ٨)

ب - السبي والإهانة والأسر ثم الإفراج عن أورشليم (٤: ٩ - ٥: ١)

جـ - القدوم الأول للملك (٥: ٢)

د - مسافة زمنية بين رفض الملك ومجيئه الثاني (٥: ٣)

هـ - مجموعة حوادث عند عودة الملك (٥: ٤ - ١٥)

٣ - كلام الرب لإسرائيل ووعده بمستقبل الرحمة الأصحاحات (٦)، (٧)

(أ) محادثة: (٦: ١ - ١٦)

١ - شكوى الرب من عدم شكر شعبه (٦: ١ - ٥)

٢ - طبيعة التديُّن الحقيقي (٦: ٦ - ٨)

٣ - الرب يشكو من المدينة الخاطئة (٦: ٩ - ١٦)

(ب) التصالح بين المتحادثين: (٧: ١ - ٢٠)

١ - العويل على خطية الشعب وجريمته (٧: ١ - ٦)

٢ - الثقة في توبة الشعب من أجل الخلاص (٧: ٧ - ٢٠)

٧ ـ ناحوم النبي

الاسم يعني "تعزية". ونبوَّته تشبه نبوَّة يونان وترد عليها. موضوعها واحد وهو دينونة نينوى، وفي بعض نسخ الترجمة السبعينية تأتي مباشرة بعد نبوَّة يونان كأنها التكميل لها، فكلاهما يكوِّنان موضوعاً واحداً تاريخياً: يونان يحمل رسالة تحذير ومناداة بالتوبة للمغفرة وناحوم يحمل نبوَّة سخط ودينونة على نفس المدينة غير التائبة:

ناحوم	يونان
(٣: ١): «ويل لمدينة الدماء. كلها ملآنة كذباً وخطفاً. لا يزول الافتراس».	(٣: ٨): «وليتغطَّ بمسوحٍ الناس والبهائم ويصرخوا إلى الله بشدَّة ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذي في أيديهم».
(١: ٢): «الرب إله غيور ومنتقم. الرب منتقم وذو سخط. الرب منتقم من مبغضيه وحافظ غضبه على أعدائه».	(٤: ٢): «آه يا رب أليس هذا كلامي إذ كنت بعد في أرضي، لذلك بادرت إلى الهرب إلى ترشيش لأني علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر».

ولكن يونان بشَّر نينوى بالتوبة في القرن الثامن قبل الميلاد. ونحن الآن مع ناحوم، وقد مضى قرن على نبوَّة يونان، مائة سنة، فأصبحت المدينة أكثر ذنباً وإثماً ونسى الناس التوبة ورجعوا لأعمالهم الرديئة، فوقعوا تحت عقوبة الله التي حملها ناحوم، فكبرياؤهم وظلمهم وعبادة الأوثان وعدم الرحمة أوقعتهم تحت دينونة الله بشدة وصدرت اللعنة بالخراب. ونجد أجمل الصفات المحبوبة لدى الله: الرحمة (نا ١: ٧ و١٥)، وأقساها: النقمة (نا ١: ٢)، ومن هاتين الصفتين يخرج الخير والشر، الطيبة والقسوة، العفو الإلهي واللعنة. وهذه تكشف عن عدل الله الذي لا يميل، وهو واضح على مدى النبوَّتين: الأُولى ليونان والثانية لناحوم. فالله في مقابل الشرير غيور على خيريته (١: ٢)، ومنتقم للمظلوم والمأكول (١: ٢)، ومملوء نقمة (١: ٢)، ولا يسامح الشرير (١: ٣)، وهو شديد الغضب (١: ٦)، وكلِّي القوة (١: ٣ - ٦)، إنما طيب (١: ٧)، وفي الضيقات وُجِدَ شديداً (١: ٧)، يذكر الذين يثقون به ويمسكون فيه (١: ٧) ويُنقذ من يد الأثيم (١: ١٥).

وتقع نبوَّة ناحوم في ثلاثة أقسام:

الأصحاح الأول: وهو كمزمور نصرة على سقوط نينوى.

الأصحاح الثاني: يصف الحصار وخراب نينوى.

الأصحاح الثالث: أسباب سقوط نينوى.

ولو أن النبوَّة لا تذكر الرجاء المسيَّاني ولا أي ذكر لتأسيس المملكة التي للمسيَّا في المستقبل، ولكن تقف النبوَّة بجانب يهوذا حتى يمكن أن تُسمَّى رسالة تعزية للمملكة اليهودية.

أمَّا النبوَّة بخراب نينوى عاصمة أشور الإمبراطورية القوية إنما تمثل مصير كل الممالك الوثنية الظالمة الفاسدة المفسدة تمهيداً لإسقاط مملكة الشر وسيادة مملكة البر (١: ٢ و٣، ٢: ٢)، وقارن مع (مي ٤: ٦ - ٨، ٥: ٥ إلخ). علماً بأن نينوى هي أغنى مدينة ظهرت في كل أعداء إسرائيل في تلك العهود، فهي رمز لكل أعداء الله وشعبه في كل العصور (مي ٥: ٥ - ٩).

وإعلان ناحوم في (١: ٢ و٣) هو عهد وتوعُّد للدينونة الحتمية على كل الأعداء من الأُمم الباغضة لاسم الله: «يهوه إله غيور ومنتقم، مليء الغضب والنقمة ويأخذ الثأر من الشعوب في يوم نقمته ويحتفظ بالنقمة لأعدائه.» (١: ٢ عن الترجمة الإنجليزية)

والنبوَّة ذات أسلوب شعري، وعلى أعلى مستوى من الأدب العبري وقد عبَّر عن ذلك كل العلماء، واللغة تقارن بلغة إشعياء، وهي واحدة من أبدع النبوَّات في العهد القديم. فناحوم يأتي وصفه حيًّا تصويريًّا ولغته أدبية قوية، تأخذ بالنفس، وذات قوة غلاَّبة.

الخلفية التاريخية:

بالرغم من أن نبوَّة ناحوم تخلو من ذكر الملوك الذين تُضبط عليهم التواريخ، إلا أنه بالنظر إلى مضمون النبوَّة يمكن تحديد زمن نبوَّة ناحوم النبي من (٣: ٨ - ١٠) التي يصف فيها سقوط نُوَأَمُون وهي مدينة طيبة في مصر: «هل أنتِ (يا نينوى) أفضل من نُوأَمُون (طيبة المصرية) الجالسة بين الأنهار حولها المياه التي هي حصن البَحر ومن البحر سورها. كوش قوتها مع مصر ... هي أيضاً قد مضت إلى المنفى بالسبي وأطفالها حُطمت في رأس جميع الأزقة وعلى أشرافها ألقوا قرعة وجميع عظمائها تقيدوا بالقيود». و(طيبة) هي التي هاجمها أشوربانيبال، وهو حدث مشهور في التاريخ وذلك سنة ٦٦٣ ق.م. وسقوط نينوى كان سنة ٦١٢ ق.م، وهو حدث مُعتَبر أنه نبوَّة سيتحقق في المستقبل. ومن نغمة النبوَّة يمكن الاستدلال على أن سقوط طيبة مصر كان آنذاك هو حَدَث

الساعة، أي جديداً في الذاكرة في إسرائيل.

والحقيقة أن خلو النبوّة من أسماء الملوك يشير ضمناً إلى تملُّك الملك الشرير المكروه منسّى وذلك سنة ٦٨٧ - ٦٤٢ ق.م. ومن (١: ١٢ و١٣، ٢: ١٢ و١٣، ٣: ١ - ٤) نستدل على أن أشور التي بدأت قوتها تنهار بعد موت أشوربانيبال سنة ٦٣٣ ق.م كانت لا تزال تملك زمام الغرب. لذلك فإن زمان نبوّة ناحوم يمكن وضعه سنة ٦٥٠ ق.م.

شخصية ناحوم:

اسمه مشتق من جذر n. h. m (عزاء)، ولكنه عزاء يهوه. ومنه نحميا (يهوه يعزّي). لذلك فاسم ناحوم الذي لم يرد في بقية أسفار العهد القديم ورد فقط في (لو ٣: ٢٥) هو من جذر يعني تعزية. ومن غير المحتمل أن يكون هو نفسه نحميا الذي عاش طويلاً بعد سقوط أشور.

ويُسمَّى ناحوم الألقوشي (١: ١) أي أنه مواطن من ألقوش ولا يُعرف مكانها بالضبط، وربما هي الألقوش الحالية (١: ١)[١] على الجانب الأيسر من نهر دجلة وتبعد ٥ أميال شمال الموصل حيث توجد حسب التقليد مقبرته. هذا يفيد أنه من نسل عائلة إسرائيلية عاشت في المنفى مَسْبيَّة أيام سَرْجُون سنة ٧٢٢ ق.م. ويُرجِّح هذا الفكر شدة ملاحظة ناحوم ومعرفته بنينوى والأشوريين. وهذا يشرح غياب معرفة وطن ناحوم في التقليد اليهودي من حيث أنه يستخدم في نبوّته كلمات أشورية (٢: ٧، ٣: ١٧) فهو يعرف نينوى جيداً، وأسوارها (٢كيلومتر) وأبواب النهر (٢: ٦) وهياكلها وتصاويرها (١: ١٤) وغناها المفرط (٢: ٩) وهذا يضعنا ليس بعيداً عن القرن السابع قبل الميلاد.

ولكن العلاّمة جيروم يقول إن بلده هي الكوزي حالياً El kesi بالجليل وهذا يجعله ابناً من عائلة متبقية في إسرائيل بعد سنة ٧٢٢ ق.م (٢أي ٣٠: ١ و٥ و١٠ و١٨، ٣٤: ٦). ولكن سكوت ناحوم عن ذكر إسرائيل ينفي ذلك.

والبعض يرجّح أن الألقوش صارت بعد تجديدها باسم كفرناحوم تمجيداً لذكرى هذا النبي، خاصة وأن له معرفة بأرض الشمال في فلسطين بذكره الكرمل ولبنان وباشان (١: ٤) والبعض يضع الألقوش جنوب يهوذا في أرض شمعون ستة أميال من بيت جبرين وبها بئر عتيقة تسمَّى بئر الكوس التي ربما كانت هي "ألقوش". وهذا يتناسب مع افتخاره بانتصار مملكة يهوذا (١: ١٥).

(١) حسب تقليد من القرن السادس عشر بعد الميلاد.

على العموم فإن نبوّة ناحوم تشرح كيفية انتصار يهوه (المسيح) أخيراً على كل المضادين، أمماً وملوكاً. والنبوّة تؤخذ على مستوى التاريخ وعلى المستوى الأخروي ونهاية مملكة الشر حاضر في فكر يهوه وقلبه حيث تتأسَّس سيادة يهوه وبرّه على الممالك فهو صادق في عهوده.

وناحوم مهتم جداً بعدل وقوة يهوه في ضبط الأُمم، فهو ملك ذو سلطان يسوس الأمم لغاية يعرفها، فحتى أشور أقوى الأُمم وأشرها وأفسدها يتحتم أن تخضع له. من أجل هذا يُستدل من هذه النبوّة أنه يلزم أن نطلب أن يأتي ملكوتك.

فهرس موضوعات نبوّة ناحوم:

١ - خراب نينوى كأمر صدر	**الأصحاح الأول**
(أ) صلاح وقسوة الرب:	(١: ١ - ٧)
١ - نقمة الله على الأشرار	(١: ١ و٦)
٢ - صلاح الله ورحمته تجاه البار	(١: ٣ و٧)
٣ - قوة غضبية الله تُظهرها الطبيعة	(١: ٣ - ٥)
(ب) خراب نينوى فرح لصهيون:	(١: ٨ - ١٥)
١ - أشور تمحى من على وجه الأرض	(١: ٨ - ١٢)
٢ - يهوذا تبقى وتخلص	(١: ١٣)
٣ - محو اسم أشور والرب حفر قبرها	(١: ١٤)
٤ - يتبع خراب نينوى فرحٌ على جبل صهيون	(١: ١٥)
٢ - وصف خراب نينوى	**الأصحاح الثاني**
(أ) صدور الأمر بحصار نينوى:	(٢: ١ - ١٠)
١ - الاستعداد للغزو	(٢: ١)
٢ - الرب يعلّي شعبه إزاء خراب نينوى	(٢: ٢)
٣ - الهجوم على نينوى	(٢: ٣ - ١٠)
أ - اكتساح نينوى	(٢: ٣ - ٦)
ب - أسر الشعب	(٢: ٧)
ج - هروب المدافعين عن نينوى	(٢: ٨)
د - أسر المدينة	(٢: ٩ و١٠)

(ب) سقوط المدينة التي كانت قبلاً في مجد (٢: ١١ - ١٣)

١ - المدينة العظمى صارت تحوي الحيوانات (٢: ١١و١٢)

٢ - سقوط المدينة يتأكد (٢: ١٣)

٣ - أسباب سقوط نينوى **الأصحاح الثالث**

(أ) خطايا نينوى: (٣: ١ - ٤)

١ - استخدام الظلم والقسوة والغش والسلب والنهب (٣: ١)

٢ - القسوة وعدم الرحمة (٣: ٢ و٣)

٣ - إخضاع الأمم والتسيّد عليهم (٣: ٤)

(ب) مصير نينوى محتوم: (٣: ٥ - ١٩)

١ - إذلال نينوى (٣: ٥ و٦)

٢ - ليس مَنْ يرثي نينوى (٣: ٧)

٣ - نصيبها من نصيب طيبة (نُوأمون) (٣: ٨ - ١١)

٤ - دفاعات نينوى تبطل (٣: ١٢ - ١٧)

٥ - الفرح يعم بسقوط نينوى (٣: ١٨ و١٩)

٨ ـ صفنيا النبي

معنى اسمه ''الله يحفظ'' أو يستر. وقد ذكر أسلافه حتى الجيل الرابع وذلك في أول آية: «صَفَنْيَا بن كُوشي بن جَدَلْيَا بن أَمَرِيَا بن حَزَقِيَّا». وكان المعتاد أن يُذكر اسم الأب وبالأكثر الجد ولكن صفنيا ذكر الجد الثالث ليوضِّح أنه ابن حزقيا الملك أي أنه من سلالة ملكية من يهوذا. وحزقيا الملك كان في زمن إشعياء وميخا، لذلك فصفنيا يُحسب مزامناً قريباً من بُعد ليوشيا الملك وليس أمامنا معارضة على ذلك. وعاش صفنيا في يهوذا وربما في أورشليم (١: ٤ و١٠ و١١). وكان مزامناً لناحوم وإرميا.

الخلفية التاريخية

وُلِدَ هذا النبي في زمن صعب في أيام الملك منسَّى وربما يكون قد بدأ يخدم كلمة الرب في الأيام الأُولى لحكم يوشيا سنة ٦٤٠ ق.م حيث كان الأمراء لا يزالون ينفردون بأعمال الدولة (١: ٨ و٩). وكانت عبادة الأصنام قد أُبيدت من اليهودية (١: ٣ - ٥) وكل ما تبقَّى من عبادة البعل تلاشى (١: ٤). ودعوة صفنيا أنعشت وشجَّعت الملك يوشيا ليبدأ التجديد سنة ٦٢٢ ق.م ويلصق نفسه بيهوه في هذا التجديد. وهذا التصحيح الجريء شجَّع خدمة صفنيا وإرميا في نفس الوقت. وعندما اعتلى يوشيا العرش صغير السن كانت البلاد لا زالت ترزح تحت عبادة الأوثان والظلم متفشِّياً والفساد يعم العبادة. وكانت عبادة يهوه يشوبها الأوثان، أمَّا الشعب فقد فسدت أخلاقه بسبب قيادة الملك منسَّى كما ضعفت سياسة اليهودية لأنها كانت تحت سيطرة أشور. فالأغنياء قد ظلموا الفقراء ليبنوا القصور والقلاع لمستقبلهم (١: ٨ و٩)، والأنبياء والكهنة كانوا طماعين، والشعب نجَّس الهيكل. ولكن كانت قد بقيت بقية سمَّاها صَفَنْيَا «بائسي الأرض»: «اطلبوا الرب يا جميع **بائسي الأرض** الذين فعلوا حُكْمَهُ. اطلبوا البر. اطلبوا التواضع. لعلَّكم تُسترون في يوم سخط الرب.» (صف ٢: ٣)

اللغة الأدبية وأسلوب النبوّة:

كان ينحو دائماً تجاه اللغة الأدبية الغنية التي كان يتوارثها الأنبياء، والكتاب كله تقريباً مكتوبة بالشعر الموزون، ويُفتتح بدراما تظهر فيها دينونة عامة على كل الخليقة (صف ١: ٢ و٣) وعلى يهوذا (١: ٤-٩). ويصوِّر يوم الرب كيوم حرب فيه ظهور الله والدينونة (١: ١٤-١٨). وهو يجمع الرسالة الموجَّهة لجميع الأمم (١: ٢-٣، ٢: ٤-١٥، ٣: ٦-٨) مع دينونة خاصة ليهوذا (١: ٤، ٣: ١-٤).

وأسلوب النبي المباشر شعري يستعمل الطِّباق واللعب بالألفاظ والتكرار والتشبيهات، وهو يستخدم طريقة الأنبياء الموروثة، وإذ يوصِّل رسالته بأسلوب مباشر.

رسالة صفنيا:

هو مثل معاصريه حَبَقوق وإرميا، يحذِّرون مملكة الجنوب بدينونة مرعبة آتية، ومنادين بالتوبة، وكان يشجِّع مَنْ بَقِي من بؤساء الأرض (٣: ١١ – ١٣). ويتلخص عمل صفنيا النبوي أنه امتد بالرسالة حتى يوم الرب، ثم إجابة الرب الأخيرة بالبركات، وأن الرب سيملك على كل الشعوب. ولكن بؤرة المُلك ستكون يهوذا.

يوم الرب:

أولاً: يمتد بيوم الرب على أساس الرسالة التي كانت موروثة في فم الأنبياء منذ القرون القديمة: يوم الرب يوم غضب، يوم الرب يوم تهديد. ويعني في الغالبية تدخُّل الله في أعمال الإنسان وظهوره المدرك وكأنه ملك عظيم محارب.

ثانياً: في يوم الرب تبدأ الدينونة على كل الخليقة (١: ٢ و٣)، وهي تُقارَن بطوفان نوح ولكن بصورة أكثر وأصعب، حيث لا يهرب أحد ولا يفلت إنسان من عملية التطهير بالحكم الإلهي بل يتأثر كل الكيان البشري والحيواني وطيور السماء وسمك البحر ولكن ليس بفيضان ماء ولكن بفيضان نار: «لأنه بنار غيرتي تؤكل كل الأرض. لأني حينئذ أحوِّل الشعوب إلى شفة نقية ليدعو كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتف واحد» (٣: ٨ و٩). وهذا ما قدَّمه لنا القديس بطرس الرسول: «ولكن سيأتي كلصٍّ في الليل، يوم الرب، الذي فيه تزول السموات بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها» (٢بط ٣: ١٠). وهكذا يتضح من النبوَّة ومن كلام القديس بطرس أنها عملية عامة وشاملة للتطهير بالنار لأنها غيرة رب الجنود، وهي تعبِّر عن نفسها في كل شيء لتؤسِّس وتقيم المملكة الأبدية.

+ «ذلك اليوم يوم سخط يوم ضيق وشدة يوم خراب ودمار يوم ظلام وقتام يوم سحاب وضباب. يوم بوق وهتاف على المدن المحصَّنة وعلى الشُّرف الرفيعة. وأضايق الناس فيمشون كالعمي لأنهم أخطأوا إلى الرب فيسفح دمهم كالتراب ولحمهم كالجلة. لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع إنقاذهم في يوم غضب الرب بل بنار غيرته تؤكل الأرض

كلها. لأنه يصنع فناءً باغتاً لكل سكان الأرض.» (صف ١: ١٥ – ١٨)

+ «اسكبوا جامات غضب الله على الأرض.» (رؤ ١٦: ١)

ثالثـاً: ويوم الرب هو يوم تاريخي يحوي الحاضر والمستقبل الأخروي معاً ثم يـأتي المستقبل الروحي؛ ولو أن عمل الله يشمل كل التاريخ في حكمه ودينونته، إلَّا أنه يحمل الفداء الأخروي معه، فكل عمل الأشرار والفساد والخطية يدخل المحاكمة وتُخلَى الأرض من فاعلي الشر (١: ٣)، وكل محاكمة لكل أُمة دخلت التاريخ سواء يهوذا أو إسرائيل أو الأُمم تُضم إلى المحاكمة الأخيرة.

رابعاً: وفي يوم الرب تخضع كل الخليقة لسلطانه بإرادتها أو رغماً عنها. وحينما يدعو صفنيا الكل إلى الصمت فإن ذلك لكي يتحقَّق أن يهوه قد وقف كقاضي للكل، والكل يستعدون للحكم: «اسكت قدام السيد الرب لأن يوم الرب قريب» (١: ٧) لأنه يشير إلى المحاكمة: «قريب يوم الرب العظيم قريب وسريع جداً.» (١: ١٤)

خامساً: في يوم الرب لا يفرِّق بين غني وقوي أو حتى رجل الدين، ولكن الرب يميِّز بين الشرير والمتواضع، فلن ينفع الإنسان شيء مما يمتلك لأنه سيتركه ويتخلَّى عن الإنسان كل مخلوق بل وكل مجتمع الإنسان وتصير حياة الإنسان كلا شيء:

+ «لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع إنقاذهم في يوم غضب الرب بل بنار غيرته تؤكل الأرض كلها. لأنه يصنع فناءً باغتاً لكل سكان الأرض.» (١: ١٨)

أمَّا المتواضعون فقد تركوا كل شيء، حتى أنفسهم صارت غير محسوبة عندهم، تركوها لله وحده وفي هذه الحياة يطلبونه وحده هو وملكوته، وهُم كل الناس (من اليهود والأمم) الذين وضعوا رجاءهم عند الرب وفيه.

+ «اطلبوا الرب يا جميع بائسي الأرض الذين فعلوا حُكْمَهُ،
اطلبوا البر اطلبوا التواضع. لعلكم تُسترون في يوم سخط الرب.
لأني حينئذ أحوِّل الشعوب إلى شفة نقيَّة،
ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتف واحدة!» (صف ٢: ٣، ٣: ٩)

+ «وأُبقي في وسطِكِ شعباً بائساً ومسكيناً،

فيتوكلون على اسم الرب،
بقية إسرائيل لا يفعلون إثماً ولا يتكلمون بالكذب،
ولا يوجد في أفواههم لسان غش،
لأنهم يرعون ويربضون ولا مُخيفَ.» (صف ٣: ١٢ و١٣)

سادساً: يوم الرب يوم تمحيص وتعظيم وفداء بالكامل للأبرار (٣: ١٤ - ٢٠) فالمملكة لله ولهم للمسرة بحضور الله الملك.

+ «قد نزع الرب الأقضية عليكِ، أزال عدوكِ،
ملك إسرائيل الرب في وسطكِ لا تنظرين بعد شرًّا،
في ذلك اليوم يُقال لأُورشليم لا تخافي يا صهيون لا ترتخ يداكِ،
الرب إلهكِ في وسطكِ جبَّار. يخلِّص. يبتهج بكِ فرحاً،
يسكت في محبته. يبتهج بكِ بترنم.
أجمع المحزونين على الموسم، ...
أخلِّص الظالعة وأجمع المنفية،
وأجعلهم تسبيحة واسماً في كل أرض خزيهم،
في الوقت الذي فيه آتي بكم وفي وقت جمعي إيَّاكم،
لأني أُصيِّركم اسماً وتسبيحة في شعوب الأرض كلها.
حينما أرد مسبييكم قدَّام أعينكم قال الرب.» (صف ٣: ١٥ - ٢٠)

يوم الخلاص والفداء عند صفنيا:

إن نقد صفنيا للقادة (١: ٨ - ١٣، ٣: ١ــ ٤) أدَّى به إلى مواجهة الطبقة الحاكمة له. ولكنه فتح الطريق أيضاً إلى ضم الشعب ككل، وطالب الكل أن يعودوا إلى عدل الله لأن دينونتهم مهيَّئة وحاضرة، وحكم الله سيكشف كيف أن الله دبَّر أن يخلِّص الأرض من الشر ومشيئته خططت لتأسيس عالم جديد:

+ «الرب عادل في وسطها لا يفعل ظلماً،
غداة غداة يبرز حكمه إلى النور لا يتعذَّر،
أمَّا الظالم فلا يعرف الخزي.» (صف ٣: ٥)

وصفنيا يشجع البقية لكي ينظروا إلى الله ويفرحوا بأعمال تمحيصه، لأنه قد أبقاهم بقية لأنهم شعب المستقبل. وصفنيا يشرح كيف أنه على الشعب أن يترجَّوا المستقبل في مملكة الله لأنه مُلكهم السعيد. والنبي ينادي الأمة لتتوب لأنه قد جاء زمانها، ونداؤه بالتوبة ظلَّ لآخر يوم:

+ «اطلبوا الرب يا جميع بائسي الأرض الذين فعلوا حُكْمَهُ. (حسب أمره).
اطلبوا البر. اطلبوا التواضع. لعلكم تُسترون في يوم سخط الرب.» (صف ٢: ٣)

فالبقية هم عبَّاد الرب الحقيقيون وأمَّا المتظاهرون بأنهم أبرار، فإنهم يواجهون التجربة، ولا يشتركون أبداً في البركات الجديدة التي باسم الرب. البقية لا يعملون أعمال تواضعهم إلاَّ تشبُّهاً بالرب ولإرضائه:

+ «طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات. طوبى للحزانى، لأنهم يتعزَّون. طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض. طوبى للجياع والعطاش إلى البر، لأنهم يُشبعون. طوبى للرحماء، لأنهم يُرحمون. طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله. طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون. طوبى للمطرودين من أجل البر. لأن لهم ملكوت السموات.» (مت ٥: ٣ - ١٠)

+ «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرَّه وهذه كلها تُزاد لكم.» (مت ٦: ٣٣)

فالرب قد وعد أن يحمي كل الذين يتقون فيه: «والرب من صهيون يزمجر ومن أورشليم يُعطي صوته فترجف السماء والأرض. ولكن الرب ملجأ لشعبه وحصن لبني إسرائيل» (يؤ ٣: ١٦)

وباختصار فإن البقية باتضاعها تُظهِر الخضوع للرب، وبسلوكها بالبر تطلب ملكوت الله، وفي افتقاد الرب يوم الافتقاد يتساوى اليهودِ والأمم، ويتطهَّرون بالعبادة الحقة.

وواضح أن صفنيا يقدِّم لنا عمومية الجماعة الجديدة: يهوداً وأمماً، فالكل يعبدون الرب. عبادة حقَّة «فيسجد له الناس كل واحد من مكانه كل جزائر الأمم» (٢: ١١). فصفنيا يعطينا رؤية لعبادة عامة لله مثل التي قال عنها الرب يسوع للمرأة السامرية: «لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو ٤: ٢٣ و٢٤). فالجماعة الجديدة ستمارس غسيل وتجديد وتغيير القلب: «لأني حينئذ أُحوِّل الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتف واحدة.» (صف ٣: ٩)

لذلك نفهم أن روح الوثنية وعبادة الأصنام ستفنى وتزول «في ذلك اليوم لا تخزين من كل

أعمالك التي تعدَّيتِ بها عليَّ. لأني حينئذ أنزع من وسطك مُبتهجي كبريائك ولن تعودي بعد إلى التكبر في جبل قدسي.» (صف ٣: ١١)

وجماعة المتضعين هم الذين سيخدمون الرب بتقوى وبلا موافقة لروح العالم. ويكون لهم فرح بتأسيس المملكة «وأُبقِي في وسطكِ شعباً بائساً ومسكيناً فيتوكلون على اسم الرب.» (صف ٣: ١٢)

ولم يفصح صفنيا عن كيف سيتم ذلك، ولكن كان يعتقد بكل تأكيد أن الدينونة والخلاص هما في يد الرب، وفي تأسيس ملكوته سوف يكمّل الرب كل وعوده التي وعد في المواثيق مع الآباء. لأنه بتحقيق الوعود التي في عهد الخليقة والفداء، سيتم تأسيس ملكوت الله! وهنا صار صفنيا شاعراً وجدانياً من الدرجة الأُولى وهو يصف بركات الملكوت الآتي.

والنَّظر مصوَّب نحو حضرة الملك العظيم المحارب الإلهي وهو يحمي ويفحص البقية ويعطيها كل مكاسب نصرته. لن يحتاجوا إلى الخوف بعد لأن الملك العظيم يكون مع شعبه وهو لهم. وهو سيحوِّل اللعنة والآلام والتغرب عن الشعب إلى خير ومجد وبركة في حضرته (٣: ١٣ - ٢٠). وخبرات جديدة تعبِّر عن تجديد العهد، يشجع بها صفنيا الأبرار أن يتأملوا في محبة الرب (٣: ١٧).

فالآية «الرب إلهكِ في وسطكِ جبّار. يخلّص. يبتهج بكِ فرحاً» (٣: ١٧) جاءت باللغة الإنجليزية: «وسيجدِّدك بحبه ويرفعكِ بتسبيح متعالٍ كيوم عيد».

وبالتالي يشجّع النبي صفنيا الجماعة الجديدة لتسبِّح تسابيح النصرة مديحاً ومجداً لمن حارب حربه الإلهية عنها.

+ «ترنمي يا ابنة صهيون، اهتف يا إسرائيل، افرحي وابتهجي بكل قلبك يا ابنة أورشليم.» (٣: ١٤)

والذين سيرثون العهد الجديد (أي بتجديد الخليقة) سيعيشون في سلام متوافقين مع التدبيرات الجديدة. وعالم هذه الخليقة هو نفسه الذي سيتم فيه الفداء (٢: ٧، ٣: ١٣ و١٩ و٢٠) وكل أمجاد وعد بها الله موسى ستكون ميراثاً لهم (٣: ٢٠)

+ «في الوقت الذي فيه آتي بكم وفي وقت جمعي إياكم لأني أُصيِّركم اسماً جديداً وتسبيحة في شعوب الأرض كلها حين أردُّ مسبييكم قدام أعينكم قال الرب.» (٣: ٢٠)

فهرس موضوعات نبوّة صفنيا:

١ - يوم الرب ودعوة للتوبة	(١: ٢ - ٢: ٣)
(أ) دينونة الخليقة كلها	(١: ٢ و٣)
(ب) دينونة مملكة يهوذا	(١: ٤ - ٩)
(ج) مراثي أورشليم	(١: ١٠ - ١٣)
(د) يوم الرب	(١: ١٤ - ١٨)
(هـ) دعوة للتوبة	(٢: ١ - ٣)
٢ - نبوّات ضد الأمم وضد يهوذا	(٢: ٤ - ٣: ٨)
(أ) فلسطين	(٢: ٤ - ٧)
(ب) موآب وعمون	(٢: ٨ - ١١)
(ج) كوش	(٢: ١٢)
(د) أشور	(٢: ١٣ - ١٥)
(هـ) يهوذا	(٣: ١ - ٨)
٣ - أسباب سقوط نينوى	(٣: ٩ - ٢٠)
(أ) تطهير يهوذا وكل الأمم	(٣: ٩ و١٠)
(ب) محبة يهوذا للمتواضعين	(٣: ١١ - ١٣)
(ج) يهوه يملك على شعبه	(٣: ١٤ - ٢٠)

٩ ـ حبقوق النبي

معنى الاسم "يحتضن". وبعض القدماء من الربيين يربطون بين اسم النبي حبقوق وبين ما جاء في سفر الملوك الثاني: «فقال (أليشع) في هذا الميعاد نحو زمان الحياة تحتضنين ابناً» (٢مل ٤: ١٦) قال ذلك مخاطباً المرأة الشونمية. فقال الربيون إن حبقوق هو ابن هذه المرأة الشونمية في القرن التاسع ق.م.

وسفر حبقوق لا يلقى ضوءاً على حياة النبي، غير أن هناك حكايات كثيرة ذات صبغة تأملية عن هذا النبي: فيقولون إنه هو الحارس الذي قال عنه إشعياء في (٢١: ٦)، الموجود أيضاً في (حب ٢: ١)، أي أن حبقوق هو الرقيب الذي عيَّنه إشعياء ليرقب سقوط بابل.

والإضافة إلى سفر دانيال المدعوة "بال والتنين" (١٤) تقول إن حبقوق هو الذي حمل صحناً من السليقة ورغيفاً من الخبز لدانيال وهو في جب الأسود وقد حمله ملاك. وفي قول آخر أنه إنسان من قبيلة شمعون وقد مات قبل العودة من السبي بسنتين. وقد استشفَّ العالِم كيل Keil من عنوان مزمور حبقوق في الأصحاح الثالث حيث يقول النبي في نهاية صلاته «لِرئيس المغنين على آلاتي ذوات الأوتار» (٣: ١٩) أن النبي حبقوق كان يشارك في التسبيح في الهيكل وهكذا يتحتَّم أن يكون لاوياً. وحبقوق معاصر لصفنيا النبي وإرميا الذي تنبأ بالغزو البابلي وخراب أورشليم.

والذي نخرج منه من كل هذا هو أن حبقوق كان لاوياً وكان ملازماً للهيكل للغناء على الآلات وهذا واضح جداً في نبوَّة حبقوق (٣: ١ و١٩): «صلاة لحبقوق النبي على الشجوية». وأيضاً: «لرئيس المغنين على آلاتي ذوات الأوتار». هنا حبقوق يتكلَّم عن نفسه.

وقد عاش في اليهودية في الأيام الأخيرة ليوشيا (سنة ٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م) وفي االزمن المبكِّر لحكم يهوياقيم (سنة ٦٠٨ - ٥٩٨ ق.م).

وتاريخياً فإن حبقوق قد عاش أيام سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق.م وقيام بابل سنة ٦٠٥ ق.م.، وذلك ذكره حبقوق في (١: ٦). وقد شاهد حبقوق موت يوشيا كنهاية زمن التجديد وبعدها فقدت اليهودية حريتها، وشاهد يهوياقيم الملك الجبار المفتري الشارد عن الله.

التركيب اللغوي والموضوعي:

الكتاب يحوي مرثاتين (١: ٢ - ٤)، (١: ١٢ - ١٧) وفيهما يسأل النبي يهوه عن بر الله وعدله، والرب يجيب إنما بوحي يتضمَّن الدينونة (١: ٥ - ١١، ٢: ١ - ٤)، وتخاطبُ اللهُ مع النبي ينتهي في (٢: ٥) وإنما يليه تعنيف فيه خمسة ويلات (٢: ٦ - ٢٠). والاتصال بين التخاطب مع

الله (١: ٢ - ٢: ٥) والتعنيف يُترك للقارئ ليدركه ولكنه واضح على كل حال. وينتهي التعنيف ضد بابل.

والأصحاح الثالث ينفرد ببدايته الخاصة «صلاة لحبقوق النبي على الشجوية» (حب ٣: ١) ونهايته: «لرئيس المغنين على آلاتي ذوات الأوتار» (حب ٣: ١٩) وفيه مديح ورثاء وشكر.

رسالة حبقوق:

حبقوق يعالج السؤال الأخلاقي: ما هو السبب في قيام بابل؟ الأشوريون كانوا قساة ونينوى قد تخرَّبت سنة ٦١٢ ق.م، كما تنبَّأ ناحوم النبي، وآخر قوة للأشوريين قد تحطمت في موقعة كركميش سنة ٦٠٥ ق.م، وأشور قضيب الله للغضب وقعت فريسة بسبب كبريائها، وشعب الله فرح لتأديب الله ودينونته لأشور. ولكنهم تعجبوا لماذا أصاب يهوذا بقوة أخرى غريبة (بابل)؟ كيف يستخدم الله بابل لكي يكمل غضبه على يهوذا؟ مع أن بابل شريرة؟ وسؤال حبقوق قد شجَّع الأتقياء حتى ينطقوا: «البار بإيمانه يحيا» (حب ٢: ٤) خاضعاً لناموس الله، الذي بحريته يستخدم أدواته ليقيم مملكته.

حرية الله وموقف البار في الحكم:

حبقوق اتهم الله كونه غير عادل مستخدماً الشكوى (١: ٢ - ٤): كيف يسمح الله ليهوذا أن تستمر في كسر وصاياه وعهده؟ أصنام وأخلاق فاسدة تسود، حتى أن مملكة الله قد شُلَّت (١: ٤) والشرير قد انتصب وأخذ مكان البار، وقسوة الأيام جعلت أولاد الله يُحسبون بؤساء وملعونين في حين أن الشرير يزهو. فكان رد الله (١: ٥ - ١١)، ليس تماماً على شبه كلام حبقوق إذ أنه قال إنه سيقيم بابل كأداة لبرِّه. فقسوة يهوذا سيواجهها بقسوة بابل الأكثر قسوة. فالشبه سيغلبه بنفس الشبه.

ولكن حبقوق لم يقتنع بهذا التعادل في الشر، إذ كيف يسمح الله لدولة شريرة أن تقسو على دولة أكثر برّاً؟ هذا أرعب النبي الذي أخذ يتكلَّم بلسان الأبرار الباقين: إذاً ماذا يكون نصيبهم؟ هل الله سيصير بلا إحساس ويفرّق ويشتت ميراثه بواسطة قوة بابل؟

أمَّا سؤال حبقوق الثاني (١: ١٢ - ١٧) فقد كان على مرحلتين: اتهم يهوذا أنها خرَّبت أساس مملكة الله بمنعها العدل والبر أن يسود بل عكست عملهما. والثانية أنه بكى لله ليعطي الإجابة، وهو يُعبِّر عن خوفه لئلا يُقتلع البر من المملكة وتكون الفوضى قد سادت (١٧). وهكذا أدخل حبقوق نفسه في ورطة، وإذ هو لا يعرف الطريق وقف يلاحظ كرقيب يراقب بابل منتظراً عالماً جديداً من

الله (٢: ١).

الحياة بالإيمان:

أعلن الرب لحبقوق أن بر ملكوته سيقوم ويتأسس في النهاية، وهذا الاستعلان ينبغي أن يُكتب كشهادة للأجيال الآتية المتعاقبة (٢: ٢). وكلمات هذه الشهادة هي للراحة، حتى يعلم الناس أنه سوف يعوِّضهم حتى ولو تباطأ الحكم، إذ يلزم الانتظار بالإيمان لأن هذه الكلمات الواعدة تشجِّع أولاد الله أن يتمسَّكوا بالوعد دون أن يهتموا برداءة الزمن: «البار بإيمانه يحيا» (٢: ٤) كما جاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (١: ١٧)، (رو ٣: ٢١ - ٢٩)، (غل ٣: ١١).

+ «كما هو مكتوب أمَّا البار فبالإيمان يحيا.» (رو ١: ١٧)

+ «وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء. بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لا فرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح. الذي قدمه الله كفَّارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله. لإظهار بره في الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع. فأين الافتخار؟ قد انتفى، بأي ناموس، أبناموس الأعمال؟ كلا. بل بناموس الإيمان. إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس. أم الله لليهود فقط؟ أليس للأمم أيضاً؟ بلى للأمم أيضاً.» (رو ٣: ٢١ - ٢٩)

+ «ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا ... لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح.» (غل ٣: ١١ و١٤)

وهذا في الحقيقة هو أساس سفر الرؤيا:

+ «لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به. هوذا إبليس مزمع أن يلقي بعضاً منكم في السجن لكي تُجرَّبوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام. كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة.» (رؤ ٢: ١٠)

+ «وأنت متمسِّك باسمي ولم تنكر إيماني ...» (رؤ ٢: ١٣)

إن رجاء الله إنما هو في التمسُّك بالبر وفخر الملكوت، والرجاء تسنده المواعيد التي أعطاها الله. والرب قد وعد بالفداء الكامل من كل ضيق وتعسُّف وشر. وسفر العبرانيين اقتبس من حبقوق

هكذا: «أما البار فبالإيمان يحيا وإن ارتدَّ لا تُسرُّ به نفسي.» (عب ١٠: ٣٨)

النصرة الأخيرة لبر الله:

سفر حبقوق يتحدى البار أن يفهم إرادة الله في الأيام الشريرة، ويوعِّي للسهر حتى يتم ويتأسس بر مملكة الله. فحبقوق حكيم، فإنه من خلال التخاطب مع الله يعلِّم أولاد الله بكل وسيلة بالشعر والأغنية والمديح، ويحذر أولاد الله في كل الدهور لكي يؤسس إيماناً عميقاً في الفادي، ويعطي نفسه مثلاً لكي يحمس أولاد الله أن يتخاطبوا مع الله لكي يختبر الله أمانتهم فيه في يوم الضيق حتى ينمو الرجاء في الرب ويصير تسبيحاً.

والأصحاح الأخير هو ليتورجيا بصلاة نبوية (٣: ١ - ١٩) يتغنَّى بها كليتورجيا تُحفظ وتُردَّد ليشجع أولاد الله بعضهم بعضاً.

+ «مكلِّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب.» (أف ٥: ١٩)

+ «لتسكنْ فيكم كلمة المسيح بغنى وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية بنعمة مترنمين في قلوبكم للرب.» (كو ٣: ١٦)

وهكذا يعطينا حبقوق عينة من غناء وتسابيح الروح التي عاشها في العهد القديم.

وبالنهاية يمكن أن نختصر سفر حبقوق ونبوَّته فهي كأننا نعيش رؤيا:

١ - نتأمل في أعمال الله في الماضي.
٢ - نصلي في ضيق الأيام.
٣ - نحيا بالإيمان للرب.
٤ - نفرح ونغني لمستقبل خلاصنا.

ويعطينا هذه الأنشودة (٣: ١٦ - ١٩) لتكون صورة لرؤياه:

+ «سمعتُ فارتعدت أحشائي،
من الصوت ارتجفت شفتاي،
دخل النخر في عظامي،
ولكني أنتظر بالصبر يوم البلية،
ليأتي على الأمة مقتحماً حياتنا،

ولو أن شجر التين لم يعطِ براعمه،
ولم يظهر العنب في شجر الكروم،
ومحصول الزيتون كله سقط،
والحقل ينبئ أنه لن يكون طعام،
ولا الحظيرة يوجد فيها خراف،
وعنبر الحيوانات خلي من كل ما فيه،
ولكني سأفرح وأُسر بإلهي،
فالرب مخلّصي هو قوتي،
يجعل أقدامي أثبت من الإيل،
ويُصعدني بلطفه إلى مرتفعاته.»

(مترجمة عن الإنجليزية كنص لحبقوق ٣: ١٦ - ١٩)

فأنشودة حبقوق هي إشادة بالرب، رب القوة والمجد والنصرة. وهذه طبيعة الله! والذين للرب هم مركبات يجرُّها خلفه كمنتصرين (٣: ٨) هم مركبات خلاص! فخلاص الرب هو لمسيحه وشعبه. انظروا وانتظروا خلاصه، فيهوه سيؤسس البر. حينئذ تمتلئ الأرض من بر الرب!

فهرس موضوعات نبوّة حبقوق:

١ - ارتباك حبقوق والحل الإلهي — **الأصحاح الأول والثاني**

(أ) الارتباك الأول لحبقوق (١: ٢ - ١١)
١ - سكوت الله إزاء خطايا اليهودية (١: ٢ - ٤)
٢ - الحل الإلهي وهو غزو الكلدان (١: ٥ - ١١)
(ب) الارتباك الثاني لحبقوق (١: ١٢ - ٢: ٢٠)
١ - استخدام الله للكلدانيين الأشرار كأداة تأديب (١: ١٢ - ١٧)
٢ - حله الإلهي تحطيم الكلدانيين (٢: ١ - ٢٠)
أ - ترقب النبي لاستجابة الله (٢: ١)
ب - توجيهات الله في الإعداد للإجابة (٢: ٢ و٣)
ج - رسالة عزاء: البار سيحيا بإيمانه، في حين أن المتكبر والمعاند سيهلك (٢: ٤ و٥)
د - خراب الكلدان منظم في خمس لعنات (٢: ٦ - ٢٠)

- لعنة بسبب اقتحامهم وسفك الدم والقسوة (٢: ٦ - ٨)
- لعنة بسبب طمعهم وكبريائهم وقسوتهم (٢: ٩ - ١١)
- لعنة بسبب سفك الدماء وشرهم (٢: ١٢ - ١٤)
- لعنة بسبب دعارتهم وضميرهم (٢: ١٥ - ١٧)
- لعنة بسبب أوثانهم (٢: ١٨ - ٢٠)

٢ - صلاة النبي حبقوق — **الأصحاح الثالث**

(أ) العنوان (٣: ١)
(ب) توسل النبي (٣: ٢)
(ج) وصف لروعة الظهور الإلهي (٣: ٣ و٤)
(د) غرض تأثير ظهور يهوه: والدينونة والخلاص (٣: ٥ - ١٥)
(هـ) تأملات النبي على الرؤية (٣: ١٦ - ١٩)
١ - تأمل الحكم الإلهي وكيف ينتج الخوف عند معاقبة الأمة (٣: ١٦ و١٧)
٢ - إيمان النبي الراسخ بخلاص الله (٣: ١٨ و١٩)

ثانياً: أنبياء ما بعد السبي

مقدمة لأنبياء ما بعد السبي

أنبياء ما بعد السبي: حَجَّي وزكريا وملاخي:

لقد خدموا نبوَّاتهم في ظل السبي وخبراته، ولكن في نفس الوقت كان قد أشرق عليهم نور العودة. فكانت المدة بعد السبي ما بين تصديق وتدشين وتحية عصر جديد في تحقيق النبوَّات السابقة من الأنبياء الأول السابقين. لأنه عندما كسر الشعب عهد الله، أعلن الأنبياء رسمياً قرب سقوطهم وسحب النعمة منهم، ولكن من وجه آخر كانت العودة فرصة جديدة للتائبين شجَّعتهم ليجدوا مرة أخرى حمايتهم وملاذهم في يهوه الرب كما قال زكريا: «لا تكونوا كآبائكم الذين ناداهم الأنبياء الأولون قائلين هكذا قال رب الجنود ارجعوا عن طرقكم الشريرة. ومن أعمالكم الشريرة فلم يسمعوا ولم يصغوا إليَّ يقول رب الجنود.» (زك ١: ٤)

فكان السبي بمثابة تعليم يشير إلى الدينونة الأخروية كحقيقة مرئية. فأورشليم وهيكلها تخربتا، ومملكة داود ذاقت مرارة البعد والتغرب عن الله. ولكن بقية من شعب الله ظلوا دائماً إلى الأبد ينتظرون علامات تحقيق الكلمة النبوية.

ولكن الخبرة المتأتية من السبي كانت لها منافع جانبية، لأن السبي كان عاملاً مطهِّراً، كان الرب في أثنائه يبلور جماعة جديدة عمادها هم الذين يطلبونه باجتهاد ومثابرة واثقين من الإيمان به وطائعين خاضعين له في اتباع العدالة والمحبة. وهذا هو التأسيس الداخلي لملكوت الله في القلوب.

ففي أثناء هذه المدة كانت البقية من الأتقياء متآلفين، وابتدأوا معاً نوعاً من العبادة ستكون في المستقبل هي أساس السيناجوج (المجمع اليهودي) والتعليم بالتوراة وممارسة الناموس. فالبقية إنما وضعوا في قلوبهم أهمية تأسيس الهيكل وممارسة الناموس بصورة ستكون في المستقبل أساساً ليس فقط لليهودية فيما بعد السبي ولكن ليهودية نهاية الزمان!

رجاء العودة:

في أثناء السبي كان الأبرار يعيشون في رجاء الوعود النبوية التي تعلن وتصوِّر فجراً جديداً لليهودية.

فأنبياء ما بعد السبي قد نادوا بإنجيل الرجاء وتحقيق وجود حضرة الله لعودة البركات وإعلان مجد

الله بين الشعوب. فكانت نبوات الخلاص والمعونة الإلهية أكثر مما كانت، وإعلان مجد الله بين الشعوب. فكانت نبوات الخلاص الآتي قد أشاعت الرجاء أن شعب الله سوف ينعم مرة أخرى بالوعود والعهود وعودة تجديد الطبيعة وحالة سلام عام وشامل تحت حفظ وعناية وحماية الملك المسيَّا الآتي.

فكان زمن العودة كمثل زمن الدينونة امتد حتى دخل بؤرة البدء بالتنفيذ والكمال. وكان إعلان كورش سنة ٥٣٨ ق.م يسمح بعودة اليهود (عز ١: ١ – ٤، ٦: ٣ – ٥) فكان جواباً من الله لصلوات الأتقياء الأمناء (مرا ٥: ١ – ٢٢)، (دا ٩: ٤ – ١٩).

فحينما عاد اليهود أخيراً عادوا بأعداد قليلة (خمسون ألفاً) (عز ٢: ٦٤ و٦٥)، (نح ٧: ٦٦ و٦٧) ولكن الفرح كان عظيماً للجيل الجديد عندما أعادوا بناء الهيكل وخدماته، ولكن كان البكاء عظيماً أيضاً من الأشخاص كبار السن عندما تذكروا مجد الهيكل السابق (عز ٣: ١٢ و١٣)، وأيضاً كان الرجاء عظيماً في أنه بعودة الهيكل قد يكتمل إشراق العهد المسيَّاني أكثر.

الرجاء يمتد ويتجدَّد:

هذا الازدواج بين الفرح والبكاء تحوَّل بمضي المدة إلى يأس عندما بدأ اليهود يختبرون المقاومات في إعادة بناء الهيكل (عز ٤: ١ – ٢٤). لقد أصابت أحلامهم مرارة الواقع وصاروا يتساءلون: أين تحقيق وعود الله؟ وأين هو الخلاص الذي تمَّ؟ فهل هذا هو الزمن الجديد الذي تكلَّم عنه الأنبياء؟

ولكن الشعب ارتضى وخضع للظروف غير المنتظرة والمخيبة للآمال لهذا الزمن. وبعضهم شرح وعود الأنبياء في ضوء الواقع المرّ بإمكانياتهم الخاصة وعوَّدوا أنفسهم على الواقع وفسَّروا وعود الله كما شاءوا، وآخرون حوَّلوا الواقع والظروف إلى أحلام ورؤى، ولكن أكثر الراجعين ابتدأوا يهتمون بأحوالهم ومبانيهم وزرعهم ومعيشتهم. فالرجاء لم يعد له وجود، وأشغلوا ذواتهم في البناء وجمع الثروات لمستقبل أفضل. وقد اكتشفت جماعة ما بعد السبي وكذا الأنبياء التمزق بين التحقيق في الحاضر ورجاء المستقبل. هذا التمزق ظهر واضحاً في نبوة حَجَّي وزكريا عندما تعرَّضا للأمور الغامضة غير الواضحة ومسئولية الله وأمانته.

فوجود هذا التوتر والتمزق في زمن ما بعد السبي جعل البعض يتصور أن النبوَّة أصبحت ظاهرة ميتة. فالربط بين النبوَّة وتقليدها وبين الملوكية ولَّد في التفكير خطأ تصوُّر أن سقوط الملكية يؤدي إلى توقف النبوَّة. ولكن هذا كان تصوراً خاطئاً لأن نجاح النبوَّة أنشأ بالفعل تغيُّراً في موقف الشعب

وابتدأوا يمارسون بالفعل تحقيقات النبوَّة بأنفسهم.

خدمة أنبياء ما بعد السبي:

(حجي، زكريا، ملاخي، نحميا، عزرا):

الأنبياء حَجَّي وزكريا وملاخي أكَّدوا أن الله يكمل وعوده لشعبه في وضعهم الجديد فيما بعد السبي، حتى وإن كانوا قد انقطعوا زمنياً وانقطعت صلاتهم مع ما قبل السبي، إلاّ أن الله لم يقطع صلته بهم لا قبل ولا بعد السبي، لأن طبيعة الله لا تتغير، فهو أمس واليوم وإلى الأبد، ومقاصده العليا ومشيئته لا تتغير. فإن كان السبي يظهر وكأنه انهزام لإسرائيل ولكن في هذا السبي استطاع الله أن يتخلَّص من معوقات كانت تعوِّق الشعب من أن يسير الله بهم إلى أرض الموعد العليا، وتعوِّق خطة الفداء الذي يسعى إليه خاصة. فالسبي يُحسب وكأنه خطة ناجحة في تدبير الله من أجل مستقبل الشعب اليهودي.

وتعليم حَجَّي النبي وزكريا النبي أعان جماعة ما بعد السبي على أن يفهموا ويفسِّروا واقعهم الحاضر بين ما يتقبلونه بالنبوة وما بين ما يعملونه بأيديهم، وأن يتحققوا أن الكهنوت الذي بدأ يُخدم وزَرُبَّابِلُ الذي بدأ يترأس، وتحقيق العهد المستجد، كلها تتحقق أمامهم خطوة خطوة كما يسمعونه من فم أنبيائهم. فأنبياء هذا الزمن الجديد كانوا كمثل أنبياء ما قبل السبي، وهذا وذاك كان يتكلَّم عما سيأتي بعد السبي. فكان الوضع فيما بعد السبي بالنسبة للشعب هو الإسخاتولوجية كوضع الأساس لزمن الخلاص الآتي. فالأنبياء دائماً أبداً كان هدفهم القريب والبعيد هو الإسخاتولوجية، يتغير الوضع ويتغير الزمن ويصبح المستقبل حاضراً والحاضر ينظر للمستقبل كإسخاتولوجية دائمة.

وهذا هو مقصد الله من أن يسير الإنسان معه خطوة بخطوة حتى الكمال والتمام.

وكان هَمُّ الأنبياء الأول أن يؤكِّدوا للشعب أن وعود الله لابد نافذة مهما كان الحال والأحوال. وكانوا يبثون الشجاعة والمثابرة في قلب الأبرار بأن يقاوموا الصعوبات والعراقيل والمعاكسات، ويداوموا جهاد البر في أثر الناموس ويعيشوا الحاضر كأنهم يكمِّلون الغاية من وجودهم.

وبمرور الزمان أصبح ملاخي وعزرا ونحميا على مسرح الحوادث غير أن نار الغيرة للتجديد قد خبت. فمناداة حَجَّي وزكريا لا يمكن أن تُنسى، ولكن الزمن كان يأكل من غيرتهم التي بثُّوها في قلب الشعب، فجاء جيل ملاخي النبي وقد بَعُد الزمن وبعدت معه أماني الأجيال الأُولى التي كانت

لأنبياء ما بعد السبي مباشرة. كان البعض مازال يعيش في التمزق الأول راجياً أن يكمل الله وعوده معتبرين كلمات الأنبياء أن الله يعمل من خارج خطط الإنسان.

وكانت كلمات ملاخي الأساسية لإنعاش الولاء للرب الذي أعدَّ الشعب لاستجابة إيجابية لدعوة التجديد على يد عزرا ونحميا. هذان القائدان كانا واقعيَّين، وقد نجحا في أن يضعا أقدام الشعب على درب التجديد في خدمة وعود الله بحياة حارة دينياً، وسوية اجتماعياً، مع تجديد سياسي.

وعزرا النبي كان حلقة الصلة بين الخطط الأُولى التي وُضعت على يد حَجَّي وزكريا وبين التكميل الأخروي المنشود، وكان يرى نفسه ويرى جيله كمن يفتتحون زمان الإسخاتولوجية بخطى ثابتة.

ونحميا كان غيوراً على الهيكل والناموس والسبت، وعلى الحياة الإلهية حقًّا، وكان يؤمن أنه يُعِدُّ شعباً ومدينة لتكميل مقاصد الله في مملكته. وكان متجهاً بقلبه نحو صهيون مدينة الله كثورة روحية لملكوت الله على الأرض.

١ . حَجَّي النبي

زمن حَجَّي:

وُلدَ حَجَّي في أورشليم القديمة وعاصر حصارها وخرابها وعاش مسبياً في بابل، وأيضاً هو رجل الزمن الجديد، فقد رافق الفوج الأول العائد من السبي تحت يد شيشْبَصَّر، واشترك في أول مراحل بناء الهيكل (عز ٣: ١ - ١٣). وبمرور الزمن تكلم بوحي الله. وكان حَجَّي شيخاً متقدماً في العمر.

أمَّا زمن حَجَّي فيمكن تحديده بذكره الملك داريوس الأول (هيستاسبس ٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م) المعروف بتشجيعه واهتمامه بالجماعة اليهودية. وأول توجيه خطابي لحَجَّي كان في الشهر السادس (٢٩ أغسطس سنة ٥٢٠ ق.م) في السنة الثانية لداريوس (١: ١). وكذلك ثلاث خطابات أخرى قالها على مدى أربعة أشهر (١: ١٥ - ٢: ١، ٢: ١٠ و٢٠)، وآخرها كان في ديسمبر سنة ٥٢٠ ق.م.

وحَجَّي وزكريا (عز ٥: ١، ٦: ١٤) خدما الله وكلمته للشعب الذي كان يقاسي الحياة بسبب الإخفاقات التي لاحقتهم وعدم تحقيق رجائهم. وكانا عضوين في الجماعة الجديدة في أرض الميعاد، ولكن البطء الذي لاحق الشعب في عملهم على إعادة الأوضاع قد جعل نشاطهم يتجمد، فأصابهم الإحباط إذ قد خاب رجاؤهم في الزمن الجديد الذي وُعدوا فيه أن يكون الله حاضراً بينهم، كملك، بالبركات والعناية. وقد ظنوا أن رجاءهم قد خاب، فكان عليهم أن يبقوا منتظرين الله أن يؤسِّس الزمن الجديد بتكميل النبوَّات.

وكان اليهود قد رجعوا من بابل منذ ست عشرة سنة مضت، وكان الشعب قد بدأ نهضته بغيرة هائلة وذلك سنة ٥٣٦ ق.م ولكنهم من توقفوا نتيجة معاكسة السامريين ومقاومتهم (عز ٤: ٥). وتوقف العمل من سنة ٥٣٦ حتى سنة ٥٢٠ ق.م. وفي سنة ٥٢٠ ق.م حدث تغيير كبير، فقد أكد داريوس الفرمان الأصلي الذي أصدره كورش معطياً الحق لليهود أن يعيدوا بناء الهيكل (عز ٦: ٣—١٢). ولكن اليهود كانوا قد فقدوا الحس تجاه الهيكل نتيجة ما قاسوه من المصائب (حج ١: ٩—١١). ودخلوا دائرة المكر بأن الاقتصاد يواجه صعوبة وكأن الله غائب. إذن، فالله لا يريد بناء الهيكل الآن، واعتقدوا أن وعد النبوَّة ربما كان يقصد جيلاً آخر غيرهم. لم يكونوا ملحدين ولا عُبَّاد صنم، ولكنهم صاروا بلا نفس وقد نحُّوا الرجاء جانباً. وفي سنة ٥٢٠ ق.م. بدأ حَجَّي يتكلَّم وبدأ ينقد الشعب لأنهم لم يكملوا بناء الهيكل وشجعهم أن يبدأوا العمل. وكان حَجَّي يعلم أن الشعب قد فقد غيرته وخار قلبه، بعد أن تركوا حياة الاستقرار والأمان في بابل وجاءوا إلى اليهودية يعملون كجنود، وقد واجهوا هذه المقاومة وقاسوا مرارة التهديد فابتدأ كل واحد يبحث عمَّا يحتاجه ويخصه.

اللغة:

سفر حَجَّي ينقسم إلى أربعة أقسام تاريخية ما بين ٢٩ أغسطس و١٨ ديسمبر سنة ٥٢٠ ق.م. أمَّا أسلوبه فهو شعر نثري موزون. والرسالة متركزة في التشجيع والحماس والتعليم وهي مملوءة بالرجاء في مستقبل أعمال الله:

١ - فهو يكرِّر الجمل الهامة مثل: «اجعلوا قلبكم على طرقكم» بمعنى "ركِّزوا أفكاركم" (١: ٥ و٧، ٢: ١٥ و١٨)، «أزلزل السموات والأرض» (٢: ٦ و٢١). وكذلك في أسلوب التخاطب (١: ١٢ - ١٤، ٢: ٢ - ٤).

٢ - يستخدم الوسائل الأدبية البلاغية (١: ٤ و٥ و٩، ٢: ١١ - ١٣)، والمقابلة العكسية (١: ٤ و٩ و١٠، ٢: ٢٣)، واللعب بالألفاظ (١: ٤ و٩ مع ١: ١١) ويتنبَّأ عن ما يخصه في الشخص الغائب كأسلوب بلاغي.

وكلام الافتتاحية يعطي الأساس لشرح النبوَّة «كلمة الرب عن يد حَجَّي النبي إلى زربابل ... وإلى يهوشع» (١: ١، ٢: ٢)، وقد استخدم حَجَّي في هذه الافتتاحية الكلمات المركزية التي تدل على الثلاث هيئات الأساسية في إسرائيل: هيئة الأنبياء (حَجَّي) وهيئة الملوك الممثلين في نسل داود (زربابل) وهيئة الكهنوت (يهوشع).

رسالة حَجَّي:

كان حَجَّي يعطي الأمر بالعمل في بناء الهيكل بقوة دافعة، فكانت رسالته فعَّالة وكان قد مضى زمن كبير منذ عودة الشعب إلى الأرض، ولكن لأسباب عديدة صاروا مستكينين راضين بلا جهد ولا غيرة، وأصبح هذا أسلوب حياتهم، وتمحكوا في الله بأنه لم يأت الزمن بعد ليأمر الله ببناء بيته (١: ٢) ورغم ذلك لم يكونوا سعداء إذ لم يشعروا بعد بحضور الله وسطهم (١: ٦)، وتساءلوا عن مدى أمانة الله وتعجَّبوا كيف كانت كلمات النبوَّة بالخلاص تشير إلى أيامهم وجيلهم، ولكن حَجَّي وبَّخهم لأنهم مسئولون عن هذه المصيبة (١: ٤ - ١١) فأيقظهم من شعورهم بعدم الإحساس بالوقت ومن قناعتهم باكتفائهم الذاتي، وساءهم إن كانوا يقيسون شعورهم وحياتهم على ما يريده الله لهم (١: ٥ و٧، ٢: ١٥ و١٨). وساءلهم أليسوا حقًّا غير أمناء إذ يواجهون المصائب بفكر وعمل سلبي؟ أليسوا بلا غيرة أو حماس في عبادتهم لله؟ وهل كان الله مسئولاً عن أخطائهم التي تسببت في دخولهم المحن؟ وهكذا واجه حَجَّي كل تذمرهم وسألهم أن يفتشوا قلوبهم، وطالبهم بالأمانة للرب وبأن يقوموا ويعيدوا بناء الهيكل ويظلوا على رجائهم وانتظارهم للزمن الجديد لبركات يهوه.

الهيكل:

الهيكل وكل ما يمثّله (حضور يهوه والرجاء المسياني مز ١٣٢) كان هو المَعْبَر بين الماضي والمستقبل. وباختصار كان بناء الهيكل ضرورة كخطوة هامة للإيمان لجماعة ما بعد السبي، كشركة في كيان أكبر أي مملكة الله. أوضح حَجَّي النبي الصلة الأساسية بين تكميل مواعيد الله ببناء الهيكل ومسئولية الإنسان في تحقيق ذلك، فشعب الله قادر أن يعجّل تكميل النبوّة والوعد وذلك باستجابته وهمته في العمل. فكان حَجَّي يوبخ الشعب على الإخفاق الذي حاق بهم وكان يسألهم أن يحكّموا أنفسهم بالنسبة للمسئولية الواقعة عليهم، فعدم استجابتهم قد تسببت في التوقُّف وعدم التقدم في عملية البناء نفسها: «والآن فهكذا قال رب الجنود: اجعلوا قلبكم على طرقكم» (١: ٥ و٧) وكررها: «اصعدوا إلى الجبل وأْتوا بخشب وابنوا البيت فأَرضَى عليه وأتمجَّد، قال الرب» (١: ٨) فإن طرقهم هي التي ساقتهم سابقاً إلى السبي. فقد كانوا مشغولين ليعملوا لحساب أنفسهم ولحياتهم ويحسِّنوا من مستواهم في الحياة، وكانوا يتهمون الرب بأنه سمح بمصائبهم، وأن الرب هو المسئول عن كونهم غير أمناء لوعوده. ولكن حَجَّي أوضح لهم أن مصائبهم كانت تأديباً لهم، فكانت كلماته شديدة على الذين كانوا قد تركوا كل ما لهم في بابل فلما جاءوا إلى اليهودية طائعين وجدوها بلا كيان وبلا وسائل للحياة.

وكان حَجَّي يذم الشعب لأنهم التفتوا إلى حياتهم المادية. فهم مشغولون ببناء وتوسيع بيوتهم بينما الهيكل مازال خرائب. وكان يسألهم: «فكانت كلمة الرب على يد حَجَّي النبي قائلاً: هل الوقت لكم أنتم أن تسكنوا في بيوتكم المغشاة وهذا البيت خراب؟» (١: ٣ و٤)، وكان يدعوهم بأن يتركوا همَّهم ويلتفتوا إلى عبادة الرب مُحاجًا أن القلب المنقسم ينجّس كل شيء (٢: ١٤). وكان حَجَّي يحمسهم ويشجعهم ليكونوا أشداء أقوياء في الإيمان ويثقوا ويصدقوا الرب ليكون معهم كما كان مع أجيال الجهاد والحرب. قارن: (٢: ٤) مع (يش ١: ٦ و٧ و٩ و١٨، ٢٣: ٢٦، ٢٤: ١٤) وهكذا أصبحوا أبعد من أن يدخلوا عهد الراحة. قارن: (١: ٦) مع (تث ٢٨: ٣٨ و٣٩) وقارن: (حج ٢: ١٧) مع (تث ٢٨: ٢٢). ولكن وعود الله باقية، كما تبقى أيضاً مسئوليتهم.

روح الله:

إن الحالة التي أصبحت فيها الجماعة تخضع وتستجيب لنداء الأنبياء هي حقًّا مُسرَّة، فقد مضى عهد تقييم الأمور بالعقل وتحقيق الذات في الأعمال والأقوال والتصميم على تمسكهم بطرقهم. فقد ظهر أن روح الله كان يعمل في قلوبهم، في القواد وبقية الراجعين (١: ١٤ و١٥): «ونبَّه الرب روح

زربابل بن شَأَلْتِئِيلَ والي يهوذا وروح يهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم وروح كل بقية الشعب فجاءوا وعملوا الشغل في بيت رب الجنود إلههم، في اليوم الرابع والعشرين من الشهر السادس في السنة الثانية لداريوس الملك».

وحضور الروح ثبَّت وجمَّع ووثَّق استمرارية مملكة الله في إسرائيل. روح الرب الذي قاد موسى والشيوخ الذين معه، وهو الذي أرسل الأنبياء برسالة الله، هذا الروح كان في وسط الجماعة الراجعة «كل بقية الشعب» (١: ١٤) قارن: (عد ١١: ١٦ و١٧ و٢٥)؛ فكانت الاستجابة الصالحة في القواد وفي بقية الشعب تشهد على روح التغيير الروحي للشعب (١: ١٤) وعمل الروح القدس. لأن الروح كان حقًّا حاضراً في التجديد وفي مصالحة الشعب مع الله، وفي ضمان نزول البركات من عند الله، وفوق كل شيء في خلق روح اشتياق إلى تكميل تجديد الخليقة واسخاتولوجية زمن الروح. وتوحيد قلوب الشعب صار حقيقة (١: ١٣، ٢: ٤ - ٥)، (زك ٤: ٦).

+ «فالآن تشدَّد يا زربابل يقول الرب وتشدَّد يا يهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم وتشدَّدوا يا جميع شعب الأرض يقول الرب واعملوا فإني معكم يقول رب الجنود.» (حج ٢: ٤)

وقام النبي حَجَّي بتثبيت جيل ما بعد السبي على أساس أن وعود الرب التي تشير إلى الزمن الجديد ستكمل وتتم، وسيتم تجديد عهوده مع الخليقة: إبراهيم وموسى وداود، فقد كان عندهم رجاء عصر روح الله وزمن المسيَّا، وصار لهم أيضاً المسئولية في تحقيق ذلك، وأوضح حَجَّي الصلة بين طاعة العهد وتكميل الوعود. كما نادى حَجَّي الجماعة بأن يأخذوا على عاتقهم نير الملكوت على رجاء أن يختبروا ويذوقوا التكميل وحضور مملكة الله.

وهكذا بينما يسعد الشعب بمزايا حضور الله وبركاته وعنايته وحفظه، كان الجيل مسئولاً عن الإسراع في تكميل وتأسيس السماء الجديدة والأرض الجديدة، أورشليم الجديدة وعهد المسيَّا وملكوت الله. وفي هذا الجذب بين حضور الزمن الجديد والمستقبل في تكميل وعود الله، هكذا يختبر الشعب بركات الله منتظرين سرعة التكميل. لذلك كان حَجَّي يشجعهم أن يعملوا في تحقيق الوعد حتى التكميل (٢: ٤ و٥). وحَجَّي كان ينادي في الشعب العائد من السبي أن يروا الأشياء برؤية إلهية فيَرَوْا أن التجديد حاضر بالتحقيق.

الحقيقة والواقع:

كان حَجَّي يحاجج أن هيكل ما بعد السبي يشير إلى ما هو آتٍ لا إلى ما كان. فكان يسأل

الجيل القديم أن يتذكروا مجد هيكل سليمان: «مَنْ الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الأول. وكيف تنظرونه الآن. أما هو في أعينكم كلا شيء» (٢: ٣)، ولكنه طلب منهم أن يروا ما بعد الحاضر كرمز، وألا يحسبوا المصائب والأعداء والفقر وكل معوقات الحاضر، بل ينظروا إلى مستقبل المجد لملكوت الله الذي يشهد ويرمز إليه الهيكل.

فكان حَجّي يتنبأ: «وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود» (٢: ٧). فكان حَجّي يضع الواقع أمام الرجاء فيظهر الرجاء بصورته النهائية.

الحقائق	الرجاء
الهيكل / روح الله / زربابل	ملكوت الله / تجديد الخليقة / ملكوت المسيّا

فالرب قد أكّد وعده أن يؤسّس سلطانه على كل الخليقة. وحَجّي يتكلّم كمن يهز السماء والأرض، فهو يتكلّم بفم الله (٢: ٦ - ٧ و ٢١ و٢٢)، بلغة تذكّرنا بنصرة الرب على فرعون «وأقلب المركبات والراكبين فيها وينحط الخيل وراكبوها» (٢: ٢٢) قارن مع (خر ١٥: ١ و٤ و١٩ و٢٢) و(رؤ ١٥: ٣ و٤). وذخائر مصر شهوة الشعوب «مشتهى كل الأمم» تأتي إلى إسرائيل (٢: ٧)، قارن مع (خر ١٥: ١٨)، (رؤ ١٥: ٣). وزلزلة الشعوب تصوير ليوم الرب عندما يؤسس المحارب الإلهي سلطانه فوق الخليقة، كما في أجيال الخروج الذين رأوا مجد الله مع فرعون (٢: ٢٢)، قارن مع (خر ١٥: ١ و٤ و١٩ و٢١). هكذا يتكلّم الرب عن خروج آخر بوعود خلاص ونصرة ومجد.

والرب قد استخدم فعلاً كنوز فارس في بناء هيكله (عز ٦: ٨) كما وعد الله في إشعياء (إش ٦٠: ٥ - ١٣)، ولكن في ذلك الوقت سوف تخدمه الشعوب كلها (رؤ ٢١: ٢٤ - ٢٦).

خلافة داود:

الرب يوفي وعوده لداود: سيرفع كل المعاثر (٢: ٢٢)، وينهي عصر الحروب: انظر: (إش ١٤: ١٦ و١٧)، (يؤ ٣: ١ - ١٦)، (زك ١٤: ١ - ١٥)، (رؤ ١٩: ١١ - ١٦)، إنما كلها تجدد الوعد لداود وتؤسّس المملكة.

فبعد أن قال في سفر إرميا: «كل رعاتك ترعاهم الريح ومحبوك يذهبون إلى السبي. فحينئذ تخزين وتخجلين لأجل كل شرك.» (إر ٢٢: ٢٢)، «هكذا قال الرب: اكتبوا هذا الرجل عقيماً

رجلاً لا ينجح في أيامه لأنه لا ينجح من نسله أحد جالساً على كرسي داود وحاكماً بعد في يهوذا» (إر ٢٢: ٣٠). إلاّ أن الرب رجع وجدّد عهده لداود في زربابل كشهادة للمستقبل لنسل داود. وهكذا يتمّم لنسل داود ويؤكّد لهم استمرار وعوده من خلال يهوياكين وزربابل وحتى مجيء يسوع ربنا:

+ «ويوشيا ولد يَكُنْيَا وإخوته عند سبي بابل. وبعد سبي بابل يكنيا ولد شَأَلْتِيئيل و شَأَلْتِيئيل ولد زَرُبَّابِلُ.» (مت ١: ١١ و١٢).

ويعتبر جيل حَجّي زربابل أنه صار من الله دليلاً على تأكيد ضمان الفداء الكامل لشعبه وحلول مملكة المسيّا، وظهور السماء الجديدة والأرض الجديدة (٢: ٢٣). قارن مع (زك ٤: ٦ - ١٠). وهدف مملكة الله وحكم المسيّا واحد وهو حضور الله الذي يتحقّق في سلام وبركات شعب الله (٢: ٩ و١٩). قارن مع (عد ٦: ٢٦)، (مز ٧٢)، (إش ٢: ٢ - ٤، ١١: ١ - ٩، ٣٢: ١ - ٨ و١٥-٢٠).

ختام:

إن العمل النبوي لحَجّاي يشير بوضوح إلى الطريق الذي يلزم فيه أن يساهم الشعب مع الله ليأتي ملكوت الله. وحَجّي كان رائياً وعاملاً بنشاط. وهو الذي قاد جيل ما بعد السبي ليحققوا مواعيد الله بالروح الذي فيهم. هذا يشرح لماذا أيقظ الأبرار ليطلبوا المجد ويسعدوا بالملكوت بينما يشير الله إلى مجد أعلى. فالوعود هي من الله ولكن شعبه مسئول عن الإسراع في التكميل.

وقد اعتُبر حَجّي أنه كان مجدداً، وقد علّم أن أعضاء شعب الله الحقيقي ينبغي أن يخدموا ملكهم العظيم بأمانة غير منقسمة (١: ٥ و٧، ٢: ١٥ و١٨)، ويكون لهم غيرة للقداسة (٢: ١٠ - ١٤) وأن يطلبوا مملكته (٢: ٤ و٥ و٢٢)، والرب وعدهم بحقيقة وجوده معهم بالمحبة والنصرة والبركات والسلام متمماً وعوده في الواقع (١٩)، وعلامات الأخرويات كانت موجودة فعلاً بحلول الروح والهيكل والبركات وزربابل، وكل منها تثبت التجديد للعهد والمواعيد (إبراهيم وموسى وداود). فالله أمين ولكنه يُعِدّ الجماعة الجديدة ليكونوا مواطنين مسئولين في مملكته غيورين في عمل ما هو صالح، منتظرين تكميلاً أعظم يتناسب مع رسالة كل الأنبياء.

٢ ـ زكريا النبي

زكريا النبي وزمانه:

إن الأسباب المذكورة في المقدِّمة (١: ١) تميِّز زكريا حفيد عِدُّو الأكبر، والمؤلّف لهذه النبوَّة، عن غيره ممن يحملون هذا الاسم وهو اسم عبراني عادي، وهو يظهر على ثلاثين شخص من أفراد العهد القديم. وأما جدّه عِدُّو فيمكن مضاهاته برئيس عائلة الذين رجعوا من السبي إلى يهوذا ككاهن أعظم. وقد ابتدأ زكريا يتنبَّأ بعد عدة شهور من بعد حَجَّي النبي الذي ابتدأ يخدم في ٢٩ أغسطس سنة ٥٢٠ ق.م (حج ١: ١)، فالرب تكَّلم أيضاً لزكريا (١: ١) بدءاً من أكتوبر - نوفمبر سنة ٥٢٠ ق.م حتى ديسمبر سنة ٥١٨ ق.م، وكلمة الرب المسجلة والوحي والرؤى في الأصحاحات من (٩ - ١٤) لا تحمل أي تاريخ.

وأمَّا الموقف التاريخي في زمانه فهو يماثل ما كان عند حَجَّي النبي. فقد كان شعب يهوذا قد رجعوا سنة ٥٣٦ ق.م من السبي، ولكن الفرحة والغيرة (مز ١٢٦) اللذين يدلان على عودهم قد انتهيا، وقد مرّت عشرون سنة والهيكل كما هو خراب. فعندما بدأ حَجَّي وزكريا نبوهما سنة ٥٢٠ ق.م كان شعب اليهود قد فقد غيرة قلبه وصار بلا حس ومنحطاً ومحبطاً. وإخفاقهم في بناء الهيكل تسبَّب في دينونة الله من خلال القحط ونقص المحصول (حج ١: ١٠ و١١). واستجابة لحَجَّي ونداءاته بدأ اليهود يجدّدون قوة في بناء الهيكل (حج ١: ١٤)، وبعد شهرين كان روح الرب قد حلَّ على زكريا وتكلم لنفس الشعب (١: ١) مشجّعاً إياهم برؤى من الله لملكوته مع الوعد بتحقيق نبوّته، فاستجابوا إيجابياً لخدمة حَجَّي وزكريا، ودُشِّن الهيكل في مارس من سنة ٥١٥ ق.م (عز ٦: ١٤ - ١٨).

اللغة والأسلوب:

بالنسبة للغة السفر فإن سفر زكريا أكثر أسفار الأنبياء الاثني عشر عتامة وطولاً، ولكن تعقيده متناسب مع عظمة الرسالة، يصفه كاتب كبير بأن كتابة موسى قد أُعيدت بيد فنان مضيفاً ظلالاً وأشكالاً وطاقات من نور مع رموزها وفرحتها ونورها. فالكتاب أكثره شعر منثور مع أقسام من الشعر الخالص (أصحاحات ٩ و١٠). والكتاب يحوي عظات وتحذيرات (١: ٢ - ٦، ١٠: ١ و٢) ورؤى (١: ٧ - ٦: ٨) ورمزيات (٦: ٩ - ١٥) وأحكاماً نبوية (٩: ١ - ٨، ١٢: ٢ - ٨) وليتورجيا (٩: ٩ و١٠) وموحيات خلاصية (٩: ١١ - ١٣، ١٣: ١ - ٦ و٧ - ٩) وأغنية وقدح شعري (١١: ١ - ٣). فزكريا يُعتبر كاتباً نبوياً رؤيوياً.

والأصحاحات الثمانية الأُولى لها سمات مشتركة منها تحديد التواريخ (١: ١ و٧، ٧: ١)

ووجود هدف عام مشترك (تجديد الهيكل والمدينة) وتكرار عبارة «فتعلمون أن رب الجنود قد أرسلني» (٢: ٩ و١١، ٤: ٩، ٦: ١٥). ونقص التاريخ وكثرة تشعب الأهداف في أصحاحات (٩ - ١٤) وغياب جملة «فتعلمون أن الرب أرسلني» جعلت بعض العلماء يظنون أن نبيًّا آخر كان انشغاله بسلالة داود وليس بالهيكل ربما قد كتب هذا الجزء! ولكن يبدو أن العلماء الذين ينقدون وليس الذين يفحصون بجدية هم الذين قد ظنوا أن نبيًّا آخر كتب القسم الثاني (٩ - ١٤).

صحيح أن أصحاحات (٩ - ١٤) تحوي تغييرات فجائية في وحدة اللغة والأسلوب، ولكن إذا قبلنا التفرقة بين الأصحاحات (١ - ٨)، (٩ - ١٤) يعترضنا صلة أساسية تربط الاثنين، حيث في الثاني يمتد وينمو ويتحدَّد الاتجاه اللاهوتي عن نهاية الزمان الذي يبرز من الأصحاحات (١ - ٨). فالكتاب هكذا بكامله يهدف إلى أن يشرح أنه على الرغم من تحقيق العودة من السبي فإن الخبرة المكملة للفداء لا تزال هي عمل المستقبل.

وزكريا ذو حس لاهوتي يعكس أفكاره على النبوَّات السابقة عليه الخاصة بالعودة في إشعياء وإرميا وحزقيال، ولكنه يتوسع فيها مستخدماً تخطيط الله لشعبه الذي وقف ينتظر الملكوت الآتي. فليس عجباً أن كتاب زكريا خاصة أصحاحات (٩ - ١٤)، أُخذت كاستشهادات كثيرة في شرح الآلام الواردة في الأناجيل، وقد أمدّ يوحنا اللاهوتي بغنى تصوراته في سفر الرؤيا.

وزكريا في تنوع كتاباته يعمل لحساب رؤية:

١ - أورشليم الجديدة (٢: ٥، ٩: ٨، ١٤: ١١).
٢ - عظمة تكميل مواعيد الله (١: ١٧، ٤: ١٠، ٨: ٦ - ١٥، ٩: ١٢).
٣ - إزالة الشر ودينونة الله على الأُمم (١: ١٥ و٢١، ٦: ١ - ٨، ٩: ١ - ٨، ١٢: ١ - ٩، ١٤: ١ - ٥).
٤ - اشتراك اليهود والأمم في المراحم الإلهية (٢: ١١، ٨: ٧ و٨ و٢٢، ١٠: ٩ و١٠، ١٤: ١٦).
٥ - التطهير والتقديس والتقوية بالروح: روح التجديد (٤: ٦، ٥: ٤، ١٢: ١٠، ١٣: ٣).
٦ - شخص المسيَّا المتواضع والمجيد (٣: ٨، ٤: ٦، ٩: ٩).

رسالة زكريا:

نبوَّة زكريا مكملة لنبوة حَجَّي، فقد كان زكريا أيضاً مهتماً بتكميل الهيكل وتجديد الحياة الروحية. فقد تشدد حَجَّي في إعلان المسئولية التي على الشعب من أجل إشراق فجر جديد، فقد

حذَّر زكريا جماعة ما بعد السبي من أن يعيدوا أخطاء السابقين عليهم ولكن عليهم، بل يكرسوا أنفسهم لله (١: ١ - ٦)، ويثقوا به في أعماله وتتميم مواعيد خلاصه. وكان زكريا مثل حَجَّي يعطي أهمية عظمى للمستقبل بالنسبة للهيكل وكرسي داود، ولكنه ركَّز على بؤرة واحدة: حضور الرب مع شعبه، باعتبار أن مآله قادم، وهو في ذلك أقرب إلى حزقيال. وزكريا كان يضع رجاءه في نقطة من التاريخ تنبَّأ عنها حزقيال: متى يعود يهوه إلى صهيون ويصنع خيراً وسط شعبه. وزكريا قدّم رؤية لاهوتية على حياة العهد مع بركاته وتهديداته. وقد كان يطالب الشعب بأن يتذكروا أن نبوات السبي قد صارت حقيقة (١: ٦، ٧: ٧ - ١٤) وأن يخافوا ويرهبوا لئلا تتكرر دينونة الله. وزكريا كان يشجع الجيل الجديد أن يتذكر الماضي ولا ينبغي أن يكرروا أخطاء مَنْ سبقوهم الذين سيقوا إلى السبي والغربة وقبلوا واستقبلوا لعنة الله (١: ٥ و٦، ٧: ١٤). فدروس الماضي تُعلّم. فأنبياء قبل السبي قد وعظوا ونادوا من أجل التوبة (١: ٤، ٧: ٦ و٧)، ولكن رجال الجيل السابق قد أخفقوا في السمع لإنذاراتهم (١: ٤، ٧: ١١ - ١٢)، وإنهم أغضبوا الله (١: ٢، ٧: ١٢)، والله قد امتنع عن السماع لهم ولصلواتهم من أجل مجيء عهد المحبة (٧: ١٣).

حقيقة العودة الحالية:

ولكن زكريا عبر على الماضي وسلّط نبوَّاته على الحالة والظروف الحاضرة، وألهم شعب الله أن يرى كيف أن كلمات النبوَّة التي للعودة قد كملت بالحرف الواحد في جيلهم، ولو أن تكميل التجديد النهائي لا يزال بعيداً، لكن الله يشجع الجماعة الجديدة بالرؤى (١: ٧ - ٦: ٨) التي أعطتهم إطلالة على التكميل القادم للنبوات وموحياتها. وهي ثمانية رؤى يمكن ضغطها إلى أربعة أزواج من الرؤى:

(أ) رؤية الشعوب المرتاحة (١: ٧ - ١٧).
(ب) رؤية دينونة الأُمم (١: ١٨ - ٢١).
(ج) رؤية صهيون (٢: ١ - ١٣).
(د) رؤية العصر الجديد: غفران وسلام (٣: ١ - ١٠).
(دَ) رؤية العصر الجديد خدمة المسيَّا (٤: ١ - ١٤).
(جَ) رؤية إزالة الشر (٥: ١ - ٤).
(بَ) رؤية دينونة بابل (٥: ٥ - ١١).
(أَ) رؤية الروح المستريح (٦: ١ - ٨)

هذه الثمانية رؤى الليلية تعطي صورة لما كان يعمل الله من أجل شعبه من خلال توسط الملائكة، والنبي يصف ما يرى. والرؤى كرؤى يوحنا اللاهوتي أُعطيت لغرض تعزية الأبرار لكي يروا ويعرفوا أن الرب غيور وأنه يعمل بغيرة كل مناحي الفداء.

وهذا الفداء إنما يتكوَّن من غضب على أعداء الله وتحقيق المجد للأطهار والقديسين وتأسيس مجد ناموسه المقدس (١: ١٣ - ١٥).

ورؤى الليل هذه يمكن أن تُرى كمجموعة زجاج ملون لشبابيك بعضها قبالة البعض: الأول مع الأخير والثاني مع السابع والثالث مع السادس وأخيراً الرابع مع الخامس. فالمنظر الأوسط (د - دَ) يكوِّن الأكمة ومحور التماثل والتناسق، فكل مناظر العودة متجذرة في ترجي الرب وحضوره، وحضور الرب هو الهدف من العودة. وعلى الحوافي رؤى بالنسبة لمنظر الأُمم الذين في الراحة وشعب الله الذين في حيرة. لكن الأبرار يتقبلون التشجيعات بأن يبقى روح الله مرافقاً لعملية العودة (أ - أَ)، والرب سيأتي بدينونة على الأُمم لأنهم لن يعودوا يضايقون أو يعاملون البقية بقسوة (ب - بَ)، وسيعيد صهيون هكذا مجيدة وشعبها غفيراً حتى أنه لا يمكن إحاطتها بالجدران (ج - جَ)، وأورشليم الجديدة وصهيون لن تحتاج إلى جدران لأن الملك العظيم في وسطها يبارك ويحفظ شعبه.

ومنظر تأكيد العودة حسب العهد (د - دَ) ولو أن كلمة العهد غير موجودة - يظهر بتطهير يهوشع الكاهن الأعظم كرمز لتجديد عهد موسى، فالكاهن الأعظم مع زربابل يستعلن أن العهد القديم ومُثُله العليا يكمنان في التحام الكهنوت وملوكية داود. والاثنان يُدعيان «ابنا الزيت» (٤: ١٤) أي الممسوحان بالزيت الذي هو لقب مسيَّا الرب (٤: ١٤). والنبوّة تشرح الرؤية الرابعة وتتسع في وصف مكان الكهنوت والهيكل والمُلك المسياني في زمن العودة (٣: ٨ - ١٠):

+ «فاسمع يا يهوشع الكاهن العظيم أنت ورفقاؤك الجالسون أمامك، لأنهم رجال آية، لأني هأنذا آتي بعبدي الغصن. فهوذا الحجر الذي وضعته قدام يهوشع على حجر واحد سبع أعين، هأنذا ناقش نَقْشَه يقول رب الجنود وأزيل إثم تلك الأرض في يوم واحد. في ذلك اليوم يقول رب الجنود ينادي كل إنسان قريبه تحت الكرمة وتحت التينة».

ورؤية المنارة تعطي معرفة للموضع الخاص الذي للكاهن ومسيح داود، اللذان يمثلان الشعب أمام الله. ويهوشع الكاهن الأعظم يرمز إلى تكميل عهد الله بالغفران والتكفير والتجديد، وهو إشارة من الله لحلول عصر جديد، كما أن زربابل يمثل دوام نسل داود وعصر المسيَّا. هكذا يؤكد الله للأبرار

من العائدين استمرار تكميل العهد بواسطة الخدام الأتقياء الذين تتقوّى خدمتهم بالروح، روح الله.

هذه الرؤى تُعدُّ شرحاً لعصر ما بعد السبي في ضوء كلمة النبوّة. فمن جهة الشعب قد تنجّس بالخطية وتغرّب عن الله؛ ومن جهة أخرى فبعودهم للأرض أسس الرب عصراً لتجديد العهد والبركات. فعصر ما بعد السبي يُعرف بعصر التجديد (٨: ١١ – ١٣):

+ «أما الآن فلا أكون أنا لبقية هذا الشعب كما في الأيام الأُولى يقول رب الجنود. بل زرع السلام. الكرم يعطي ثمره والأرض تعطي غلتها والسماوات تعطي نداها وأُملّك بقية هذا الشعب هذه كلها. ويكون كما أنكم كنتم لعنة بين الأمم يا بيت يهوذا ويا بيت إسرائيل، كذلك أُخلّصكم فتكونون بركة فلا تخافوا. لتتشدد أيديكم».

فإن إعادة بناء الهيكل وكهنوت يهوشع وقيادة زَرُبَّابِل إنما تلقي الأضواء لتدبيرات أعظم، كعلامة للتجديد: يكونون قليلين ولكن يلزم أن لا يكونوا محتقرين: «مَنْ ازدرى بيوم الأمور الصغيرة؟» (٤: ١٠). إلى هذه الغاية يشجع النبي الشعب أن لا يخافوا بل يتشجعوا (٨: ١٥). لأن البركة ستدرك شعب الله.

+ «ارجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء. اليوم أيضا يصرِّح أني أرد عليك ضعفين.» (٩: ١٢)

زمن العودة: تكميل العهود:

زكريا النبي أكّد الوعود فيما يخص الشعب والأرض وحضرة الرب بالبركة والحفظ والعناية والسلام والتحولات الروحية (غفران، تطهير، تقديس)، ودخول الأُمم وتجديد الخليقة.

وحضور يهوه بالبركة والحفظ هو الضمان الحاضر للعودة وللرجاء بالتجديد الآتي. وقد رأينا كيف أن أنبياء ما بعد السبي قد شرحوا أن تكميل العهد كان حاضراً بينهم ولو على مستوى الرمز، وأن بؤرة العهد هي عودة حضرة الله برمز الهيكل والشعب فيه (١: ١٦)، فحضرته سوف تؤكد علائق العهد بين الله والشعب برمز في الأسماء التي صارت لمدينة الله:

+ «هكذا قال الرب: قد رجعتُ إلى صهيون وأسكن في وسط أورشليم فتُدعى أورشليم مدينة الحق وجبل رب الجنود الجبل المقدس.» (٨: ٣)

فحضور يهوه قد اختُبر بالفعل في جماعة ما بعد السبي، كما أثبت الرب ذلك بالكلام:

+ «هكذا عدتُ وفكرتُ في هذه الأيام في أن أحسن إلى أورشليم وبيت يهوذا. لا تخافوا.» (٨: ١٥)

والرب قد وعد أنه سيرفع عنهم الخوف ويعطيهم من الأسباب ما يجعلهم يفرحون ويُسرُّون بصلاحه:

+ «ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب. فيتصل أُمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطك فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليكِ. والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة ويختار أورشليم بعد.» (٢: ١٠ – ١٢)

فالرب كان موجوداً بالبركات (٨: ١٢ – ١٤)، وبالحفظ والعناية وبالسهر عليهم (٨: ١٢ – ١٤، ٩: ٨)، وبالرغم من أنهم سيعانون المصائب فهو يظل معهم كإلههم لأنهم شعبه الثمين الغالي (٩: ٨ – ١٦، ١٤: ٣ – ٧ و٩).

الرب ملكٌ، والشعب يكوِّنون مملكته على الأرض، هو يعطيهم السلام حتى أن أنبياء ما قبل السبي قد أذاعوا أن في ذلك اليوم يقول رب الجنود إنه ينادي كل إنسان قريبه تحت الكرمة وتحت التينة (٣: ١٠) انظر: (إش ٣٦: ١٦)، (مي ٤: ٤)، وسلامه يمتد إلى كل الشعوب كشركاء في عهد الله مع داود «ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض» (٩: ١٠)، انظر: (مز ٧٢: ٨ – ١١)

فهو الله، والبر عمله، الذي يؤسِّس النظام في عالم الله وينتقم من العدو. فحينما يُكمل تأسيس مملكته فشعبه يكونون في أمان: «فيسكنون فيها ولا يكون بعد لَعْن فتعمر أورشليم بالأمن» (١٤: ١١). وشعب الله يزيدون في العهد كيهود وأمم معاً ويجدون الرب في صهيون (٣: ١٠، ٨: ٢٠ – ٢٣).

وصهيون مدينة الله تعني هنا – كما في كل العهد القديم – بركات الله وحفظه حينما يحضر الله مع شعبه.

يهوه يعلن أنه غيور من نحو شعبه، وغيرته يعبِّر عنها بعودة الشعب إلى الأرض والبلاد (١: ١٧)، وأيضاً بالفرح والخصب والنماء لشعبه (٨: ٤ – ٦)، فيفتخر أولاده بكرامته عوض الخجل (٩: ١٦ و١٧)، ولا أحد يؤذي شعبه بعد (١٠: ٤ – ١٢). وهكذا منظر صهيون بلا جدران يعني الضخامة في العدد للمفديين وحفظ الرب (٢: ١ – ١٣).

فيهوه يؤكد لشعبه والأبرار في الأمم أنه سيكون غيوراً في إعادة أولاده (١: ١٤، ٨: ٢) ويكونون هم الجماعة الجديدة، الشعب الذي تطهَّر وغُفر إثمه «بدم عهدكِ» (٩: ١١)، انظر: (مت

٢٦: ٢٨)، (زك ١٣: ١)، ويدخلون في ملء عطايا عهده (٨: ٢٠ - ٢٣، ١٤: ٢٠ و٢١). والأرض لها علاقة وثيقة بالراجعين من شعبه فهو سيمنح بركته للأرض (١٠: ١).

وفي رؤية الخليقة الجديدة يؤكد النبي رجاء اتصال الخليقة مع المفديين لأن الله ملك، ويُرمز إليه بالنور والماء (١٤: ٦ - ١١) وسيؤسس ملكوته «على كل الأرض.» (١٤: ٩)

وعطايا حكم الله تنسجم مع وعوده ومواعيده. وزكريا يستخدم تعبيرات الوعد والعهد ليؤكد أن الرب أمين في تكميل عمله. والله ينتظر شعبه ليكون فيه وزكريا يرمز بالهيكل الذي لم يكن قد كمل بعد (٨: ٩ و١٠).

والأشرار لا مكان لهم في الملكوت الأخروي الآتي (١٣: ٢). فالذين يحفظون العهد هم الذين يؤسسون المملكة لأنهم يعيشون بحسب مبادئ ناموس الله العادل وبالبر يسلكون وبالمحبة (٨: ١٦ - ٢٢، ٧: ٩). وقد وعد الله أن يبارك شعبه، ذلك على قدر خضوع الشعب لمملكته. ولو أن عملية العودة بطيئة إلا أنها لابد أن تتم. وضمانات العصر الجديد تقع في الحاضر كعلامات للدهر الآتي وهي إزالة الخطية ووجود زَرُبَّابل ويهوشع والهيكل. وعملية العودة تؤمِّنها طبيعة الله في أمانته وبره (٨: ٧ و٨). فروح الله لن يستريح حتى تكمل كل خطة الله (٦: ٨)، انظر: (٤: ٦ و٧).

المسيَّا المتواضع والمجيد:

في رؤى زكريا صور للعلاقة المتناسقة بين الكاهن الأعظم والغصن نسل داود. فالغصن سيحتضن عبادة الله ويأتي بأزمنة السلام والخصب والنجاح. فهو يظهر متواضعاً ومجيداً، فهو متواضع في مجيئه فالنبي يتكلّم عن سر التجسُّد باعتباره مجيء الملك العظيم:

+ «ابتهجي جدًّا يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا **ملكك يأتي** (التجسُّد) إليكِ. هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان.» (٩: ٩)

والنبي يقول أيضاً إن هذا المسيَّا سيتألم كراعٍ مضروب (١١: ٧ - ١٤، ١٣: ٧ - ٩)، ولكن هذا المسيَّا المتضع هو قوي بالقدر الذي يأتي لشعبه بالخلاص من كل ألم، فهو وسيلة الله لكل نعمة وتطهير ويأتي بعطية الروح، روح التجديد لكل النائحين الذين ينوحون لكونه قد طُعن (١٢: ١٠، ١٣: ١)، انظر: (رؤ ١: ٧). فهو الملك الكاهن لحساب «سيد الأرض كلها» (٤: ١٤) ويحكم على كل الذين يؤمنون به: يهوداً وأمماً (٨: ٢٠ - ٢٣)، وحضور الله واضح فيه: «وبيت داود مثل

الله مثل ملاك الرب (السائر) أمامهم» (١٢: ٨). وفي النهاية يؤسس المسيَّا مملكة الله على الأرض ويؤيد القديسين ويدين الأُمم غير المؤمنة: «وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون ... ويأتي الرب إلهي وجميع القديسين معك» (١٤: ٤ و٥). وفي هذا اليوم العظيم فالرب والخالق، خالق كل البشرية يغيّر كل شيء (١٤: ٦ - ٨) ويمنح بركته للجماعة الجديدة التي ستشترك في العالم المقدّس (١٤: ٢٠ و٢١).

٣ ـ ملاخي النبي

ملاخي النبي وزمانه:

بحسب عنوان الكتاب (١: ١) النبوَّة منسوبة إلى ملاخي ومعنى اسمه "رسولي".

وقد تنبَّأ أثناء الحكم الفارسي بعد بناء الهيكل وتدشينه سنة ٥١٥ ق.م. ودخوله في معارك مع الكهنة داخل الهيكل يوحي بأنه عاش بجوار الهيكل أو بجوار أورشليم.

وكتاب ملاخي يعكس فترة تمزق وجذب وشدٍّ، ما يُنْبِئ بأن الله لم يؤسس مملكته العظمى بعد بناء وتدشين الهيكل (حج ٢: ٦ - ٩)، فالله لم يُظهر مجد حضوره ولا غنى بركاته التي تكلَّم عنها حَجَّي (٢: ١٩) وزكريا (٨: ٩ - ١١). بل وشعبه أيضاً لم يسلك بحسب ما ينتظره الله منهم. صحيح أن الجماعة الجديدة ممتنعة عن عبادة الأصنام ولكنهم لم يكونوا غيورين للرب وقد فشلوا في أن يقيموا الصلاة، ولا دفعوا العشور (٣: ٨ - ١٠). انظر: (نح ١٠: ٣٢ - ٣٩، ١٣: ١٠ - ١٣)، واستمروا في طلاق زوجاتهم (٢: ١٤) وتزوجوا زيجات غير يهودية (مل ٢: ١٠ - ١٢)، وانظر: (عز ٩: ١ و٢)، (نح ٥: ١ - ٥)، وأحضروا ذبائح مشوّهة ومريضة إلى هيكل الرب، والكهنة قبلوها باعتبارها ذبائح لهيكل الرب صالحة ليهوه. وشعب الله كان في حال سيئ وكانوا يشكون من القحط والجوع، والفقراء كانوا يُجبَرون أن يبيعوا أبناءهم وبناتهم لعيشة العبيد لأنهم لم يستطيعوا أن يدفعوا ديونهم، لأن الحال المالي كان سيئاً. فمعظمهم طلَّق امرأته ليتزوجوا وثنيات من أجل الربح القبيح، ذلك في مقابل شعب الله الذي كان يجاهد ضد الأشرار الرابحين، والله ينظر حالهم ولا يبالي لحالهم.

دخل ملاخي في هذا الوضع التاريخي البائس يشرح التعوُّق في تكميل المواعيد ويضع أمام سامعيه الرسالة غير المحبوبة لشعبه "خيبة الإنسان إزاء وعد الله".

وزمن رسالة ملاخي هو ما بعد السبي بعد كمال الهيكل سنة ٥١٥ ق.م، وقبل أو أثناء خدمة عزرا ونحميا سنة ٤٥٨ ق.م. وبمعونة من الملك أرتحشستا Artaxerxes جاء فوج ثان من العائدين انضموا إلى عزرا سنة ٤٥٨ ق.م في محاولة لتكوين جماعة يحفظون ناموس الله والهيكل (عز ٧: ٦ و٧)، (نح ٨: ١ - ١٤)، وكان التشجيع الملكي وإلهام عزرا وخدمته التعليمية هي قوة جماعة أبرار اليهودية الذين أعطوا بعد ذلك أنفسهم أكثر إلى التوراة والهيكل (نح ٧: ٧٣ - ١٠: ٣٩).

لقد قدَّم عزرا تجديدات (عز ٩ - ١٠) قوبلت بمساندة القادة الشجعان الذين تبعوا نحميا الذين وصلوا سنة ٤٤٥ ق.م، وشجعوا معهم الجماعة الخاضعة لناموس يهوه (نح ١٣: ١ - ٣ و١٥ - ٢٨)،

وظهرت غيرتهم في نمو عبادة الهيكل (نح ١٢: ١ - ٤٧، ١٣: ٤ - ١٤ و٣٠ و٣١) في أورشليم (صهيون) كمركز ليهوه، وحوائط أورشليم قد تجددت (نح ٣ و٤ و٦ و٧: ١ - ٣) والمدينة قد أُعيد تسكينها (الأصحاح ١١).

فإذا كان ملاخي قد تكلَّم بهذا الكلام بعد نحميا وإصلاحاته، فذلك يعني أن الشعب عاد إلى المشكلة التي عالجها عزرا ونحميا.

ولكن من الممكن أن يكون ملاخي يعظ ليُعدَّ القلوب للإصلاح الذي قام به نحميا وعزرا. فإن كان الأمر كذلك فستكون خدمة ملاخي قبل سنة ٤٥٨ ق.م وهي سنة عودة عزرا، ويكون ملاخي قد تنبَّأ قبل التجديد الذي قام به نحميا في سنة ٤٤٥ ق.م لأن عمل نحميا غير مذكور، والمساوئ التي يتكلَّم عنها ملاخي هي مثل التي يدينها نحميا. وفي كلا الحالين فهي مساوئ خطيرة قد دخلت الحياة اليهودية: الزواج المختلط والطلاق (٢: ١٠ - ١٢)، عدم الاهتمام بالعدل الاجتماعي (٣: ٥)، واسترخصوا الله إذ حاولوا أن يستخدموا الحيوانات المريضة والمعيبة (١: ٧ - ١٤)، والكهنة صاروا فاترين وانحلُّوا (٢: ١ - ٩)، حتى إلى عدم الاهتمام بأوامر الله (١: ١٢ و١٣)، وبعدم دفع العشور يكون الشعب قد امتنع من أن يقدم معونة للكهنة والهيكل (٣: ٨) والكهنة واللاويون لم يُخلصوا في تعليمهم لأنهم أحسوا أنهم تحت إرادة رغبة الشعب الجديدة، والكل في انحدار روحي. وكان ملاخي يعظ لاستعادة الشعب إلى وضع سليم مع الله.

أسلوب الكتابة:

أسلوب المواجهة بالأسئلة هو الذي تميَّز به ملاخي، وكان يلقي أهم الأسئلة ويشترك هو في الإجابة، ويوجه أسئلة للشعب. ولكنه فضَّل أن لا يلقي هو الأسئلة بل يسبق ويتصوَّر ماذا تكون أسئلة الشعب (١: ٢ و ٦ - ٧، ٢: ١٧، ٣: ٧ - ٨ و١٣). وكان يواجه مجتمعاً خليطاً من الأتقياء والمتدينين ومن اليهود الخارجين عن الدين. أمَّا الأتقياء فكانوا يكوِّنون بقية مهتمة بيهوه وكرامته أكثر من المنفعة الفردية وقد سلَّمت لله المجازاة. والمتدينون كانوا تقليديين لأنهم يعيشون بحسب طقوس العبادة، والأشرار تركوا المبادئ من أجل المنفعة الشخصية. وفي نهاية النبوَّة وضحت هذه التمايزات (٣: ١٥ و١٦).

مكونات النبوَّة:

عبارة عن ست مناقشات:

المقدّمة: وهي كلمة الرب لإسرائيل عن يد ملاخي (١: ١).

(أ) محبة الله العميقة لشعبه (١: ٢ - ٥).

(ب) دعوة لمحبة الله كأب وكملك (١: ٦ - ١٤).

(ج) دينونة الكهنة غير الأمناء (٢: ١ - ٩).

(ج) دينونة غير الأمناء في الزواج (٢: ١٠ - ١٦).

(د) يوم الدينونة (٢: ١٧ - ٣: ٥).

(ج) دينونة غير الأمناء لله (٣: ٦ - ١٢).

(ب) دعوة لخدمة الله (٣: ١٣ - ١٦).

(أ) محبة الله العميقة للبقية الأمينة (٤: ٤ - ٦).

الختام: موسى وإيليا (٤: ٤ - ٦).

رسالة ملاخي:

كان شعب ما بعد السبي يعاني قصر نظر في اللاهوتيات، فكانوا كما كان السابقون عليهم يبتغون ديانة مريحة، فالديانة الصالحة بالنسبة لهم كانت تتركّز في شكل العبادة وبعض المدركات التي لا تدخل داخل الحياة اليومية، ومن حيث التأثير فقد حدَّت من إدراكهم لله. وملاخي مثل الذين قبله من الأنبياء انتقد عدم اهتمامهم بالله وقدَّم نظرة لاهوتية ليهوه الكبير العظيم الحكيم والمجيد، مُظهراً أن البشرية لا تستطيع أن تحدَّه في الزمن والمكان. هو ملكٌ على العالم كله، وأب كل أحد. كملك سيمتد بمملكته (١: ٥) وكأب سوف يعطي المنافع الأبدية فقط للذين يخضعون لقانونه.

يهوه أب وملك:

لقد اعتقد واقتنع شعب الله أن الله أبوهم، ولكن نظرتهم اللاهوتية لله شجّعتهم على أن يبحثوا عن مصالحهم وليس أن يقدموا العبادة له كأولاد. وابتدأوا يتماحكون مع النبي: «أليس أب واحد لكلنا؟ أليس إله واحد خلقنا؟» (٢: ١٠). أجاب ملاخي: إن الله هو أيضاً الملك العظيم: «الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده. فإن كنت أنا أباً فأين كرامتي وإن كنت سيداً فأين هيبتي قال لكم رب الجنود.» (١: ٦)

وملاخي يتكلّم عن الله كرب الجنود، رب القوة، كلّي القدرة، أي أن يهوه هو المحارب الإلهي الذي يقود كل الجيوش في السماء والأرض. ولأن مملكة يهوه هي أكبر من أورشليم فيصعب أن يكون محدوداً بالهيكل، إنما يتقبل العبادة بالحق من أولاده العائشين في كل مكان من مملكته، ولا

يلتزم بالتي في الهيكل.

+ «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأُمم، وفي كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود.» (١: ١١)

فملاخي يتكلَّم عن تكميل كل النبوَّة، فالأتقياء من الأُمم كانوا يعبدون الله مع اليهود في الشتات ولكن تكشف النبوَّة حركة ممتدة من الشتات إلى مجيء يسوع وكأنما نحن في زمن المسيّا: «لأني أنا ملك عظيم، قال رب الجنود، واسمي مهيب بين الأُمم.» (١: ١٤)

يهوه بار في حبّه:

كان ملاخي يحاول أن يعالج عثرة الجيل في حب الله وبرِّه، لأنهم كانوا ينتظرون بركات الله كما تنبأ عنها الأنبياء، ولكن لم تبلغ العودة نهايتها ببناء الهيكل، ولما مات زربابل المعقود عليه العمل وهو من نسل داود، خبت الغيرة وانطفأت نيران الرجاء. فالجماعة الجديدة لا تريد أن تستمر في عملها أو تنتظر بقية العودة، فقد ارتضوا بمملكتهم الحاضرة الصغيرة، بل وشكُّوا في وجود حب الله أو بر الله تجاههم. وفي حال ارتضائهم بالواقع، اعتقدوا أنهم مستحقون الانتصار والمجد والخصب الموعود به، مع ملكوت الله. ولكن لأنهم لم يكونوا منتصرين ولا متمجدين ولا مخصبين تساءلوا: لماذا هم حتى الآن محكومون بالفرس؟ بينما عاد بنو أدوم يعيشون وينجحون (انظر نبوّة عوبديا). هنا ملاخي يجاوب على أسئلتهم بالكشف عن جذور مشاكلهم، فالشعب حدّد إدراكه ليهوه واكتفى بمفهوم بشري عن البر.

ماذا يطلب الله؟

كان ملاخي يعرف ما يدور في أفكار العائدين وما في قلوبهم، فكان يتحدّث معهم ويردُّ على أسئلتهم التي في قلوبهم بآن واحد. وكان شعب العودة يسأل: كيف يُظهر الله حبه لهم؟ (١: ٢). وحينئذ طالبهم ملاخي أن يتأملوا محبة يهوه ليعقوب هذا الرباط التاريخي بين يعقوب والرب، فهو أساس رجائهم. فكل نسل يعقوب يتحتَّم عليه أن يذكر الرجاء في أمانة الله لمواعيده في الماضي وفي المستقبل، والرب أحبّ أسلافهم، يعقوب وأولاده، وظل يحبهم وأبغض عيسو ونسله أدوم ولا يزال يبغضهم (١: ٤)، (عو ١٩). ولكن ملاخي قد وصف محبة الرب عامة فكل ما أعطاه الله للبقية من السبي هو عطايا الله ليعقوب ونسله، ولكن هذا النسل في خطر إذا لم يستجب لنعمة الله. واختاروا أن يعيشوا لأنفسهم ويتذمروا. لأن تكميل الوعود إنما يكون من نصيب "الخاصة" segulla (٣: ١٧)، (خر ١٩: ٥)، (تث ٧: ٦، ١٤: ٢، ٢٦: ٨)، (مز ١٣٥: ٤). وهؤلاء الخاصة هم هم

أولاد الله أنفسهم، وعليهم أن يخدموا الله لأنهم بالنعمة هم أولاد الله. فمحبة الله خاصة ومحدودة للذين يداومون في محبتهم لله: «ولكم أيها المتَّقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها فتخرجون وتنشأون كعجول الصيرة» (٤: ٢). فماذا يطلب الله من خادمه الأمين؟ ليس أقل من الكرامة التي هي حتمية له. فالكهنة عليهم أن يظلوا أمناء لخدمتهم التي أُعطيت لهم كوديعة منذ قرون عديدة حينما أعطى الله بني لاوي كرامة خدمته بأمانة (عد ٢٥: ١٠)، بل عمل معهم عهداً ليكرموا ويخدموا اسمه كل حياتهم ونسلهم مثلهم، وذلك بتعليم الناس وصاياه وكيف يتبعون الله (٢: ٥ - ٧). ولكن للأسف صاروا محتاجين لمن يُعرِّفهم كيف يعطون المجد لله، وعادوا يخدمون أنفسهم ويمدحون أنفسهم، لهذا ضلّ الشعب من قلة المعرفة. هذا العقوق في حق الله استحق الدينونة والحكم (٢: ٨ و٩). فالنبي استحثّ الشعب أن يكونوا أمناءَ لله وأن يتَّقوا الملك العظيم:

١ - بأن يكرموا الله بعطاياهم وبالمعاملة الحسنة مع الآخرين (١: ٦ - ١٤، ٣: ٦ - ٨).

٢ - بأن يكون الازواج أمناء في زيجاتهم لأن هذا من الإيمان (٢: ١٠ - ١٦) ولأن ملكوت الله يُبنى بالإيمان والأمانة من الأولاد الذين يخافون الله في تعاملاتهم (٢: ١٥).

٣ - بأن يعطوا العشور لخدمة بيت الله وأعواز الكهنة واللاويين (نح ١٣: ١٠ - ١٢)، (لا ٢٧: ٣٠)، (عد ١٨: ٢١).

ولأن الشعب ابتدأ يحتقر الله وناموسه صاروا تحت اللعنة (٣: ٩)، فإن رجعوا رجع الله وحوَّلها إلى بركة (٣: ١٠ - ١٢). والله ينتظر من أولاده أن يكونوا كرماءَ أسخياءَ في العطاء ولهم ثقة في الله مهما تكلَّفت خدمة الله وأمانته.

يهوه في بركاته ولعناته:

يهوه أمين لكل دعوات الأنبياء التي حذَّر فيها وأدان، لأن الشعب بدأ يتساءل ما قيمة وعود الله وأمانة عدله؟ وكيف يفرِّق الله بينهم وبين أعدائهم وكأنهم ينتظرون نقمة الله على الأعداء وسخاءً غير مسبَّب لهم لأنهم ظُلموا: «أين إله العدل؟» (٢: ١٧). ألم يَعِدْ الله أن يتعهد الذين يحتملون ويستمرون في أمانتهم بالبركة ويلعن الأشرار؟ ولكن ملاخي أثبت لهم أنهم ليسوا على مستوى الملكوت، والدليل على ذلك أنهم لا يعيشون على رجاء يهوه، فكل الذين لا يعيشون بنور يهوه ورجائه هم مثل الذين يرفضون مواعيده ووصاياه (٣: ٥ و١٨، ٤: ١ و٣ و٦). يوم الرب للحكم والدينونة آت، ويأتي إيليا قبله (يوحنا المعمدان) (مل ٣: ١)، (مت ١١: ١٠)، (مر ١: ٢)، (لو ١: ٧٦)، (مل ٤: ٥).

أما رسول العهد المسيَّا: (٣: ١) فهو صاحب يوم الرب، وبمجيئه يُظهر الشعب ويثبِّت العهد

معهم (٣: ٢ - ٤)، والذين يتطهَّرون ويتبعون يقفون في يوم الدينونة ويأخذون علامة ليوم الفداء:

+ «حينئذ كلَّم متَّقو الرب كل واحد قريبه والرب أصغى وسمع وكتب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين في اسمه.» (٣: ١٦)

+ «ولكم أيها المتَّقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها.» (٤: ٢)

ولكن الذين لا يُظهرون الأمانة ولا يعيشونها سيُلْقَون خارجاً (٣: ٥)، (مز ١: ٥ و٦)، (رؤ ٢١: ٨، ٢٢: ١٥).

أما كتاب أو سفر التذكرة فهو يحمل أسماء الكنيسة الخالدة (بحسب تفسير القديس أغسطين). أما في أيام ملاخي فطاعة الرب والخضوع له تعني طاعة موسى ووصاياه (٤: ٤). وطاعة الوصايا عند ملاخي النبي وخاصة محبة الرب هي، إسخاتولوجياً، مرتبطة بمنظر الملكوت القادم حيث الأخلاق منسوجة بالأخرويات، ومنظر الملكوت هو من نصيب المستديمين في الطهارة والخلاص والأمانة نحو الرب، الذين ينتظرون المزيد والتكميل من الفداء والخلاص والمجد لأبناء البر، ولا رجاء لمن ليس له أمانة ولمن ليس له حب وغيرة في الرب.

الآيات المنتخبة في سفر ملاخي:

+ «فإن كنت أنا أباً فأين كرامتي وإن كنت سيداً فأين هيبتي.» (١: ٦)

+ «هأنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق. ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تُسرُّون به. هوذا يأتي قال رب الجنود.» (٣: ١)

+ «حينئذ كلَّم متقو الرب كل واحد قريبه والرب أصغى وسمع وكُتِب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين في اسمه.» (٣: ١٦)

+ «ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها.» (٤: ٢)

+ «هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف. فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن.» (٤: ٥ و٦)

ملاحظة:

لقد عاصر ملاخي النبي مدارس الأنبياء والنذيرين وكان يقيم منهم أنبياءَ ونذيرين للخدمة (عا ٢: ١١ و١٢)

مختصر الدوافع وراء الأنبياء الصغار

بدراسة نبوّات الأنبياء الصغار المدعوين بالاثنى عشر انكشفت دوافع غاية في الأهمية سواء كان ذلك في شكل الكلام أو التصورات. وقد قدّم هؤلاء الأنبياء رسالتهم لمواطنيهم متناسبة مع الطرق التي كانوا يحيونها، سواء في الزمن الذي كانوا فيه أو خارج الزمن. فالأنبياء لم يكونوا مجرد نُسَّاك أو مصلحين ولكن كانوا يخدمون الملك العظيم في دائرة إنجاز العهد. وقد نادوا بالخضوع لاستعلانات يهوه والترك الكامل للطرق البشرية المنحرفة سواء نحو الوثنية أو السحر أو المناهج المتناقضة أو سياسة مراعاة السلطة، أو الانسياق وراء شهوات الشعب.

والأنبياء بالرغم من أن اصطلاحاتهم وتصوراتهم ونبواتهم ككلمات الله تعكس الأوضاع التاريخية، إلاّ أن الأنبياء هم خدام الإسخاتولوجيا أي التوقع للأخبار الطيبة عن العهد الجديد. وقد أُقيموا ليساعدوا الشعب على معرفة أن طرق الرب في الماضي هي انعكاس معتم لأعمال الله المستقبلة. وأن الحياة في الحاضر ذات أهمية مطلقة من وجهة نظر الله خاصة من جهة التمهيد لحقيقة مجيء الله، وأن الرجاء في المستقبل العظيم هو في الحقيقة حاضر الآن في قلوب المؤمنين.

والعمل الذي يؤدّيه النبي من جهة الأخرويات إنما يتلخّص في أن يجعل الأعمال الحاضرة تُرى في ضوء العصر الجديد الذي سيفتتحه الله للذين يخضعون له. وبمعنى آخر فإن الأنبياء يقدّمون رؤية جديدة لله وكلامه للذين يتقبّلونه بعيون مفتوحة، ولكنهم يحجزون رؤية الله عن الذين يركّزون بؤرة اهتمامهم في هذا العالم ومصالحهم الشخصية وقوّتهم.

ورسالة النبي تتكلّم عن الخلاص في أوسع معناه دون النظر إلى متى وأين كان يخدم النبي كلمة الله. وكانوا يحملون شهادة أمانة لوعود الله أنه حتماً سيؤسّس زمناً جديداً يمتاز بملء البركة والصلاح والمسرة بحضوره مع شعبه. والخلاص أو الفداء إنما يشمل كل وعود الله، ومحورها هو وعده بأن يكون مع شعبه مع كل الفوائد والميزات التي ترافق وجوده (رؤ ٢١: ٢٢).

والرسالة النبوية تتغيّر بتغيُّر الزمن، وتغييرها يُرى بوضوح في أنبياء ما بعد السبي. فأنبياء ما قبل السبي تكلّموا عمّا قامت به إسرائيل بما يشبه التمرد على وصايا الله، فأنذروا بالدينونة لإسرائيل ويهوذا في يوم الرب، ولكنهم نادوا أيضاً بزمن جديد، للتجديد مشجِّعين رجال الله الذي أُطلق عليهم اسم «البقية» حتى يظلوا على أمانتهم ويستعدوا لاستعلان أكمل لملكوت الله على الأرض.

وكان الأتقياء يتلقون هذه الإعلانات وهم واثقون فيها، ويؤكدونها لأولادهم، وينشرونها داخل الجماعة بين الذين لهم أمانة في الله. ولكن في نفس الوقت كانت غالبية الشعب في إسرائيل ويهوذا غير مستعدة لاستقبال هذه النبوّات، بل أظهروا لها العداء، بل وغالباً كانوا يضطهدون الأنبياء أنفسهم الممثّلين لله!

أما في زمن ما بعد السبي فقد منح الله إحسانه ووعوده مرة أخرى بتجديد العهد مع الغفران والبركة (مز ١٢٦). لذلك فإن "البقية" اختبرت وتذوقت على مستوى الرؤية النبوية ملكوت الله بالحقيقة وعصر المسيَّا وزمن التجديد للعالم. ولكن الرؤية النبوية بقيت مجرد رؤية. ولكي تبقى وتدوم الرؤية أمام شعب الله، كان أنبياء ما بعد السبي يضغطون على ضرورة اشتراك كل فرد في المسئولية من أجل تأسيس ملكوت الله، وكان الأنبياء يشجعون الأتقياء لكي يفسروا الكلمة النبوية في ضوء الحقيقة الواقعة، وأن ينظروا دائماً إلى صدق صلاح الله كعلامة مؤكدة للحقيقة الأخروية.

والحديث عند الأنبياء فيما يخص الأخرويات كان على مستوى ستة مواضيع:

١ - يوم الرب.	٢ - ملكوت الله.
٣ - ملكوت المسيَّا.	٤ - روح العودة.
٥ - شعب الله الجديد	٦ - علاقة إسرائيل بالأمم.

١ - يوم الرب:

«يوم الرب» يشير إلى الزمن الذي فيه يدين الله ويطهِّر البقية لنفسه، وينتقم لاسمه، ويزكّي ويبرر شعبه ويجدد خليقته، ويكمِّل خلاصه، ويضع أسس ناموسه الجديد على الأرض. والعالم مُونكِل Mowinckel الألماني[1] شارح المزامير وعوائد الشعب في تجليس يهوه يوم عيد المظال على عرشه، يربط بين يوم يهوه وبين احتفال الشعب بمجيء الرب أثناء احتفالات التتويج، فهو يؤكد أن احتفال إسرائيل بذلك كان المقصود به تأكيد وجود يهوه وسط الشعب لكي يعطي النصرة والازدهار للشعب.

وهناك أيضاً ثلاثة شروحات لفون راد العالِم اللاهوتي الألماني في العهد القديم، وتشارلز فنشام، ومابر وايس.

(1) Cited by W. A. VanGemeren, *op. cit.*, p. 214.

وفون راد Von Rad يتوسَّع في شرح مونكل وذلك بربط يوم الرب بتقليد إسرائيل بالحرب المقدسة، فهو مقتنع أن إسرائيل إنما تُعيِّد لدخول يهوه في حروبها، وبدخوله الحرب إنما يؤكد لهم النصرة. كذلك فيوم الرب لم يكن أصلاً فكرة أخروية أي متصلة بالمستقبل، ولكنه تشكل بواسطة الأنبياء ليعطي هذا المضمون السابق شرحه. لذلك تحت تأثير هذا التقليد تشكل فهم الأنبياء للإسخاتون أي المستقبل الآتي لعمل يهوه الذي كان أصلاً مجرد تنبؤ متصل بيوم الرب الذي ابتدأ من التقليد ثم تعدَّل بصورة ما.

ولكن العالِم فنشام Fensham ينظر إلى يوم الرب من جهة منظور عهد الله ولعناته على المخالف، فهو يفهم أن الاحتفال بمجيء يهوه هو بمثابة تضرع أن لا يدخل يهوه في عهد لعنة بسبب كسر إسرائيل للعهد.

أما العالِم وايز Weiss فإنه يأخذ يوم الرب على خلفية الظهور الإلهي أي مجيء الله فعلاً.

يوم الرب عند الأنبياء الصغار:

يلزم أن نبدأ في تعريف يوم الرب عند الأنبياء الصغار، من عاموس (٧٦٠ ق.م) الذي حوَّل تصوير يوم الرب عند معاصريه الذين كانوا يظنون أن يوم الرب هو زمن أعظم مجداً من أزهى عصور إسرائيل التي كانت في أيام يربعام الثاني، وقد تصوروا أن الله قد وعد أن يكون هو إلههم ليباركهم لأنهم هم المختارون وأنهم الشعب المبارك.

ولكنهم لم ينظروا إلى شرح النبوَّة الأصيل فلم يضعوا حافة المشرط (أو موسى الحلاقة) للتطهير من حياتهم الوثنية.

وبعكس ذلك فإن عاموس يشرح يوم الرب على أنه يوم أن يترك الله شعبه للدينونة:

+ «ويل للذين يشتهون يوم الرب. لماذا لكم يوم الرب هو ظلام لا نور. كما إذا هرب إنسان من أمام الأسد فصادفه الدب أو دخل البيت ووضع يده على الحائط فلدغته الحية. أليس يوم الرب ظلاماً لا نوراً، وقتاماً ولا نور له.» (عا ٥: ١٨ - ٢٠)

أما يوم الرب عند هوشع (٧٥٠ ق.م) فهو يشير إلى زمن محاسبة ومطالبة أمام الله لعقوبة إلهية (هو ٩: ٧) ينتهي إلى إخلاء الأرض وسبي إسرائيل (هو ١: ٤، ٥: ٩، ١٠: ١٠)، وكل المؤسسات البشرية ستقف بلا قوة عند مجيئه للمحاكمة (هو ٩: ٥ - ٩).

أمَّا النبي ميخا (٧٢٥ ق.م) فيحكي عن يوم الرب بلغة الظهور الإلهي بمجد عظيم وقداسة:

+ «فإنه هوذا الرب يخرج من مكانه وينزل ويمشي على شوامخ الأرض. فتذوب الجبال تحته وتنشق الوديان كالشمع قدام النار كالماء المنصب في منحدر. كل هذا من أجل إثم يعقوب ومن أجل خطية بيت إسرائيل. ما هو ذنب يعقوب أليس هو السامرة؟ وما هي مرتفعات يهوذا؟ أليست هي أورشليم. فأجعل السامرة خربة ... وجميع تماثيلها المنحوتة تُحطَّم ... وجميع أصنامها أجعلها خراباً.» (مي ١: ٣ - ٧)

هنا ميخا يضم يوم الرب مع مجيء الرب للمحاكمة.

وبعد مائة سنة من النبي ميخا وحوالي مائة وخمسين سنة بعد عاموس جاء صَفَنْيَا سنة ٦٣٠ ق.م يمتد بالنبوة التي طالت وتشكلت ليعطي شكلاً جديداً ليوم الرب. ويوم الرب عند صَفَنْيَا له مدلول عام أخروي (صف ١: ١٤ - ١٨).

ومعنى "يوم الرب" هو زمن في تاريخ الفداء فيه يجعل الرب الشعب مسئولاً ومطالَباً أمام نفسه عن أعماله، أي أنه يوم تسديد حسابات: «وماذا تفعلون في يوم العقاب حين تأتي التهلكة من بعيد. إلى مَنْ تهربون للمعونة وأين تتركون مجدكم؟» (إش ١٠: ٣)

وقد علَّم الأنبياء أن الرب عادل وصبور في استخدام سلطانه وحكمه بالنسبة للأمم. وكل إنسان سيعاني من جراء أعماله. وبولس الرسول وافق على مسئولية الإنسان ومطالبته إزاء أعماله: «لا تضلوا، الله لا يُشمخ عليه. فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً. لأن مَنْ يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً. ومَنْ يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية» (غل ٦: ٧ و٨). فالرب لايزال عنده يوم في مخازنه يجعل فيه مساءلة للإنسان، فالرب مستعد أن يحاكم الناس في أي وقت كان في التاريخ. فعندما يحاكم الله، فكأن ذلك تعبيرٌ عن عدم مسرته وغضبه، وإنذارٌ منه للدينونة الأخيرة، وبطريقة أخرى نقول إن أية محاكمة من قِبَلِ الله هي مدخل للدينونة الأخيرة.

هذا يشرح لماذا يتكلم الله في الأنبياء عن عصر الخيرات (المعبَّر عنه في سفر الرؤيا بالألف سنة) بينما لا يزال يتكلم عن مصير المساءلة في بغضة لعجرفة الإنسان. ويضعها إشعياء في شعره هكذا:

+ «تُوضَعُ عينا تشامخ الإنسان وتُخفَضُ رفعة الناس،
ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم ...
فيُخفَض تشامخ الإنسان و توضعَ رفعة الناس

ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم.
وتزول الأوثان بتمامها.» (إش ٢: ١١ - ١٨)

ولن يستطيع شيء ما أن يعتق الإنسان من دينونة الله، فكل اختراعات وإنجازات الإنسان ستخونه، والأرض نفسها لا تكون مستقرة، وتَظلمُّ السموات عندما تقف المخلوقات لتعطي جوابها عن سؤالات الخالق.

وهنا أيضاً إشعياء يصف هذا اليوم:

+ «ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شيء.
لذلك ترتخي كل الأيادي ويذوب كل قلب إنسان.
فيرتاعون، تأخذهم أوجاع ومخاض يتلوُّون كوالدة،
يبهتون بعضهم إلى بعض. وجوههم وجوه لهيب.» (إش ١٣: ٦ - ٨)
+ «إن للسيد رب الجنود في وادي الرؤيا يوم شغب ودوس وارتباك.» (إش ٢٢: ٥)
+ «لأنه هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض فيهم،
فتكشف الأرض دماءها ولا تغطي قتلاها في ما بعد.» (إش ٢٦: ٢١)
+ «ويُسمَعُ الرب جلالَ صوته، ويُرى نزول ذراعه بهيجان غضب
ولهيب نار آكلة، نوءٍ وسيلٍ وحجارةِ بردٍ.» (إش ٣٠: ٣٠)
+ «من ذا الآتي من أدوم بثياب حُمْرٍ من بصرة، هذا البهي بملابسه،
المتعظِّم بكثرة قوَّته. أنا المتكلِّم بالبر العظيم للخلاص.» (إش ٦٣: ١)
+ «اسمعوا كلام الرب أيها المرتعدون من كلامه. قال إخوتكم
الذين أبغضوكم وطردوكم من أجل اسمي ليتمجَّد الرب. فيظهر لفرحكم وأما هم
فيخزون!» (إش ٦٦: ٥)
+ «لأن هوذا الرب بالنار يأتي ومركباته كزوبعة. ليرد حموَّ غضبه وزجره بلهيب نار.» (إش ٦٦: ١٥)

إن ظهور الرب قريب:

يوم الرب يغطي تاريخ الإنسان كله لذلك فهو قريب، وإن كان له تأثير على الأبرار بالتقوى

ولكنه سينشئ نكبة وبلبلة مفاجئة ويكنس كل الذين لم يعدوا أنفسهم للمقابلة:

+ «هوذا يوم الرب قادم قاسياً بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خُطاتها.» (إش ١٣: ٩)

في ذلك اليوم يعلن الرب مجده غير المدرك وعدله وقدرته وقوته لخلائقه، فحينما يدخل الله في دائرة خليقته فلن يقف أمامه شيء: الجبال تذوب وتتسطح التلال وتنفتح الوديان (مز ١٨: ٩، ٩٦: ١١ و١٣، ١٤٤: ٥)، (إش ٢٦: ٢١، ٣١: ٤، ٦٤: ١ - ٣)، (مي ١: ٢ - ٤)، (نا ١: ٣ - ٦).

إن مجيء يهوه للحكم اختبار يجوز على الكل، والخليقة كلها تتزلزل (مز ٧٧: ١٦ - ١٩).

وكلمة ثيؤفانيا (θεοφάνια) تعني الظهور الإلهي، في أسفار العهد القديم تنحصر ظهوراته في مظاهر الطبيعة. فلغة مجيء الرب تُذكِّر بجبل سيناء حينما ظهر مجد الرب لإسرائيل (خر ٢٤: ١٥ - ١٨، ١٩: ١٨ و١٩)، ومجيء الملك العظيم في وسط شعبه يحتاج إلى استعداد من قِبَلِ الشعب وتقديس الكهنة واللاويين والشعب. ومعروف كيف استقبلت الطبيعة نزول الله بالنار والدخان والزلزلة ورعود وبروق وظلام وسحاب ثقيل وضجيج (خر ١٩: ١٦ و١٨ و١٩، عب ١٢: ١٨ - ٢١).

والأنبياء عبَّروا عن الظهورَ الإلهي مع الخلاص التاريخي بمظاهر من مصر ومن استعلانات جبل سيناء ليوضحوا ما هو الظهور الإلهي. ويقول الأنبياء: «مَنْ يحتمل يوم مجيئه» (نا ١: ٦)، (صف ١: ١٤ - ١٨). وفي سفر العبرانيين يُوصف الله بأنه «نار آكلة» (١٢: ٢٩)، (مي ١: ٣ - ٥)، حينما يأتي ضد مملكتي إسرائيل ويهوذا. الكل يقف ليعطي جواباً عن أسئلة الله. لا أحد يهرب ولكن إسرائيل لم تصدق أن إله العهد يقف ليدين شعبه.

التغيير والاستعداد:

هدف يوم الرب هو تغيير كل الخليقة. والتغيير له صورتان: الأولى التغرُّب والبعد كما ينبغي للدينونة، والثانية: التجديد بروح النعمة (٢بط ٣: ١١ - ١٣).

فالخليقة ستتمخَّض بكل ما فيها (إش ١٣: ٩ و١٣)، (عا ١: ٢)، (صف ١: ٢ و٣)، (٢بط ٣: ١٠) وهذا هو التغيير الأول. أما التغيير الثاني لتجديد الخليقة وقبول النعمة فيُصوَّر بأن يُظهر الرب كل إحساناته وصلاحه (هو ٢: ٢١ - ٢٣)، (يؤ ٢: ١٩ - ٢٦، ٣: ١٨)، (عا ٩: ١٣ - ١٥)، وبأن يعمل الرب بروحه ليجدِّد روح الإنسان بالقوة ويقدِّس الإنسان ويملأه بالنعمة ليعيش في وفاق وتصالح مع ملكوت الله: (إر ٢٤: ٧، ٢٩: ١٢ و١٣، ٣١: ٣١ - ٣٤، ٣٢: ٣٩)، (حز ١١:

١٩ - ٢١، ٣٦: ٢٢ - ٣٢، ٣٧: ١٤ و٢١ - ٢٨).

وإلى مئات من السنين الرب يُبقي له بقية من الأتقياء الأمناء في إسرائيل الذين يستجيبون للنداء من نحو يوم الرب الآتي، بالصلاة والاعتراف بالخطية وتسليم الذات كلية لله. والأنبياء لم يكفُّوا عن المناداة للشعب ليخضعوا لنعمة الله وعطاياه من نحو مستقبل جديد ليعيشوا بتقوى:

+ «اطلبوا الرب يا جميع بائسي الأرض الذين فعلوا حُكمه. اطلبوا البر.
اطلبوا التواضع لعلَّكم تُسترون في يوم سخط الرب.» (صف ٢: ٣)

فالأتقياء يخضعون بالإيمان ويعدون أنفسهم ليوم الخلاص (سمعان الشيخ وحنة النبية) يعيشون في رجاء الفداء، بتأكيد صلاح الرب للذين ينتظرونه بإخلاص ويعملون مشيئته على الأرض.

٢ - ملكوت الله:

ملكوت الله في نظر الأنبياء هو حكم الله على الخليقة كلها بهدف تغييرها لتصير خليقة مقدَّسة مباركةً لشعب مقدس. فالرب يبارك الخليقة بالخيرات الزمنية ليعطي شعبه طعاماً ونسلاً لتصير حياتهم مقدسة (مز ١٠٤).

والرب يتعهد بأن يعتني بشعبه ويوفر احتياجاتهم ويحافظ عليهم من الأعداء.

وهم يشهدون لملكوته في وسط الشعوب الأخرى بأن يكونوا شعباً مرتبطاً بروح القداسة، مخصصاً لطلب البر والتقوى والعدل والمحبة والأمانة والسلام.

وملكوت الله عند الأنبياء هو بآن واحد حاضرٌ ومستقبلٌ. فهو حاضر في تسلط الله على الطبيعة وعلى شعبه، وهو مستقبل بمعنى أنه يشير إلى عصر السلام المعدّ لأولاد الله الذين يثابرون في طلبه ومحبته ويحفظون أنفسهم بلا دنس من هذا العالم.

وجميع الأنبياء يدركون تماماً أن المُلك الأرضي معرَّض للخطأ والفساد. فحتى سلالة داود قد فسدت وانحرفت إلى الشر والظلم. من هنا كان تركيز الأنبياء على حكم الله شخصياً على شعبه.

يوئيل:

يركِّز يوئيل النبي مفهوم الملكوت في حضور الله شخصياً في وسط شعبه:

+ «وتعلمون أني أنا في وسط إسرائيل وأني أنا الرب إلهكم.» (يؤ ٢: ٢٧)
+ «فتعرفون أني أنا الرب إلهكم ساكناً في صهيون جبل قدسي. وتكون أورشليم مقدسة.»

(يؤ ٣: ١٧)

وينتهي السفر بهذا الوعد: «والرب يسكن في صهيون.» (يؤ ٣: ٢١)

وملكوت الله عند يوئيل يشمل الخليقة كلها وليس فقط شعبه. فهو يشمل الأرض كلها (٢: ٢١) وحتى بهائم الصحراء ومراعي البرية وكل الأشجار (٢: ٢٢).

والدليل الملموس لمجيء الملكوت هو انسكاب روح الله على كل بشر فيصير قائداً لكل فئات الشعب: «فيتنبأَّ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤًى. وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام.» (٢: ٢٨ و٢٩)

والرجاء في مجيء الملكوت يعتمد على مبادرة الله من أجل صلاحه هو:

+ «فيَغَار الرب لأرضه ويرقُّ لشعبه.» (٢: ١٨)

أنبياء ما قبل السبي:

هوشع: يتكلَّم عن علاقة الله بشعبه في صورة علاقة عريس بعروسه المخطوبة. والله قد أعدَّ لهم ملكوت العدل والأمانة والرحمة:

+ «وأخطبكِ لنفسي إلى الأبد. وأخطبكِ لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبكِ لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب.» (هو ٢: ١٩ و٢٠)

ولكن هذا الملكوت لا يُعطَى إلاَّ للذين يرجعون إلى الرب وينتظرونه:

+ «وأنت فارجعْ إلى إلهك. احفظ الرحمة والحق وانتظر إلهك دائماً.» (١٢: ٦)

فهو يأتي للذين يطلبونه:

+ «ازرعوا لأنفسكم بالبر. احصدوا بحسب الصلاح. احرثوا لأنفسكم حرثاً فإنه وقت لطلب الرب حتى يأتي ويُعلِّمكم البر.» (هو ١٠: ١٢)

وعاموس: يندِّد بفساد القادة الأشرار (٥: ٧) وينذر بوقوع العقاب عليهم (٩: ١٠)، وبعد ذلك يأتي الملكوت الموعود:

+ «في ذلك اليوم أُقيم مظلة داود الساقطة وأُحصِّن شقوقها وأُقيم ردمها وأبنيها كأيام الدهر.» (٩: ١١)
+ «ها أيام تأتي يقول الرب يدرك الحارث الحاصد ودائس العنب باذر الزرع، وتقطر الجبال

عصيراً وتسيل جميع التلال، وأردُّ سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً خربة ويسكنون ويغرسون كروماً ويشربون خمرها ويصنعون جنّات ويأكلون أثمارها، وأغرسهم في أرضهم، ولن يُقلعوا بعد من أرضهم التي أعطيتُهم، قال الرب إلهك.» (٩: ١٣ - ١٥)

يونان وعوبديا وناحوم:

هؤلاء الأنبياء الثلاثة يصوّرون علاقة الأُمم بالملكوت:

فيونان النبي يُظهر حرية الله في أن يَقبلَ ويُدخلَ إلى ملكوته الأُمم التي تتوب.

وعوبديا يُظهر أدوم كَمَثلٍ للأمم التي ستُعاقَب حينما يأتي الملكوت.

وناحوم بالمثل يقدِّم نينوى عاصمة أشور كمثال للأمم الشريرة التي ستُعاقَب عند مجيء الملكوت.

وميخا (٧٢٥ ق.م) يتكلّم صراحةً عن أيام يملك فيها الله على شعبه إلى الأبد:

+ «في ذلك اليوم يقول الرب أجمع الظالعة وأضم المطرودة والتي أضررتُ بها، وأجعل الظالعة بقية والمُقصاة أُمة قوية **ويملك الرب عليهم** في جبل صهيون من الآن إلى الأبد.» (٤: ٦و٧)

ومجيء الملكوت يقترن بالخلاص بجميع معاني الكلمة، وليس فقط الخلاص من الأمم المحيطة (٤: ١١–١٣) بل والخلاص من الخطايا نفسها:

+ «مَنْ هو إله مثلك غافر الإثم وصافحٌ عن الذنب لبقية ميراثه ... يدوس آثامنا وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم.» (٧: ١٨ و١٩)

والسبب في ذلك ليس برَّ الشعب ولكن أمانة الله في تحقيق مواعيده:

+ «تصنع الأمانة ليعقوب والرأفة لإبراهيم اللتين حلفتَ لآبائنا منذ أيام القدم.» (٧: ٢٠)

ويتنبأ ميخا عن دخول الأُمم الكثيرة الملكوت:

+ «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه شعوب. وتسير أمم كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيعلّمنا من طرقه ونسلك في سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين شعوب كثيرين ينصف لأمم قوية بعيدة فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلّمون الحرب في ما بعد.» (مي ٤: ١ - ٣)

وحبقوق (٦٠٥ ق.م) يقدم السؤال لله: متى يُبطِل الظلم ويجري الحكم العادل؟ أي متى يملك الله؟ فيجيبه الله، بأن المؤمن عليه أن ينتظر ذلك ويحيا بالإيمان:

+ «لأن الرؤيا بعدُ إلى الميعاد، وفي النهاية تتكلم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر ... والبار بإيمانه يحيا.» (٢: ٣ و٤)

ثم يصوِّر حبقوق في رؤياه تصويراً رائعاً لمجيء الملكوت بقوة (٣: ٢ - ١٩)

ومن سمات الملكوت عند حبقوق أن «الأرض تمتلئ من معرفة مجد الرب كما تغطي المياه البحر.» (٢: ١٤).

وصَفَنْيا (٦٣٠ ق. م تقريباً) يدعو إسرائيل بأن تفرح لأن الرب مَلَكَ عليها:

+ «ترنمي يا ابنة صهيون، اهتف يا إسرائيل، افرحي وابتهجي بكل قلبكِ يا ابنة أورشليم ... **مَلِكُ إسرائيل، الرب، في وسطكِ**، لا تنظرين بعد شرًّا.» (٣: ١٤ و١٥)

ويتنبأ عن سقوط غضب الله على الأُمم ولكن ذلك يؤول إلى خلاص الأمم نفسها:

+ «لذلك فانتظروني يقول الرب إلى يوم أقوم إلى السَّلْب، لأن حكمي هو بجمع الأُمم وحَشْر الممالك لأصبَّ عليهم سخطي كل حموِّ غضبي، لأنه بنار غيرتي تؤكل كل الأرض. لأني **حينئذ أُحوِّل الشعوب إلى شفَة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتف واحدة.**» (٣: ٨ و٩)

+ «الرب مخيف إليهم لأنه يُهزل جميع آلهة الأرض. فسيسجد له الناس كل واحد من مكانه كل جزائر الأُمم.» (٢: ١١)

أنبياء ما بعد السبي:

أنبياء ما بعد السبي (**حَجَّي وزكريا وملاخي**) يتكلّمون عن الملكوت بصفته حاضر ومستقبل بآن واحد.

فهو حاضر بسبب عودة الشعب من السبي والدليل الملموس على حضوره هو إعادة بناء الهيكل الذي يمثل حضور الله في وسط شعبه. ومع ذلك فهم يطالبون الشعب بالتطلع إلى مجيء ملكوت أفضل في المستقبل بانتظار أيام يزول فيها الشر ويتقدس الشعب وينعم ببركات العهد كاملة.

حَجَّي (٥٢٠ ق.م) يتكلم عن حضور الملكوت الآن «وروحي قائم في وسطكم» (٢: ٥) ولكنه في نفس الوقت يتطلع إلى حدوث زلزلة شاملة للكون كله يأتي بعدها الملكوت «مشتهى كل الأُمم»:

+ «هي مرة بعد قليل فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة. وأزلزل كل الأُمم ويأتي

مشتهى كل الأُمم فأملأ هذا البيت مجداً، قال رب الجنود.» (٢: ٦ و٧)

وزكريا (٥٢٠ ق.م) أيضاً يتكلم عن الملكوت بصفته حاضراً ومستقبلاً بآن واحد. فهو حاضر بسبب عودة الرب إلى صهيون وسكناه في وسطها:

+ «هكذا قال رب الجنود. غرتُ على صهيون غيرة عظيمة وبسخط عظيم غرتُ عليها. هكذا قال الرب. قد رجعتُ إلى صهيون وأسكن وسط أورشليم فتُدعى أورشليم مدينة الحق وجبل رب الجنود الجبل المقدَّس.» (٨: ٢ و٣)

والرب يملك على صهيون بواسطة رئيسين صالحين: زَرُبَّابِلُ ويهوشع الكاهن العظيم اللذين يدعوهما «ابني الزيت» (٤: ١٤) أي الممسوحَين بروح الله فلا يتحركان بالقوة البشرية بل بقوة روح الله:

+ «هذه كلمة الرب إلى زَرُبَّابِلُ قائلاً: لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود.» (٤: ٦)

وفي نفس الوقت زكريا يتطلع إلى الملكوت المستقبل الذي تنضم إليه جميع الأُمم:

+ «ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطكِ، يقول الرب. فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطكِ.» (٢: ١٠ و١١)

+ «هكذا قال رب الجنود: سيأتي شعوب بعد وسكان مدن كثيرة. وسكان واحدة يسيرون إلى أخرى قائلين: لنذهب ذهاباً لنترضَّى وجه الرب ونطلب رب الجنود. أنا أيضاً أذهب. فتأتي شعوب كثيرة وأُمم قوية ليطلبوا رب الجنود. في أورشليم وليترضوا وجه الرب.» (٨: ٢٠—٢٢)

+ «هكذا قال رب الجنود: في تلك الأيام يمسك عشرة رجال من جميع ألسنة الأمم يتمسكون بذيل رجل يهودي قائلين: نذهب معكم لأننا سمعنا أن الله معكم.» (٨: ٢٣)

+ «ويكون الرب ملكاً على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده.» (١٤: ٩)

والنتيجة العملية لذلك هي تقديس الخليقة كلها:

+ «في ذلك اليوم يكون على أجراس الخيل قُدْسٌ للرب. والقدور في بيت الرب تكون كالمناضح أمام المذبح. وكل قِدْرٍ في أورشليم وفي يهوذا تكون قُدساً لرب الجنود.» (١٤: ٢٠ و٢١)

وملاخي (٥٦٠ ق.م) يبيِّن أن مُلك الله غير محصور في شعب إسرائيل ولكنه ممتد على جميع الأُمم:

+ «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأُمم وفي كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأُمم قال رب الجنود.» (١: ١١)

+ «لأني أنا **ملك عظيم** قال رب الجنود واسمي مهيب بين الأُمم.» (١: ١٤)

وأما شعب إسرائيل فالأتقياء منهم فقط يكونون له "خاصة" segulla، ويتنعمون ببركات العهد: «ويكونون لي قال رب الجنود في اليوم الذي أنا صانع **خاصةً** وأُشفق عليهم كما يُشفق الإنسان على ابنه الذي يخدمه.» (٣: ١٧)

+ «ولكن أيها المتَّقُون اسمي تُشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها فتخرجون وتنشأون كعجول الصيرة.» (٤: ٢)

٣ - ملكوت المسيَّا:

لقد قرَّر الله منذ القديم أن يسوس مملكته بواحد يخرج من نسل داود، وأعطى مواعيد صريحة لداود بذلك:

+ «أُقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأُثبِّت مملكته. هو يبني بيتاً لاسمي **وأنا أثبِّت كرسيَّ مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً** ... ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. **كرسيُّك يكون ثابتاً إلى الأبد.**» (٢صم ٧: ١٢ - ١٦)

وكان على الملك الخارج من نسل داود أن يحكم الشعب بالعدل والتقوى (تث ١٧: ١٤ - ٢٠)، وأن يُنصف على الخصوص المساكين والبائسين والمظلومين ويُشفق عليهم (مز ٧٢: ٤ و١٣ و١٤)، كانعكاس لرحمة الله الذي يمثله. كما كانت النبوَّات تشير إلى انتشار مملكته لتسود على جميع الأُمم:

+ «ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض.» (مز ٧٢: ٨)

+ «ويسجد له كل الملوك. كل الأُمم تتعبَّد له.» (مز ٧٢: ١١)

+ «يكون اسمه إلى الدهر. قدام الشمس يمتد اسمه. ويتباركون به. كل أُمم الأرض يطوِّبونه.» (مز ٧٢: ١٧)

وبذلك يتحقَّق فيه وعد الله لإبراهيم أن «بنسلك تتبارك كل الأُمم».

والأنبياء بصفة عامة كانوا يتحسَّسون ويترقبون الوقت الذي فيه تتحقَّق هذه النبوَّات:

+ «باحثين أيُّ وقت أو ما الوقت الذي كان يدلُّ عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها. الذين أُعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا

يخدمون بهذه الأمور.» (١بط ١: ١١ و١٢)

وحتى حينما لا يتكلم الأنبياء صراحة عن المسيَّا والعصر المسياني فإنهم يشيرون إليه ضمناً من داخل دائرة أوسع يكون فيها الفداء والخلاص ويوم الرب وملكوت الله وحلول روح الله حقائقَ مترابطة بعضها بالبعض ومتصلة بالمسيا والعصر المسياني.

هوشع وعاموس:

يتنبَّأ هوشع عن عودة إسرائيل إلى الرب إلههم وإلى المسيَّا الخارج من نسل داود:

+ «بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم (أي المسيَّا ابن داود).» (هو ٣: ٥)

وعاموس يتنبَّأ عن مجيء العصر المسياني الذي فيه تتحقق مواعيد الله لداود:

+ «في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة وأُحصن شقوقها وأُقيم ردمها وأبنيها كأيام الدهر، لكي يرثوا بقية أدوم وجميع الأُمم الذين دُعي اسمي عليهم.» (عا ٩: ١١ و١١)

وقد أشار الرسل في اجتماعهم بأورشليم إلى أن هذه النبوَّة قد تحققت بمجيء المسيح ودخول الأُمم الإيمان (أع ١٥: ١٦ و١٧).

وميخا يتنبَّأ عن مجيء المسيَّا من بيت لحم دون أي ذكر لأورشليم. وفي ذلك إشارة إلى أن مجيئه سيكون تحقيقاً مباشراً لمواعيد الله لداود دون أن تكون له صلة بالملوك الكائنين في أورشليم.

+ «أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلِّطاً على إسرائيل. ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل.» (مي ٥: ٢)

+ «ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب إلهه.» (٥: ٤)

وحَجَّي يتمثل في زَرُبَّابِلُ بن شَأَلتَئِيل بن داود صورة مسبقة للمسيَّا الآتي من نسل داود والمختار من الله:

+ «في ذلك اليوم يقول رب الجنود آخذك يا زَرُبَّابِلُ عبدي بن شَأَلتَئِيل يقول الرب وأجعلك كخاتم لأني قد اخترتك يقول رب الجنود.» (حج ٢: ٢٣)

وفي ذلك إشارة إلى المسيَّا الآتي من نسل زَرُبَّابِلُ من نسل داود، وقد ختمه الله الآب (يو ٦: ٢٧) وهو «المختار» بصفة مطلقة (مت ١٢: ١٨).

وزكريا أيضاً يتمثَّل في زَرُبَّابِلُ الحاكم وفي يهوشع الكاهن المسوحَيْن «ابنَي الزيت» (٤: ١٤) صورة مسبقة للمسيا المزمع أن يأتي الذي يدعوه «الرجل الغصن».

+ «فاسمع يا يهوشع الكاهن العظيم أنت ورفقاؤك الجالسون أمامك. لأنهم رجال آية. لأني هأنذا آتي **بعبدي الغصن**. فهوذا الحجر الذي وضعته قدام يهوشع على حجر واحد سبع أعين.» (٣: ٨ و٩)

+ «هكذا قال رب الجنود قائلاً: هوذا **الرجل الغصن** اسمه ومن مكانه ينبت ويبني هيكل الرب. فهو يبني هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه ويكون كاهناً على كرسيه.» (٦: ١٢ و١٣)

ولكن صورة المسيَّا عند زكريا تتسم بالوداعة والتواضع. فهو سيأتي:

+ «... راكباً على حمار وعلى جحش ابن أتان ... ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض.» (٩: ٩ و١٠)

بل إن زكريا يقدِّم صورة للمسيَّا المتألم المطعون (١٢: ١٠) والمجروح في بيت أحبائه (١٣: ٦)

٤ - روح التجديد:

إن نمو روح التجديد في القلوب والأفكار والواقع هو من عمل روح الله، لأنه يعطي قلوباً جديدة ويُسهِّل للشعب أن يطلب الله ويلتصق به، وهو الذي يدفع الأفراد لكي يَهَبُوا أنفسهم ويكرسوها لله. وروح التجديد ينادي القلوب المستعدة من نحو المجد القادم:

+ «ثم ذكر الأيام القديمة موسى وشعبه. أين الذي أَصْعَدهم من البحر مع راعي غنمه. أين الذي جعل في وسطهم روح قدسه، الذي سيَّر ليمين موسى ذراع مجده الذي شق المياه قدامهم ليضع لنفسه اسماً أبدياً، الذي سيَّرهم في اللجج، كفرسٍ في البرية فلم يعثروا ... روح الرب أراحهم. هكذا قُدتَ شعبك لتصنع لنفسك اسم مجد.» (إش ٦٣: ١١ - ١٤)

إن روح الرب يجاهد مع الإنسان ليأتي به إلى ملء ملكوته ويجدد القيم الإنسانية لترتفع بروح الله. ومن وجهة نظر الأنبياء فإن إسرائيل لا تستطيع أن تخضع لمشيئة الله وأغراضه وتوجيهاته إلا إذا تدخَّل روح الله وسيَّرهم كما سيَّر موسى في البرية.

وكان قصد الله من الاستعلانات التي منحها لموسى أن يُدخِل روح الله في قلوبهم لتجديدها:

+ «فاختتنوا غرلة قلوبكم ولا تُصلّبوا رقابكم بعد.» (تث ١٠: ١٦)

+ «ويختن الرب إلهك قلبك وقلب نسلك لكي تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك لتحيا.» (تث ٣٠: ٦)

ولكن حب الإنسان للاستقلال الذاتي عن الله يتحدى عمل روح الله في القلب وهذا هو الذي يثير غضب الله لأن عمله القلبي بالروح مرفوض:

+ «ويل للبنين المتمردين يقول الرب حتى أنهم يُجرون رأياً وليس مني ويسكبون سكيباً وليس بروحي ليزيدوا خطيئة على خطيئة.» (إش ٣٠: ١)

+ «ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قُدْسه فتحوَّل لهم عدواً وهو يحاربهم.» (إش ٦٣: ١٠)

+ «بل جعلوا قلبهم ماساً لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين، فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود.» (زك ٧: ١٢)

فأي عدم أمانة في قدرة الله للإنقاذ والنجدة والخلاص أو عدم الإيمان في قدرة الله على تتميم وعوده لشعبه هو تمرد على روح الله العامل في القلوب.

وقد رأى أنبياء ما بعد السبي أن أعمال الله الجديدة هي برهان لعصر جديد قادم للروح، وتكلّموا عن أعمال الله بالروح والخلاص بالروح:

+ «إلى أن يُسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستاناً ...» (إش ٣٢: ١٥)

+ «لأني أسكب ماءً على العطشان وسيولاً على اليابسة، أسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك.» (إش ٤٤: ٣)

+ «ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب.» (إش ١١: ٢)

+ «هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سُرَّت به نفسي. وضعتُ روحي عليه فيُخرج الحق للأمم.» (إش ٤٢: ١)

ومن يوئيل النبي عرفنا أن الله يسكب روحه على كل بشر، فإن روح الله متصل بأيام الخلاص والحكم الأبدي، ووعد الروح هو تأكيد من الله لشعبه أنه مهما يحدث على الأرض والسماء فإنهم

محفوظون بالعهد:

+ «وتعلمون أني أنا في وسط إسرائيل وأني أنا الرب إلهكم وليس غيري. ولا يخزى شعبي إلى الأبد. ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر ...» (يؤ ٢: ٢٧ و٢٨)

٥ - شعب الله الجديد:

مقدِّمة:

كانت بركة الله لإبراهيم ونسله، وبالفعل كان شعب إسرائيل مملكة الله، وقد توضّحت جداً في عهد الله مع موسى، فقد أنعم الله على إسرائيل بأن جعلها شعبه المقدس، وأسس مُلْكه في إسرائيل الذي ظل تابوت عهد الله هو الشهادة عليه وكان اسمه تابوت الشهادة. وأعطاهم شريعته للغفران والتصالح مع الله للمخطئ، في طقس الذبائح وعمل الكهنة، وأعطى إسرائيل تعاليم متكاملة بالتوراة لكي يعيشوا لله شعباً مقدساً.

وكان قلب العهد القديم مع موسى هو تعهد الله أن يكون إلهاً لمن يخضع له من كل القلب:

+ «ثم إن طلبت من هناك الرب إلهك تجده إذا التمسته بكل قلبك وبكل نفسك.» (تث ٤: ٢٩)

وكان الختان عهداً على ذلك، وكان القلب هو عماد الاقتراب من الله، لأن القلب يعني روح الإنسان، لذلك دعاه الله ختان القلب (تث ٣٠: ٦). فالذي يفرّق الشعب القديم عن الشعب الجديد هو ختانة القلب بالروح. فسمة الشعب الجديد هو القلب أو الروح مع الناموس وعلامته حب الله واقتفاء أثر البر والعدل، فهو الذي يهب ميراث العهد والوعد. أما عدم وجود الروح وبالتالي عدم الخضوع والطاعة بل السير في الطريق الخاطئ الذي يُغضِب الله، فهذه سمات الشعب القديم أو الإنسان القديم.

فعجز الشعب عن أن يكون على مستوى القلب المختون أي الروح، جعل الأنبياء يتطلّعون إلى أيام تكون فيها جماعة جديدة متجددة بالروح. وسنرى هذا عند أنبياء ما قبل السبي وما بعد السبي:

أنبياء ما قبل السبي:

يرى هوشع بالروح أن البقية سترجع إلى الرب وتعترف بخطاياها وتطلب وجه الله باجتهاد ومثابرة:

+ «أذهب وأرجع إلى مكاني حتى يجازوا ويطلبوا وجهي. في ضيقهم يبكرون إليَّ.» (هو ٥: ١٥)

ويوضح أيضاً أنه يلزم أن يعرفوا الله أنه عادل ومحب ورحوم:

+ «إني أريد رحمة لا ذبيحة. ومعرفة الله أكثر من محرقات.» (هو ٦: ٦)

والحكيم هو الذي يسير في طرق الرب:

+ «مَنْ هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور وفهيم حتى يعرفها. فإن طرق الرب مستقيمة والأبرار يسلكون فيها. وأما المنافقون فيعثرون فيها.» (هو ١٤: ٩)

وبالمقابل فإن وعد يهوه بالشفاء هو لكل مَنْ يثق فيه من أجل الخلاص الكامل:

+ « ارجع يا إسرائيل إلى الرب إلهك لأنك قد تعثّرت بإثمك. خذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب. قولوا له: ارفع كل إثم واقبَلْ حسناً فنقدِّم عجول شفاهنا. لا يخلِّصنا أشور. لا نركب على الخيل ولا نقول أيضا لعمل أيدينا آلهتنا. بكَ يُرحم اليتيم. أنا أشفي ارتدادهم. أحبهم فضلاً لأن غضبي قد ارتد عنه.» (هو ١٤: ١ - ٤)

وعاموس أيضاً يدعو البقية أن يعلنوا ولاءهم ليهوه وحده:

+ «اطلبوا الرب فتحيوا لئلا يقتحِم بيت يوسف كنار تحرق ولا يكون من يطفئها من بيت إيل.» (عا ٥: ٦)

ومَنْ يطلب الرب يعني أنه يحيا بالإيمان، هذا هو عمل العدل والبر:

+ «اطلبوا الخير لا الشر لكي تحيوا، فَعَلَى هذا يكون الرب إله الجنود معكم كما قلتم. ابغضوا الشر وأحبوا الخير وثبتوا الحق في الباب لعل الرب إله الجنود يتراءف على بقية يوسف.» (عا ٥: ١٤ و١٥)

وبعد ذلك بجيل أي بعد هوشع وعاموس، جاء ميخا وتكلّم بكلمة الله للمملكتين وقدَّم رؤياه العظيمة لأورشليم الجديدة:

+ «وتسير أمم كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيُعلِّمنا من طرقه ونسلك في سُبُله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين شعوب كثيرين ينصف لأمم قوية بعيدة، فيطبعون سيوفهم سِكَكاً ورماحهم مناجلَ. لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب في ما بعد. بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون من يرعب لأن فم رب الجنود تكلم.» (مي ٤: ٢ - ٤)

والذين يسيرون مع يهوه سيكون لهم نصيب في أورشليم الجديدة. فالبقية هم أولئك الذين

يعرفون يهوه ويمجدونه في حياتهم (مي ٦: ٦ - ٨). ولو أن الخلاص الكلي ربما يتباطأ، فالبقية تنتظر بصبر ورجاء لترى عصر الخلاص وتجديد العهد والمغفرة وزوال الشر والتأسيس الكامل للملكوت.

وناحوم خدم نبوته بكلمة الرب في يهوذا أثناء سقوط أشور وضياع قوتها. وكانت أشور قد سَبَت المملكة الشمالية إسرائيل واختزلت يهوذا إلى مملكة تابعة، غير أن يهوذا كانت لا تزال مهدَّدة بواسطة أشور، وهكذا كانت كلمة الرب مُعزِّية للبقية الباقية:

+ «صالح هو الرب، حصنٌ في يوم الضيق، وهو يعرف المتوكلين عليه.» (نا ١: ٧)

أما صَفَنْيا فقد طوَّر يوم الرب وجعل فيه الرجاء لكل الذين يتضعون أمام الرب ويفرزون أنفسهم من الأشرار والمتمردين. فالمستقبل هو للمتواضع الذي يعمل مشيئة الله وينتظر بثقة (صف ٣: ١٢ و١٣).

أما حبقوق النبي فهو يشجع التقي ليعمل ويثابر بحسب مشيئة الله وينتظر خلاصه غير ناظر إلى أن كلمة الله قد تضعف في تأثيرها، بل ينتظر الرب بأمانته ويرى بعينيه مجازاة الأشرار (حب ٢: ٣ و٤). وحبقوق ينتظر خلاص الرب، ويتذكر كيف تم في مصر والبحر الأحمر، فتذكار هذه الحوادث بصفتها من أسرار الله هي حقائق مستقرة في أذهانهم، وشعب الله عليه أن ينتظر بإيمان تكميل الخلاص المُعدّ، فرحين في عهد الرب الذي وعد به (حب ٣: ١٦ - ١٩).

أنبياء ما بعد السبي:

خبرة جماعة الذين عادوا من السبي تشبه زمان ما بعد القيامة في المسيحية. فالجماعة التي عبرت الأسْر وهي تعيش في غفران الله وصلاحه والتجديد الذي ينعم بالإيجابية تشبه جماعة الذين عاشوا بعد القيامة في المسيحية وكانوا يتذوقون قوة الرب وعمل الروح بحضرة المسيح على الكنيسة وفيها في الحياة الحاضرة في المسيح، وكانوا يتذوقون كل ما تم للإنسان من مواهب، التي صارت بسبب الاختيار ليكون المؤمن في وضعه الإسخاتولوجي.

وهكذا يعيش المسيحيون المرحلة المستقبلية على الدوام وتكميل الزمن الإسخاتولوجي. ولكن المسيحي يشعر بأنه لا يزال غريباً، منتظراً استيطانه إلى أن يأتي الرب بمجده ليفتقد الأرض ويعطي الراحة لشعبه ويطهر الأرض من فَعَلَة الإثم، ويكمل الوعد بالراحة الكاملة.

وجماعة الأنبياء فيما بعد السبي كانوا يدعون الشعب لأمانة كاملة لله، ولا ينادون بعد بمملكتي إسرائيل ويهوذا مفترقتين، لأن البقية الصالحة العائدة من إسرائيل انضمت إلى البقية الراجعة من

يهوذا، فكانت البقية من الراجعين متحدة من المملكة الشمالية والجنوبية على حد سواء، إذ لم يعد انفصال بعد بل صار الأبرار كلهم شعباً واحداً لله. وكلمة "إسرائيل" بعد ذلك صارت تعني الشعب الجديد الذي أخذه الله لنفسه، ويُطلق عليهم النبي حَجَّي: «كل بقية الشعب» (حج ١: ١٢)، وزكريا يوجِّه كلمة الله «لجميع شعب الأرض» (زك ٧: ٥) وتشمل بقية الأسباط جميعاً، وأورشليم صارت مع صهيون الاسم الإسخاتولوجي لمدينة الله.

والراجعون من السبي والمؤمنون في الشتات كلهم دُعوا "بالبقية" التي تكوَّنت سنة ٥٣٦ ق.م. على أن كل الراجعين يحتاجون إلى التجديد الكامل. والدعوة للتقوى والتدين والأمانة تحتاج إلى تجديد داخلي وغيرة لله كاستجابة بالروح القدس.

فالنبي حَجَّي سنة ٥٣٠ ق.م كان يسألهم أن يفحصوا قلوبهم (حج ١: ٥ و٧، ٢: ١٥ و١٨) وهكذا أعطى للشعب روح انتعاش لتبعية الله على وضع أعظم، بواسطة الروح القدس (١: ١٣ و١٤، ٢: ٤ و٥) وكان يشجع البقية أن يثقوا في الله ويطيعوه مؤكداً لهم أنه توجد علاقة كبيرة بين الطاعة وبين ظهور يهوه ومملكته بينهم.

فالرب سيزلزل السماء والأرض ويؤسس مملكته من أجل أولاده، ولكن الله ينتظر منهم أن يعيشوا في انتظار مملكته الكبرى هذه.

وتأكيد التكميل كله متوقف على وعد الله (زك ١: ١٣ و١٤ و١٦، ٨: ٢ و٣ و٨)، أنه بغيرة سيسكن وسط الشعب المؤمن للبركة والحفظ - ولكي يغير هذه الأرض، ولكن الله ينتظر أيضاً أن شعبه الجديد يؤمن ويثق فيه ويكون أميناً له في حياته وعمله بالعدل والبر والرحمة والمحبة (زك ٨: ١٣ - ١٧ و١٩).

وزكريا، كما كان حَجَّي اهتم بغيرة يهوه في تكميل كلمة الله لكي يوصل الشعب لملكه، فيهوه وعد بالعودة إليهم في مجده وبالبركة والحفظ ولكن على أن يعود الشعب أيضاً إلى الله بالتقوى (زك ١: ٣).

وقبل خدمة عزرا بقليل كان ملاخي يثير حماس الكهنة والشعب لإعطاء الكرامة ليهوه كالأب وكالملك العظيم للمسكونة وذلك بحسب العهد، وعلى الكهنة أن يسيروا مع الرب وأن يهتموا بالشعب (مل ٢: ٥ - ٧)، وكان على الشعب أن يعودوا إليه (مل ٣: ٧)، وأن يعتنوا بعضهم ببعض (مل ٣: ٥)، وأن يحافظوا على كيان الأسرة (مل ٢: ١٠ - ١٦):

+ «... أفلم يفعل واحد وله بقية الروح، ولماذا الواحد؟ طالباً زرع الله، فاحذروا لروحكم ولا يغدر أحد بامرأة شبابه. لأنه يكره الطلاق قال الرب إله إسرائيل ... فاحذروا لروحكم لئلا تغدروا.» (مل ٢: ١٥ و١٦)

فالله يعوّض الذين يخدمونه بأمانة وهدوء وغيرة واهتمام محافظين على الإيمان، ومستسلمين ليهوه، فهم كنزه الوحيد «خاصته» (مل ٣: ١٧) الذين يعطي لهم علامة لنهاية الخلاص.

٦ - علاقة إسرائيل بالأمم:

مقدِّمة:

كان الأنبياء يكلِّمون إسرائيل ويهوذا وذلك قبل السبي ويكلِّمون البقية من الاثني عشر سبطاً بعد السبي، وامتدوا بنبواتهم التي للخلاص والدينونة نحو الأمم، وليس من المستغرب أن الدينونة لها أهميتها، لأن الأمم أساءت بكل أنواع الإساءات لشعب الله. ولكن الأنبياء تكلَّموا أيضاً من جهة دخول الأمم دائرة اهتمام الله بالفداء.

أنبياء ما قبل السبي:

عاموس صرَّح بدخول الأمم «لكي يرثوا بقية أدوم وجميع الأمم الذين دُعي اسمي عليهم، يقول الرب الصانع هذا» (عا ٩: ١٢). كما جاء في سفر الأعمال: «لكي يطلب الباقون من الناس الرب وجميع الأمم الذين دُعي اسمي عليهم يقول الرب الصانع هذا كله» (أع ١٥: ١٧) لأن الذي يحمل اسم يهوه يصير ضمن شعب الله كإسرائيل، بمعنى أن الأمم ستدخل تحت حكم الله.

ونظرة ميخا إلى صهيون تتضمن الأمم إن هم تعلَّموا أن يسيروا بحسب قانون الله:

+ «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه شعوب. وتسير أمم كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين شعوب كثيرين، ينصف لأمم قوية بعيدة، فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل، لا ترفع أُمة على أُمة سيفاً ولا يتعلَّمون الحرب في ما بعد. بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون مَنْ يُرعب لأن فم رب الجنود تكلَّم. لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه ونحن نسلك باسم الرب إلهنا إلى الدهر والأبد.» (مي ٤: ١ - ٥)

+ «وتكون بقية يعقوب في وسط شعوب كثيرين كالندى من عند الرب ...» (مي ٥: ٧)

وبطريقة ما تكون الجماعة الجديدة وسيلة لمباركة الله لبقية الأُمم:

+ «وأُبارِكُ مُبارِكيك ولاعنُك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض.» (تك ١٢: ٣)

+ «أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذي عاهد به الله آباءنا قائلاً لإبراهيم وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض.» (أع ٣: ٢٥)

أما نبوَّة صَفَنْيَا فتقدِّم دخول الأُمم بصورة واضحة أكثر من كل ما قيل في ذلك من أنبياء من قبل السبي، فقد نادى أن الأُمم ستتعبَّد للرب أينما كانوا:

+ «فسيسجد له الناس كل واحد من مكانه كل جزائر الأُمم.» (صف ٢: ١١)

وتكون عبادتهم مقبولة عندما ينطقون باسم الرب كلٌّ في أرضه وبلغته:

+ «لأني حينئذ أحوِّل الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتفٍ واحدةٍ.» (صف ٣: ٩)

أنبياء ما بعد السبي:

اضطلع أنبياء ما بعد السبي بتطوير فكرة دخول الأُمم والامتداد بها. فزكريا سنة ٥٢٠ ق.م شجع الذين جاءوا بعد السبي بالتأكيد لهم على دخول الأُمم في عصر المسيَّا!

+ «ويكون كما أنكم كنتم لعنة بين الأُمم يا بيت يهوذا ويا بيت إسرائيل كذلك أُخلصكم فتكونون بركة فلا تخافوا. لتتشدد أيديكم.» (زك ٨: ١٣)

+ «هكذا قال رب الجنود سيأتي شعوب بعد وسكان مدن كثيرة. وسكان واحدة يسيرون إلى أخرى قائلين: لنذهب ذهاباً لنترضَّى وجه الرب ونطلب رب الجنود. أنا أيضاً أذهب. فتأتي شعوب كثيرة وأُمم قوية ليطلبوا رب الجنود في أُورشليم وليترضوا وجه الرب. هكذا قال رب الجنود. في تلك الأيام يمسك عشرة رجال من جميع ألسنة الأمم يتمسَّكون بذيل رجل يهودي قائلين نذهب معكم لأننا سمعنا أن الله معكم.» (زك ٨: ٢٠ - ٢٣)

لأن المسيَّا ستمتد مملكته حتى أطراف الأرض ويُحضر السلام إلى كل الأُمم (٩: ١٠).

وملاخي سنة ٤٦٠ ق.م يضع كل ما يهم الأُمم في دائرة مملكة الله، فيهوه هو سيد العالم الذي سيمتد ملكوته إلى أقصى الخليقة:

+ «لأني أنا ملكٌ عظيمٌ قال رب الجنود واسمي مهيب بين الأُمم.» (مل ١: ١٤)

+ «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأُمم، وفي كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأُمم قال رب الجنود.» (مل ١: ١١)

والرب يدعو إليه كل الذين يعبدون اسمه بأمانة وبروح التواضع لأنهم يرثون الأرض.

+ «حينئذ كلَّم متَّقو الرب كل واحد قريبه والرب أصغى وسمع وكتب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين في اسمه.» (مل ٣: ١٦)

ويوئيل يستخدم اصطلاح «من يدعو باسم الرب» كعلامة للشعب الجديد، وصهيون مركز العالم الجديد:

+ «ويكون أن كل مَنْ يدعو باسم الرب ينجو.» (يؤ ٢: ٣٢)

كما جاءت في (رو ١٠: ١٢ و١٣)، (قارن: غل ٣: ٢٨، أف ٢: ١٣). فالكل يتقاسم نصيبه في عصر الروح القدس.



وفي الختام نقول إن الأنبياء تُوِّجُوا بالمجد بسبب الآلام الكثيرة التي نالتهم من بني جنسهم وقد صار لنا بركتهم وشركتهم في نفس الآلام:

+ «افرحوا وتهلَّلوا لأن أجركم عظيم في السموات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم».

متى المسكين

كتابات الأب متى المسكين

(مايو ٢٠٠٣م)

اسم الكتاب

سلسلة شروحات الإنجيل:

- القديس بولس الرسول
- شرح رسالة رومية
- المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا
- شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ١
- شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ٢
- شرح الرسالة إلى العبرانيين
- شرح الرسالة إلى أهل أفسس
- شرح الرسالة إلى أهل غلاطية
- شرح الإنجيل بحسب القديس مرقس
- شرح سفر أعمال الرسل
- شرح الإنجيل بحسب القديس لوقا
- شرح الإنجيل بحسب القديس متى

شرح إنجيل متى (أصحاحات منفصلة) طبعة اقتصادية للاستعمال الفردي أو للدراسة الجماعية

- الرسالة الأولى للقديس يوحنا الرسول: شرح وتفسير
- المزامير: دراسة وشرح وتفسير، في ثلاثة مجلدات. المجلد الأول: المقدمة

مجلّدات في مواضيع متنوعة:

- القديس أثناسيوس الرسولي
- الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار
- حياة الصلاة الأرثوذكسية
- المسيح: حياته وأعماله

سلسلة دراسات في التقليد الكنسي:

- التقليد المقدس
- القديسة العذراء مريم (ثيئوتوكس)
- الصليب المقدس
- التسبحة اليومية ومزامير السواعي
- الإفخارستيا
- إفخارستيا عشاء الرب (ملحق كتاب الإفخارستيا)
- المعمودية: الأصول الأولى للمسيحية

سلسلة الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية:

- أعياد الظهور الإلهي
- الصوم الأربعيني المقدس
- مع المسيح في آلامه حتى الصليب
- القيامة والصعود
- الروح القدس الرب المحيي (في جزئين داخل كيس واحد)

- التجسد الإلهي في تعليم القديس كيرلس الكبير (مع عظة الميلاد للأب متى المسكين)
- ميلاد يسوع المسيح ابن الله
- رسالة الميلاد لنا اليوم وعمانوئيل الذي تفسيره الله معنا

مقالات منفصلة عن الميلاد والغطاس

مقالات تصلح للخدام والشباب:

- الخدمة (٣ أجزاء معا)
- المسيحي في المجتمع
- المسيحي في الأسرة
- كيف تقرأ الكتاب المقدس
- في التدبير الروحى
- توجيهات فى الصلاة

اسبوع الآلام:

- مع المسيح في آلامه وموته وقيامته
- لأعرفه وقوة قيامته

عيد القيامة المجيد:

- القيامة والخليقة الجديدة
- القيامة والرجاء الحى
- قيامة المسيح هي فرح البشرية الدائم

مقالات منفصلة عن عيد القيامة

عيدا الصعود والعنصرة:

- عيد الصعود في اللاهوت الكنسي
- رسائل ومقالات في عيدي الصعود والعنصرة
- يوم الخمسين في التقليد الآبائي
- الروح القدس وعمله داخل النفس
- مع الروح القدس في جهادنا اليومي
- يوم الخمسين وميلاد الكنيسة

مقالات منفصلة عن عيدي الصعود والعنصرة

صوم الرسل:

- صوم الرسل ومكانته الروحية في الكنيسة، والروح القدس وصوم الرسل
- عيد الرسل وإيمان الكنيسة

صوم العذراء وعيد صعود جسدها:

- صوم العذراء القديسة مريم وعيد صعود جسدها إلى السماء

عيد النيروز:

- الشهادة والشهداء (انظر: قصص مسيحية للحياة)

مقالات منفصلة عن عيد الشهداء

مجموعة مقالات في اللاهوت (ألقاب المسيح)

- ماهية المسيح - لاهوت المسيح الذي حدد مصير الإنسان

- المسيح ابن الله
- ابن الإنسان
- المسيح والمسيَّا
- المسيح رب
- المحبوب
- الفدية والكفارة
- الخلاص والإيمان
- عمانوئيل
- رئيس الحياة
- أنا هو نور العالم
- العريس
- أنا هو الطريق والحق والحياة
- أنا هو خبز الحياة
- أنا هو الكرمة الحقيقية وأبي الكرَّام
- حمل الله
- أنا هو القيامة والحياة
- مشتهى كل الأمم
- أنا هو الراعي الصالح

في الموضوعات الروحية العامة:

- التوبة
- التوبة والنسك في الإنجيل
- العمل الروحي
- الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل
- رسائل القديس أنطونيوس
- الإيمان بالمسيح
- حبة الحنطة
- أين شوكتك يا موت
- التبرير
- الوحدة المسيحية
- مقالات بين السياسة والدين
- ملكوت الله
- المرأة حقوقها وواجباتها
- الكشف الأثرى في دير القديس أنبا مقار عن رفات القديس يوحنا المعمدان وأليشع النبي
- لمحة سريعة عن دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر
- سيرة القديس أنبا مقار
- رسائل روحية
- غاية الحياة المسيحية
- القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي
- رأي فى تحديد النسل
- الكنيسة الخالدة
- كلمة الله : خدمة وشهادة وحياة

- الوحدة الحقيقية ستكون إلهاماً للعالم
- لقد وجدنا يسوع ــ دعوة تعارف
- قصة الإنسان (حول الخطية والخلاص)
- تغيَّروا عن شكلكم
- حاجتنا إلى المسيح
- الكتاب المقدس رسالة شخصية لك
- النعمة في العقيدة والحياة النسكية
- الحدود المتسعة للإيمان بالله
- فى تعليم المبتدئين
- ميلاد المسيح وميلاد الإنسان
- إماتة الذات بهدف الحب الإلهي ــ اختبار الله في حياة الراهب
- تاريخ إسرائيل
- كيف سيدين المسيح المسكونة بالعدل
- الحكم الألفي
- أنشودة للتجسُّد
- رسالة توعية
- الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي ــ الجزء الأول
- الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي ــ الجزء الثاني
- "الإنسان والخطية" رسالة سلام للنفس المتعبة
- رسالة حياة لمن يطلب الحياة "تسليم الحياة للمسيح"
- الله واحد مع شرح صلاة "أبانا الذي في السموات"
- فن الحياة الناجحة
- كيف نبني أنفسنا على الإيمان الأقدس
- التحولات الروحية السوية
- إرشادات روحية للرهبان
- توجيهات ونصائح رهبانية
- قصص مسيحية للحياة (في مجلد واحد)

(وهي تشمل ١٥ قصة طبعت منفصلة في ٩ كتيبات صغيرة وعناوينها كالآتي):

- سفراء من العالم الآخر
- في زقاق المسيحيين
- قصة استشهاد الرسولين بطرس وبولس
- النيروز وذكرى أيام الشهداء
- أيقونة جميلة
- قصة استشهاد مؤثرة للغاية
- قصة طهارة واستشهاد بارع، القديس فوكا البستاني، فلسفة الموت عند شهداء مصر
- أولوجيوس والمقعد الرذيل، المحارب العجوز
- تاييس امرأة الأساطير، القديسة ميلانية العجيبة، صلاة فلاح، أتّباع المسيح وبهرجة الفلسفات

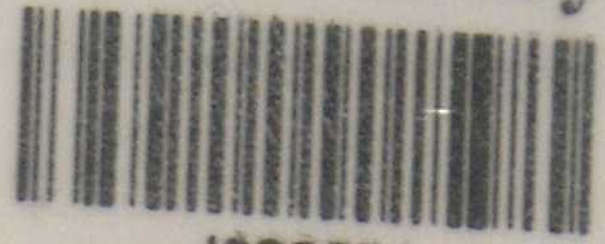
يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا تليفون: ٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك تليفون: ٤٩٥٢٧٤٠

وجميع الكنائس والمكتبات المسيحية



الثمن ٣٥ جنيهاً

(٢٩٥)